

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 23 APRIL 1979

العدد (٢٣) ـ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ/ابريل ١٩٧٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

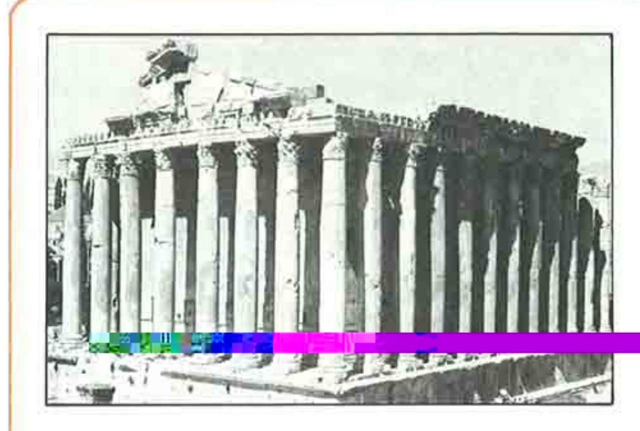


مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

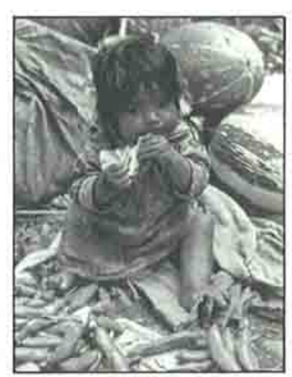
العدد (٢٣) جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ أبريل ١٩٧٩ م

هذا العدد

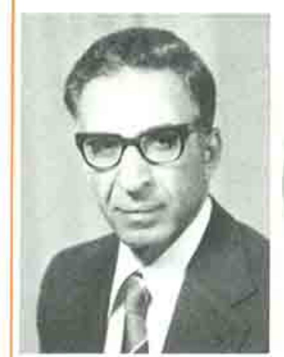


★ تعتبر بعلبك من المدن التاريخية العريقة بآثارها، وتاريخها الموغل في القدم الذي يعود إلى أكثر من أربعة آلاف سنة .. فقد دلت آثارها على أنها كانت مأهولة قبل الإغريق والرومان (طالع ص ٣٥) ★

★ تمر عملية التحضر في المملكة العربية السعودية حالياً بذروة مرحلتها الانتقالية .. وهذا يعطيها أهمية خاصة تجعلها مجال دراسة وبحث من خلال الإحصاءات، والرسوم البيانية، وتأثيرات خطط التنمية في عملية تيارات النزوح من البادية إلى المدن، وما تقوم به هذه الخطط من صناعة المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والصناعية (طالع ص ١٩) ★



★ تقوم منظمة «اليونيسيف» بدور إنساني هام في المجتمعات البشرية، وبمناسبة احتفاء العالم بعام الطفولة طوال عام ١٩٧٩ م، وانطلاقاً من التزام المجلة بمناقشة قضايا الطفولة من خلال أعدادها التي تصدر في عام الطفل، تقدم استطلاعها التعريفي بهذه المنظمة، والأعمال التي تقوم بها (طالع ص ٩١) ★

حسن الدجيلي

★ من مواليد مدينة النجف بالعراق (١٩١٤م).

★ درس في العراق وإنجلترا والولايات المتحدة.

★ ليسانس في العلوم الاجتماعية من جامعة ولاية شمال كولورادو.

★ ليسانس في التربية من كلية المعلمين بجامعة كولومبيا - نيويورك.

★ ليسانس في الحقوق، كلية الحقوق في العراق.

★ تقلد مناصب تعليمية وإدارية بوزارة التعليم.

★ اشتغل بالصحافة الأسبوعية والشهرية، حيث نشر العديد من المقالات التربوية والسياسية والاجتماعية.

★ له مؤلفات عديدة في التربية والتعليم.

★ يعمل أستاذاً في قسم التربية - كلية التربية - جامعة الرياض.




نفيسة بنطالب

★ من مواليد مراكش - المغرب عام ١٩٥٣م.

★ الإجازة في اللغة العربية - كلية الدراسات العربية.

★ تعمل في حقل التدريس.






أحمد الشيخ

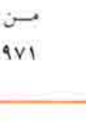
★ من مواليد ١٩٣٩م - المنوفية.

★ كلية الآداب - قسم التاريخ.

★ نشرت أعماله في عدد من الصحف والمجلات العربية.

★ أولى مجموعاته كانت بعنوان «دائرة الانحناء» وله رواية تحت الطبع ومجموعة قصص بعنوان «النبش في الدماغ». وله مسرحية لم تطبع.

★ حصل على التفرغ لمدة عامين من وزارة الثقافة عامي ٧٠، ١٩٧١م.


جمال بدران

★ ليسانس فلسفة - جامعة القاهرة.

★ دبلوم معهد الصحافة.

★ عمل مدرساً للفلسفة واللغة الفرنسية ثم مدرساً للمنطق والآداب بالمعاهد الدينية ومعهد البحوث الإسلامية.

★ عمل سكرتيراً لتحرير مجلة الكتاب العربي، ووكيلاً لإدارة المجلات الثقافية، كما عمل مراقباً عاماً بالهيئة العامة للكتاب.

★ يعمل الآن مديراً للتأليف بدار المعارف.

★ ترجم من الفرنسية إلى العربية عدداً من الكتب، كما ألف كتاباً في المنطق، وكتب مقالات في مجلات عربية.. وله برامج ثقافية ودينية بالإذاعة والتليفزيون.

د. فوزي الأحدب

★ من مواليد حمص - سورية عام ١٩٣٩م.

★ دكتوراه في حقوق واقتصاد الشرق الأوسط - جامعة ليون - فرنسا.

★ يجيد الإنجليزية والفرنسية والإيطالية.

★ عمل في التدريس الثانوي والجامعي، ومعاهد المعلمين، كما عمل باحثاً اقتصادياً.

★ يعمل حالياً باحثاً اقتصادياً بوزارة التخطيط في الرياض.

★ قام بعدة رحلات إلى أوروبا، وأميريكا.

★ له مجموعة من البحوث باللغتين الفرنسية والإنجليزية نشرتها مجلات عالمية متخصصة.

** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **

- العمارة الإسلامية في ندوة عالمية في الرياض .
- مؤتمر عربي للعلوم والتكنولوجيا .
- المعرض السادس للفنانين التشكيليين العرب في الكويت .
- إنشاء «بنك للمعلومات» بجامعة الأزهر .
- صناعات تونس التقليدية في معرض .
- معرض للملصقات الفلسطينية في بيروت .

- اختراع جهاز لكشف لصوص الكتب .
- باريس .. من وجهة نظر الرسامين .
- أكبر خريطة في العالم .
- تأسيس أول متحف للملصقات الفرنسية .
- معرض للفن العراقي في إيطاليا .
- اكتشاف مرصد تاريخي قديم .

السعودية

العمارة الإسلامية .. في ندوة عالمية

جامعة الملك فيصل بالدمام تقوم بالتخطيط لعقد ندوة عالمية عن **العمارة الإسلامية** في بداية العام القادم . سوف يكون الموضوع المطروح هو تعريف البيئة الإسلامية وأهدافها الأساسية من حيث مناقشة مفاهيم ومبادىء نظريات العمارة الإسلامية وعلاقتها بالحضارة والعوامل الاجتماعية والمناخية والاقتصادية والتكنولوجية ، والبحث في الوسائل ودراسة هذه العلاقات . سيشترك في الندوة ٢٠٠ من العلماء المختصين .

المؤتمر العربي للعلوم والتكنولوجيا

المؤتمر العربي الثاني للعلوم والتكنولوجيا ، سوف يعقد بالرياض يوم ٣١ مارس (آذار) القادم لمناقشة الدراسات التي أعدت من خلال **مجلس الوحدة الاقتصادية** ، بالتعاون مع **المنظمة العربية للتنمية الزراعية** ، وأيضاً مع **الهيئة العربية للاستثمار والإنماء الزراعي** .

كما سيجري خلال الاجتماعات ، استعراض ما قام به مجلس الوحدة بشأن المسح الشامل لإمكانات وإنجازات الشركات الزراعية المشتركة على مستوى الوطن العربي لعام ١٩٧٩ م .

الفائز بالجائزة الأولى

في **معرض المقتنيات** العام الذي أقيم بالرياض ، حصل الفنان التشكيلي **سعدون السعدون** على الجائزة الأولى في التصوير .

سلسلة جديدة لنشر الرسائل العليا

الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي الأديب السعودي المعروف وصاحب سلسلة « **المكتبة الصغيرة** » سوف يصدر سلسلة جديدة ـ ما زال يبحث عن اسم لها ـ تهتم بنشر **الرسائل** التي قدمها السعوديون لنيل **الماجستير والدكتوراه** .. أول حلقة ستكون رسالة **الأستاذ حمزة بوقري** التي أعدها لنيل شهادة الماجستير .

مركز لتطوير التعليم الجامعي العربي

هناك تعاون يتم بين **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واتحاد الجامعات العربية** ، وذلك من أجل ايجاد **مركز بحوث لتطوير التعليم الجامعي** .. وبلورة أهدافه ، من أجل تحقيق نتائج كبيرة للتعليم الجامعي والعالي .

وقد تمت عدة اجتماعات **بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** ، اشترك فيها عدد من مديري الجامعات في الوطن العربي ، لمناقشة ضرورة ايجاد هذا المركز .

طابع تذكاري

أصبحت مدينة **الرياض** ، المقر الدائم **لهيئة بريد الخليج** ، لذلك ، أصدرت الإدارة السعودية طابعاً تذكارياً من فئتي ٢٠ ، ٥٠ هللة ، وقد تم طرحه للبيع في مراكز البريد بالمملكة .

مخطوطات أثرية

٦٠٠ مخطوطة من المخطوطات الأثرية الهامة ، حصلت عليها **الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة** ، وضمتها إلى مكتبتها المركزية ، وقد تم تصوير هذه المخطوطات على « **ميكروفيلم** » لمساعدة الباحثين والمحققين للاستفادة منها .

رسوم الأطفال

افتتح المعرض الخاص بمسابقة رسوم الأطفال بالمملكة ، التي تنظمها **المنظمة الدولية للطيران المدني مع الخطوط السعودية** .

متاحف في المناطق الأثرية

يتم عما قريب إنشاء ستة متاحف في المملكة ، وسيختار أماكنها في المواقع الأثرية في كل من العلا ونجران وتيماء والجوف والأحساء .. وجيزان ، والهدف من إنشاء هذه المتاحف ، هو إبراز الآثار الموجودة في كل منطقة .. ويجري حالياً استكمال التصميمات النهائية ، تمهيداً للبدء في عملية البناء .

حدث في مثل هذا الشهر

(الأحداث التالية بالتاريخ الميلادي الموافق للشهر الهجري الذي تصدر فيه المجلة)



★ رفاعة الطهطاوي ★

٥ مايو
١٨٨٩ مولد الدكتور محمود عزمي (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٨ من هذه الزاوية) .

٨ مايو
١٧٧٣ وفاة علي بك الكبير .

٩ مايو
١٩٥٠ وفاة المقرىء الشيخ محمد رفعت .

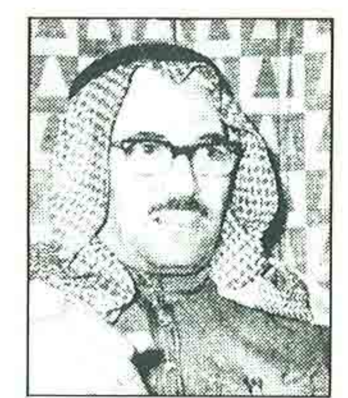
١٠ مايو
١٩٣٧ وفاة الأديب مصطفى صادق الرافعي (طالع شخصية الشهر) .

١٨ مايو
١٢٩١ انتهاء حكم الصليبين للأرض المقدسة ، وسقوط عكا في يد المماليك .

١٩ مايو
١٨٧٥ إنشاء الجمعية الجغرافية المصرية .

٢٥ مايو
١٩٤٦ استبدال اسم « إمارة شرقي الأردن » باسم المملكة الأردنية الهاشمية .
١٨٨٢ وفاة عبد القادر الجزائري .

٢٧ مايو
١٣٣٢ مولد المؤرخ العربي المعروف عبدالرحمن ابن خلدون (طالع تاريخ وفاته في العدد ٢٢ من هذه الزاوية) .
١٨٧٣ وفاة رفاعة الطهطاوي (طالع تاريخ مولده في العدد ١٧ من هذه الزاوية) .



★ عبدالعزيز الرفاعي ★



★ د. زينب عبدالعزيز ★

كتب جديدة

● « **أرطأة بن سهية** » الجزء ٢٨ من سلسلة « المكتبة الصغيرة » تأليف الأستاذ عبد العزيز الرفاعي .

● « **حكاية حب ساذجة** » مجموعة قصصية تأليف محمد منصور الشقحاء .

● « **نافذة على الحائط المهدوم** » تأليف هند صالح باغفار .. والكتاب على شكل المذكرات والرسائل الأدبية ، الذاتية .

● الدكتور **محمد عبده يماني** ، وزير الإعلام ، قرر أن يدفع إلى المطبعة روايتين من تأليفه ، الأولى بعنوان « **مشرد بلا خطيئة** » تتناول الحياة الإنسانية الفلسطينية وما يعانيه اللاجئون من خلال حياتهم في المخيات ، والثانية بعنوان « **اليد السفلى** » تتناول الواقع المحلي والبيئة والعلاقات الاجتماعية والأسرية في المجتمع .

● « **أذرع الواحات المشمسة** » المجموعة القصصية الفائزة بمسابقة القصة القصيرة التي أجراها نادي القصة السعودي بالرياض .

● يستعد عدد من الفنانين التشكيليين لإعداد كتاب يضم مجموعة من المقالات لعدد منهم ، حيث يطرحون من خلال هذه المقالات وجهات نظرهم في الفن التشكيلي ومشاكله وقضاياه .

سورية

كتب جديدة

● « **حكايا الأمواج** » مجموعة قصصية تأليف **عبد القادر الشامي** ، تستعرض حياة البحر ، مع تجسيد للمعاناة الكبيرة التي يعانيها الصيادون والبحارة .

● « **الزواج** » تأليف **جو جول** ، ترجمها إلى العربية **محمد خيري الوادي وحسني راجي** ، وهي كوميديا من فصلين ، الناشر وزارة الثقافة والإرشاد .

● « **مختارات من شعر الشاعر الإسباني انطونيو ماتشادو** » ترجمة **الدكتور محمود صبح** الأستاذ بجامعة **مدريد** .

المختارات ، عبارة عن أربع وثمانين قصيدة ، **الناشر وزارة الثقافة والفنون** .

● « **سياسة في المسرح** » دراسة من تأليف علي عقلة فرسان .

● « **قمصان زرقاء** » مجموعة شعرية للشاعر **عادل محمود** ، وهي المجموعة الأولى له ، الناشر **وزارة الثقافة** .

● القصص الاثنتي عشرة الفائزة بجوائز قصص الأطفال ، صدرت في ١٢ كتاباً ، يحتوي كل كتاب على قصة واحدة .

على المنتهى

●● لا نريد حضارة تستبدل تقاليدنا وتراثنا .. بل حضارة مبنية على التراث والتقاليد .

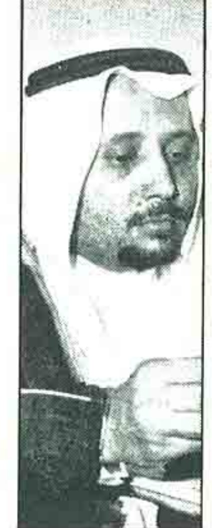
د . محمد عبده يماني
السعودية

●● قد يرفض التطور التكنولوجي موقف الشاعر ويقلل من أهمية أثره في الحياة ، ولكنه لا يستطيع بسهولة منع تأثير الشاعر في تحريك أحاسيس وعواطف الإنسان الذي يظل دائماً في حاجة للفن .

جبرا إبراهيم جبرا
العراق

●● إذا قيل إن هذا الشعر مكتوب للأجيال القادمة ، فإنني أسأل : ومن قال إن الأجيال القادمة لن يكون لها شعراؤها الخاصون بها .

الدكتورة نجاح العطار
سورية



★ د. محمد عبده يماني ★

●● لا أعتقد أن لدينا في تونس الآن مشاكل بالنسبة للتعريب ، ذلك أننا بلد عربي منذ أربعة عشر قرناً .. ولسنا محتاجين لتعريب أي شيء في تونس .

الشاذلي القليبي
وزير الإعلام التونسي

●● الإبداع في رأيي ، يعني المواصلة .. ولا يمكن أن يكون هناك إبداع بدون الاستمرار على الإصرار .. وقد درست الأدب من أجل فن الرسم .

زينب عبد العزيز
أستاذة الأدب الفرنسي
بكلية الآداب - جامعة الأزهر



★ بدر شاكر السياب ★ ★ بلزاك ★

● « **الكتابة في دفتر دمشق** » ديوان شعري للشاعر **إسماعيل عامود** .

● « **النزف تحت الجلد** » المجموعة الشعرية السادسة للشاعر **علي الجندي** ، الناشر : **اتحاد الكتاب العرب** .

● « **اختلاط الليل والنهار** » المجموعة الشعرية الخامسة للشاعر **أحمد دحبور** ، الناشر : **دار العودة** .



العراق

معرض الكتاب الدولي

في ١٥ أبريل (نيسان) يقام معرض الكتاب الدولي الثاني ، الذي ستقيمه الجامعة المستنصرية ، تحت شعار : « **الإنتاج الفكري العربي والعالمي في خدمة التنمية القومية** » ، وسوف تشترك في المعرض سبع عشرة دار عربية للنشر والتوزيع والإعلان وخمسون دار نشر عالمية .

كتب جديدة

● « **الأسطورة في شعر السياب** » دراسة للكاتب **عبد الرضا علي** حيث عالج فيها الأسطورة كظاهرة ومن خلال كونها فكراً إنسانياً بدائياً حمل لواءه السياب موقفاً متميزاً من ناحية الإبداع .. وذلك من خلال استيعاب وفهم الشاعر للواقع اليومي .

● « **منزل العرائس** » مجموعة قصصية ، تأليف **أحمد خلف** .

● « **إبراهيم صالح شكر** » عنوان الدراسة التي أعدها **عبد الحميد رشودي وخالد محسن وجميل الجبوري** ، عن حياة الصحفي العراقي المعروف **إبراهيم شكر** .

● « **أحكي لكم طفولتي يا صغار** » تسع لوحات شعرية غنائية من تأليف الشاعر **سليمان العيسى** .

● « **تاريخ علوم الطبيعة** » تأليف **محمد عبد اللطيف مطلب** .

● « **القيم السائدة في صحافة الأطفال العراقية** » تأليف **خلف نصار محيسن** ، ويقع الكتاب في أربعة فصول .

● « **الأفكار والأسلوب** » تأليف **ا . ف . شيتشرين** ، وترجمة **الدكتورة حياة شرارة** ، والكتاب يبحث في القوى الخفية للكلمة .. واللغة في الرواية والتعرض لبعض أساليب الكتّاب مثل **بلزاك وتشيخوف وتولستوي** وغيرهم .

● « **نحن أناس من الناصرية** » مجموعة شعرية **لصلاح نيازي** .

● « **نحو لغة عربية سليمة** » مجموعة من البحوث التي تدور حول تطوير اللغة العربية والحفاظ عليها ، الناشر وزارة الثقافة والفنون .

● « **الهجير** » مجموعة قصصية **لناطق خلوصي** .

● « **الفن العراقي المعاصر** » تأليف الفنان **نزار سليم** ، وهو بحث في فن التصوير .



★ فكري أباظة ★

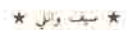
مصر

وفاة « الضاحك .. الباكي »

فقدت الصحافة المصرية واحداً من أبرز كتابها .. ورائداً من روادها الذين أمضوا في دهاليزها أكثر من نصف قرن ، حيث تتلمذ على يديه أجيال من المشتغلين بالفكر والصحافة .

إنه الكاتب الصحفي ، الناقد فكري أباظة ، المعروفة بـ « الضاحك الباكي » نسبة إلى كتابه الوحيد الذي صدر في حياته .. وهو كتاب نقدي اجتماعي ساخر .





★ سيف وانلي ★



★ تشيكوف ★

★ تولستوي ★

وفـاة سيـف وانلــي

فقدت الحركة التشكيلية واحداً من روادها هو الفنان سيف وانلي ، الـذي أمضى ٤٠ عاماً في خدمة الفن التشكيلي .. وكانـت مجلـة « الفيصـل » قـد أجرت معه حديثاً مطولا قبل وفاته استعرض من خلاله مراحل حياته الفنيـة ، وكفاحه الذاتي سوف يطالعه القارىء في أحد أعداد المجلة القادمة .

«تاريخ الإسلام الذهبي»

« **تاريـخ الإسلام الذهبـي** » ، ذلك الكتاب الـذي يـؤرخ للحـركات الإسلامية والقادة المسلمين ومفكريهم وأئمتهم في ترجمات شاملة منذ بداية رسالة الإسلام حتى سنة ٧٠هـ .

هذا الكتاب ، اقترح المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية تحقيقه وطبعه وذلك بانتهاء القرن الرابع عشر الهجري .. وقدوم القرن الخامس عشر الهجري .

الكتاب يقع في أربعين مجلداً .

بنك .. للمعلومات

كلية الهندسة بجامعة الأزهر ، تبحـث حـالياً مشروعـاً بـإنشاء **أول بنك للمعلومات ..** ونموذج للطاقة .. يتم ذلك بالاشتراك مع هيئـة المعـونة الأميركية ، حيث يتكلف المشروع حوالي ٨٠٠ ألف دولار ، وينفذ خلال أربع سنوات .

لوحات الأطفال في معرض

لوحات الأطفال التي فازت في مسابقات محلية ، ستعرض في معرض يقـام في أربع مدن فرنسية .. سوف يستمر المعرض أربعة أشهر .. يبدأ في أبريل (نيسان) .

معرض .. بمناسبة عيد ميلاده

أقام الفنان التشكيلي **راغب عياد** معرضاً ضم ما يقـارب مـن الخمسـين لوحة ، وذلك بمناسبة عيد ميلاده ، بعد رحلة مـع الفـن عمـرها ٨٨ عـامـاً . والمعروف أن راغب عياد من الفنانين الـذين كان لهـم الفضـل في **إنشـاء الأكاديمية الفنية في روما .**

لوحة فرعونية ، تختفـي في ظروف غامضة !

اكتشفت **البعثة الأثرية التشيكية** ، مقبرة فرعونية قديمة في **منـطقة أبو صير ..** واكتشفت داخلها إحدى اللوحات لكاهن قديم وزوجته .

هذه اللوحة اختفت في ظروف غـامضة .. وقـد اكتشـفت السرقـة حديثاً .. يرجع تاريخ اللوحة إلى عصر الأسرة الخامسة .

معرض تشكيلـي

افتتح في الأيام الماضية المعرض التشكيلي رقـم ٣٧ للفنـانة **جـاذبية سري** ، التي تعمل أستاذة بكلية التربية الفنية **بجامعة حلـوان ..** وقـد أقيم المعرض في **معهد جوته .**

شخصية الشهر

مصطفى صادق الرافعي



- **من مواليد مصر عام ١٨٨٠م .**
- **أديب وشاعر .**
- **كتب في النثر الفني فأصدر « حديث القمر » ، « المساكين » .**
- **من مؤلفاته في الدراسات والبحوث « تاريخ آداب العرب » ، « إعجاز القرآن » ، كما صدر له كتاب « وحي القلم » وهو عبارة عن مجموعة من المقالات .**
- **من كتبه النقدية المعروفة « تحت راية القرآن » رد فيه على كتـاب د . طـه حسـين « في الشعـر الجاهلي » ، كما هاجم شعر العقاد في كتابه « على السفود » .**
- **دارت بينه وبين معاصريه معارك نقدية ساخنة .**
- **توفي في ١٠ مايو (أيار) ١٩٣٧م .**



★ د. سيد نوفل ★



★ محمود أبو الوفا ★

كتب جديدة

● « **حكايات الأمير** » مجموعة قصصية من تأليف **يحيى الطاهر عبد الله** .

● « **المواويل** » ديوان شعري باللهجة العامية المصرية للشاعر الشعبي **فؤاد قاعود** .

● « **الحلم** » ديوان للشاعر **حسن عقل** .

● « **المسرح التجريبي** » تأليف **جيمس روس** ، وترجمة الناقد **فاروق عبد القادر** ، وهو من الكتب النقدية ، كما صدر لنفس المؤلف « **ازدهار وسقوط المسرح المصري** » ، تناول فيه رحلة المسرح المصري في الستينات .

● الشاعر **محمود أبو الوفا** ، الذي ودع الحياة خلال الشهر الماضي ، كان قد دفع إلى المطبعة كتاباً عن تجربته الشعرية التي امتدت إلى نصف قرن ، وقد أطلق عليها اسم « **رحلة الحياة والشعر** » .



● « **رواية الشعر** » تأليف **الدكتور مصطفى حسين** .

● « **قضايا الفن القصصي** » و« **القصة بين جيلي طه حسين ونجيب محفوظ** » ، دراستان للدكتور **يوسف نوفل** ، وقد صدر له أيضاً عن لجنة الشعر « **كلمات حب** » وهو ديوان من الشعر . ومجموعة قصصية بعنوان « **الزاوية المعتمة** » .

● « **عروبة مصر** » مجموعة دراسات لعدد من الأستاتذة بإشراف **مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الأهرام** .

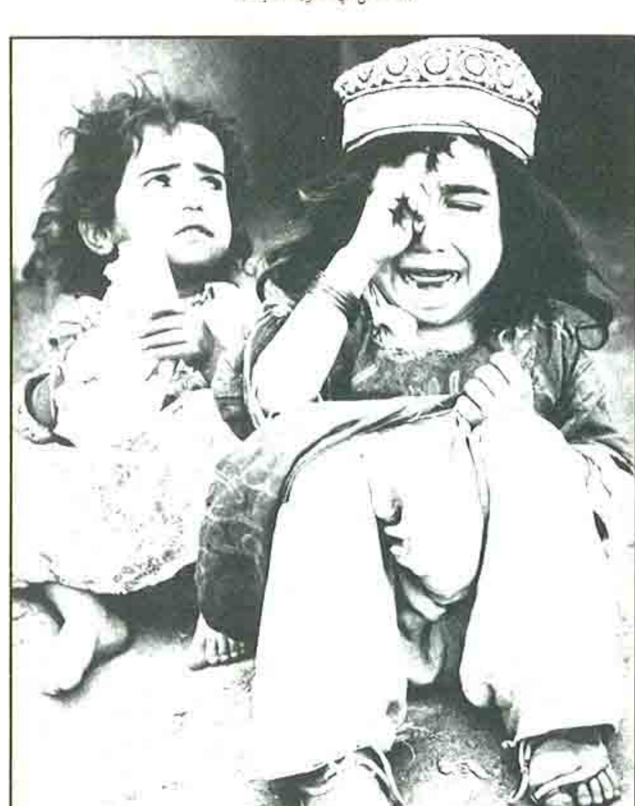
● « **المسرح الغنائي العربي** » تأليف **محمود كامل** .

● « **النور والفراشة** » كتاب يتناول أديب ألمانيا « **جوته** » وديوانه الشرقي **للدكتور عبد الغفار مكاوي** .

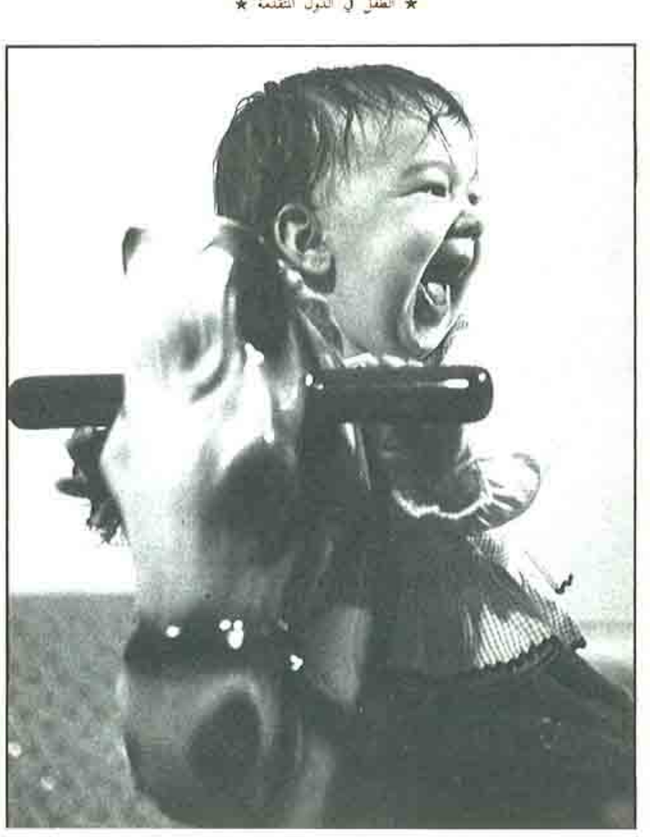
● « **قصة النقط والتشكيل في المصحف الشريف** » من تأليف **الدكتور عبد الحي حسين الفرماوي** ، مدرس تفسير القرآن بجامعة الأزهر ، الناشر ، **دار النهضة** .

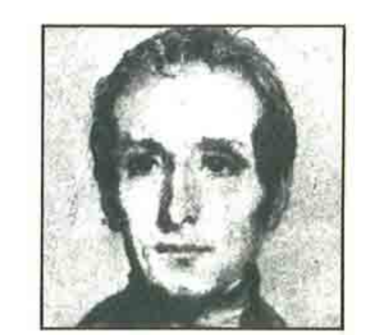
● « **هيجل** » تأليف **برنستون والتر كوفمان** وترجمة **محمد يونس** ، ومراجعة **عبد السلام رضوان** ، الناشر **دار الفكر المعاصر** .

★ الطفل في الدول النامية ★



★ الطفل في الدول المتقدمة ★





★ جونه ★

● « الرومانسية في الأدب الفرنسي » تأليف **أمال فريد** .. وهو عرض لتاريخ الحركة الرومانسية التي تركت آثارها الواضحة على الأدب الفرنسي بصفة خاصة وعلى الآداب العالمية بصفة عامة .

● « **السحار .. الغائب الحاضر** » تأليف **محمود فوزي** ، وذلك بمناسبة الذكرى الخامسة لرحيل الأديب ، المفكر المؤرخ عبد الحميد جودة السحار .

● « **الأفران الصناعية** » تأليف **المهندس سعيد عبد الغفار** .. وهو سلسلة جديدة عن المعارف والتكنولوجيا ، تصدر عن **دار المعارف** ، حيث تقوم بتقديم العلوم بأسلوب علمي مبسط .

تونس

الملتقى الثاني ليحيى بن عمر

انتهت الدورة الثانية **لملتقى يحيى بن عمر** بمدينة **سوسة** ، حول **دور إفريقية في إثراء الثقافة العربية** ، واشتمل الملتقى على عدة محاضرات ساهم فيها أساتذة جامعات تونس .

الطفل .. والمحيط

نظمت **دار الثقافة للتنظيم العائلي والعمران البشري** ، ندوة تحت عنوان « **الطفل والمحيط** » وذلك بمناسبة عام الطفل ، شارك فيها رجال الفكر والمربون .

مجلة الفكر ومعرض وثائقي

أقيم بدار الثقافة ، معرض وثائقي عن مجلة « الفكر » التونسية ، حيث ضم عدداً من الصور والوثائق لمسيرة المجلة خلال ٢٣ عاماً .. وكان ذلك بمناسبة دخولها عامها الرابع والعشرين .

الصناعات التقليدية في معرض

أقيم معرض للصناعات التقليدية للبلدان الأعضاء بوكالة التعاون الفني والثقافي ، تحت إشراف اللجنة الثقافية القومية ، وتضم الوكالة ٢٦ بلداً عضواً .. وقد احتوى المعرض على بعض العروض لمختلف فن الحضارات والصناعات التقليدية .

معارض تشكيلية وفوتوغرافية

أقيم معرض بدار الثقافة « **ابن رشيق** » ، ضم عدداً من الصور الفوتوغرافية والوثائق عن حياة **المهاتما غاندي** .

كلمة

الطفل .. والأسرة العربية المسلمة

إذا سلمنا بأن إسرائيل ، والصهيونية ، والشيوعية من أبرز أعداء إنساننا العربي والمسلم ، فإننا يجب أن نسلم بأن الفقر ، والجهل ، والمرض هذا الثالوث الرهيب قد ساعد على إيجاد جيوب داخل صفوفنا لأعدائنا .. وإننا مطالبون أولا من أجل دحر هؤلاء الأعداء بالتخلص من الثالوث الرهيب ليس بالكلام والشعارات ، وإنما بالعمل الجاد المخلص .

فالشيوعية وجدت طريقها إلى بلادنا العربية والإسلامية من خلال ظاهرة الفقر التي تغشى مجتمعاتنا رغم ما فيها من خيرات . كما تسللت من خلال شعار « **الجنة الموعودة للكادحين** » بإقامة العدالة الاجتماعية الوهمية .. فوجدت أمامها الطريق مفتوحاً وتساقط الآلاف من أبنائنا الذين أهدر الفقر كرامتهم الإنسانية في شراكها فأفسدت عقولهم ، وشككتهم في قياداتهم ، وكوّنت منهم **طابوراً خامساً** يخدم أغراضها اللاإنسانية ، وأهدافها الرامية إلى تحطيم كل مظاهر الأخلاق ، وتدمير روح الإنسان ، ومحاربة **الأديان السماوية** التي جاء بها الأنبياء والرسل لهداية البشرية ، وتعمير الكون على قواعد الخير ، وأسس العدل ، وحب الإنسان لأخيه الإنسان .

وتجيء **الصهيونية** من معطف الشيوعية لتنشىء لشراذم من المطرودين والمنبوذين دولة في قلب الوطن العربي هي « **إسرائيل** » تساعدها على تنفيذ مخططاتها في انتشار الفساد والرذيلة ، والتوسع على حساب الإنسان العربي .. حدث هذا لأنها وجدت أن مجتمعات هذا الإنسان مرزوءة بظواهر الفقر والجهل والمرض .

قد يتساءل القارىء .. وما علاقة كل هذا بعنوان الموضوع الخاص بالطفل والأسرة ؟

والإجابة هي أن كثيراً من الأسر في مجتمعاتنا العربية والإسلامية تعيش حياة الفاقة والحرمان . فأي مستقبل ينتظر أطفال هذه الأسر ؟

وهل ستكون الأجيال القادمة خيراً من جيلنا في ظل « **الأمية** » التي تحتل ٧٠ ٪ من نسبة السكان ؟

ألا تستطيع الشيوعية ، والصهيونية ، وإسرائيل من خلال الأجيال القادمة أن تثبت أقدامها ، وتتقدم بخطوات أوسع ، فتتزايد الجيوب ، وتكثر الطوابير الخامسة ؟

إن الدول العربية والإسلامية مطالبة في هذه الفترة الحاسمة من تاريخنا بالعناية بالأسرة بصفتها الركيزة الأساسية للتركيبة الاجتماعية .

فنحن في حاجة في هذه المرحلة إلى **صناعة الأسرة** من منطلقات عربية وإسلامية تحميهم من ذل الحاجة ، وامتهان الحرمان قبل تشييد المصانع .. لأن إنشاء مصنع « ما » ليس بالأمر الصعب إذا ما توافر له عنصر المال ، لكن هذا العنصر ليس كافياً في غياب **عنصر الإنسان** الذي هو أساس أي مشروع صناعي .

كما أن إدخال المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية في حساباتنا لإقامة مشاريعنا الصناعية مسألة في غاية الأهمية ، إلى جانب خطرها وخطورتها .. فهل وعى المخططون لهذه المشاريع هذه الناحية .. وهل قامت خططنا من خلال حاجات إنساننا ، وقدراته لتلبية متطلباته الذاتية .

إن الدول العربية والإسلامية مطالبة لخلق أجيال خالية من الأمراض الاجتماعية ، والجسمانية ، والعقد النفسية ، وهذا لا يتأتى إلا من خلال العناية **بالطفولة العربية والإسلامية** ، ورعايتها صحياً واجتماعياً ، ونفسياً ، وذهنياً .. لأنه على يد هذه الأجيال سوف ينحسر المد الشيوعي وتتحرر الأرض .

والموضوع ما زال موصولا ، ومتصلاً لأنه محصلة تركة ضخمة من التخلف والفقر والجهل والمرض .. والله المستعان !!

علوي طه الصافي

كما أقام الفنان التونسي **حمادي بن سود** ، معرضه في المركز الثقافي الأمريكي ، حيث تضمن العرض ٣٠ لوحة من أعماله .

كتب جديدة

● « **الحب .. مع وقف التنفيذ** » ديوان للشاعر الصادق شرف **(أبو وجدان)** .. وبمقدمة **لمحمد المصمودي** .

● « **البرد** » مجموعة قصصية من تأليف **عبد القادر بن الحاج نصر** .

● « **الخطبة .. كنثر فني** » تأليف **الدكتور عثمان بوغانمي** .

● « **حياة واحتضار** » رواية من تأليف الأديبة **سعاد هدري** .

● « **أفلاطون والديالكتيكية** » تأليف **الدكتور فتحي التريكي** ، الناشر **دار الوسط**، ضمن سلسلة المعارف .

● صدر العدد الأول من الجريدة الثقافية التربوية والتي تحمل اسم « **الوعي الحر** » ، وهي متخصصة في الشؤون الثقافية والفكرية والتربوية .

فلسطين :

مهرجان الفولكلور الفلسطيني

في قاعة **بلدية رام الله** ، أقيم مهرجان **الفولكلور الفلسطيني** ، الذي اشتركت فيه ٢٥ فرقة فنية تمثل الجمعيات الخيرية والأندية والفرق الخاصة في الضفة الغربية وقطاع غزة .

يأتي هذا المهرجان رداً على عملية التزييف التي تقوم بها السلطات في الأرض المحتلة ، التي تحاول أن تقدم هذا التراث للعالم الخارجي على أنه تراثها هي .

كتب جديدة

● « **عهد من القدس** » مجموعة قصصية من تأليف **لجوى قعوار فرح** .

● « **نداء الأرض** » مجموعة مسرحية ، تأليف **عدنان أبو شرخ** ، وهي محاولة للتأريخ لانتفاضة يوم الأرض في فلسطين المحتلة ، في إطار فني .

المغرب :

الفن المعاصر

أقيم بمدينة الرباط أسبوع للفن المعاصر .. حيث ضم نماذج عديدة ومختلفة من الفنون المعاصرة .

كتب جديدة

● « **عيون الليل** » مجموعة قصصية للكاتب **مبارك الدريبي** .

● « **معارك** » و« **الإسلام أهدى** » كتابان من تأليف **الأستاذ عبد الله كنون** .

الكويت :

معرض لفنانة كويتية

٥٠ لوحة فنية من البيئة الشعبية الكويتية ومن إسبانيا وزائير والقاهرة ، قامت بعرضها في معرض خاص الرسامة الكويتية **ثريا البقصمي** بالكويت .

المعرض السادس للفنانين التشكيليين

أقامت **الجمعية التشكيلية للفنون** ، **المعرض السادس للفنانين التشكيليين العرب** في صالة الفنون بضاحية **عبد الله السالم** .

كتب جديدة

● « **يهود إيران** » تأليف **البروفيسور . ي سندلير** ، ومقدمة **لرؤوف شحوري** ، الناشر **دار القبس** .

اليمن :

كتب جديدة

● « **الغابة** » مجموعة شعرية ، **للشاعر حسن الشرفي** .

● « **نصوص يمانية** إعداد **علي محمد العلقي** ، بمقدمة **لسفيان أحمد البرطي** ، والكتاب وثائقي ، يؤرخ لفترة من التاريخ السياسي لليمن الشمالية .

ليبيا :

كتب جديدة

● « **رحلة عبر الكلمات** » و« **الجدار** » ، كتابان من تأليف **يوسف الشريف** ، الناشر : منشورات الشركة العامة للنشر في ليبيا .

● « **أقوال شاهد عيان** » مجموعة قصصية من تأليف **محمد علي الشويهدي** .

لبنان :

المجلس الثقافي اللبناني

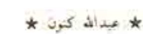
اجتمعت الهيئة العامة للمجلس الثقافي اللبناني الشمالي بطرابلس وانتخبت رئيساً لها ، كما اختارت رؤساء لجانها على الوجه التالي :

د . مصطفى الرافعي ، رئيساً للمجلس الثقافي للبنان الشمالي .

د . عبد الحميد جيدة ، رئيساً للجنة الثقافية .

د . إبراهيم الأميوني ، رئيساً للجنة الاجتماعية .

د . عماد المقدم ، رئيساً للجنة الإعلامية .


★ عبدالله كنون ★



★ محمود درويش ★

درع الثورة الفلسطينية لفنان وشاعرين

بمناسبة الذكرى الرابعة عشرة لانطلاقة الثورة الفلسطينية ، منح رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة **ياسر عرفات** ، درع الثورة للفنون والآداب لكل من الشاعرين **محمود درويش ومعين بسيسو** ، والفنان التشكيلي **إسماعيل شموط** .

معرض للملصقات الفلسطينية

أقيم في جامعة بيروت **معرض للملصقات الفلسطينية** ، ضم ما يزيد على الخمسمئة ملصق ، يرجع تاريخها إلى ما بين عامي ١٩٦٧ ـ ١٩٧٩ م ، في كل من **بيروت ودمشق وعمان وبغداد** ، وذلك بالإضافة إلى مجموعة من الملصقات التي صدرت في **فرنسا وإيطاليا واليابان** وغيرها من بلدان أوروبا ، كلها تدعو لدعم الثورة الفلسطينية .

أشرف وساهم في تنظيم المعرض **منى سعودي** بالتعاون مع الفنان **مصطفى الحلاج** .

كتب جديدة

● « **في الوحدة العربية والتجزئة** » تأليف **منير شفيق** .

● « **رحلة الدقائق المخيفة** » رحلة تأملية في المطلقات المعنوية للإنسان ، تأليف **نجيب روفا سفري** .

● « **مصير لبنان في مشاريع** » تأليف **الدكتور محمد المجذوب** .

● « **الجمهرات** » ديوان للشاعر **سليم بركات** .

● « **دراسات في النقد** » دراسة في الشعر الحديث وما يدور حوله من قضايا ، تأليف **الدكتور الياس خوري** .

● « **أشعار الربان** » مجموعة من أشعار **بابلو نيرودا** الشاعر التشيلي ، ترجمة **هالة نابلسي** .

● « **شارلي شابلن** » إعداد **إبراهيم العريس** ، دراسة في حياة عبقري السينا شارلي شابلن ، وأعماله .

الكتاب من تأليف **مارسيل مارتين** ، وعدد آخر من الكتاب .

● « **دير ياسين** » رواية من تأليف **عاصم الجندي** .

● « **تيارات رئيسية في علم الاقتصاد** » تأليف **أجناسي ساكس** ، وترجمة **الدكتور فاضل عباس مهدي** .

● « **مقومات التنمية الاجتماعية وتحديدها** » تأليف **الدكتورة مهى المقدم** .

● « **ميثاق ١٩٤٣** » تأليف **الدكتور باسم الجسر** ، الناشر ، دار النهار .

● « **أناديك يا ملكي وحبيبي** » ديوان للشاعر **محمد علي شمس الدين** .

● « **فصل من افتتاحية دون كيشوت** » ، ديوان شعري **محمد العبد الله** .

● « **هذا هو الماء ، هذا هو الحجر** » مجموعة من القصائد النثرية ، تأليف **طلال الحسيني** .

● « **بابل العصر** » صور ولوحات شعرية من تأليف **محمد علي فرحات** .

● « **صباح التعب** » مجموعة للشاعر **محمد علي شمس الدين** ، الناشر : دار الآداب البيروتية .

● « **نقوش على حجر العصر** » مجموعة شعرية **للشاعر اليمني عبد الرحمن فخري** ، الديوان عبارة عن خمس قصائد طويلة .

قطر

كتب جديدة

● « **النساء والحب** » مجموعة قصصية من تأليف الأديب السعودي **خليل إبراهيم الفزيع** .

البحرين

كتب جديدة

● « **اعتذار للطفولة** » ديوان للشاعرة **حمدة خميس** .. يضم الديوان خمس عشرة قصيدة .


★ معين بسيسو ★


★ محمد علي شمس الدين ★

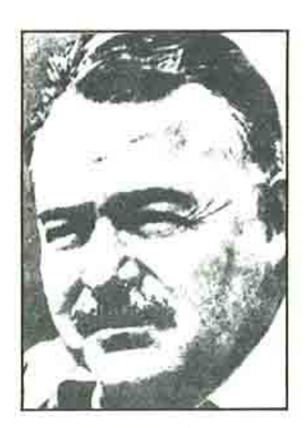
أول متحف من نوعه !

متحف خاص **بالملصقات الفرنسية**، تم تأسيسه، حيث يعتبر واحداً من المتاحف الجديدة في النوعية وفي طريقة العرض.. وتحوي ردهاته على آلاف ملصق، كما يضم المتحف ملصقات أخرى معروضة في تسلسل يوضح تاريخ الملصقات الفرنسية في الثلاثمئة سنة الأخيرة.

احتفال بـ «جان راسين»

بمناسبة مرور ٢٨٠ عاماً على وفاة المسرحي «**جان راسين**»، احتلفت الأوساط الثقافية بهذه المناسبة، كما قدم الفنان جان كريستان مسرحية «**فيدرا**» التي كان قد كتبها راسين عام ١٦٧٧م.

المسرحية قدمت بأسلوب جديد، يعتمد على الأصوات الموسيقية والمؤثرات الجمالية المختلفة.



★ أرنست همنجواي ★

معـرض تشكيلـي

الفنان الفرنسي المعاصر «**أوليفيه روبيره**»، أقام معرضاً للوحاته التي تتميز بمساحاتها الكبيرة.. وهارمونية اللون.

أكبر جائزة في الموسيقى

أخيراً، منحت فرنسا الجائزة الدولية في الموسيقى **لجورج أوريك**.. وهو رائد من رواد الموسيقى المعاصرة.

من أبرع أعماله الموسيقية، تلك الموسيقى التي وضعها لروايات «**جان كوكتو**» ومنها «**دماء الشاعر**» و«**العودة الأبدية**».

باريس من وجهة نظر الرسامين

فنانو القرنين التاسع عشر والعشرين، **أقيم معرض** للوحاتهم المشهورة التي تصور مدينة باريس.

المعرض يحمل اسم «**باريس من وجهة نظر الرسامين**».

نافذة

الشعر بين القيادة والانقياد

أين يقف الشاعر المعاصر من قضايا الأمة العربية ؟ أيطوف بها طواف الرقيب، أم يقتحم حومتها اقتحام الفارس المستميت ؟ وهبه اقتحم. أفيقتحم ليقود، أم يقتحم لينتظم في موكب المنقادين ؟

تلك طائفة من أسئلة كثيرة تلحُّ على الإنسان العربي، وهو يقرأ ما قيل في الالتزام قديمه وحديثه، ويرى ما يفعل الملتزمون المحدثون من العرب، ويقيس مواقف المعاصرين بمواقف الأقدمين.

من الآراء التي قاربت في رسوخها قواعد العلم انبثاقُ الشعر الحديث من معاناة عميقة، يخالط فيها الشاعرُ موضوعه مخالطة معايشة، حتى يغدو شعرُه ألقاً، يتوهَّج فيه وجدان الأمّة، أو يغدو وجدان الأمة له سماءً، تمدُّ له آفاق الانطلاق، فيرود ويقود، وقد رافق هذا الاعتقاد الراسخ إزراءٌ بالشعر القديم، يتهمه كلَّه أو جلَّه بالنفاق في المواقف، وبالارتماء على أقدام الوجهاء، وبالتقلب مع أهواء الساسة، حتى شاهت صورة الشعر القديم في أذهان الناشئة ممن تصلُ أيديهم إلى نقده، ولا تصلُ إلى دواوينه، فيقبلون الرأي المرتجل، ولا يملكون من معرفة الشعر القديم ما يدحضون به الشطط والتقوّل.

وإذا كانت المنافحة عن الشعر القديم تسحب على المدافع الاتهام بالسلفية، فالتحليل الهادىء للمعاناة الشعرية الحديثة لا يبرىء المحلل من غضبة المدلين بتمرّسهم الملتزم، وبمواقفهم القيادية، غير أن الحقيقة لا تمكن الباحث من نفسها ما لم يحلل ويوازن، وما لم يضع الشعر المعاصر على محك الالتزام القديم، ليمتحن ما فيه من تحسس أو تمرس، وليحدد مكانه من ميادين الحياة الحاضرة، في الطليعة الرائدة، أو في الساقة المنساقة.

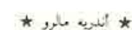
كان الشاعر القديم ينطلق من ذاته إلى المجتمع، وغدا الشاعر المعاصر يجمع ذاته، أو ذاتاً أخرى، يلفُّ بها ذاته من خيوط الحياة الاجتماعية، ورقاع السياسة، وبين الشاعرين فرق: فالأوّل كان يأخذ من تجربة حيّة، يعايشها حدثاً بعد حدث، والثاني أصبح يقبس من تجربة واسعة أقباسه الشعرية قبساً بعد قبس، وشتان بين من يحتطب ليصطلي، وبين من تتفجر نفسه لهباً محرقاً، لا يحتاج إلى من يوريه. لقد ثار **عنترة** على سواد، يحطّه عن أقدار البيض، ونسب ظنين يحقره في أنظار السراة، فإذا هو محارب وعاشق، يقبل ثنايا **عبلة** على شفرة السيف، ويخوض معركة إنسانية بحماسة ذاتية محض.

أمّا الشاعر المعاصر فمطالب بأن يخالط تجربة قد يمرُّ بها، وقد لا يمر، وبأن يناقش قضايا، قد يكون واحداً ممن يصنعونها، وقد لا يكون، ومتى أراد أن يبرح مواقع الرقباء إلى مواقع القادة امتدّ أمامه طريقان: طريق التجربة الحيّة كالطريق التي شقها **شعراء الأرض المحتلة**، وطريق المعاصرة المواكبة، كالطرق المعبدة، التي تشقُّ أمام المستطلعين الجوّالين، ممن يحومون حول القلاع، ولا يدخلونها، فلا يصفون إلا ما تسمح الأسوار برؤيته.

للفئة الأولى قضية غير مفروضة على الشاعر، ولا ملصقة به، بل مرتبطة به ارتباط العضو بالجسد، فهو يتأثر بها، ويؤثر فيها، وينفعل بتصاريفها ويفعل بعض هذه التصاريف، لأنه ربيب



★ أندريه مالرو ★ ★ ناتالي ساروت ★



★أحدث الكتب★

● «**المسرح**» تأليف الأديبة **ناتالي ساروت**، ويدور موضوع كتابها حول فكرة الحرية في الذهن البشري .

● «**أكبر أدباء العالم**» إنه اسم القاموس الجديد الذي صدر في ستة أجزاء، حيث يضم أعمال ٤٠٠ كاتب من مختلف بلدان العالم الذين تألقوا في عصور مضت حتى وقتنا هذا .

● «**ضوضاء خطواتنا**» تأليف **كلارا مالرو**، زوجة الكاتب الفرنسي الراحل **اندريه مالرو** .

● «**الأخبار التاريخية للمهاجرين**» تأليف **كريستيان كاريز وميشيل فاندين**، مدعماً بعدد كبير من الصور، وقد استغرقت فترة الإعداد لكتاب مدة عامين، كان خلالها الكاتبان يجمعان التحقيقات في عملية بحث مستمر .

● «**حكايات لافونتين**» أعادت نشرها **دار جاليمار** وذلك بمناسبة

من أقـوالهـم

●● الفنان .. إنسان يعرف كيف ينظم الإحساسات .

هنري ماتيس
فرنسا

●● إن الإنسان هبة الله إلى الأرض كما أن الأديان، كل الأديان، هي طرق هداية لا هدم، ولهذا لا يجوز التعرض لها بل ينبغي الرضوخ لما تأمر به والامتناع عما تنهى عنه، إذ أنها تسعى في مجملها إلى تحقيق سعادة الإنسان وخيره ورفاهيته .

إيرمانو أولمي
إيطاليا

●● الإنسان يمكن أن يتحطم، أن يندثر، ولكنه لا ينهزم أبداً .

أرنست همنجواي
أميريكا

●● مقدمة ابن خلدون، أعظم ما أنتجه العقل في كل العصور .

أرنولد توينبي
بريطانيا

حقائقها ودقائقها، في الخيام وفي الخنادق، وإذا اقتضاه هتُ المعركة أن يكون وقوداً لها لم ينكص، ولم يؤله الاحتراق، كما احترق **عبد الرحيم محمود، وغسان كنفاني، وكمال ناصر** .

وللفئة الثانية معاناة من نمط آخر، لا تجاوز الاصغاء إلى نشرات الأخبار، والتأثر بمحاضرات المؤتمرات، فلا تربي التجربة على التحسس البعيد، وعلى الاستجابة العفوية، لبعد من يعاني عن مركز المعاناة، ولاعتزاله في إسار الوظائف والمكاتب . ومن تفلت من القيد لم تكن الحرية المتاحة له تسمح له برؤية الحقائق، ولا بولوج المناطق المحرمة . ومن أتيح له أن يرى ما لم يره سواه، لم يُتح له أن يفصح عن نفسه إلا بقدر، فيتخلف ما يصوّر اللسان عما أدركت النفس .

وبين هاتين الطائفتين طائفة احترفت الشعر مهنة، واتجرت به بضاعة، فهي تنظم منه ما يروج، وترضي به من يستام، وهي طائفة طيعة لينة، تحسن التقلب، وتتنبأ بالأنواء، فإذا أحست لدى الساسة ميلاً إلى الغرب غرّبت، أو نزوعاً إلى الشرق لم تأنف من التشريق . كان شعرها ضرب من ضروب الإعلام .

أما الذين اجترأوا على اقتحام الحرم، وأدركوا - أو خُيّل إليهم أنهم أدركوا - ما وراء الأكمة فقد فزعوا إلى أساليب ملتوية في نشر ما نظموا، إذ هربوا من أعين الرقباء، وبثوا شعرهم المحرم بين الجماهير، كما تباع البضاعة المهربة في الأنفاق تحت الأسواق . ولا أعتقد أن هذا الشعر المهرب أقدر على تمثل القضايا الهامة من الشعر الرسمي الإعلامي، ولا أظنُّ أنه أسرع في ترجمة الحسّ القومي منه . لكنه أقدر على افراغ النفوس في غيظها المحتق، وعيبه الأكبر أنه حينما مرد على قوانين النشر، مرد كذلك على أدب الخطاب، فطفق يدغدغ عواطف الشعب بلغة سوقية، ومضى يشتم ويلعن، وهو يظنُّ أنه يفتح عيون الناس على أسرار المأساة . فإذا ضُرب على المحك لم يكن حظه من التزييف أضأل من حظوظ سواه .

والمهذب من الشعر المحرم، لا يظهر إلا بعد أن تزول الحجب الساترة، فإذا ظهر كان متعصراً عن زمانه، وكانت المشكلة التي يعالجها قد طُويت تحت إبط مشكلة أخرى، نتيجة التطور في الحياة .. قد يظهر ولكن لا يكون لظهوره أثر ملموس، في نشر وعي، أو توضيح غامض، أو اقتراح حلٍّ، إنه أشبه بعملة بطل تداولها، فطبعها وتزويرها لا يزعج حاكماً، ولا يغني محكوماً .

وقد يتسرب الغضب المخنوق في نفوس الشعراء من مسارب خفية، أو يتزيا بزي غريب جليب، ليهرب من القضاء، كما يتنكر الجواسيس . وسريالية الشعر الغامض واحد من المسارب التي يمرُّ منها غضب الشاعر إلى الشعب، لكنه لضيق المسلك والتوائه لا يصل إليه إلا خائراً يلهث، فلا يبرئ، ولا يثيره، بل يغرق في مثل الإبهام الذي نجم منه، وينتهي إلى مثل الضياع الذي ينطوي عليه، فيكون مآله كمآل غيره من الشعر، فلا هو مفهوم فيؤثر، ولا هو معدوم، فيتيح للواضح الظهور، وإنما هو السائد بقوة الإعلام، المفروض على الأفهام لتجريدها من الفهم .

وبعد ...

فإن لم يكن الشعر الحديث - أو قدر غير يسير منه - قادراً على المصاولة، فليكن قادراً على التواضع، على الاقرار بأن الشعر القديم لم يكن كلُّه زيفاً ومجاملة، وإذا كنا لا نطالبه باستبسال الشهداء، فإننا نطالبه بألا ينكر على بعض القديم استشهاده، ونطالبه كذلك بأن يدفعه الالتزام الذي يتغنى به إلى استلام الزمام وتثبيت الخطوات، حتى يكون جديراً بالقيادة والريادة .

غازي طليحات
سورية



★ بيكاسو ★



★ برتراند رسل ★

مرور ٣١٠ أعوام على صدور الطبعة الأولى ، والحكايات تتكون من ١٢ حكاية خرافية .

● عن حياة العالم الفلكي **جوهاتر كيبلر** ، صدرت دراسة شاملة ، تفصيلية عن حياته ، وهو من مواليد ١٥٧١ م ، وتوفي في عام ١٦٣٠ م .

● موسوعة تضم ١٢ جزءً من تاريخ الأدب الفرنسي ، الجديد في هذه الموسوعة أنها تعتبر الأدب جزء من تاريخ فرنسا .

● « **الجنون** » تأليف **ولاند جاكار** .. ويدور المؤلف في كتابه حول رأيه بأن الجنون ليس ظاهرة ثابتة .. وإنما هو ظاهرة تتطور مع الجنس البشري ومصدره الخوف من العودة إلى مرحلة الحيوان .. أو التمزق بحثاً عن عالم مثالي ، الشيء الذي يدفع بالإنسان إلى القلق والضعف في الإرادة والاستسلام في طريق الجنون .

ملصقات عن فلسطين

المركز الثقافي العراقي في لندن ، كان قد أعلن عن مسابقة حول موضوعي « **فلسطين بلد مغتصب** » و« **النضال من أجل الحرية الثقافية والسياسية في العالم الثالث** » .. وقد فاز بالجائزة الأولى عن الموضوع الأول ، الفنان البولوني **بازيك روالسكي** ، عن لوحته « **رسالة بالبريد الجوي** » ، والثانية كانت من نصيب الفنان الفنلندي **ريجو كاليفي ستروم** ، عن لوحته « **صورة يد** » ، أما الجائزة الثالثة فكانت عن لوحة « **كوفية عربية** » ، وهي لوحة للفنان **ماريان نوفيسكي** .

وقد كانت الجوائز الثلاث الأخرى للموضوع الثاني ، هي حجب الجائزة الأولى ، ومنح الثانية للفنان البولوني **نوينسكي** . والثالثة تقاسمها الفنان النيجيري **هيج دافيد وست** مع **فلاديسوف بلوتا** .. وقد تقرر طبع هذه الملصقات الفائزة وتوزيعها في العالم .

اكتشاف مومياء مصرية

مومياء مصرية ، عمرها ٢,٠٠٠ عام ، تم اكتشافها في مدينة ليفربول البريطانية ، ويؤكد بعض الأثريين أن هذه المومياء تعود لشخص هو والد مومياء أخرى موجودة في ألمانيا الغربية .

* أحدث الكتب *

● « **العمل والمعبد** » دراسة عن أعمال الروائي الفرنسي **بول كلوديل** ، من تأليف أستاذ الأدب الفرنسي في جامعة كامبردج **جان برتسران بارار** .

أمريكا

اختراع لكشف لصوص الكتب

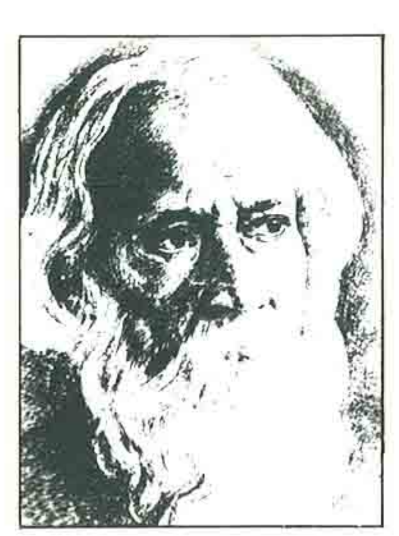
تم طرح آلة جديدة في الأسواق لضبط سارقي الكتب من المكتبات العامة ، حتى لو كان السارق يخفي الكتب في جيبه أو في ملابسه الداخلية ، حيث تستطيع هذه الآلة فضحه .. وقد تم اختراع هذه الآلة بعد أن اكتشف أن نسبة المسروقات من الكتب الجامعية قد وصلت سنوياً إلى عدد يتراوح بين ٢ ، و ٢٠ في المئة من الكتب الموجودة بها .

سرقة تمثال

سرق أحد التماثيل **الإغريقية** المصنوع من الرخام ، والذي يرجع تاريخه إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، من **متحف الميتروبوليتيان** بقسم الآثار .

المتحدث باسم المتحف ، يعتبر أن هذه أكبر سرقة في تاريخ المتحف الذي يرجع عهده إلى ١١٠ سنوات .

التمثال المسروق ، يقدر ثمنه بحوالي (٥٠) ألف دولار .



★ طاغور برينشه ★



★ سلفادور دالي ★

★ أحدث الكتب ★

● « **حيوانات إفريقيا** » تأليف **برنار هو فلهانز** ، وهو يتناول في كتابه ، الحيوانات غير المعروفة للعالم ، ويقوم حالياً بالتحضير للجزء الثاني .

● « **القرن الـ ٢١** » تأليف **الدكتور هالاس** .

● « **فن تدمر** » تأليف **مالكوم كولدج** .

إسبانيا

الاحتفال بـ « أنطونيو ماخادو »

الأوساط الثقافية في إسبانيا ، تحتفل هذه الأيام بمرور ٤٠ عاماً على وفاة الشاعر **أنطونيو ماخادو** .. والاحتفال عبارة عن منح جائزة أدبية تحمل اسم الشاعر لأحسن عمل أدبي ظهر في إسبانيا خلال العام الماضي .

من أشهر أعمال الكاتب ، ديوانه « **العزلة ومناظر كاستيل** » .

مذكرات فنان

النحات الإسباني **بابلو جرجالو** ، صدرت له مذكرات ، يشرح فيها طريقته في النحت على الحجر واستخدامه لأول مرة بعض المواد الغريبة في النحت ، مثل النحاس والرصاص والحديد .. كما يثبت الفنان في مذكراته ، أن **بيكاسو** كان يشجعه على الاستمرار .. وأنه ساعده على استلهام **التكعيبية في فن النحت** .

حدث في مثل هذا الشهر

(الأحداث التالية بالتاريخ الميلادي الموافق للشهر الهجري الذي تصدر فيه المجلة)

١ مايو

١٦٧٢ مولد الكاتب الإنجليزي جوزيف اديسون .

١٧٠٠ وفاة الأديب الإنجليزي جون دريدن (طالع تاريخ مولده في العدد ١٥ من هذه الزاوية) .

٢ مايو

١٥١٩ وفاة الرسام الإيطالي ليوناردو دافينشي (طالع شخصية عالمية) .

٤ مايو

١٧٧٦ مولد الفيلسوف الألماني جوهان هربرت .

٦ مايو

١٨٦١ مولد الشاعر الهندي رابندرانات طاغور (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٥ من هذه الزاوية) .

٧ مايو

١٧١١ مولد الفيلسوف البريطاني دافيد هيوم (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٥ من هذه الزاوية) .

٨ مايو

١٨٧٣ وفاة الفيلسوف الإنجليزي جون ستيوارت ميل (طالع تاريخ مولده في هذه الزاوية) .

١٨٨٠ وفاة الروائي الفرنسي جوستاف فلوبير (طالع تاريخ مولده في العدد ١٩ من هذه الزاوية) .

٩ مايو

١٨٠٥ وفاة الشاعر الألماني شيللر .

١١ مايو

١٩٤٠ مولد الرسام الإسباني سلفادور دالي (طالع العدد الأول - السنة الثانية عن حياته) .

١٣ مايو

١٨٤٠ مولد الأديب الفرنسي الفونس دوديه (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٩ من هذه الزاوية) .

١٨٨٢ مولد الرسام الفرنسي جورج براك (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٥ من هذه الزاوية) .

١٤ مايو

١٩٦٥ فجرت الصين قنبلتها الثانية .

١٦ مايو

١٨٨٦ وفاة الشاعرة الأمريكية اميلي ديكنسون (طالع تاريخ مولدها في العدد ١٩ من هذه الزاوية) .

١٧ مايو

١٥١٠ وفاة الرسام الإيطالي ساندرو بوتيشيللي .

١٨ مايو

١٨٧٢ مولد المفكر والفيلسوف البريطاني برتراند رسل (طالع تاريخ وفاته في العدد ٢١ من هذه الزاوية وحوار طويل معه) .

٢٠ مايو

١٥٠٦ وفاة كريستوفر كولمبس (طالع تاريخ اكتشاف أمريكا في العدد ١٧ من هذه الزاوية) .

١٧٩٩ مولد الأديب الفرنسي بلزاك (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٥ من هذه الزاوية) .

١٨٠٦ مولد الفيلسوف الإنجليزي جون ستيوارت ميل .

١٨٤٩ وفاة الأديبة الإنجليزية آن برونتي (طالع تاريخ وفاتها في العدد ٢٠ من هذه الزاوية) .

١٩٧٠ وفاة الكاتب الأمريكي جون جنتر

٢١ مايو

١٩٢٧ أول طيران عبر المحيط يقوم به طيار منفرد (شارلز ليندبرج) .

★ فاجنر ★

٢٢ مايو

١٨١٣ مولد الموسيقار الألماني فاجنر .

١٨٥٩ مولد الكاتب البريطاني ارثر دويل .

٢٣ مايو

١٩٠٦ وفاة الكاتب المسرحي النرويجي هنريك إبسن (طالع تاريخ مولده في العدد ٢٢ من هذه الزاوية) .

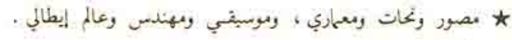
٢٤ مايو

١٩٠١ مولد سير ويليام هيلي رئيس تحرير دائرة المعارف البريطانية .

٢٥ مايو

١٨٠٣ مولد الشاعر والفيلسوف الأمريكي رالف امرسون .

شخصية عالمية



ليوناردو دافينشي
(١٤٥٢ - ١٥١١م)

★ مصور ونحات ومعماري، وموسيقي ومهندس وعالم إيطالي .

★ ولد ببلدة «فينشي» .

★ تتلمذ على يد «فيروشيو» بفلورنسا من ١٤٦٦م .

★ ذهب إلى ميلانو (١٤٨٢م)، حيث عمل مصوراً في بلاط لودفيكو سفورتسا .

★ في فترة عمله في البلاط، أنجز الجزء الأكبر من كتابه عن التصوير، وبدأ مذكراته التي تناولت بحوثاً في الهيدروليكا والميكانيكا والتشريح والجيولوجيا والنبات .

★ عاد (عام ١٥٠٠م)، إلى فلورنسا .

★ من أشهر لوحاته «الموناليزا» أو «الجيوكندا» .





★ دافينشي ★

اليابان

＊أحدث الكتب＊

● «**نشأة اليوجا وتاريخها**»، تأليف نخبة من كبار الرياضيين في اليابان .

إيطاليا

الفن العراقي الوطني

أقيم معرض للفن العراقي الوطني بمدينة «**مسينا**» في إيطاليا، احتوى على ٨٠ لوحة من اللوحات المختارة من بين مجموعة **المتحف الوطني الحديث بالعراق** .. كما ضم أيضاً ٢٠ عملاً من أعمال فن «**الجرافيك**» .

المعرض ينتقل بعد ذلك إلى **روما** .. ومنها إلى **أميريكا** .

مخطوطات ليوناردو دافينشي

«**مارينو نيس**» الأستاذ بجامعة ميلانو، عثر على مخطوطات للفنان الإيطالي **ليوناردو دافينشي**، حيث ألقت هذه المخطوطات الضوء على فكر الفنان وعلى الأخص بعد قراءته لعالم الرياضيات اليوناني «**أقليدس**»، الأمر الذي أوصله إلى طرح بعض المشكلات الرياضية .

الهند

الفنان السريع .. في معرض

في متحف **الفن المعاصر بنيودلهي**، افتتح معرض الفنان الهندي حسين، حيث قدم فيه أحدث إنتاجه .

الفنان الهندي من الفنانين المشهورين بسرعتهم الفائقة في مزاولة عملهم الإبداعي .

كينيا

اكتشاف مرصد

اكتشفت في شمالي **كينيا** أنقاض مبنى مكوّناً من تسعة عشر عموداً من نوع حجر البازلت الأسود .

مكتشفو الأثر يقولون إن هذه الأعمدة تشبه إلى حد كبير أنقاض المرصد القديم الذي اكتشف في انجلترا، وعلى الرغم من صعوبة فهم طبيعة الاتصال الذي كان قائماً بين انجلترا وكينيا منذ آلاف السنين، إلا أن هناك تأكيداً بأنه كانت توجد حضارة متقدمة في هذه المنطقة من إفريقيا .

بلجيكا

وفاة ماري دلكور

توفيت الكاتبة البلجيكية **ماري دلكور**، التي تخصصت في **الحضارة اليونانية القديمة**، وفي دراسة اثنين من كتّاب عصر النهضة، «**توماس مور**» و«**جان شلومبر**» .

البرازيل

＊أحدث الكتب＊

● الكاتب اللبناني المقيم في البرازيل **منصور شليطا**، ألف كتاباً عن **المملكة العربية السعودية**، والكتاب يهدف إلى التعريف بالمملكة من جميع النواحي والمزايا، وقد سبق للكاتب أن نقل إلى **اللغة البرتغالية** الكثير من آثار **أدباء السعودية** وشعرائها .

بلغاريا

أكبر خريطة في العالم

معهد الخرائط في «**صوفيا**»، انتهى أخيراً من وضع أكبر خريطة في العالم، حيث تضمنت المعلومات بالتفصيل عن المحيطات والتضاريس .. وقد اشترك في إعدادها أخصائيون في الخرائط من عشر دول، ذلك إلى جانب الباحثين في المعهد، وقد استمر العمل لاتمامها ١١ عاماً .. وضعت بمقياس رسم ١ - ٢٥٠,٠٠٠، مساحة ١٤٤ متراً مربعاً .



بقلم : د. عمر الفاروق السيد رجب



*** أولا : مقدمة حول توصيف المرحلة الحضارية الراهنة في المملكة**

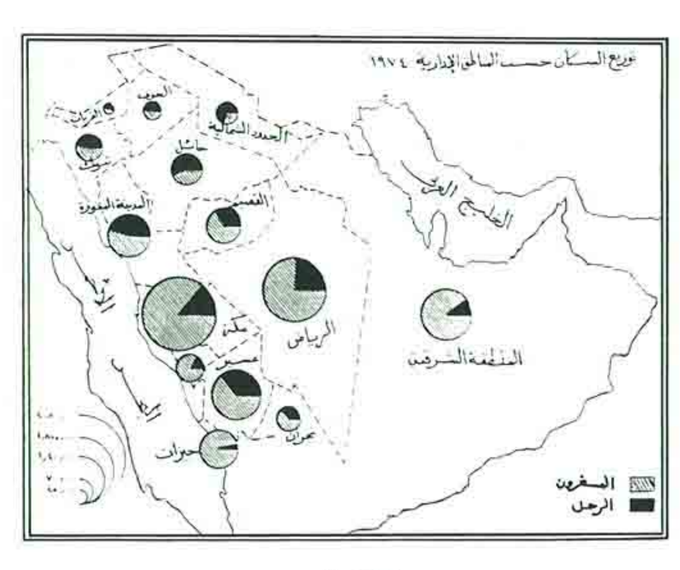
تمر عملية التحضر Processai of Urbanisation في المملكة العربية السعودية ـ الآن ـ بذروة مرحلتها الانتقالية ، ولذلك .. فهي مرحلة هامة .. كما هي معقدة متشابكة ، لقد بدأت هذه العملية ببطء نسبي بعد الحرب العالمية الثانية ، واشتد ايقاعها مع بداية الستينات .. وما تزال ، متسقة تماماً مع بدء إنتاج البترول فيها وتصاعد معدلات إنتاجه وايراداته ، ومهما نحيناه ـ البترول ـ عن مجال الرؤية المباشرة .. لتقتصر على آثاره ونتائجه ، فسيظل باستمرار بمثابة ضابط الايقاع للعملية الجارية ، فمعه بدأت عملية التحضر هذه .. وما تزال ، ولذلك .. ربما يكون من أهم خصائص التجربة السعودية الراهنة .. **أنها تتم من خلال التمويل** ، وهو تمويل بحجم انفاق ضخم للغاية ، غير أنه مهما بدا مصدر التمويل هائلاً ، فهو ـ طبيعياً واقتصادياً ـ قابل للنضوب ، ومن هنا ارتبطت عملية التحضر هذه بمشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية .. وأصبح من شأن عملية التحضر أن تكون من وسائل التنمية ، كما أن الأخيرة من أسبابها ، ولقد منح هذا البعد الاقتصادي للعملية الجارية مستوياتها المتشابكة ، وأصبحت معظم مشروعات التنمية هي ذاتها معظم ظواهر التحضر .. وإن ظل لكل منها تداعياته وسماته ومشاكله الخاصة ، وإذا كانت عملية التحضر تمر الآن بمرحلة انتقالية .. فهي أيضاً نفس المرحلة التي تمر بها سياسة وبرامج التنمية ، وليس الارتباط هنا بالصدفة .. فالبترول يقف من ورائهما معاً ، وعندما كانت إنتاجيته وإيراداته محددة .. اقتصرت عملية التحضر على مناطق إنتاجه .. ولم يكن ممكناً ـ حينئذ ـ البدء في سياسة تنمية شاملة .. واتجه السكان من نواحي المملكة إلى هذه المناطق في تيارات نزوح فردية وتلقائية .. واستجابت البادية استجابة عالية لعوامل التغيير .. **فمع ظهور مناطق الجذب الاقتصادية الحديثة .. برزت معه ـ على الفور ـ عناصر الطرد البيئي الكامنة في البادية .. كما بدأت من المناطق الريفية تيارات مماثلة تالية أقل امتلاء .. ومع تزايد الانتاج والايرادات .. بدأ تراكم الثروة يعكس آثاره في موجات تتسع دوائرها لتشمل مناطق أخرى .. واستثمرت المراكز الحضرية القديمة والأسواق المحلية معطيات هذا الواقع الاقتصادي الجديد قبل غيرها ..** ذلك بحكم امكانياتها الخاصة .. ولأن سياسة الانتعاش والتنمية التي بدأت .. اتجهت إليها أولا ، وفي نفس الوقت بدأت مرحلة جديدة من التحضر في المملكة .. وتمثلت في نمو حجم المدن القديمة بمعدلات كبيرة ، وبزوغ مجموعة من المراكز الحضرية الحديثة ، ولم تعد تيارات النزوح تتجه فقط إلى مناطق إنتاج البترول مباشرة ، بل أيضاً إلى هذه المدن والمراكز الحضرية التي استوعبت تداعيات البترول الانتاجية ، ولكن تراكم الفائض من البدء في سياسة تنمية وانعاش عامة على مستوى الدولة ، تمثلت في تجهيزات شبكة مترامية من **الطرق البرية** ، وفي انشاء العشرات من **المدارس والوحدات الصحية** ، وفي تأسيس

البلديات ، ونمو الجهاز الحكومي بكافة مستوياته .. وغير ذلك ، وبرزت خصائص هذه المرحلة منذ منتصف الستينات بوضوح .. ممثلة أهم ملامح المرحلة الانتقالية الراهنة ، **وإذا كانت المرحلة الأولى (١٩٤٥ ـ ١٩٦٠م) قد تميزت بقلة إيرادات البترول ، وعدم وضوح سياسة للتنمية الاجتماعية .. وباقتصار مظاهر عملية التحضر المعاصرة على مناطق البترول ذاتها ، فقد اختلفت عنها المرحلة الحالية (١٩٦٠ ـ ١٩٧٥م) .. المتميزة بتصاعد موارد البترول بمعدلات يصعب ملاحقتها ، وبالبدء في سياسة تنمية اجتماعية واقتصادية .. وبدخول عملية التحضر اطاراً يشمل المدن والريف والبادية .**

ولقد أبرزت ضخامة العملية الجارية مدى الخطر المتمثل في اعتماد هذا البناء كله على مورد قابل للنفاد ، والمؤكد أن تستمر خصائص هذه المرحلة الانتقالية بكل مشاكلها على مستوى التحضر والتنمية معاً .. طالما ظل الاعتماد قائماً بدرجته العالية الراهنة على البترول .. والمرجح أن تجتازها المملكة .. إذا ما نفذت بالفعل استراتيجية « **تنويع مصادر الانتاج** » الواردة ضمن أهم مبادىء **خطة التنمية الثانية** في المملكة (١٣٩٥ ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٧٥ ـ ١٩٨٠م) ، وتأسيس التجهيزات اللازمة لقيام الصناعة (**البتروكيماوية خاصة**) وتدعيم **الاقتصادين الزراعي والرعوي** في مناطقهما بشتى الوسائل والبرامج العلمية الممكنة ، وكما أمكن مع البترول البدء في عملية الانتقال الراهنة هذه بموارد أقل .. فإن موارده الحالية ـ بعد السبعينات ـ تعلن بوضوح عن ضرورات تأسيس قواعد انتاجية راسخة غير قابلة للنفاد .. ومعها تتخذ عملية التحضر المعاصرة أبعادها كاملة ويتضح معناها .

* ثانيا : ظواهر واتجاهات التحضر والتنمية في المملكة

تعكس الخريطة العمرانية المعاصرة للمملكة ـ بدرجات مختلفة ـ جملة التغيرات الحضارية التي بدأت بها منذ نحو ربع قرن .. **لقد تغيرت خصائص التوزيع السكاني من التبعثر المرتبط بحرفة الرعي وبعض المراكز الحضرية والريفية المتباعدة ، إلى درجة من التجمع المرتبط بالمراكز الحضرية القديمة والبازغة ، وهذا الاتجاه المعاصر نحو التركيز السكاني الشديد .. يعد استمرارا ـ بشكل ما ـ ولكن بمقياس أكبر لصورة التوزيع السكاني القديمة ..** فهذه الصورة القديمة تتلخص في صيغة قوامها « **التركز والتبعثر** » .. التركز في بعض المدن والقرى .. والتبعثر في البادية .. وتشير اتجاهات التوزيع الحالية إلى تغير هذه الصيغة نحو « **التركز الشديد والتفريغ** » .. التركز الشديد في بعض المدن الرئيسية والمراكز الحضرية الحديثة .. وذلك على حساب تفريغ البادية ثم الريف من سكانها .. وتتضح هذه الظاهرة في تضخم حجم هذه المدن والمراكز .. بحيث أصبحت تستوعب ما لا يقل عن ٥٠٪ من جملة السكان ، وفي تناقص نسبة سكان البادية إلى نحو ٢٥٪ فقط .. بعد أن كانت تقدر بما لا يقل عن ٧٥٪ حتى وقت قريب ،



(شكل ١)

وأصبحت نسبة الريفية نحو ٢٥٪ بها أيضاً (تعداد ١٩٧٤م لسكان المملكة) ، وتخطت إلى حد ما مناطق المملكة ، حيث تزيد نسبة الحضرية عن متوسطها في **المنطقتين الشرقية والغربية** ، وتمثل المنطقة الشمالية .. ظل البداوة الأساسي .. بينما تقل نسبة الريفية إلى أعلاها في المنطقة الجنوبية ، أما **المنطقة الوسطى** (الرياض ، القصيم) .. فهي تمثل الوسط الحالي في المملكة .. بداوة وحضرية وريفية **(شكل ١)** .

وقد مرت هذه الصورة بعدة مراحل أيضاً .. حتى وصلت إلى ما هي عليه .. ففي البداية اجتذبت المنطقة الشرقية تيارات النزوح من الداخل والخارج .. بحيث وصلت درجة من الامتلاء وازنت به الثقل السكاني التاريخي للمنطقة الغربية .. وتدريجياً بدأت مناطق أخرى في المملكة ـ خاصة المراكز الحضرية ـ تستقبل هي أيضاً تيارات النزوح هذه .. خاصة مع انتقال نتائج البترول الاقتصادية إلى خارج منطقة إنتاجه .. ووضوحها على المستوى العام لمناطق المملكة ، وكذلك مع انشاء **شبكة المواصلات** الجيدة ـ البرية ـ الحالية التي يسرت إلى حد كبير عملية النزوح السكاني .. خاصة من المناطق البعيدة نسبياً عن المراكز الحضرية الرئيسية في المملكة .. وهكذا حدثت عملية اعادة عملية توزيع سكاني Polulation re-distribution واسعة وعميقة بين مناطق المملكة .. وتغيرت أيكولوجية التوزع السكاني القديمة .. إلى أيكولوجية حديثة متسقة مع عوامل النمو الاقتصادي المعاصرة .. في المراكز الحضرية وعلى طول شبكات المواصلات .. وحول عقدها الهامة ، وتشكلت خريطة التوزيع السكاني المعاصرة ، بحيث أصبح هناك أربع مناطق للتجمعات السكانية .. تتمثل في (الحجاز ، الرياض

والقصيم ، المنطقة الشرقية ، عسير وجيزان) . **(شكل ٢) .**

وإذا كان البدو قد استجابوا بسرعة لعوامل الجذب الحديثة هذه ، لأسباب تتصل بقسوة الحياة وصعوبتها في بيئات المراعي التقليدية في المملكة .. فإن الأمر لم يتأخر كثيراً بالنسبة للزراع .. وإذا كان الزراع بطبيعتهم أقل ميلاً للنزوح .. لشدة ارتباطهم بزراعاتهم وأراضيهم وحقولهم ، فضلاً عن رسوخ اقتصاديات الزراعة بالقياس إلى اقتصاديات الرعي ، فإن عوامل الجذب للنزوح ما تلبث أن تفعل فعلها بينهم .. خاصة مع المواصلات الميسرة ، وبالأخص مع انتعاش المراكز الحضرية في مناطقهم ذاتها .. ولقد أدى ذلك إلى تقصير مدى النزوح ، وأصبح إغراء الأجور العالية المضمونة والأعمال السهلة .. قريباً للغاية من مناطق تجمعات الزراع الرئيسية في عسير والاحساء والحجاز وغيرها .. ومن ثم فقد تعرض «**الريف**» لمثل ما تعرضت له «**البادية**» قبل مرور أقل من عقدين من السنين من بدايته الأخيرة .

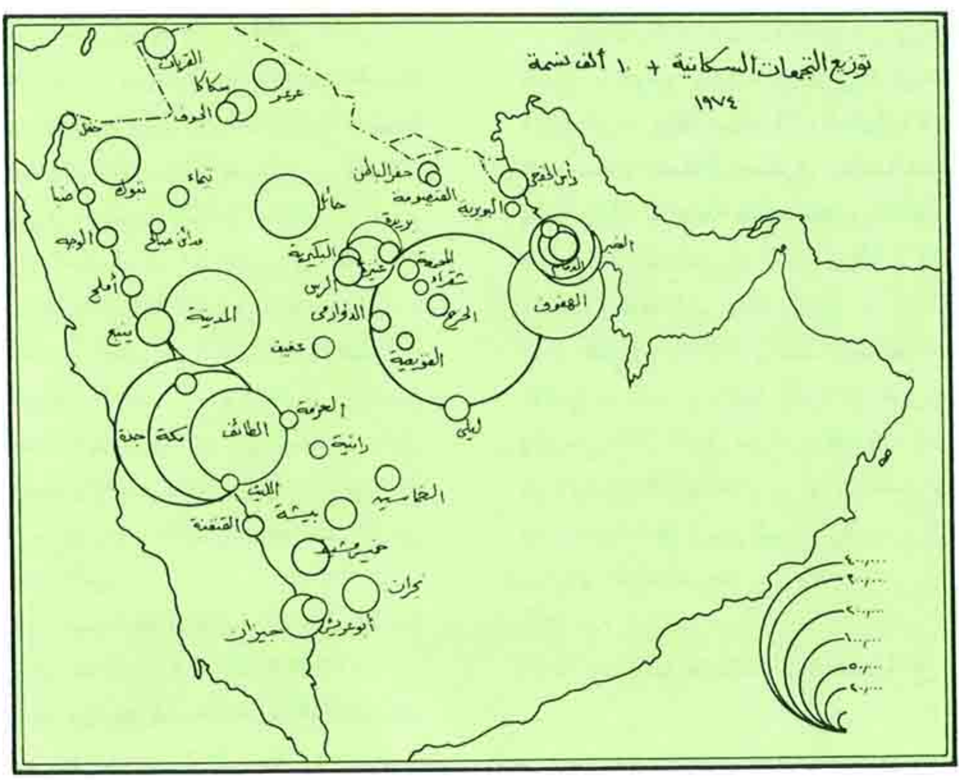
ومن ناحية أخرى .. فقد أدت تداعيات البترول المالية والانتاجية، وانشاء عدد كبير من البلديات **(١٠١ بلدية ١٩٧٥م)** ، **وتأسيس شبكة الطرق البرية المترامية (نحو ١٢ ألف كم ١٩٧٥م)** .. وغير ذلك من تجهيزات التنمية الأساسية .. إلى الحد من تيارات النزوح نحو المنطقة الشرقية ، ومن ثم فقد بدأت أيكولوجية التوزيع السكاني في المملكة تتجه نحو درجة من الاتساق مرة أخرى .. حيث بدأت المدن الأخرى ومراكز الخدمة الحضرية البازغة في استقطاب هذه التيارات محلياً .. أي إن مدى النزوح ـ كما سبقت الاشارة ـ قد قصرت مسافاته ، ولم يعد ضرورياً الاتجاه نحو البترول للاستفادة من مزاياه ، بعد أن انتقلت هذه المزايا إلى خارج مناطق انتاجه أيضاً .. على شكل تجارة وأموال سائلة ومواصلات ومنشآت .. ورغم أن ظواهر التحضر هذه قد أعادت للتوزيع السكاني بعض اتساقه .. إلا أن صيغة «التركز والتفريغ» ما تزال سارية ، ذلك أن هذه المدن والمراكز الحضرية الجديدة .. أخذت بدورها تجتذب إليها سكان البادية وتفرغها من سكانها ، بل وسكان الريف أيضاً .. الذين قاوموا في البداية إغراءات النزوح ، **وهكذا شهدت «الرياض ، جدة ، الطائف ، أبها ، جيزان» .. وغيرها تيارات النزوح إليها من الريف المتناثر حولها أيضا ، وظهرت الصورة .. وكأنها تتجه بسكان المملكة للتجمع في المدن والمراكز الحضرية ، وذلك على حساب تفريغ الريف والبادية معا من سكانها** ، وعند هذه النقطة من منحنى تغيرات النزوح تظهر ضرورة تنمية الاقتصادين الريفي **(الزراعة)** والبدوي **(الرعي)** ، لأن المسألة أولا وأخيراً مسألة أجور .. وما دامت «**البلديات**» تقوم بدورها في عملية التحضر اجتماعياً **(المساكن ، الكهرباء ، المياه ، التعليم ، الصحة .. وغير ذلك)** ، فقد بقي أن تتدعم اقتصاديات المناطق المحلية التي تقوم البلديات بخدمتها ، حتى تتعدل صيغة التغير الاقتصادي الجارية نحو تحول المملكة إلى سكان حضر وخدمات واستهلاك ، وتنهار ـ بذلك ـ تماماً اقتصاديات الريف والبادية الانتاجية .

وهنا تجدر الاشارة ـ بصفة خاصة ـ إلى ظاهرة تتصل بالتحليل السابق ، فالواقع أن انتهاء دور الرعي ثم الزراعة في المملكة ليس ظاهرة هينة بحال .. **ولقد يبدو أن «البترول» قادر حاليا على اعالة جميع سكان المملكة بمستوى معيشة مرتفع ، ومن ثم .. يظهر وكأن لا حاجة هناك للعمل الانتاجي ، ويتحول المجتمع للاستهلاك وللعمل في الخدمات وتجارة الاستهلاك ، قد يبدو ذلك ـ وما يتداعى عنه ـ ممكنا .. ولكن إلى حين ، ولذلك ومنذ عام (١٩٧٠م) . فقد وضعت الخطط لتنمية قواعد الانتاج** ، خاصة وأن قدرة البترول على تمويل «**الصناعة والزراعة والرعي**» .. لا تقل عن قدرته على إعالة مجتمع يتجه بسرعة للتحول إلى «**مجتمع للاستهلاك**» .. بل إن العمل على تحويل المجتمع للانتاج تمثل القاعدة ـ إن لم يكن الضمان ـ لاستمرار تلبية متطلباته الاستهلاكية بمستوياتها العالية الراهنة .

*

ثالثا : التخطيط للتحضر والتنمية في المملكة (شكل ٣)

لقد سبقت الاشارة إلى دور التمويل في عملية التحضر المعاصرة في المملكة ، ولذلك فإن هذه العملية تكاد تتفق مع مراحل القدرة على التمويل كماً وكيفاً ، فهي قد بدأت ببطء بين عامي ١٩٣٨ ـ ١٩٦٠م .. متمشية مع **مرحلة تراكم الموارد الرأسمالية** وبناء الهيكل العام للاقتصاد ، ثم دخلت **مرحلة الانطلاق** بين عامي ٦٠ ـ ١٩٧٠م .. عندما وصل التراكم حداً يسمح باستثمارات وتوظيفات إنمائية واسعة النطاق ، ومنذ عام ١٩٧٠م بدأت **مرحلة التخطيط** مع تشعب الاستثمارات وتعقد الحركة الكلية لرأس المال .. ووصول الدولة إلى مرحلة القدرة على توجيه اقتصادها توجيهاً شاملاً من أجل المستقبل .. في اطار تصوراتها المحددة لهذا المستقبل ، ورغم أن تراكم الثروة لازم دائماً لعملية التحضر ، وهو ما تثبته مراحل هذه العملية تاريخياً في **أوروبا** وغير من مناطق الحضرية الراسخة ، إلا أن حجم التمويل في السعودية كان من الضخامة بحيث اختزل عشرات السنين من التحضر التدريجي المطرد مع تراكم الثروة ، لقد اقتضى خروج أوروبا من اطارها الحضاري في العصور الوسطى قروناً من التطور .. بلغت ذروتها بما عرف في تاريخها بالثورتين التجارية فالصناعية ، ولم يكن ذلك يسيراً بأي حال ، بل قد صاحبته من الحروب والمشاكل ما شغل عشرات من السنين ، غير أن خلاصة ذلك .. أن كل مرحلة كانت تؤدي للأخرى بواقعية ورسوخ ، بل لقد تباينت ظلال الحضرية الأوروبية في أنحائها بمقدار ما حققته أجزاؤها من تطور في اتجاه التجارة والصناعة ، وتتم الآن هذه العملية في المملكة في اطار من موارد الثروة التي لم تتح ـ ربما ـ لدولة واحدة من قبل بهذا القدر وبهذه السرعة ، غير أن للعملية أبعاداً أخرى غير التمويل ، ولعل أهمها ما يتصل **ببزوغ المدن الحديثة** ، ثم **بخطوط الاحتكاك الفردي والاجتماعي بين القديم والجديد** ، ثم بتطبيق **مبدأ تنويع قواعد الاقتصاد ..** وانشاء قواعد الصناعة



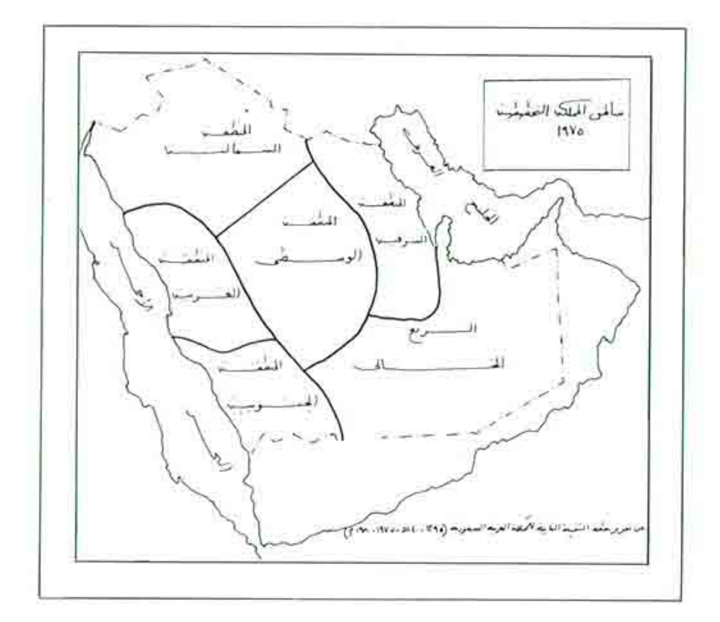
(شكل ٢)

وانعاش الزراعة والرعي في مناطقها كماً وكيفاً ، ولا شك أن **بزوغ المدن** يعد من أهم ظواهر التحضر وديناميات التنمية ، غير أن للمدن وظائفها غير مجرد تأدية الخدمات ، فقد ظهرت مئات من المدن في أوروبا إبان مراحل تحضرها ، غير أنها كانت إما مدناً صناعية أو مراكز للتبادل التجاري أو موانىء .. أو غير ذلك بدرجاته ومستوياته الوظيفية ، وقد اتضح من دراسة توزيع قوة العمل في معظم مدن المملكة الرئيسية أو البازغة .. أنها تتوزع أساساً - وبشكل متكرر متشابه بينها - بين أنشطة الخدمات بأنواعها وتجارة الاستهلاك جملة وتجزئة .. وفي قطاعات أخرى نامية مثل التشييد والبناء ، أما القطاعات الانتاجية (وأهمها الصناعة) .. فلا تستوعب سوى أقل النسب ، وقلما تزيد عن ٥ ٪ في أي مدينة منها ، بل إن النسبة الكبرى من ميزانية تنمية هذه المدن والمراكز الحضرية إنما ترصد لها من خارجها .. ضمن الميزانية العامة للدولة .. وهذا يعني آخر الأمر - ضمن ما يعنيه - **أنها مدن خدمات حضرية أكثر منها مدن وظائف حضرية** ، والثابت أن معظمها يحوز امكانيات « **المدينة** » سواء من حيث الموقع بالنسبة لمناطقها أو لشبكة المواصلات ، أو بحكم أنها قد استثمرت قبل غيرها - وليس هذا بالصدفة - معطيات الواقع الاقتصادي الجديد ، ولكنها تحتاج أيضاً - بعد ذلك - إلى أن تتحول إلى **مدن الوظائف الحضرية** ، ولن يكون التحول قسرياً ، فلكل مدينة منها ظروفها وامكانياتها ، سواء تلك المرتبطة بمزايا موقعها أو امكانيات موضعها ، والمرجح أن يمارس « **البترول** » دوره في مجال تحويلها إلى مدن الوظائف الحضرية .. كما مارسها من قبل في مجال بزوغها كمراكز للخدمة الحضرية ، وذلك بتشجيع مشاريع الصناعة في كل منها ، وتنمية اقتصاديات منطقتها زراعية كانت أم رعوية ، ولعل في تجربة انشاء **المناطق الصناعية في « الرياض وجدة والدمام »** ما يفيد في هذا المجال ، **فهي** بمثابة وضع الأساس لقيام وظائف مدنية حقيقية بها ، كما أن ارتفاع المستوى الفني لوظائف هذه المدن .. من شأنه أن يحدد من تيارات النزوح إليها ، فالثابت أن قطاعات الخدمات والبيع والشراء تقع في أدنى سلم المهارات الوظيفية ، وهي تجتذب النازحين لأن العمل يبدأ بها فوراً ولا يحتاج إلى إعداد طويل أو تدريب متخصص .. **أما الصناعة وتجارة المؤسسات الكبيرة وشركات التبادل الحديثة والخدمات عالية المستوى .. فهي فضلا عن كونها من علامات قوة المدينة ورسوخها ، فهي لا تجتذب إليها سوى العناصر ذات الكفاءة الخاصة** ، أما العناصر الأخرى (غير الفنية) فسوف تواجه صعوبات كثيرة في الحصول على الأعمال والالتحاق بالوظائف ، ولا تقتصر نتائج ذلك على كم النازحين ونوعيتهم فقط .. بل تمتد أيضاً إلى مرافق المدينة وخدماتها ومساكنها ، وما تمثله الأعداد الكبير من النازحين عليها من ضغوط تفوق طاقتها الحالية والتخطيطية .. بل ويتعدى ذلك إلى التأثير في النواحي الجمالية للمدينة .

وليس من شك في أن حركة نزوح البدو الحالية في المملكة إلى مراكز الاستقرار المختلفة .. تمثل حركة سكانية بارزة لها أبعادها وخصائصها ، وهي تختلف تماماً عن تحركاتهم القديمة وراء المرعى أو انتجاعهم قرب مراكز الحضر ومناطق الريف أوقاتاً متفاوتة الطول ، فالهجرة الآن لها نقطة انطلاق ونقطة انتهاء محددة أشبه بالخط المستقيم ، أما البداوة القديمة فهي شبه دائرية من حيث عدم وجود نهاية محددة للحركة ، فكان

الاستقرار هو في نفس الوقت نقطة حركة لمكان آخر ، **غير أن الأهم من شكل الحركة مضمونها** ، فالبداوة تمثل كياناً اجتماعياً متكاملاً .. له نظمه وقيمه وخصائصه وعلاقاته وتصوراته ، ولم تكن تحركاتها السابقة تحمل أي تغيرات لمقومات هذا الكيان المادية وغير المادية معاً ، أما الهجرة الحالية للبدو ، فهي تعني التخلص بدرجة أو نهائياً من اطار البداوة ، والدخول في كيان اجتماعي جديد له قوانينه وظروفه وقيمه وعلاقاته فضلاً عن اقتصاده ، وتحمل الهجرة الحالية معنى النزوح الفردي .. ومن هنا فالتغير حتمي سواء بالنسبة للمجتمع البدوي .. حيث يتناقص عدد أفراده مع ما يتداعى عن ذلك من نتائج ، أو بالنسبة للمجتمع الحضري .. بما يضاف إلى كيانه من نوعيات مختلفة .. وبما يمثله من بوتقة لتفاعل النازحين ، أو بالنسبة للفرد ذاته وما يتعرض له خلال فترة التكيف ، **والواقع أن البداوة بمعناها الاجتماعي قد لا تعني عدم الاستقرار بالضرورة ، فالاستقرار لدى البدوي يتحقق من خلال الكيان الاجتماعي .. فهو مستقر في كيان متحرك** ، وبمعنى آخر .. هناك في البداوة استقرار اجتماعي مصحوب بعدم استقرار جغرافي ، فالاستقرار لدى البدوي لا يعني استقراراً في المكان (**جغرافيا**) .. بل هو استقرار في القبيلة أو العشيرة (**اجتماعيا**) .. فالقبيلة أو العشيرة هي وطن البدوي .. ومن هنا .. فإن ما يحدث في هجرة البدو الآن إلى مراكز الاستقرار .. يتضمن تحوله عن معنى الاستقرار القديم الراسخ في نفسه ، واستبداله بنوع آخر يتضمن استقراره في المكان والمجتمع الجديدين معاً ، وأن يقيم علاقاته مع أفراد جدد ، ربما يمرون بمثل تجربته .. أو مروا بها فعلاً .. أو لم يتعرضوا لمثل تجربته أصلاً ، وفترة الانتقال هذه هي أصعب الفترات ، لأن البدوي عندما يهاجر يكون - غالباً - قد ألقى جميع أسلحته ، تخلى عن قبيلته (**الأمان الاجتماعي**) ، وفقد حيوانه (**الأمان الاقتصادي**) ، وانضم أعزلا لمجتمع جديد .. غير أنه لم يتخل بعد عن عقله ونفسه .

ويواجه النازحون عديداً من مستويات التكيف في أوطانهم الجديدة ، وتشمل **التكيف المادي** Physical adjustment مع السكن والملبس والغذاء ورحلة العمل اليومية ، **والتكيف الاقتصادي** Economic adjustment .. مع الوظيفة ونوع العمل والأجر ونظم العمل وممارسته ، **والتكيف الاجتماعي** Social adjustment مع العلاقات الجديدة والأفراد والمؤسسات ، **والتكيف الفكري** Idiological adjustment مع الأفكار والمعلومات والثقافات ، وتظهر خطوط الاحتكاك بين القديم والجديد في المدن والمراكز الحضرية .. كما تظهر في الريف والبادية ، فهناك أنماط من العلاقات والتنظيمات الاجتماعية (القبيلة في البادية ، والقرية في الريف) ما تزال تواجه مشاكل التحضر المعاصرة ، إما على شكل تخلف ثقافي Cuttural lag أو على شكل مشاكل التكيف النفسي والمادي والفكري والاجتماعي ، ولقد تجلت هذه المشاكل حين واجهت التنظيمات الاجتماعية والمنظمات التقليدية حالة تختلف تماماً عما استمرت عليه قروناً متطاولة ، وتمثلت أخطر أبعاد هذه الحالة في هجرة أفضل عناصر البادية والريف من شبابها الذكور .. مما أدى إلى تدهور قوة العمل بها ، ثم إن هذه العناصر ذاتها واجهت موقف التكيف مع مجتمعات حضرية لم تتعود طرق حياتها ، ثم إن هذه المجتمعات الحضرية ذاتها قد واجهت موقفاً تكثفت فيه بها عناصر سكانية طارئة لها ارتباطاتها التقليدية بمناطقها الأصلية .. وهذه - وغيرها - تمثل في جملتها مشاكل التحضر الاجتماعية ، **ولقد أدت برامج التنمية الاجتماعية .. ومشروعات تأسيس التجهيزات الأساسية للتنمية الاقتصادية في الريف والبادية ..** إلى التخفيف نسبياً من حدة المشكلات المترتبة على مثل هذه المواجهة لمواقف بهذه الكيفية ، خاصة عندما بدأت عملية التحضر تتخذ صيغة نقل نمط الحياة Mode of life الحضرية إلى الريف والبادية ، ولم تعد هذه الصيغة - كما بدأت - مجرد حركة نزوح تلقائية وتورم حضري فوق الحد .. وقد اتبعت **صيغة نقل طابع الحياة الحضرية** وسائل شتى ، أهمها التعليم والمواصلات والخدمات وذلك في اطار « البلديات » التي توزعت في جميع مناطق المملكة .. وقد أدى ذلك - ضمن ما أدى إليه - إلى تقصير مدى النزوح .. كما أن التمرس التدريجي على أساليب الحياة الحضرية قد قلل من حدة المواجهة بين الحياة في الوطن الأصلي ريفاً أم بادية .. وبين الحياة في المراكز الحضرية ، ويظل قائماً ضرورة تدعيم ذلك اقتصادياً بواسطة مشروعات انعاش الريف والبادية ، لكي يتسق قدر الامكان الوسط الحضاري الاقتصادي بينهما وبين المراكز الحضرية .



(شكل ٣)

وهنا تجدر الاشارة إلى **برامج توطين البدو في المملكة** .. باعتبارها من أهم اتجاهات التنمية الاجتماعية والاقتصادية بها .. كما أنها تتصل اتصالا مباشراً بعملية التحضر الجارية الآن .. وهي البرامج التي ترمي أساساً إلى القضاء على ظاهرة الترحل التاريخية .. وذلك بانهاء أسبابها . والثابت أن البداوة الخالصة ظاهرة نادرة في المملكة ، والشائع أن يراوح البدو بين الترحل والاستقرار في دورة حياتية منتظمة .. أو شبه ذلك . ويتفاوت **مدى الترحل ومدة الاستقرار** مكانياً وزمانياً من منطقة إلى أخرى ، وبهذا فإن الاستقرار ليس بظاهرة مستحدثة بين البدو ، وكل ما تطمح إليه مشروعات التوطين هو اطالة مدة الاستقرار إلى الحد الذي يصبح فيه استقراراً كاملاً ، وذلك بانعاش عوامل الاستقرار الايكولوجية وانهاء أسباب الترحل بها .. والواقع أن الاتجاه نحو التوطين الزراعي يمثل عودة للنسيج الايكولوجي الاقتصادي الطبيعي في المملكة ، ولكن في ظل امكانيات أوسع ووسائل لم تكن متاحة على الاطلاق من قبل ، وقد لا يقبل **مصطلح التحضر** بمعناه الغربي اعتبار المناطق الزراعية حضراً استناداً على عامل الاستقرار وحده ، غير أن الاستقرار في بيئة مترحلة هو في حقيقته مستوى من التحضر أو درجة من درجاته ، خاصة وأن للاقتصاد الزراعي ظواهره الحضرية التي لا يمكن تجاهلها .. حتى بالمعنى الغربي للتحضر ، فلهذا الاقتصاد ـ إذا توافرت الامكانيات المناسبة ـ أسواقه ومدنه وشبكة مواصلاته ومحطاته ، ومن هذه الزاوية .. فإن التحضر بالزراعة (الاستقرار) هو بحق أحد اتجاهات التحضر الرئيسية الحالية في المملكة .. وتشير التقارير الميدانية لبعض الشركات العاملة في مجال التنمية الزراعية في المملكة وعلاقتها بتوطين البدو بالزراعة .. إلى وجود احتمالات بدرجات متفاوتة في مناطق المملكة لمثل هذه التنمية .. بحيث يمكن مضاعفتها تقريباً في المملكة ككل ، وتقرر أن التنمية الزراعية وتحضير البدو بالزراعة من أهم وسائل الحد من تدفق الأيدي العاملة نحو مناطق انتاج البترول والمراكز الحضرية .. وايقاف تفريغ البادية من سكانها ، واستثمار قواها العاملة في أعمال انتاجية .. بدلا من تسربها إلى أعمال الخدمات أو استقرارها في أسفل سلم المهارات الوظيفية في قطاع البترول ، ومن **زاوية ايكولوجية** .. فإن الزراعة في مجال دراسة التربة وتحليل المياه الجوفية والكشف عن خزاناتها العميقة ، واستثمار منجزات الزراعة العلمية من البذار للحصاد .. ومن **زاوية اجتماعية** .. فهي تمثل الحل الوسط لنزوح البدو ، حيث لا يحتاج التحول من حياة البادية إلى الحياة الحضرية ومن **زاوية اقتصادية** فالملاحظ أن المملكة قد أصبحت تستورد معظم احتياجاتها الغذائية من الخارج .. فنظراً لارتفاع الدخل القومي وتزايد السكان .. فإن معدل الزيادة في استهلاك المواد الغذائية يشهد ارتفاعاً سنوياً يقدر بنحو ٥,٢٪ سنوياً (بين ١٩٧٠ ـ ١٩٧٥م) ، وذلك بالنسبة لعدد من السلع الغذائية والزراعية الهامة ، وبلغت جملة المواد الغذائية المستوردة نحو ٥٥٪ من مجموع المواد الغذائية اللازمة ... ، ويمكن للتنمية الزراعية أن تسد جانباً من هذه الاحتياجات ، كما أن لها نتائجها بالنسبة لاعادة توزيع السكان ، والتخفيف من تضخم المدن الرئيسية في المملكة من ناحية الحجم ، والايقاف من الاتجاه السكاني الحالي نحو التركز في مدن كبيرة الحجم .. تفصلها فراغات سكانية كاملة أو شبه كاملة ..

ولا شك أن من أهم أهداف التنمية الزراعية وبرامجها المختلفة هو العمل على توطين البدو .. كمرحلة أولى في اتجاه التحضر ، ومن هنا يجدر النظر إلى « **التوطين** » **كعملية انشائية** تتضمن تغييراً في الظروف الطبيعية واستغلاله اقتصادياً ، فهو يتجاوز بأهدافه عملية التهجير البسيطة التي لا تستهدف أكثر من نقل السكان من مكان إلى مكان ، وقد يتضمن التوطين التهجير أحياناً ، وذلك في حالة قلة الموارد القابلة للتنمية في البيئة المحلية ، غير أن غايته الأساسية هي القضاء على الترحل .. وتكثيف المترحلين في مراكز استقرار مرتبطة بموارد اقتصادية غير قابلة للنضوب ، فهو نوع من المواجهة لعملية تفريغ منطقة من سكانها تحت ظروف جذب قوية من خارجها ، خاصة إذا ما نتج عن عملية التفريغ مشاكل اجتماعية وسكانية وحضرية متفاقمة ، ولذلك .. فلا بد وأن يتضمن التوطين التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبيئة المحلية ، ودراسة واسعة للموارد الممكنة والمتاحة ، والتعرف على الحالة الحضارية للمجتمع المحلي ، ولأن التوطن يتضمن قيام علاقات انتاج جديدة ، سواء في أسلوب العمل أو في طريقة الحياة ، وحتى لا يتعرض المجتمع إلى انقطاع الاستمرار في قيمه ونظمه الحضارية ، وفي نفس الوقت عليه أن يتطور في اتجاه المعطيات الجديدة ، خاصة ما يتصل منها بمفهوم الملكية وتراكم الثروة والعمل الفائض ، وبالأخص ما يتصل منها باكتساب المهارات اللازمة ـ من خلال التدريب ـ للعمل الجديد ، **وتعد مرحلة التكيف الحضاري أهم مراحل التوطين .. لأنها تمثل حالة الانتقال من القديم إلى الجديد** ، ولقد يتاح رصد الميزانيات الضخمة لعملية توطين البدو ... ، غير أن مشكلة التوطين الأساسية ليست الجانب المادي وامكانياته فحسب ، بل الجانب الحضاري الاجتماعي أساساً .

وهكذا تأتي تنمية الاقتصادين الريفي والرعوي .. وانشاء أساسات الاقتصاد الحضري (الصناعة) .. بمثابة وضع مبدأ تنويع قواعد الاقتصاد في المملكة موضع التنفيذ ، كما أنها تعد الخطوات الحقيقية في اتجاه تحضرها المعاصر ، وداخل هذا الاطار تندمج عمليتا التنمية والتحضر ، وكأنهما عملية واحدة .





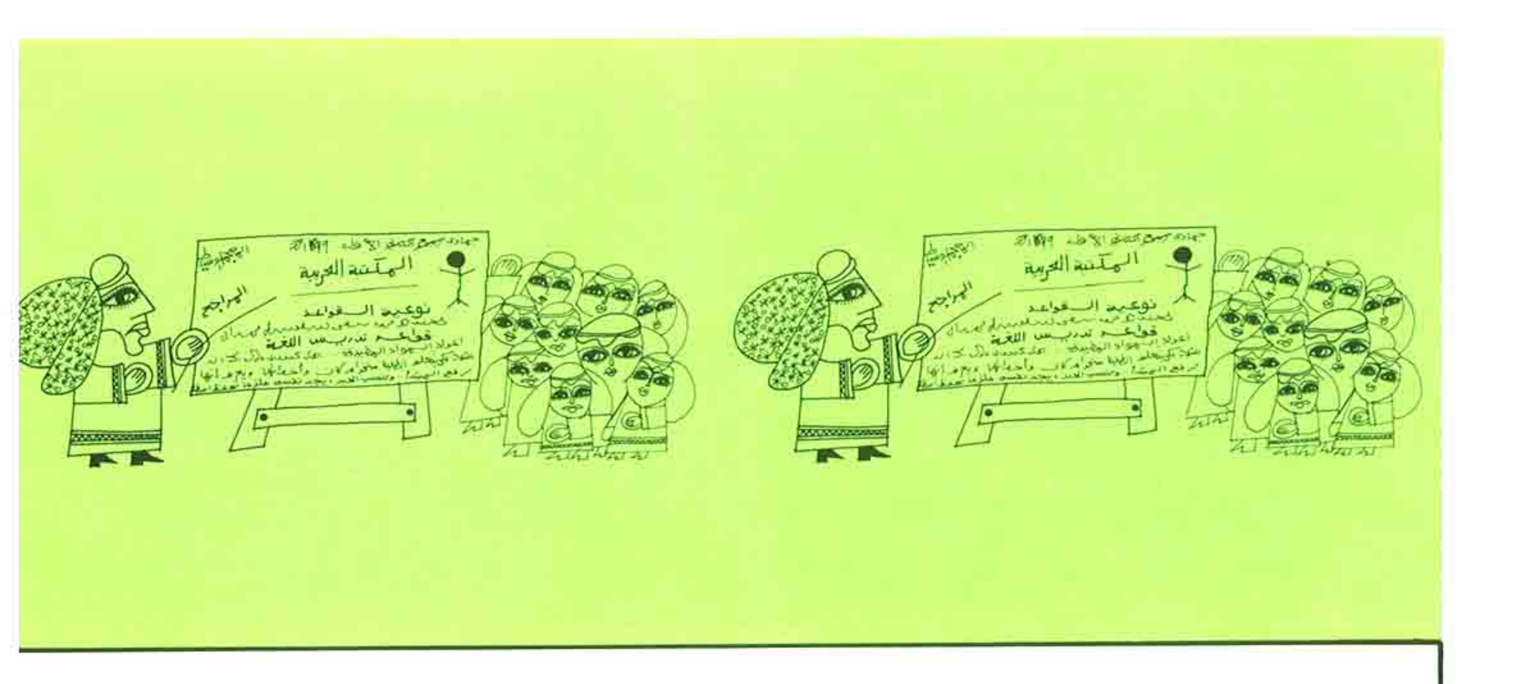
نحن ولغتنا

مشكلة العربية: اللغة.. أم الأمة؟

بقلم: د. محمود اسماعيل صيني

هناك حقيقة لا يجهلها أحد منا وهي أن مشاكل عديدة تواجه العرب ولغتهم وأهمها هو ذاك الجفاء الذي تعاني منه اللغة العربية والجفوة التي يحس بها معلمو اللغة العربية من طلابهم تجاه هذه اللغة الجميلة . وقد تحدث عن هذا المتحدثون وناقش الأمر المناقشون ولكن الأسئلة لا زالت تتردد في خاطر كل مفكر عربي والأمر لا زال يحز في نفوس المخلصين للغة العربية مما تعانيه هذه اللغة من أبنائها طلاباً ومعلمين وكتاباً ومفكرين ، ونحن حينما نسأل أنفسنا «لماذا هذا الضعف العام ؟» ... لا نجد جواباً شافياً له ، وسر الصعوبة في الإجابة على هذا السؤال هو أنه ليس من جواب واحد ولا عامل وحيد يمكننا أن نحمله المسؤولية أو فرد نستطيع أن نلقي بالتبعة على كاهله فلا أظن أن **نظام الكتابة** بمفرده أو **صعوبة النحو** (القواعد) أو **مدرسة الكوفة أو البصرة** أو زيد أو عمرو مسؤول عن هذه المعضلة ، ومن ثم لا أظن أننا سنحل المشكلة بمجرد تغيير نظام الكتابة إلى حروف لاتينية أو بالتخلص من حركات الإعراب ولا باستبدال الفصحى بالعامية ولن نحل المشكلة بتوجيه النقد المؤدب أو اللاذع إلى الطلاب أو المدرسين أو الكتاب وسائر المثقفين . فالمشكلة أعقد من ذلك ، ويمكننا أن نلخص عناصر هذه المعضلة في النقاط التالية :

١ - نظرة المجتمع الخاطئة إلى مسؤولية استعمال اللغة السليمة واعتبارها من شأن علماء اللغة ومدرسيها والأدباء والعاملين في الإذاعة أو التلفاز ، ولذلك نسمع العبارة المتكررة من أفواه المثقفين وهي تطلب المعذرة إذا أخطأوا في لغة محاضراتهم أو أحاديثهم «حيث إنهم ليسوا متخصصين في اللغة العربية» ... وهذه النظرة ليست مؤسفة فحسب بل هي خطيرة جداً لما لمثل هذه الفكرة من آثار سيئة على لغة مثقفينا وعلمائنا ، وهي إلى جانب ذلك نظرة غريبة ، حيث أن المثقفين في أي بلد من بلدان العالم المتطور لا يلجأون إلى مثل هذه الاعتذارات لأنهم يعلمون أن اللغة السليمة يجب أن تكون أول



علامة مميزة للثقافة والمثقفين وعنواناً للحضارة والتحضر (حتى أن علماء اللغة في البلاد الغربية يؤكدون أن اللغة الرسمية هي لغة المثقفين من أبنائها).

٢ ـ ولكن لومنا لهذه الفئات من المثقفين يجب أن لا ينسينا أن الأمر لا ينتهي عند هذا الحد، فلنا أن نسأل: «لماذا يضطر كثير من المثقفين إلى مثل هذه الاعتذارات؟»، فهم لا شك مسؤولون عن أخطائهم اللغوية إلى حد ما ولكن هناك عوامل أخرى جديرة بالدراسة ومنها **ظاهرة الازدواج اللغوي** الحاد في العالم العربي نظراً للاختلاف الكبير بين **اللهجات المحكية** واللغة الرسمية (**الفصحى**) على مستوى النحو والصرف بوجه خاص والمفردات والأصوات بوجه عام، أضف إلى ذلك خلو الكتابة اليومية من الشكل وصعوبة قواعد الفصحى نتيجة كونها تسجيلاً لتلك القواعد إبان أوج النضوج اللغوي للغة العربية الأدبية قبل ما يربوا على القرون العشرة وتأثر ذلك التسجيل بالفلسفة والمنطق واعتماده على لغة الشعر إلى حد كبير.

٣ ـ مرة أخرى لا تعفينا أمثال هذه الأمور من مسؤولية الضعف العام الذي نقاسي منه لأن السائل يستطيع أن يقول محقاً «**لنفرض أن قواعد اللغة الفصحى معقدة كما تقول فهناك علوم ومعارف كثيرة لا تقل صعوبة عنها ومع ذلك نجد الناس عرباً وغير عرب يتعلمونها ويجيدونها على أحسن ما تكون الاجادة، كيف تم ذلك؟**».

للإجابة على ذلك نقول إن هذا صحيح وقد أشار الدكتور **طه حسين** إلى ظاهرة تعلم الغربيين للغات ميتة أمثال **اللاتينية واليونانية القديمة ...** إذاً هناك عواملُ أخرى لا بد أن نأخذها بعين الاعتبار وهي:

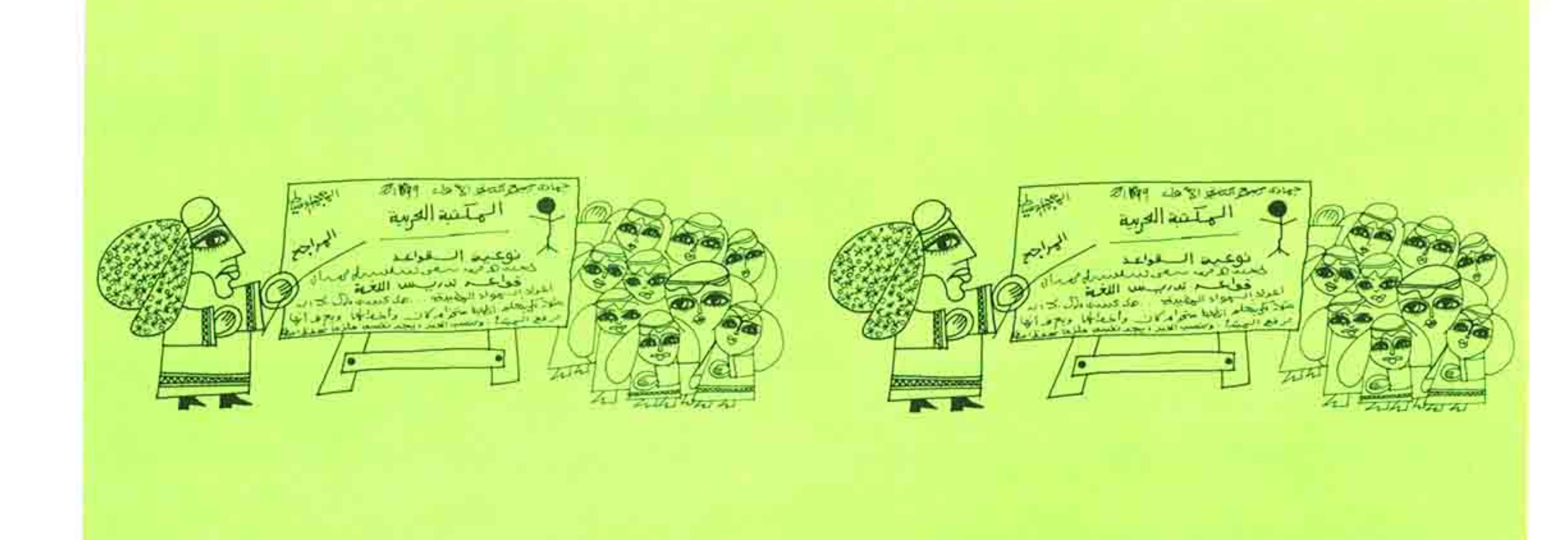
أ ـ المراجع المبسطة في اللغة

ندرة المراجع المبسطة في اللغة وقواعدها وعدم تعود عامة العرب الرجوع إلى مثل هذه المراجع اللغوية من معاجم وكتب في النحو والأساليب: فالعرب على الرغم من اهتمامهم بالكلام وفنه ـ كما يقال ـ لم يخدموا اللغة الفصحى في عصورهم المتأخرة كما يجب، ولا أدل على صدق كلامنا هذا من العجز الكبير الذي تقاسي منه **المكتبة العربية** في الكتب اللغوية الحديثة المعدة للاطلاع العام ويرجع إليها غير المتخصصين في علوم العربية وآدابها من كتب مبسطة في النحو أو الصرف أو أصوات اللغة أو مفرداتها، ونلاحظ أنه حتى لو توفر بعض من هذه المراجع فقلة قليلة من مثقفينا يبذل مجهوداً في اقتنائها أو استشارتها، ولتوضيح هذه النقطة أكثر نذكر أنه لا تخلو أية مكتبة في المنزل أو المكتب خاصة أو عامة في بلاد العالم المتحضر التي زرتها من معجم أو أكثر يرجع إليها الأستاذ والعالم والطبيب والمدرس والتلميذ والموظف، بل وحتى الناسخة على الآلة الكاتبة ... **فنسأل: كم من مثقفينا سمع عن ـ ولا أقول اقتنى واستعمل ـ المعجم الوسيط مثلاً أو القاموس المحيط أو لسان العرب أو فقه اللغة للثعالبي؟ ... بل كم منا يعرف كيف يبحث عن كلمة ما في أي من هذه المعاجم؟**

أما بالنسبة للمراجع العامة ـ وبذلك أستثني المراجع الخاصة بخبراء اللغة وعلومها ـ، فإننا نجد أن المكتبة العربية تكاد تخلو منها بينما تزخر لغات العالم الغربي بمئات المراجع التي ألفت للدراسة الفردية وليرجع إليها غير المتخصصين حتى ليحار المرء في التفضيل بينها.

ب ـ قواعد تدريس اللغة

نوعية القواعد التي يطلب إلى التلاميذ دراستها في المدارس: فكثير من المواد المقدمة للطلاب لا تمت إلى حاجتها ودوافعهم بصلة مباشرة أو حتى غير مباشرة أحياناً، ومن ذلك الاصطلاحات الكثيرة التي يطلب إلى التلميذ حفظها عن ظهر قلب. (مثلاً **لكي يتعلم الطالب استخدام كان وأخواتها ويعرف أنها ترفع المبتدأ وتنصب الخبر يجد نفسه ملزماً بحفظ اصطلاحات كثيرة مثل: الفعل الناقص، والفعل الناسخ، وأفعال الرجاء والمقاربة، والشروع ... الخ مما يضيع على الدارس الهدف من قاعدة بسيطة كهذه**) ... ثم هناك الأبواب الخاصة بأمور نظرية بل وتاريخية أحياناً، كالإبدال والإعلال مثلاً، والأمثلة على هذا أكثر من أن تحصى في مقال كهذا.



ج ـ طرائق التدريس

طرائق تدريس اللغة العربية وتدريس قواعدها بشكل خاص : فبالرغم من التقدم العالمي الملحوظ في أمثال هذا المجال فإن تدريس اللغة العربية لا تزال طرائقه في حاجة ماسة إلى تطوير أكثر ، ذلك التطوير المبني على ما جادت به البحوث اللغوية التطبيقية من خبرات وأفكار جديدة في دراسة المقررات اللغوية وطرائق تدريسها **والوسائل السمعية والبصرية** المختلفة بما في ذلك أجهزة السماع كجهاز **التسجيل والحاكي والمذياع ،** أو الوسائل البصرية كالصور الثابتة أو آلات العرض على الشاشة الفضية ومواد العرض الثابتة والمتحركة ، ثم السمعية البصرية كالصور المتحركة الناطقة سواء منها ما يبث على شاشة **التلفاز** أو يعرض على الشاشة الفضية .

وجدير بالذكر أن المشكلة الأساسية ليست توفير هذه الأجهزة بل الأهم من ذلك هو :

● أولا : إعداد المواد المفيدة ابتداء من الصور الحائطية والبطاقات وانتهاء بالبرامج المصورة والناطقة والمواد المبرمجة .

● ثانياً : تدريس المدرسين على استخدام هذه الوسائل بطريقة جدية ومثمرة .

وهاتان المشكلتان الأخيرتان لا تزال تقاسي منها حتى الدول الغربية ولكن بشكل أقل حدة منا نحن العرب .

وقد يسأل سائل : ولكن ما قيمة كل هذه الوسائل ؟ الجواب هو أننا نريد أن نحقق شيئاً أساسياً واحداً من تعليم اللغة وهو تمكين الطالب من استخدام هذه اللغة الفصحى بطريقة سليمة ـ سواء كان ذلك في المجال الشفهي أو المكتوب ـ ونريد كذلك أن نحاول تحقيق هذا الهدف بأقرب الطرق وأيسرها بل وبطريقة مشوقة إن لم تجذب الطالب فهي على الأقل لا تنفره كما يحدث أحياناً في وضعنا الحاضر للأسف .

وتدريس اللغة العربية يعاني كثيراً من تشتيت الجهود في دراسة أشياء قد لا تسهم بجد في تدريب الطالب على تطور ملكته اللغوية فإعراب الجمل والتعرف على العامل والمعمول والفاعل أو الخبر المقدر وما شابه . . كثيراً ما يضيع وقتاً من الأجدى أن يستفيد منه الطالب في التدرب على استعمال اللغة السليمة والتمرين على التطبيق الشفهي والمكتوب للقواعد الأساسية .

د ـ التمرين على استعمال اللغة

قلة فرص التمرين على استعمال اللغة الصحيحة ، تقع مسؤولية هذه المشكلة على عوامل عدة منها :

● أولا : طريقة وظروف تدريس اللغة العربية فالمنهج أحياناً لا يعطي الفرصة للتدريب المركز للطالب وحجم الفصول وأعباء المدرسين لا تسمح لمدرس اللغة أن يعطي طلابه الفرص الكافية للتدريب على اللغة سواء في الفصل أو في خارجه ، وحتى الكثير من وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية تساعد على حرماننا من فرصة التدريب على الفصحى حينا تلجأ هذه الوسائل إلى استعمال العامية أو الفصحى المليئة بالأخطاء الفادحة .

● ثانياً : نظام الكتابة الحاضر كثيراً ما يسمح للكاتب أو القارىء أن يفلت من مسؤولية الاستعمال الصحيح للغة حيث إن الكلمة غير المشكلة قابلة للنطق بطرق مختلفة ـ على العكس من الكلمة التي تظهر الحركات القصيرة فيها ، فإنها تفضح أخطاء الكاتب وقد تضطره إلى تحري الدقة فيما يكتب كما أنها تعين القارىء على القراءة الصحيحة ـ ، ومن ثم **فإن الغالبية العظمى منا تكتب وتقرأ الكثير ولكننا قليلاً ما نضطر إلى الكتابة الصحيحة إعراباً أو نقرأ قراءة صحيحة من حيث الإعراب بعد أن نخرج من درس اللغة العربية** ـ وحتى هذا الدرس كثيراً ما يستخدم فيه المدرس والطالب اللهجة العامية ـ ، ومن ثم يسود الاعتقاد بأن الكتابة والقراءة أو النطق الصحيح هو شغل المذيع ومدرس اللغة العربية والأديب والخطيب فقط ، كما أشرنا في بداية هذا المقال .

بادية الدهناء

مسح جغرافي يرتكز

« الدهناء » كما حدد موقعها جغرافيو العرب القدامى **أرض تقع فيما بين البصرة واليمامة في طريق البصرة الجنوبي إلى مكة المكرمة**، يخرج السائر من البصرة على طريق المنكدر لمن أراد مكة فيسير إلى « **كاظمة** » ثلاثاً ، ثم إلى « **الدو** » ثلاثاً ثم إلى « الصمان » ثلاثاً ، ثم إلى « **الدهناء** » ثلاثاً[1] ، وهي تقترب أشد الاقتراب من منطقة « **الأحساء** » الشرقية ، يمتد طولها من حَزْن « **ينسوعة** » شمالا إلى رمل « **يبرين** » جنوباً ، ويتصل بها من الشمال رمل « **عالج** » عندما يسمى « **بزرود** » وهو الرمل الذي يحيط بأكثر أرض العرب ، والذي ينقطع طرفه من دون الحجاز ، حجاز وادي « **القرى وتيماء** » ، وتتصل بها من الجنوب الغربي أرض « اليمامة » **وكان يسكنها بطون « تميم ، وضبة ، وعدي ، ويشكر ، وقشير ، وجعدة »**[2] .

واسعة مخيفة ضربوا بها المثل في السعة فقالوا : أوسع من الدهناء وفي هذا الاتساع تتمثل خطورتها .

قال **الهمداني** : ذهب في « **صيهد** » ـ بأرض اليمن ـ بعهدنا قطار فيه سبعون جملاً من الحاج صادرين من « نجران » كانت في أعقاب الناس ، ولم يكن فيهم دليل ، وأصبحوا قد تياسروا عن الطريق ، وتمادى بهم الجسور حتى انقطعوا في الدهناء فهلكوا[3] .

وقال **أبو منصور** : و« الدهناء » من ديار بني تميم ، وهي سبعة أحبل ـ بالحاء المهملة ـ من الرمل في عرضها ، والحبل منها يكون ميلاً وأكثر من ذلك ، وبين كل حبلين **شقيقة** ، والشقيقة ربما كانت فرسخاً عرضاً ، **وهي أرض تقع بين الحبلين** ، ليس بها من الرمل شيء ، **هجول**[4] ، وأكثر شجرها **العرفج** ، وهي من أكثر بلاد الله كلأ ، **وإذا أخصبت « الدهناء » أربعت العرب جميعا لسعتها وكثرة شجرها** ، عذاة ، نزهة ، من سكنها لا يعرف الحُمَّى لطيب تربتها وهوائها[5] .

وقالوا : في سبب تسميتها بالدهناء : إن ذلك يرجع إلى اختلاف النبت والأزهار في عرامها ، وذلك أخذا من تفسير قوله تعالى : ﴿ فكانت وردة كالدِّهان ﴾ حيث شبهها في اختلاف ألوانها بالدهن ، أو الأديم واختلاف ألوانه .

الملامح العامة

هذه الدهناء نشأ على أرضها الشاعر « **ذو الرمة** » فعشق رمالها وكثبانها وذكرها في شعره ، ولسنا هنا في مجال رسم خريطة كاملة للدهناء معارفها ومنكراتها من شعر « ذي الرمة » فذلك أمر يطول شرحه ، ولكن حسبنا تحديد الملامح العامة وما يتصل برمال الدهناء من الشمال والجنوب :

١) ذكر ذو الرمة من معالم « الدهناء » في أقصى الشمال « **الوحيد** » ويقع عند التقاء « **الصمان** » بالكثبان الرملية الحمراء من رمال الدهناء ، وهو المنزل الذي كانت تقيم فيه « **مية** » حبيبة « ذي الرمة » كل شتاء حيث تتجمع في جانب منه مياه الأمطار ، وفيه التقى « ذو الرمة بميَّة » أول لقاء :

تميمية ، نجدية ، دار أهلها

إذا موه الصمان من سبل القطر

ويلتقي « بالوحيد » حبل طويل من رمل هو « **أمل القراف** » .

يقول **الراعي النميري** :

مهاريس لاقت بالوحيد سحابة

إلى أمل العراف ذات السلاسل

وقريب من الوحيد مكان ملتصق به يعرف « **بحوضى** » وفيه مسجد بناه **رسول الله** ﷺ أثناء مسيره إلى **تبوك** . ومن « حوضى » كان يشرف ويحاول تحديد مسير الظعائن وفيهن « مي » :

فأشرفت الغزالة رأس حوضى

أراقبهم وما أغنى قبالا

كأني أشهل العينين باز

على علياء شبه فاستحالا

وقريب من « حوضى » و« الوحيد » في الشمال أيضاً من الدهناء توجد أرض « **حزوى** » و« **خفان** » وهما كما قال « **الأحول** » موضعان قريبان من السواد بالعراق[6] . يقول ذو الرمة :

أداراً بحزوى هجت للعين عبرة

فماء الهوى يرفض أو يترقرق

ويشير إلى أن « حزوى » يقابله مكان آخر هو « **الزرق** » الذي يتمنى أن يعمّه المطر وهو يدعو لدار ميَّة بالسُّقيا ، ويتحسر على الفراق . ومفهوم شعر ذي الرمة أن « **الدحل والقرنية ، واللوى ، والجرائر** » ، كلها مواضع متقاربة من « حُزْوى » .

وفي نفس المنطقة توجد « وهُبَيْن » التي يصف فيها سير **الثور الوحشي** ، وتحركه إلى ناحية الخضرة ، كما توجد « الخلصاء » وهي أرض

على الشعر القديم

بقلم: د. محمد عبد المنعم خاطر

في ديار «بني يشكر» كانت فيها مضارب قوم «ميّ».

٢) فإذا ما انتقلنا إلى أسفل «الدهناء» من ناحية الجنوب وجدنا «**القلات**» و«**شارع**»، وهما موضعان في ديار بني تميم، وإليهما اتجهت مضارب قوم «مي» حبيبة ذي الرمة. يقول ذو الرمة:

ألا ليت أيام القلات وشارع

رجعن لنا ثم انقضى العيش أجمع

ويقول **مالك بن نويرة**:

فمجتمع الأسدام من حول شارع

فروى حبال القريتين فضلفعا

وقريباً منها في أسفل «الدهناء» (**قسا**) وهو الموطن الأصلي لذي الرمة وفيه عرف «**أميمة**» قبل أن يعرف «مية». يقول ذو الرمة:

تغير بعدي من أميمة شارع

فصنع قسا فاستبكيا أو تجلدا

ويقول:

ولكنني أقبلت من جانبي قسا

أزور امرأ محضا نجيبا يمانيا

وقريباً من قسا أو من حذائه توجد واحة «**يبرين**» في الجنوب الشرقي من الدهناء[٧]. يقول ذو الرمة:

إليك أمير المؤمنين تعسفت

بنا البعد أولاد الجديل وشدقم

نواشط من يبرين أو من حذائه

من الأرض تعمى في النحاس الخرم

كما يوجد في نفس المنطقة «**نعف الأجرع**»[٨] وهو مكان قريب من القلات وشارع. يقول ذو الرمة:

قلت لنفسي حين فاضت أدمعي

يا نفس لاقيّ فوتي أو دعي

ما في التلاقي أبدا من مطمع

ولا ليالي شارع برُجَّع..

ولا ليالينا بنعف الأجرع

إذ العصا ملساء لم تصدع

و«**نقي الزرق**»، **وحومانة الزرق**[٩]، **والهدملة** وهي موضع تنسب إليه حروب كانت في الأيام الغابرة، والعرب تضرب مثلاً للأمر الذي تقادم عهده فتقول **كأن هذا أيام الهدملة**. قال **كثير عزة**:

كأن لم يدمنها أنيس ولم يكن

لها بعد أيام الهدملة عامر

قال **الأحول**:

الهدملات: أكثبة بالدَّهناء وأنشد لذي الرُّمة:

ودمنة هيجت شوقي معالمها

كأنها بالهدملات الرواسيم[١٠]

وبين الشمال والجنوب تتناثر أماكن أخرى جاءت في شعر ذي الرمة هي «**السبية، وجرعاء السبية، والمعا، وسهل المعا، وفتاخ، والرمادة، ورحا جابر، وبرقة الثور، والثعلبية، وذي الأرطى، ومحل الحواءين، وبطن مشرف، وعوج اللهام، وذي الرمث**».. وغيرها.

وذكر ذو الرمة من حبال الدهناء ـ بالحاء المهملة ـ **الفوارس**، وهو حبل رملي، كما ذكر من مياه الدهناء «**عين أثال**»، وهي قريبة من ذي الفوارس. يقول ذو الرمة مصوِّراً اتجاه وهدف قطيع الحُمُر الوحشية:

والهم عين أثال ما ينازعه

من نفسه لسواها مورداً أرب

والوشيج: يقول مصوِّراً مسير الظعائن:

فأصبحن يمهدن الخدر بسدفة

وقلن الوشيج الماء والمتصيف

إلى غير ذلك من تلك الأماكن الكثيرة المتناثرة التي حاول ذو الرمة أن يحدد معالمها وهو يعتسف الفلاة من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب.

١) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ج ٢ ص ٥٦٦.
٢) السابق ج ٣ ص ٩١٤.
٣) السابق نفس الصفحة.
٤) هجول: جمع هجل وهو المطمئن من الأرض يكون موطئه صلباً.
٥) لسان العرب ج ١٧ ص ٢٠.
٦) معجم ما استعجم ج ٤ ص ١٣٨٤.
٧) معجم ما استعجم ج ٣ ص ٧٧٥.
٨) النعف: ما انحدر عن السطح وغلظ وكان فيه صعود وهبوط.
٩) الحومانة: القطعة الغليظة من الأرض.
١٠) معجم ما استعجم ج ٤ ص ١٣٤٩.



بقلم: د. محمود بن الشريف

> **«من عاش في هذا الكون خلواً من العقيدة كان فيه كالريشة الطائرة في مهب الريح بغير قرار ..»**
> **عباس العقاد**

للعقيدة أثر في السلوك الإنساني وفي التقدم الحضاري، فضلاً عن دورها في علاقة المؤمن بربه وأخذها بيد الخلق نحو الخالق.

ومما لا مراء فيه أن **العقيدة الإسلامية** قد كونت إنساناً لا عهد للبشرية به من قبل .. ولأجل أن نلقي مزيداً من الضوء على تلك القضية علينا أن نرجع إلى الأجواء التي سبقت ظهور تلك العقيدة حتى ينكشف لنا أثر هذه العقيدة في الإنسان والإنسانية.

فالعالم قبل انبثاق هذه العقيدة، كان قد ساد فيه الفساد وانتشر فيه الظلم، وأهدرت فيه الكرامة الإنسانية، واضطربت فيه موازين الأخلاق ولم يكن للعقيدة السليمة الصحيحة وجود.

وأصبح العالم وكأنه غابة تسودها شريعة الغاب شريعة المخلب والناب ﴿أو كظلمات في بحر لجيّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾.

وكان النور في هذا العهد بعث **محمد** ﷺ ليخرج الناس من ظلمات الظلم والجهالة والكفر إلى نور الإيمان والإسلام، فنادى بالعقيدة الإلهية السليمة الصحيحة .. عقيدة التوحيد والإيمان بالله رباً وبمحمد رسولا وبالإسلام ديناً، ودعا الفرد إلى عبادة الله الواحد الأحد ونهاه عن عبادة الأشخاص وتقديسهم، كما نهاه عن عبادة مظاهر الطبيعة وظواهر الكون، وكشف له عن زيف العقائد الوثنية وما يتصل بها من خرافات وأوهام وأساطير وعمّق في نفس الإنسان الإيمان بوحدانية الله الفرد الصمد **﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾**. وجعل الصلة بين المخلوق والخالق صلة مباشرة لا تحتاج إلى كاهن أو وسيط أو شفاعة يحتكرها ولي أو قديس، قال تعالى: **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾**.

والعقيدة الإسلامية أشعرت الإنسان بموقفه من أخيه الإنسان، ومن بني جنسه من البشر، وبوحدة الجنس البشري فغيرت نظرته السالفة ومشاعره التي كان يشعر فيها بانتمائه فقط إلى قبيلته وعشيرته وقومه، وبذلك أخذت بيد الإنسان إلى تكوين مجتمع إسلامي إنساني تلتقي فيه القبائل والشعوب على أساس من المساواة والكرامة الإنسانية.

ووجهت العقيدة نظر الإنسان إلى الكون وجعلت الكون كتاباً للمعرفة ومحراباً للفكر والنظر والتأمل والاعتبار وأبانت للمتأمل بناء الكون وتصميمه وما يقوم عليه من وحدة وتناسق ونظام **﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾**، **﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾**.

إن القرآن الكريم بهذه اللمسات الموجهة إلى آيـات الله وقـدرته وعظمته ووحدانيته يوقظ القلب وينبه العقـل ويشـد الانتباه والنـظر ، ثم يترك بعد ذلك للفكر أن يعمل ويبحـث ويجمـع الجـزئيات ليصـل إلى الحقائق والنتائج . . فليس من منهج القرآن الكريم أن يفصـل العلـوم . . ولكنه يدل على الطريق ويضع المعالم ويترك مجال البحث والتفكير مفتـوحاً موجهاً على مدار الزمن .

ولما كانت العقيدة الإسلامية دافعـة للمـؤمن إلى معـرفة آيات الله تعالى وسننه في الـكون ، فقـد دفعتـه بـالتالي إلى التفكير العلمي فكان التقدم العلمي والحضاري .

ومن هنا ظهرت **الحضارة الإسلامية** بخصائصها ومميزاتها وبانتشارها في سائر المجالات الحيوية : إذ بعد أن دفعت العقيـدة المؤمـن إلى دراسـة الكون دفعته بعد ذلك إلى استغلال مـا في الـكون واسـتثماره وتـذليله وتسخيره ؛ لأن الإنسان مستخلف في هـذه الأرض مـن الله تعـالى ، ومطلوب إليه عمارتها والانتفاع بما عليها وبمـا أودع فيهـا ، مسـتغلاً ذلك لصالح الإنسانية وللبناء والتعمير . . وبـذلك كانـت العقيـدة الإسـلامية دافعاً إلى العمل وإلى تنشيط الحياة الاقتصادية وإلى استثمار مـا في الـكون فازدهرت الحياة الاقتصادية في القرون التي أعقبت ظهور الإسلام .

وفي **المجال العلمي** ظهر أثر العقيدة ، فقد أعدت الأفكار إعـداداً كاملاً لنمو التفكير العلمي ، وتقدم المسلمون بـالعلوم الـرياضية والـطبيعية فابتدعوا **علم الجبر** ، وتوسعوا في **الهندسة وحساب المثلثات** ، وارتقوا **بالطب ، وابتدعوا الطريقة التجريبية في الكيمياء والفيزياء** ، وبنوا **المراصد الفلـكية . .** وكان ذلك كلـه بفضـل العقيـدة الإسلامية .

لهذا لم يكن هناك ثمـة تعـارض ـ **في العصر الإسـلامي الأول** ـ بين الإيمان الديني والبحث العلمي ، ولم يـكن ثمة تعـارض في العقليـة الإسلامية بين الإيمان بالله خالق الكون وخـالق الحـوادث وأسـبابها وبـين ارتباط الأسباب بنتائجها ، لأن ذلك كله من خلق الله .

ومن أجل ذلك كله سطر التاريخ في سـجل الحضـارات أن العقيـدة الإسلامية في صدر الإسلام أدت إلى تقدم رائـع لـلإنسانية والحضـارة في المجالات الإنسانية والكونية والفكرية والعملية . لأن فهم الجيل الأول من المسلمين للإسلام كان قائماً على أن الإسلام نظام كامل شامل ، ولم يـكن الإسلام بالنسبة إليهم مجرد عبارات فـردية إنمـا كان في وعيهـم رسـالة متكاملة يسهم الواحد منهم في نشرها والجهاد لتحقيقها على صعيد البشرية جمعاء .

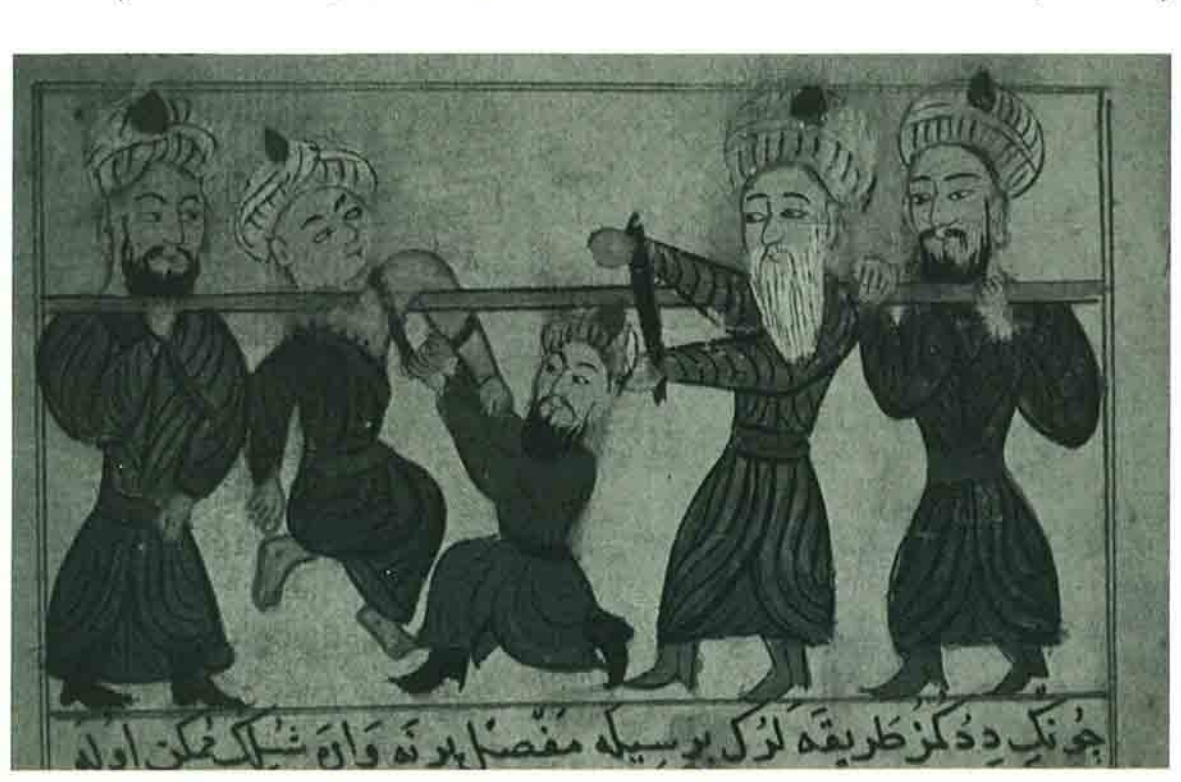
مسرى التيار الحضاري الإسلامي

بلغ المسلمون مجدهم الحضاري إبـان **الـدولة العبـاسية** أيـام **الرشيد وابنه المأمون في بغداد** وأيام **المعـز** وابنـه **العـزيـز الفاطمي في القاهرة** ، وكان سلطان العرب السياسي في عهد الرشيد قد وصل أقصى ما وصل إليه سلطان المسلمين في الشرق .

وقد فتح المسلمون **بلاد الأندلس** سنة ٩٢ هـ ، واستمروا بها حوالي ثمانية قرون وكانت الأندلس الإسلامية آنذاك منبع العلم ومنطلق التقدم في كل المجالات .

وهبت ريح الحضارة الإسـلامية الأنـدلسية على البـلاد الأوروبيـة المجاورة ، وفي عام ٢١٧ هـ ، امتد الفتح الإسلامي إلى **جزيرة صقلية** ، ثم إلى الجزء الجنوبي من **إيطاليا . . واستيقظت أوروبا النائمة بعد أن هبت عليها نسمات من الحضارة الإسلامية وقبسات من نـور العلم العربي أضاء رحابها وبعث الدماء العلمية قوية حارة في تفكيرها القاصر . .** ونهضت أوروبا وتحررت . . **وتحضرت وبفضـل الحضارة الإسلامية كانت الحضارة الأوروبية .**

والعلم الحديث في منهجـه وطـرائق بحثـه يـدين للعلماء المسلمين وما خلفته الحضارة الإسلامية من كشوف ونظريات



★ عملية لتجبير كسر في عظام الترقوه ★



يقول « **بريفولت** » العالم الانجليزي المعاصر ومؤلف كتاب « **بناء الإنسانية** » : « لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث ، ولكن ثماره كانت بطيئة النضج . إن العبقرية التي ولدتها ثقافة العرب في إسبانيا لم تنهض في عنفوانها إلا بعد مضي وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام ، ولم يكن العلم ـ وحده ـ هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة ، بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوروبية ، فإنه على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوروبي إلا ويمكن ارجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة ، فإن هذه المؤثرات توجد أوضح ما تكون وأهم ما تكون في نشأة تلك الطاقة التي تكوّن ما للعالم الحديث من قوة متمايزة ثابتة ، وفي المصدر القوي لازدهاره ، أي : في العلوم الطبيعية وروح البحث العلمي » .

ثم يقول : « إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مذهلة مدهشة لنظريات مبتكرة ، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا ، إنه يدين لها بوجوده نفسه ، فالعالم القديم لم يكن للعلم فيه وجود . وقد ظهر العلم في أوروبا نتيجة لروح من البحث جديدة ، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة من طرق التجربة والملاحظة والمقاييس ، ولتطور الرياضيات إلى صورة لم يعرفها اليونان وهذه الروح وتلك المناهج العلمية أدخلها العرب إلى العالم الأوروبي » .

وتقول الكاتبة الألمانية « **زيغريد هونكه** » في كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » : « إن العرب هم الذين ابتدعوا طريقة البحث العلمي الحق القائم على التجربة والملاحظة ، فالبحث العلمي القائم على التجربة لم يبدأ إلا عند العرب ، فعندهم فقط بدأ البحث الدائب الذي يمكن الاعتماد عليه ، يتدرج من الجزئيات إلى الكليات ، وأصبح منهج الاستنتاج هو الطريقة العلمية الصحيحة السليمة للباحثين ، وبرزت الحقائق العلمية كثمرة للمجهودات المضنية في القياس والملاحظة بصبر لا يعرف الملل .

وبالتجارب العلمية الدقيقة العديدة اختبر العرب النظريات والقواعد والآراء العلمية مراراً وتكراراً فأثبتوا الصحيح منها وعدلوا الخطأ في بعضها ، ووضعوا بديلاً للخاطىء منها ، متمتعين في ذلك بحرية كاملة في البحث والفكر ، وكان شعارهم في أبحاثهم « الشك هو أول شروط المعرفة » تلك هي الكلمات التي عرفها الغرب بعدهم بثمانية قرون . وعلى هذا الأساس العلمي سار العرب في العلوم الطبيعية شوطاً كبيراً أثر فيما بعد بطريق غير مباشر على مفكري الغرب وعلمائه أمثال : « **روجر بيكون** » **وليونارد دافنشي ، وجاليليو . . »** .

ويقول « **دريبر** » الأستاذ بجامعة نيويورك في كتابه « **النزاع بين العلم والدين** » : « تحقق علماء المسلمين من أن الأسلوب العقلي النظري لا يؤدي إلى التقدم ، وأن الأمل في وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقوداً بمشاهدة الحوادث ذاتها ومن هنا كان شعارهم في أبحاثهم : الأسلوب التجريبي والدستور العملي الحسي . ونتائج هذه الحركة العملية العربية تظهر جلية في التقدم الباهر الذي نالته الصناعات في عصرهم ، وإننا لندهش حين نرى في مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر ، فقد استخدموا علم الكيمياء في الطب ووصلوا في علم الميكانيكا إلى أنهم عرفوا وحددوا سقوط الأجسام ، وكانوا عارفين كل المعرفة بعلم الحركة ، ووصلوا في نظريات الضوء والإبصار إلى أن غيروا الرأي اليوناني القائل بأن الإبصار يحصل بوصول شعاع من البصر إلى الجسم المرئي ، وقالوا بالعكس ، وكانوا يعرفون نظريات انعكاس الأشعة وانكسارها ، وقد اكتشف **الحسن بن الهيثم** ـ وهو من علماء المسلمين في القرن الرابع الهجري له قرابة مئتا كتاب في الرياضة والفيزياء وغيرهما ، وأشهر كتبه كتاب « **المناظر** » الذي ترجم إلى اللاتينية في القرن السادس عشر الميلادي ـ اكتشف الشكل المنحني الذي يأخذه الشعاع في سيره في الجو وأثبت بذلك أننا نرى القمر والشمس قبل أن يظهرا حقيقة في الأفق ، وكذلك نراهما في المغرب بعد أن يغيبا بقليل » .

بعد كل هذه النصوص والشواهد من أقوال علماء الغرب ورجالاته ، **لم يكن بدعاً من القول أن نحكم ـ نحن العرب ـ بأن الحضارة الأوروبية الحديثة قامت على أسس ودعائم من حضارة الإسلام ونهضة العرب .**

إلا أن أوروبا حينما استقت من المعين الإسلامي والمنهل الحضاري العربي أخذت الجانب المادي العقلي من الحضارة الإسلامية وتركت الجانب الروحي العقدي .

ومن أجل ذلك كان إنسان الحضارة الأوروبية المادية يعيش في أزمة وصراع وقلق وهدم ، لأن حضارته بعيدة عن الأمن والإيمان والاطمئنان الروحي .

إن العالم الغربي بشعوبه المختلفة له حضارة مادية آلية ارتقت بالآلات وبالجوانب المادية في الحياة والهدف من هذه الحضارة الغربية هو : الرفاهية ، والنعيم المادي ، والإنتاج ، أما الإنسان في جانبه الإنساني الخلقي والروحي فذلك ساقط من أهداف هذه الحضارة لذا بقي الإنسان الغربي مريضاً من ناحية العواطف الإنسانية وبعيداً عن الضمير الخلقي الحي .

والبشرية اليوم في حاجة إلى حضارة تعيد للإنسان عزته وللعالم سعادته وأمنه ، ولقد أفلست الحضارات القائمة في دنيا الناس . . أفلست في اسعاد الإنسان روحياً ، وأخفقت كذلك في حل المشكلات العالمية ، واستخدمت وسائل العمران والتعمير في التخريب والغدر والتدمير !!

إن حضارة أوروبا اليوم ـ كما قال المنصفون من أهلها ـ أصبحت كصدفة لامعة براقة . . صدفة فارغة خالية من اللؤلؤ لأنها بمعزل عن الروح وعن الأمن .

فمن ذا الذي ينهض بالعالم الحائر اليوم ؟ أهي فلسفة القوة والاستعمار ؟ أم المادية والإلحاد ؟ أم الوجودية والانحلال ؟

لم يكن هناك بُدٌّ للعالم من العودة إلى حضارة الدين العالمي : دين الله . إن الدين عند الله الإسلام .



شعر: عبدالمنعم الأنصاري

هــذا زمــانٌ قبيــحُ الــوجه كذابُ
أنا وأنــت بــه والحــق أغــرابُ

كنا معــاً ومضــةً في ليلــه ومُــنىً
تهفــو لهــا أنفسٌ حَــيْرى وألبَــابُ

كيف افــترقنا بهــذا التيــه؟ وانغلقــت
بيــني وبينــك أبــوابٌ وأبْــوابُ

لا صَرْخــةٌ عَــبرَت مــني إليــك ولا
شــعَاعُ حُــزنٍ عَلى الأفــاقِ جَــوَّابُ

عيناك لي مــن سُمــوم الغَــدْر ملتجــأ
عَيناك لي مــن فحيــح الشَّــكِ محْـرابُ

إمّا أبــوحُ بمــا يخــفى وتلقفــني
مخــالبٌ تتشــهّاني وأنيــابُ

★ ★ ★

ما هَــاجرَ الــطيرُ إلا عنــدما ســكنت
بــرَوْضِهِ مِــنْ عجَــافِ البــوم أسْرابُ

والأسْدُ في الغــابِ مــا طابتْ لهَــا جيفٌ
إلا إذا جَــوَّعت آســادَها الغــابُ

يا ويلــتي فــدبيبُ الــدَّاءِ في رئــتي
وفــوْقَ جســمي لــلاذلال أثــوابُ

مصــفرَّةٌ بَســمَتي مســودةٌ شــفتي
جــريئةٌ نــظرتي والقلــبُ هيَّــابُ





عمري فــداءُ لفجــر فــاتَ مــوعدُهُ
ولم أكنْ فيــه حــتى الآن أرتــابُ

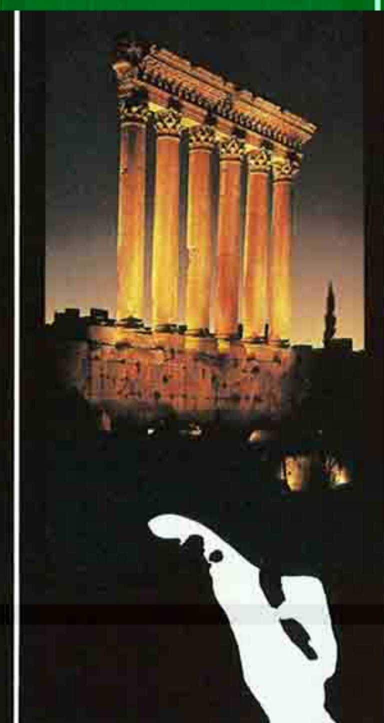
لــكنني ونيــوبُ الجــوع تنهشــني
وفي شِــفاهيَ يــطوي اللّحــن إرهَــابُ

والليــلُ يحشــد غــيْمَ الــزيفِ في أفقي
والأرضُ يــذوي بهــا نبــت وأعشــابُ

قد لا يَضــيرك مــني إن ســألتُ مَــتى
يا صاحبي غيم هــذا الــزيف يَنجــابُ





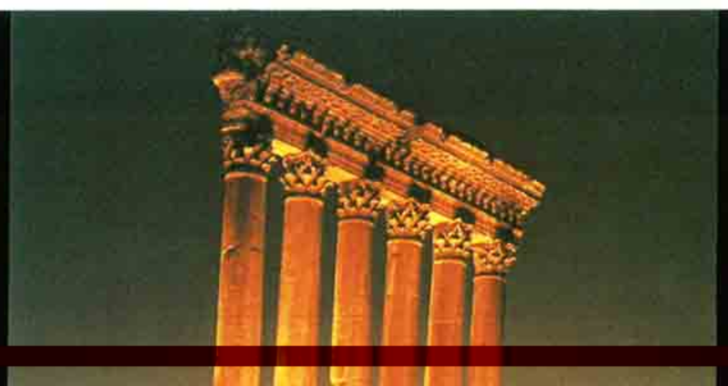


★ معابد بعلبك في الماضي، كما تخيلها الرسام ★

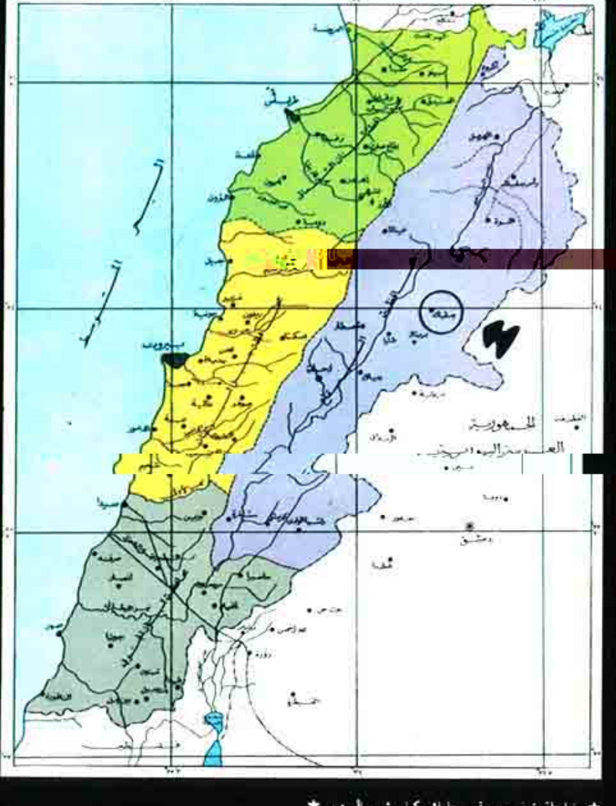
بعلبك
مدينة الشمس

بقلم: د. فوزي أحمد الأحدب

★ إذا كانت بعض المدن قد حظيت بعناية التاريخ لها للدور الذي لعبته في كثير من مجالات الحياة والشعوب المختلفة بحكم موقعها من ناحية، ولعوامل أخرى ساهمت مع الأيام في ايجاد خصائص مميزة لها، فإن مدينة بعلبك واحدة من هذه المدن التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ عدد من الشعوب ابتداء من العهد البرونزي القديم (٢٩٠٠ ـ ٢٣٠٠ ق. م)، والعهد البرونزي المتوسط (١٩٠٠ ـ ١٦٠٠ ق. م)، وهذا يعني أن تاريخ هذه المدينة تمتد جذوره العريقة إلى أكثر من أربعة آلاف سنة ★




★ الأعمدة الستة في معبد جوبيتر.. في الليل ★



★ خارطة توضح موقع بعلبك كما يشير السهم ★

ومدينة كهذه لا شك أنها قد تأثرت بكل العصور على مدى كل الحقب التاريخية ، وهذا التأثير منحها مكانة ، جعلتها تستأثر باهتمام المؤرخين ، وعلماء الآثار .

وإذا كانت تلك هي مكانة بعلبك على صفحات التاريخ القديم ، فإنها لم تفقد تأثيرها في التاريخ المعاصر ، وما زالت تحظى بالاهتمام الكبير على المستوى العلمي ، ومستوى الأفراد الذين يأتون إلى لبنان لقراءة التاريخ على الطبيعة من خلال آثارها الباقية التي لم تؤثر فيها عوامل الزمن بصورة تفقدها بريقها ، وتألقها ★

الموقع

تقع مدينة **(بعلبك)** على ارتفاع ٣٧٧٠ قدماً عن سطح البحر ، في **وادي البقاع** الخصيب الذي كان يسمى في التاريخ القديم (سورية المجوفة) . ويحد وادي البقاع من الشرق ومن الغرب جبال لبنان الشرقية والغربية ، ويتراوح عرض هذا الوادي بين ستة وعشرة أميال . ويقرب هذه المنطقة تقع نقطة توزع المياه حيث يتجه **نهر العاصي** Orontes ببطء نحو الشمال ، بينما يتجه **نهر الليطاني** Leontes نحو الجنوب . وهي بهذا تسيطر على حوضي الليطاني والعاصي .

وكما هي الحال في كثير من المدن التاريخية والقديمة هنالك **(بعلبك) الحديثة** بأسواقها ومساجدها ومقاهيها الفسيحة وفنادقها السياحية ومهرجاناتها الدولي ، وهي اليوم المدينة الرئيسية وأكبر مركز زراعي في محافظة البقاع في لبنان . **وهناك بعلبك الأثرية** التي تكاد تمتزج ببعلبك الحديثة فتتداخل البيوت والبساتين مع الآثار .

لقد اجتذبت (بعلبك) القديمة ، نظراً لوقوعها على طرق التجارة قوافل التجار إليها فكان على القوافل القادمة من موانىء المتوسط والمتجهة إلى الداخل والقوافل القادمة من بلاد ما بين النهرين أو الشرق أن تتوقف هنا فتحط الرحال إلى حين ، قبل أن تتابع رحلاتها . ولعل وفرة المياه العذبة في منطقة (بعلبك) كانت سبباً من أسباب توقف القوافل ، فنبع **(رأس العين)** مثلاً لا يبعد عنها كثيراً ويقع إلى الجنوب الشرقي منها ، وهنالك نبع آخر في **(عين لجوج)** على بعد ستة كيلومترات ، يمد المدينة بالمياه العذبة .

في إعراب بعلبك

جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي ما يلي :

« ولهذا الاسم ونظائره من المركبات أحكام ، فإن شئت جعلت آخر الأول والثاني مفتوحاً بكل حال كقولك : هذا بَعلَبَكُّ ، ورأيت بعلبكَّ ، وجئت من بَعلَبَكَّ ، فهذا تركيب يقتضي بناؤه ؛ فكأنك قلت بعلَ وبَكَّ ، فلما حذفت الواو أقت البناء مقامه ففتحت الاسمين كما قلت خمسَ عشرَ ، وإن شئت أضفت الأول إلى الثاني فقلت : هذا بعلُبكٍّ ، ورأيتُ بعلَبكٍّ ، ومررتُ ببعلِبكٍّ ، اعربتَ بعلاً وخفضت بكاً بالإضافة ، وإن شئت بنيتَ الاسم الأول على الفتح وأعربت الثاني بإعراب ما لا ينصرف فقلت : هذا بعلَبَكُّ ، ورأيت بَعلَبَكَّ ، ومررت ببعلَبَكَّ .

وتصغير بعلبك بُعَيْلَبَكّ ، كما تقول في طلحة طُليحة . وتقول في ترخيمه لو رخمته (يا بَعْلُ) كما تقول (يا طلحُ) ، وتقول في النسب إليه (بَعْلِيٌ) ، كما تقول (طلحي) ، وأما من قال (بَعلَبكيّ) فليس بعلبك عنده مركبة ولكنه من أبنية العرب » .



★ منظر عام لآثار بعلبك من الجو صورة التقطت عام ١٩٣٢م ★

بعلبك أو هيليوبولس

بَعْلَبَكّ : من الأسماء السامية مركب من (بَعْل) و (بَـك) ، وقـد ذكرهـا **الهمذاني** في كتابه (صفة جزيرة العرب) وعربها (باعِلُ بَـك) . وقـال يـاقوت في المعجم : « اسمها مركب من (بعل) اسم صنم و (بَكُّ) عنقهُ أي دقها » .

وكلمة (بعل) في اللغة السامية تعني (السيد) ، وفي اللغة العربية (البعل) هو الزوج . وكلمة (بعلبك) تعني (بعلُ البقاع) . ويبدو أن عبادة (بعل) قد انتشرت بين الأقوام السامية ، واتخذ هذا الوثن أسماء متعددة فهو بعل أو حدد أو أداد (**عند الأكاديين**) أو (بعل شمـين) في مملـكة تـدمر . **وقـد ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ أتـدعون بعـلاً وتـذرون أحسـن الخالقين ﴾** [١] .

وقد تغير اسم المدينة من بعلبك إلى (هيليوبولس) في عهد **الإغريق** . وبما أن الإغريق طابقوا (بعلاً) مع (هوليوس) وجعلوه معادلا لـه ، وذلك في سبيل قيام علاقات متقاربة بين مصر وسورية تحت حكم **البطالسة** (حـوالي ٣٠١ ق . م) ، فإن هؤلاء المكدونيين قد وجدوا أنه من المناسب اطلاق هـذا الاسـم (هليـوبولس) عليها ، وذلك لربط المراكز الوثنية فيها مع المراكز الوثنية في (هليوبولس) في مصر . واصبحت بعلبك تعرف باسم (هليوبولس) أي مدينة الشمس منذ ذلك الوقت ، واحتفظ الرومان بهذا الاسم الإغريقي للمدينة . ومع ذلك فإن التأثير السامي لم ينقطع وبقي العرب يعرفونها باسم (بعلبك) ، وقد ذكرها أمرؤ القيس فقال :

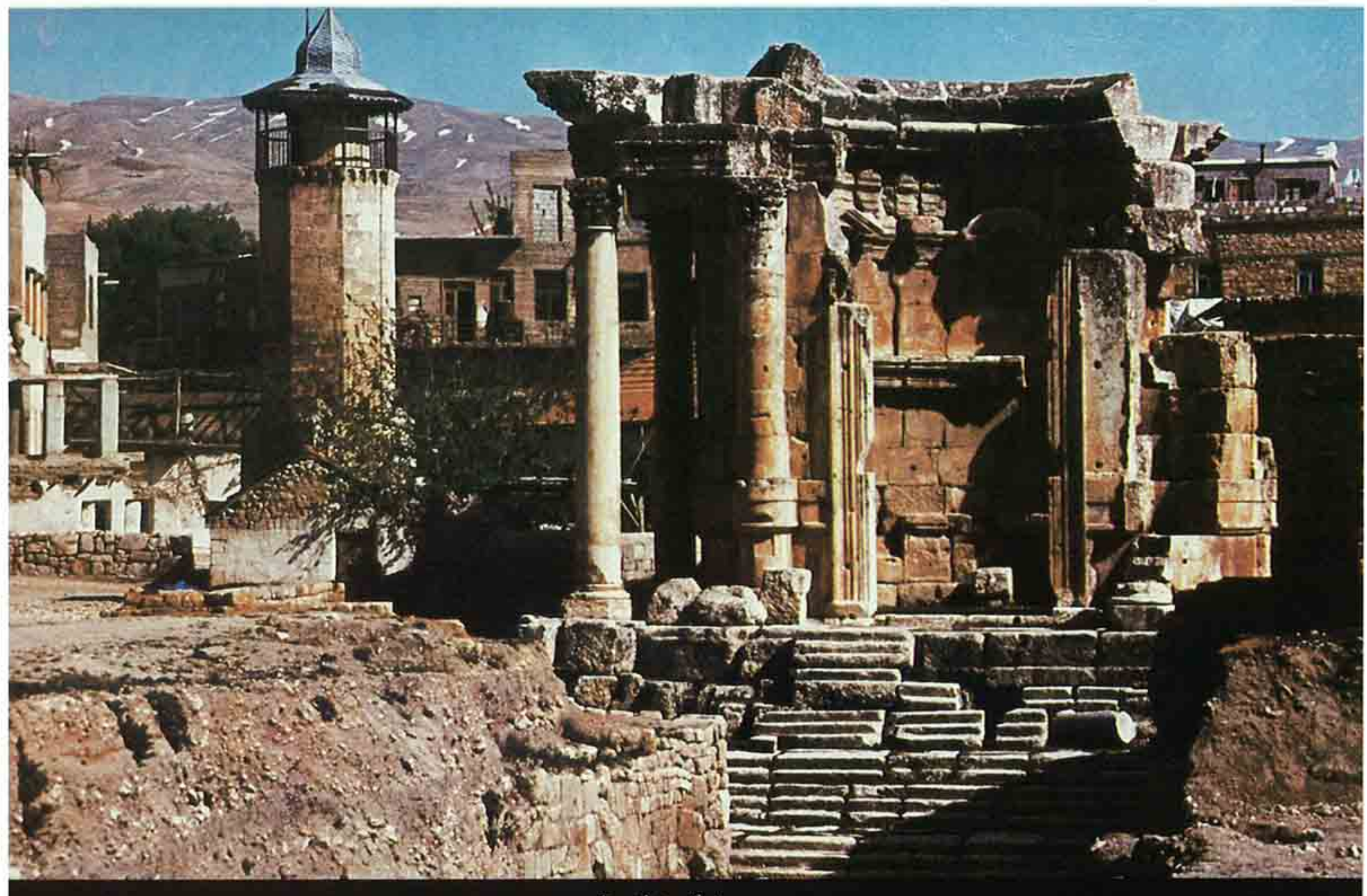
لقـد أنكرتني بعلبـك وأهلهـا
ولابـن جـريج في قـرى حمص انـكرا

وهكذا نجد أن أكثر المقاطعات والجبال والأنهار التي اتخذت أسماء يونانية أو رومانية تعرف اليوم بأسمائها السامية .

في العهود السامية والإغريقية

يعود تاريخ بعلبك إلى أكثر من أربعة آلاف سنة . وقد وجدت آثار تحت القاعة الكبرى لمعبد **(جوبيتر)** تشير إلى أن هذه المنطقة كانت مـأهولة قبـل الإغـريق والرومان . فقد كشفت الحفريات عن أساسات لمنازل من **العهـد الـبرونزي** المتوسط (١٩٠٠ ـ ١٦٠٠ ق . م) ، كما وجدت قطع من الأواني الفخارية وغيرها تعود إلى العهد البرونزي القديم (٢٩٠٠ ـ ٢٣٠٠ ق . م) ، ووجـدت آثـار تعود إلى عهود **الهكسوس** (١٧٣٠ ـ ١٥٨٠ ق . م) .. ولا نعلم عن بعلبك قبل وصول الرومان إليها سوى أنها كانت مركزاً لعبادة بعل أو حـدد . ولم يـرد اسمها في الألواح التي أثبتت المعاهدات الحربية **الآشورية** ، كما لم يـرد ذكرهـا في تـاريخ **الآراميين** أو فتوحات وغزوات **الفرس** . ولا بد أن بعلبك كانت حينذاك مـركزاً تجارياً صغيراً على طريق القوافل ، ويجمع المؤرخون على أنـه في تلك الحقبـة سـادت فيها عقيدة وثنية غامضة ، وبعد ذلك نشأت عقيدة وثنية تقـدس ثـلاثة أنـواع مـن الأصنام هي : (بعل أو حدد) ورفيقته (آتارجاتيس) ، ووثـن آخـر قـد يـكون (هيرمز أو عطارد) . وأهم تلك الأصنام كان بعـل أو حـدد ، فـكانوا يعتقـدون ويزعمون أنه يرسل المطر أو يمنعه عنهم عندما يغضب منهم !! وكانوا يخافونه لأنه ـ كما يقولون ـ يرسل الخراب والدمار مستخدماً السـيول والصـواعق . كما كانـوا يقدسون وثناً آخر على شكل امرأة يدعونها **(آتارجاتيس أو عتـار)** ، تحيط بها تماثيل الأسود ، بينما كانت تحيط ببعل تماثيل الثيران ، وهـذا الأخير دعي فيما بعـد بأسماء مختلفة فهو **زيوس** في فترة الإغريق ، وهو **جوبيتر** عند الرومان .

وعندما اخترق **الإسكندر الأكبر المكدوني** سورية خـلال زحفـة مـن آسـيا الصغرى إلى مصر ضم سورية إليه ودمجها في إمبراطوريته المكدونية . وعنـدما حـاصر مدينة **صور** في سنة ٣٣٢ ق . م . قـرر أن يسـير داخـل سـورية على رأس بعض الفصائل من الرماة والفرسان ، وقطع وادي البقاع ووصل إلى بعلبـك . وبعـد وفـاة



★ آثار معبد فينوس ★

الإسكندر سنة **٣٢٣** ق.م. انقسمت إمبراطوريته بين قواد جيشه، وهكذا كانت سورية من نصيب **(سلوقس)** Seleucus، ومصر من نصيب **(بطليموس)** الذي أضاف إليها فيما بعد فينيقيا وسورية، وأصبحت سورية ولبنان تحت حكم البطالسة. وفي سنة ٢١٩ ق.م، قام أحد أحفاد (سلوقس) وهو **(أنطيوشيوس) الثالث** باحتلال فينيقيا وأخرج البطالسة منها وبقيت تحت حكم السلوقيين حتى سنة ٦٩ ق.م، عند سقوط أسرة السلوقيين وبداية الحكم الروماني.

ومعابد بعلبك توضح هذا الأثر المزدوج للتأثير **الهيليني** (الإغريقي - السوري) **والروماني**. فوضع المعابد شرقي ورؤوس أعمدتها إغريقية (كورنثية) والإضافات إليها تعتبر رومانية الطراز.

في العهد الروماني

في سنة ٦٩ ق.م، انهارت دولة السلوقيين وذلك عندما قام الرومان بقيادة **(بومبي)** Pompey بحملة ضد الشرق جعلوا فيها من سورية ولاية رومانية وأصبحت بعلبك مستعمرة رومانية. ولم يؤسس الرومان سوى مستعمرات قليلة في سورية، فكانت لهم جالية من المحاربين في **بيروت** وأخرى في بعلبك. وقد فطن الرومان إلى أهمية المدينة من الناحية العسكرية والاقتصادية والدينية. فمنحوها فيما بعد قابلية تطبيق **القانون الروماني** فيها واعتبارها أرضاً رومانية غير مشمولة بنظام المستعمرات. وهذه المنحة المسماة ius Italicum لا تعطى إلا للمدن التي تحوز على رضاهم واعجابهم. وقد حدث ذلك في عهد الإمبراطور الروماني **(سيبتيموس سيفروس)** الذي حكم من ١٩٣ - ٢١١م، كما أعفى سكانها من الضرائب.

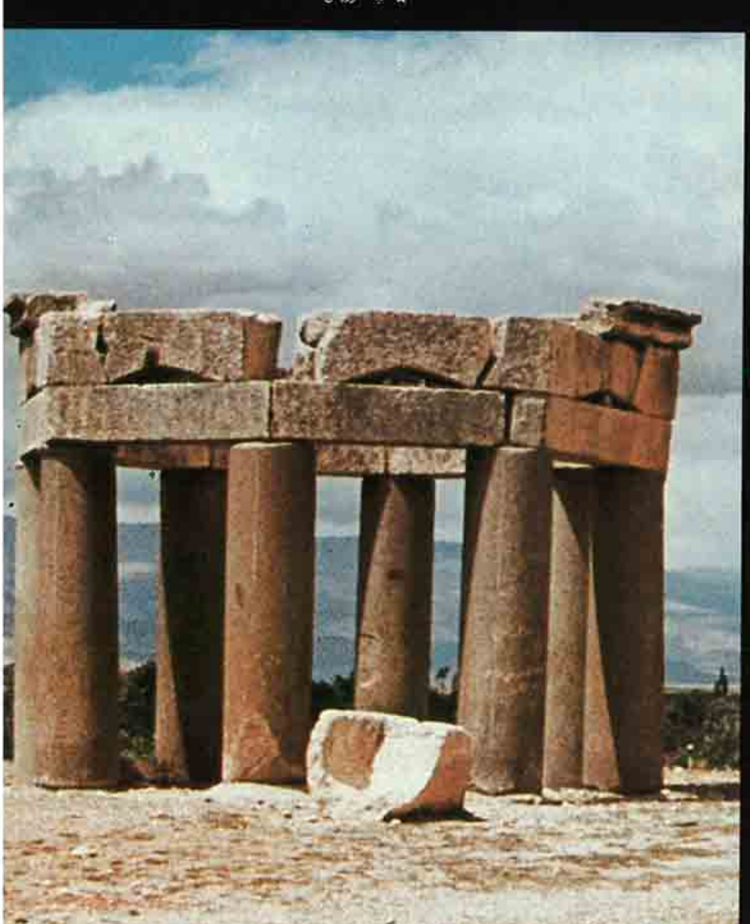
وقد وجد الرومان أنه من المناسب من الناحية السياسية أن يقيموا معبداً لبعل / حدد وأن يعطوه اسم وثنهم جوبيتر. وأقيم المعبد على المعبد الأصلي وبدأ الأباطرة الرومان بتوسعته. وقام **تراجان** باختبار مقدرة الكهنة على التنبؤ وذلك قبل أن يبدأ حملته الثانية ضد الفريتيين في سنة ١١٦م. وقد تلقى جواباً على أسئلته بصورة رمزية وكان الجواب عبارة عن حزمة من العيدان ملفوفة بقطع من القماش. وكان موت تراجان في **(كلكيلية)** سنة ١١٧م، ونقل رفاته إلى روما تفسيراً كاملاً إن لم يكن متأخراً لما ظهر من المعبد.

وقد بدأ التوسيع المتقن لمعبد هيليوبولس في عهد **(أنطونيوس بيوس)**، (من ١٦١ - ١٨٣م). واستمر حتى زمن **(كاراكالا)** (من ٢١١ - ٢١٧م)، وغيره من أباطرة السلالة السورية، الذين أتموا البناء وجعلوه من عجائب الدنيا.

وتظهر صورة المعبد لأول مرة على أحد وجهي نقود سيبتيموس سيفروس. وحفر ابنه الإمبراطور كاراكالا ووالدته الحمصية **جوليا دومنة**(٢) كلمة (هيليوبولس) على نقودهما. ولا تزال النذور على شرف هذين الاثنين مقروءة جزئياً في اللغة اللاتينية على قاعدة رواق المعبد، حيث تقول الكتابة الأثرية إن الأعمدة النحاسية قد دشنت وطليت بالذهب على شرفهما.

كما يرد اسم المعبد على نقود الإمبراطور **فيليب العربي** (٢٤٤ - ٢٤٩)، وكان عربياً من قرى حوران كما كان قائداً للحرس قبل أن يعتلي عرش الإمبراطورية. وكانت تقام في المدينة احتفالات سنوية، ومعرض تجاري وألعاب رياضية. وقد جعل المعبد من بعلبك أشهر مدينة في منطقة لبنان وثاني مدينة بعد أنطاكية في ولاية سورية لعدة قرون.

★ مدرجات معبد جوبيتر ★



★ قبة دوريس ★

وعندما اعتنق **الإمبراطور قسطنطين المسيحية** عام ٣١٢م، قام بإغلاق المعابد الوثنية، وأمر ببناء كنيسة في الطرف الغربي، وهي من نوع **(البازيلكا)**. ولكن الوثنية عادت من جديد في **عهد جوليان** (٣٣١ - ٣٦٣)، فأعاد فتح معابد الأوثان في بعلبك وهدمت الكنائس وتم نهب محتوياتها وحدثت مذابح ضد المسيحيين في عهده.

وقد نقل الإمبراطور **جوستنيان** من بعلبك الأعمدة من **(البورفير)** التي جلبت بالأصل من مصر، واستعملها في بناء **كنيسة القديسة صوفيا**، وظهر في أحد هذه الأعمدة، بعد أن كسر، المعدن الذي يصل بين أقسامه.

وهكذا استطاع الرومان - من بعلبك - أن ينقلوا ثقافتهم وحضارتهم إلى أجزاء أخرى من إمبراطوريتهم.

الفتح الإسلامي

يذكر المؤرخ والجغرافي **(سترابو)** الذي عاش في القرن الأول بعد الميلاد، **أن منطقة البقاع يسيطر عليها العرب. وهذا يدل على أن القبائل العربية استوطنت المنطقة وامتزجت مع السكان المحليين.** ويضيف (سترابو) أن **هذه السلالات العربية حكمت البقاع وأرهبت المناطق المجاورة خلال حكم السلوقيين وحتى الحكم الروماني.** وكان هؤلاء العرب من الأنباط ويسميهم (سترابو) (بالعرب والعيطوريين)[٣]، وقد تم ذلك قبل العهود المسيحية بفترة طويلة.

وبعد انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين في القرن الخامس بعد الميلاد



★ نقود إسلامية من العصر الأموي وجدت في بعلبك ★



★ نقود رومانية من عهد الإمبراطور «كاراكلا» ★

أصبحت سورية ولبنان في نطاق **الإمبراطورية الشرقية** ، أي النصف البيزنطي . وقد كانت تلك الفترة مليئة بالحروب ولم يسد السلام بين الفرس والروم .

وقد تم لأبي عبيدة فتح المدن السورية التي سارعت إلى فتح أبوابها لاستقباله ، وخرج أهلها يصحبهم الناقرون على الدفوف والمنشدون .

ويقول **ياقوت الحموي** في معجمه : «ولما فرغ أبو عبيدة بن الجراح من فتح دمشق في سنة أربع عشرة للهجرة ، سار إلى حمص ، فمر ببعلبك فطلب إليه أهلها الأمان والصلح ، فصالحهم على أن أمنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وكتب لهم كتاباً أجلهم فيه إلى شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، فمن جلا سار إلى حيث شاء ومن أقام فعليه الجزية» . وهكذا نجد أنه لما جاء العرب بالدين الإسلامي الحنيف ، وجدوا أن الكثيرين من السوريين لم يحاولوا أن يصدوهم دفاعاً عن المسيحية ، كما وجدوهم كارهين للأرستقراطية الدينية والبيزنطية . وهكذا لم يواجه العرب المسلمون أية مقاومة في فتح بلاد الشام والعراق ومصر من السكان المحليين ، بل على العكس من ذلك كانوا يؤيدون العرب ويكنون لهم الود . ذلك أن المسلمين حكموا بالعدل وأصبح المسيحيون واليهود آمنين على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم . وهكذا دخلت بعلبك تحت حكم العرب المسلمين ـ مثل بقية المدن في بلاد الشام ـ سنة ٦٣٧م .

وقد عمد **معاوية** سنة ٦٦٩م ، إلى نقل جماعة من أهل العراق إلى الساحل البحري وانطاكية كما سبق أن نقل إليها جماعات من فارس ليحلوا محل الروم الذين نزحوا عنها إثر الفتح الإسلامي . وعمد إلى حشد هؤلاء الوافدين في **صيدا وبيروت وجبيل وطرابلس وعرقة وبعلبك** ومدن أخرى وذلك كتدبير وقائي لصد غزوات الروم البحرية .

ويبدو من النقود الأثرية أن دار سك العملة في بعلبك استمرت في عملها في **العصر الأموي** . وقد وجدت عملات تعود إلى بداية حكم معاوية وهي تحمل صورة **هرقل** واسم (هليوبولس) بأحرف يونانية وكلمة (بعلبك) بالأحرف العربية . وصدر بعد ذلك نوع جديد من العملة يحمل صورة تمثل الخليفة بردائه العربي مع عبارة **(أمير المؤمنين)** وعبارة **(محمد رسول الله)** . ويبدو أن هذا النوع من العملات قد أبطل تداوله ، وأصبحت العملات الجديدة التي لا تحمل صوراً ، بل شعار الإسلام : **(لا إله إلا الله محمد رسول الله)** يضاف إليها أحياناً عبارة : (ضرب في بعلبك) .

وقد تحولت معابد بعلبك إلى قلعة حصينة في العهود الإسلامية . وأزيلت عن المعابد الزخارف الخارجية البارزة خشية تسلقها من قبل الأعداء ، وحفر حولها خندق يمنع الوصول إليها . كما بنوا أبراجاً حربية على سطح الأعمدة في الزاوية الجنوبية الشرقية لمعبد **(باخوس)** ، ورفعوا جداراً ضخماً تزيد سماكته على ثلاثة أمتار أمام مدخله الرئيسي . وقد هدم بأمر والي سورية العثماني **رشيد باشا** عام ١٨٧٠م ، وقد أضاف إليها العرب عنابر للجنود واسطبلات للخيل وخزانات للمياه وبنوا في داخلها مسجداً . كما كان يحيط بالمدينة سور ضخم ، ومع ذلك كان السكان يلجأون إلى القلعة للاحتماء بها أثناء حصار المدينة .

وقد بقيت بعلبك ، خلال فترات طويلة ، جزءاً من إقليم دمشق وأحياناً كانت تابعة لباشا طرابلس ، إلى أن جاءت السلطة الفرنسية المنتدبة فضمتها إلى لبنان .

أما تاريخ بعلبك **فهو** تاريخ حافل تعرضت فيه للحصار والغزوات والفتن ، وخلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر م ، أحاطت بها الويلات من كل جانب وهذه الفترة تخللتها الحروب والفيضانات والزلازل والفتن الداخلية .

في سنة ٩٠١م ، قام قائد القرامطة **(زكرويه)** بزحفه على سورية وهزم الحامية الطولونية وحاصر دمشق واحتل حمص وقضى على عدد كبير من أهالي حماة ومعرة النعمان وكاد أن يبيد سكان بعلبك .

وفي عهد **الحمدانيين** بعد موت **سيف الدولة** حدثت فتن داخلية وانقسامات مما مكن **نقفور** من بسط سلطانه على الجزء الشمالي من سورية في سنة ٩٦٨م ، وبعد ذلك بست سنوات قام باخضاع المدن الساحلية ومنها بعلبك .

كما مر الفرنج عبر وادي البقاع أثناء حروبهم المتكررة علماً أن المدن الداخلية نظير حمص وحلب وحماه وبعلبك ودمشق لم تقع بيد الصليبيين مع أنها كانت هدفاً لشن غارات عليها بين الحين والحين . وفي عهد **دولة الأتابكة** الحقت بعلبك بسلطة **عماد الدين زنكي** .

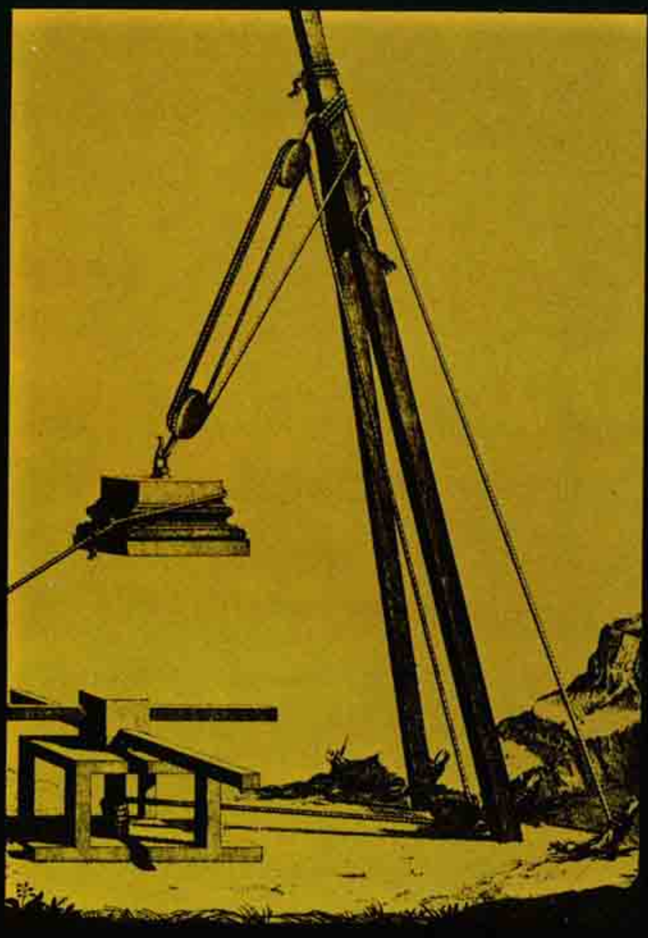
وفي عام ١١٥٧م ، خضعت المدينة لسلطة **صلاح الدين الأيوبي** بعد أن كان النزاع مستحكماً بين الأمراء والأتابكة .

وفي عام ١٢٥٨م ، زحف **هولاكو** من الشرق وقضى على الخليفة العباسي ودمر معظم المدن السورية ، وعندما وصل إلى بعلبك أمر جيشه بنهبها وتخريبها ، ولم تسلم مساجدها من الدمار .

ويبدو أن بعلبك عانت كثيراً من حكامها في عهد المماليك حتى إن الأوامر السلطانية كانت تنقش على الجدران الحجرية بكف يد الولاة وجامعي الضرائب الزائفين ، أو بإعفاء السكان من الضرائب وإعطائهم حريتهم في التجارة والمعاملات .



★ التحصينات العربية ، تظهر فوق الأعمدة القديمة ★



★ رافعة ذات « بكرات » استخدمت في البناء قديماً . عن كتاب (فن العمارة - لندن - أ . شيراني) ★

الكشف عن آثار بعلبك

أثارت بعلبك اهتمام المؤرخين والجغرافيين العرب منذ مطلع القرن التاسع الميلادي ، وجاء وصفها وتحديد موقعها في مؤلفات كثير منهم ، ونذكر منهم على سبيل المثال : **المقدسي والإدريسي والدمشقي وأبو الفداء وياقوت والمسعودي وابن بطوطة** وغيرهم .

ونسب بعض منهم بناءها إلى الجن وقال إنها كانت للنبي سليمان عليه السلام وأنه قدمها مهراً لبلقيس .

وقال ياقوت الحموي : إن « يونان قد اختارت لهذا الهيكل قطعة أرض في جبل لبنان ثم في جبل سنير ، فاتخذته بيتاً للأصنام . وهما بيتان عظيمان أحدهما أعظم من الآخر ، وصنعوا فيهما من النقوش العجيبة المحفورة في الحجر الذي لا يتأتى حفر مثله في الخشب . هذا مع علو سمكها وعظم أحجارها وطول أساطينها » .

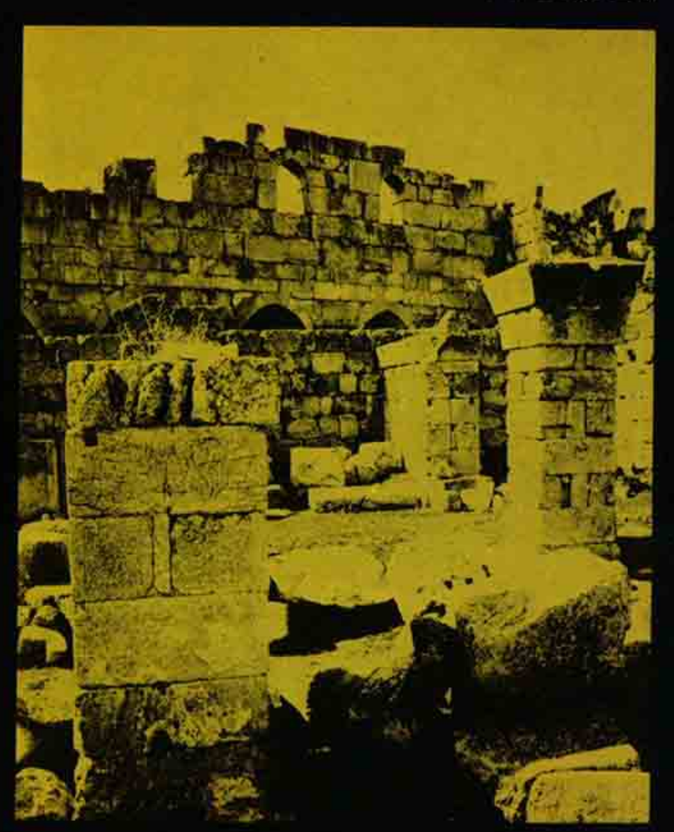
وجاء في **نيل الأرب** : « هي هيلوبوليس القديمة ، موقعها قرب منبع نهر العاصي الشهير ، كانت قديماً مدينة عظيمة من أحسن المدن وأمتعها ، وكان فيها أسواق عديدة وسور عظيم ، تراكم عليه السيل مرة فدفعه ، وطغت المياه فوق المدينة فدمرت ما ينيف عن الألف وخمسمائة بيت ، وهي شهيرة بقلعتها البديعة البناء ، بأركانها ، وأعمدتها ، وحجارتها الهائلة . . . » .

ولقد استأثرت هذه الآثار الرائعة بإعجاب القدماء بأحجارها الضخمة وأعمدتها العالية . ويبلغ قياس الجوانب في ثلاث من هذه الحجارة التي تعلو عشرين قدماً عن سطح الأرض ٦٢ × ١٤ × ١١ قدماً لكل حجر منها . وقد قدر أن الحجر الواحد يكفي لبناء بيت مربع الجوانب يبلغ سمك جدرانه قدماً واحداً وطول واجهته ستين قدماً وعلوه أربعين قدماً ! ولا تزال صخرة من هذه الصخور موجودة في المقلع الكائن في ضواحي المدينة . وهكذا فإن خرائب معبد هليوبولس تفوق أية خرائب أخرى وصلتنا من عهد الرومان بما فيها خرائب روما نفسها .

وقد قام الإسباني **(بنجامين توديلا)** برحلته من سنة ١١٦٠ وحتى ١١٧٣ م ، إلى المشرق العربي فأثارت دهشته تلك الحجارة الضخمة التي تقف دون أن يمسكها جص أو ملاط .

وفي سنة ١٤٣٢ م ، زارها **(دولا بروكيير)** ووصفها بقوله : « مدينة جميلة تحيط بها أسوار حصينة وفي وسطها حصن مبني بحجارة ضخمة » . ففي تلك الفترة

★ مسجد في قلعة بعلبك ★





★ الأعمدة الستة في معبد جوبيتر، ومعبد باخوس ★

كانت تظهر آثارها وكأنها قلعة، لأن العرب قد حصنوا مجموعات الأعمدة ودعموها وحولوها إلى قلعة حربية.

واول من حاول أن يدرس آثار بعلبك وأن يرسم مواقعها وخرائط مبانيها هو (روبرت وود) وزميله (جيمس داوكنز) في عام ١٧٥١ م، وقد استطاعا الحصول على أمر (فرمان) من السلطان العثماني وكتاب توصية من باشا طرابلس في ذلك الحين.

وفي القرن التاسع عشر تدفق كثير من السياح الأجانب إلى بعلبك، ولم يكتف بعضهم بنقش اسمه على الأعمدة بل حمل معه إلى بلاده ما أمكن نقله من كنوز بعلبك الأثرية من تماثيل وغيرها. ولذلك قامت الحكومة العثمانية في عام ١٨٧٤ م، باتخاذ الإجراءات القانونية لحظر الاتجار بآثار بعلبك أو نقلها، كما قامت بنقل بعضها إلى متحف القسطنطينية.

وفي الحقيقة فإن آثار بعلبك لم تدرس بشكل جدي. إلا في نهاية القرن التاسع عشر من قبل بعثة أثرية ألمانية كما سيأتي.

البعثة الأثرية الألمانية

بدأ الاهتمام الأوروبي بخرائب بعلبك في القرن السادس عشر. وقد بقي هذا الاهتمام على صعيد الاهتمامات الفردية حتى قبل انصرام القرن التاسع عشر بقليل. ففي عام ١٨٩٨ م، قام الإمبراطور الألماني (وهلم) الثاني بإقامة علاقات دبلوماسية متينة مع **السلطان عبد الحميد الثاني**، وقام بزيارة القسطنطينية مع عائلته وحاشيته. وزار قبر صلاح الدين في دمشق في الثامن من تشرين الثاني (نوفمبر)، وبعد ذلك بيومين قام بزيارة بعلبك. وأحيطت الزيارة بكثير من مظاهر الاحترام، وقام العثمانيون بتكريم القيصر وتخليد زيارته بأن وضعوا لوحاً كبيراً على جدار المعبد، نقش فيه، باللغتين التركية والألمانية ما يلي:

«من السلطان عبد الحميد الثاني إمبراطور العثمانيين، إلى صديقه المستنير ولهلم الثاني إمبراطور وملك بروسيا، والإمبراطورة أغوسطا فكتوريا، بمناسبة زيارة عظمتهم الإمبراطورية لبعلبك في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٨ م، تخليداً للصداقة الدائمة والمتبادلة».

وقد طلب القيصر من السلطان العثماني أن يقوم العلماء الألمان بالتنقيب الأثري في بعلبك لدراسة تاريخها والقيام بحفظ آثارها من عوامل التآكل والسقوط. وقد وافق السلطان على ذلك، وباشرت البعثة مهامها في نفس العام وانتهت بعد خمس سنوات في عام ١٩٠٣ م.

وقد أثارت تلك الزيارة والبعثة الألمانية أيضاً حفيظة الفرنسيين والانجليز في ذلك الوقت.

وتبين أن القوى الطبيعية من أمطار وسيول وزلازل قد دمرت بعلبك. وتشاهد في الجدران آثار الاضطرابات التي سببتها الزلازل. وفي العصور القديمة وقبل الفتح الإسلامي بقرن من الزمان تقريباً، حدث زلزالان في فترات متقاربة، أولهما سنة ٥٢٦ م، والثاني سنة ٥٥١ م، مما أدى إلى تدمير المعابد والبيوت ومقتل كثير من الناس. كما حدث زلزال عنيف سنة ١٧٥٩ م، أسقط كثيراً من الأعمدة والحجارة والإهمال الذي لقيته في تلك الفترة جعل كثير من السكان يستخدمون الأحجار ويقطعونها لإعادة بناء بيوتهم التي هدمها الزلزال.

★ معبد باخوس من الداخل ★

★ معبد باخوس كما هو اليوم ★

★ الإمبراطورة جوليا دومنه ، استنساخ عن تمثال ★



★ العهـــد الـــبرونزي الأول (٢٩٠٠ ـ ٢٣٠٠ ق.م)، فخار من بعلبك ★

يضاف إلى ذلك الحروب وغزوات الروم البحرية ، وهجمات المغول المتكررة ، وقطع الحجارة وإعادة استعمالها ، وطمع بعض الناس في آثارها ، أو استخراج المعدن الذي يصل بين أجزاء الأعمدة لإعادة استخدامه في الحاجات اليومية ، كانت من العوامل التي أدت إلى اضعاف البناء ودماره .

ويعترف المؤرخون بفضل العرب في محافظتهم على آثار بعلبك إذ إن القلعة العربية التي ضمت المعبد الكبير والمعبد الصغير والتحصينات والأبراج التي أقاموها دعمت البناء وحفظت الآثار حتى بداية الكشف التاريخي في مطلع هذا القرن .

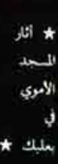
وقد استمرت عملية التنقيب والترميم الجزئي ـ أحياناً ـ في عهد الانتداب الفرنسي . وبذلت الحكومة اللبنانية كثيراً من الجهود في أعمال الترميم والصيانة .

كيف بنت المعابد ؟

يعتقد المؤرخون أن هذه الحجارة الضخمة قد استخرجت من المقالع القريبة من بعلبك ، ما عدا الأعمدة (الغرانيتية) التي جلبت من مصر . كما يؤكدون أنه قد استخدمت في جرها ورفعها إلى مكانها في البناء آلات شبيهة بما نعرفه اليوم .

وقد وضع المهندس **(ماركوس فيتروفيوس پوليو)** الذي عاش في القرن الأول الميلادي ، كتاباً في فن العمارة اسمه De architectura ، استقاه من خبراته الشخصية ، وما استند عليه من أعمال نظرية قام بها المهندسون الإغريق مثل **(هيرمو جينس)** الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد . كما كان هنالك مهندس شهير اسمه **(حيرون الإسكندري)** عاش في القرن الأول بعد الميلاد وله مؤلف في الميكانيكا Mechanics **(علم الحيل)** كتب في العصر الذي بني فيه معبد جوبيتر . وقد فقدنا ما كتبه حيرون باللغة الإغريقية ، لكننا وجدناه باللغة العربية .

إذ إن **قسطا بن لوقا البعلبكي** قام بترجمة هذا الكتاب في القرن التاسع الميلادي إلى اللغة العربية . ويبدو من هذه الأعمال أن مهندسي الإغريق والرومان عرفوا استخدام الروافع ومجموعات البكرات والحبال بنفس الطريقة المستخدمة اليوم . وبالطبع كان الحيوان يحل محل الآلة وأحياناً أخرى الجهد البشري . وتشاهد اليوم في حجارة بعلبك ثقوب في أعلاها وأسفلها ، كانت تستخدم لادخال أطراف الروافع والحبال فيها . ولم يستخدم البناؤون أي نوع من الملاط بين الأحجار بل اكتفوا بتركيزها بشكل جيد ووصلوا فيما بينها بأوتاد من البرونز أو الحديد المغطس في الرصاص منعاً للصدأ .



★ آثار المسجد الأموي في بعلبك ★

المعبد الكبير

ويسمى معبد (جوبيتر)، وقد استخدم الرومان المصطبة الخاصة بمعبد (بعل) والتي ترتفع (١٥) متراً عن سطح الأرض، وقد ارتبط بناؤه بمعطيات السياسة الرومانية الخارجية، إذ أرادوا أن يبرهنوا لأتباع الديانات الأخرى - في مستعمراتهم خاصة - على مقدرتهم في فنون العمارة والهندسة. وتحيط بمعبد جوبيتر مجموعة أعمدة كبيرة من الحجر ذات تيجان كورنثية تعلوها الأفاريز، ولا تزال ستة من هذه الأعمدة قائمة إلى اليوم تواجه جبال لبنان بروعة مهيبة. ويرتفع كل عمود منها إلى علو (٦٢) قدماً، ويبلغ قطره سبعة أقدام ونصف القدم. ويتألف كل عمود من ثلاث قطع من الصخر نضدت فوق بعضها وربطت بينها أوتاد من المعدن في تجويفها. ويبلغ طول كل جانب من الباحة التي أقيم فيها المذبح نحو (٣٤٠) قدماً.

وتقوم المصطبة التي ينتصب عليها المعبد على مجموعة هائلة من الأقبية. وكان يزين المعبد مختلفة أنواع النقوش والتماثيل الخاصة بالأباطرة والأصنام والحيوانات الخرافية ونبات القمح والخشخاش (اللذين يرمزان عندهم للحياة والموت)، وصور الجن المجنحين، وكيوبيد الذي يحمل السهام، وغير ذلك من نقوش ونذور وكتابات.

المعبد الصغير

ويطلق عليه معبد **(باخوس)** ويعتقد رئيس البعثة الألمانية أنه كان مخصصاً **(لديونيسيوس)**. ويرى **الدكتور جورج حتي** أنه كان معبد (أتار غارتيس)، بينما يرى آخرون أنه كان لفينوس أو ميركوري. وليس هناك رأي قاطع في ذلك. ويبلغ عرض بوابته الرئيسية ستة أمتار ونصف المتر، وارتفاعها ثلاثة عشر متراً ونصف المتر. ويقوم المعبد على قاعدة ارتفاعها خمسة أمتار، وكان يصعد إليه بثلاث وثلاثين درجة. وكان للمعبد (٤٧) عموداً، (١٥) منها في كل واجهة وثمانية على كل طرف. ويعتبر هذا الأثر أفضل أثر روماني في العالم من حيث المحافظه وبقائه.

وبسبب الهزات الأرضية انزلق الحجر الأوسط في عتبة البوابة العلوية عدة أقدام إلى أسفل وقد تم تدعيمه مؤقتاً في عام ١٨٧٠م، ببناء جدار تحته يمنعه من السقوط. وجدران المعبد من الداخل تحتوي على كوى غير نافذة موزعة على مسافات منتظمة، ويحيط بكل كوة عمودين من كل جانب.

وفي العهود الإسلامية تم تدعيم وتحصين مجموعات الأعمدة للمعبدين الصغير والكبير وشكلا معاً قلعة دفاعية حصينة.

★ القاعة السداسية ★

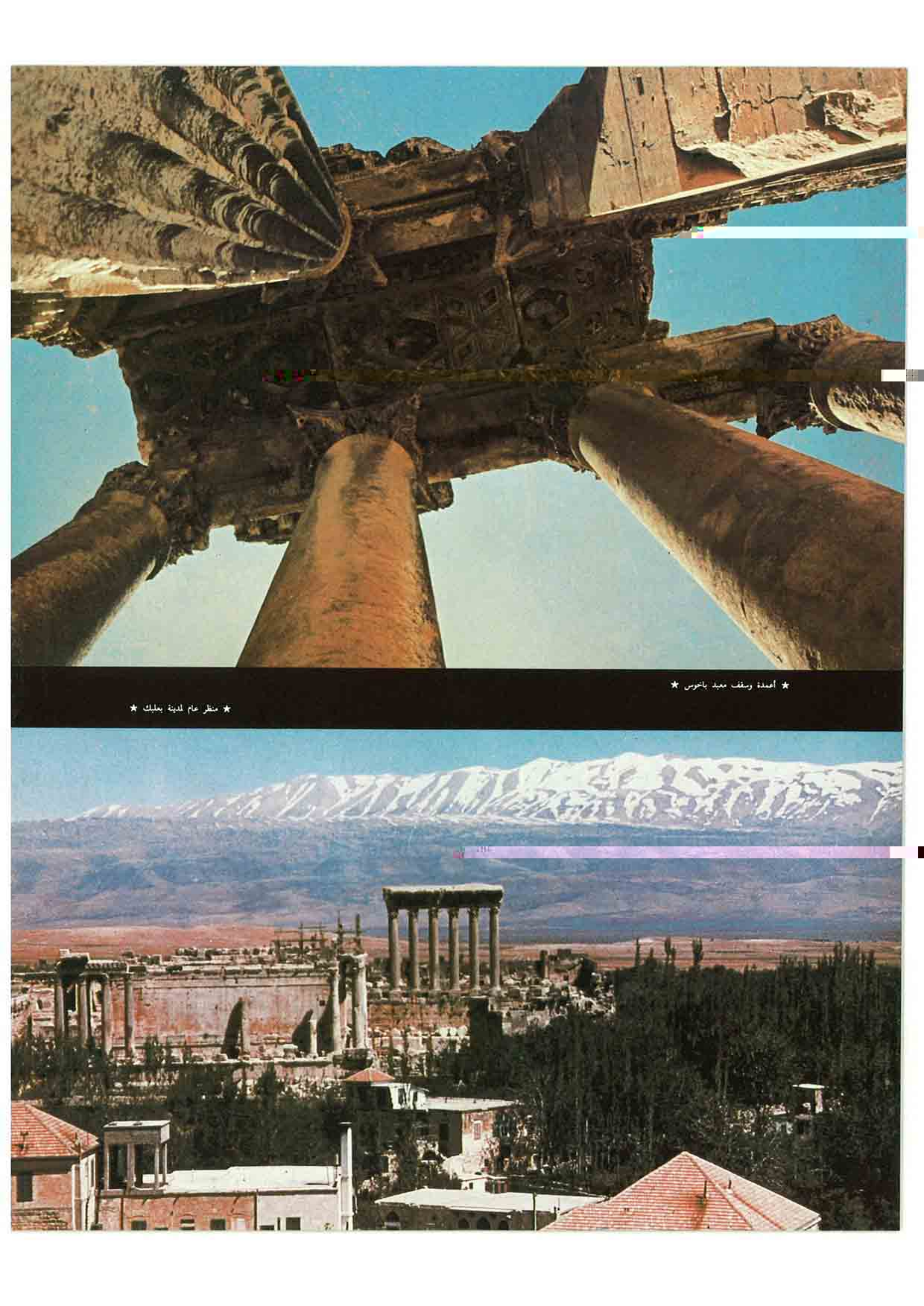
★ تفاصيل الأعمدة وزخارفها في معبد باخوس ★

المعبد المستدير

هو معبد دائري رشيق الشكل . كان مكرساً لوثن أنثوي هو **(تيش)** أو **(فورتونا)** Fortuna ، لكن أوائل المرتحلين إليه أطلقوا عليه اسم **(معبد فينوس)** وبقي هذا الاسم ملتصقاً به . وعند قدوم العرب بقي هذا المعبد خارج تحصينات القلعة العربية وهو يبعد عنها بحوالي (٣٠٠) متر . وقد ابتلعته مدينة بعلبك الناشئة في القرون الوسطى . وعندما بدأت البعثة الألمانية أعمالها ، كان هذا المعبد داخل البيوت السكنية والحدائق . واضطرت البعثة أن تزيل خمسة أمتار من الأنقاض والمخلفات للوصول إلى الدرجة الأولى في سلم المعبد . وقد أدت الزلازل العديدة إلى تهدمه وما بقي منه هو الجزء الجنوبي ، وفيما بين عام ١٩٣١ - ١٩٣٣م ، أعيد تركيب ما بقي من حجارته . وتوجد في المعبد ستة أعمدة ذات رؤوس كورنثية تحيط به ، كما أظهرت الحفريات الأثرية بالقرب منه وتحت مسطبته شوارع مرصوفة **(بالموزاييك)** ، ومعبداً آخر اسمه **(معبد الملهمات)** Temple of Muses .

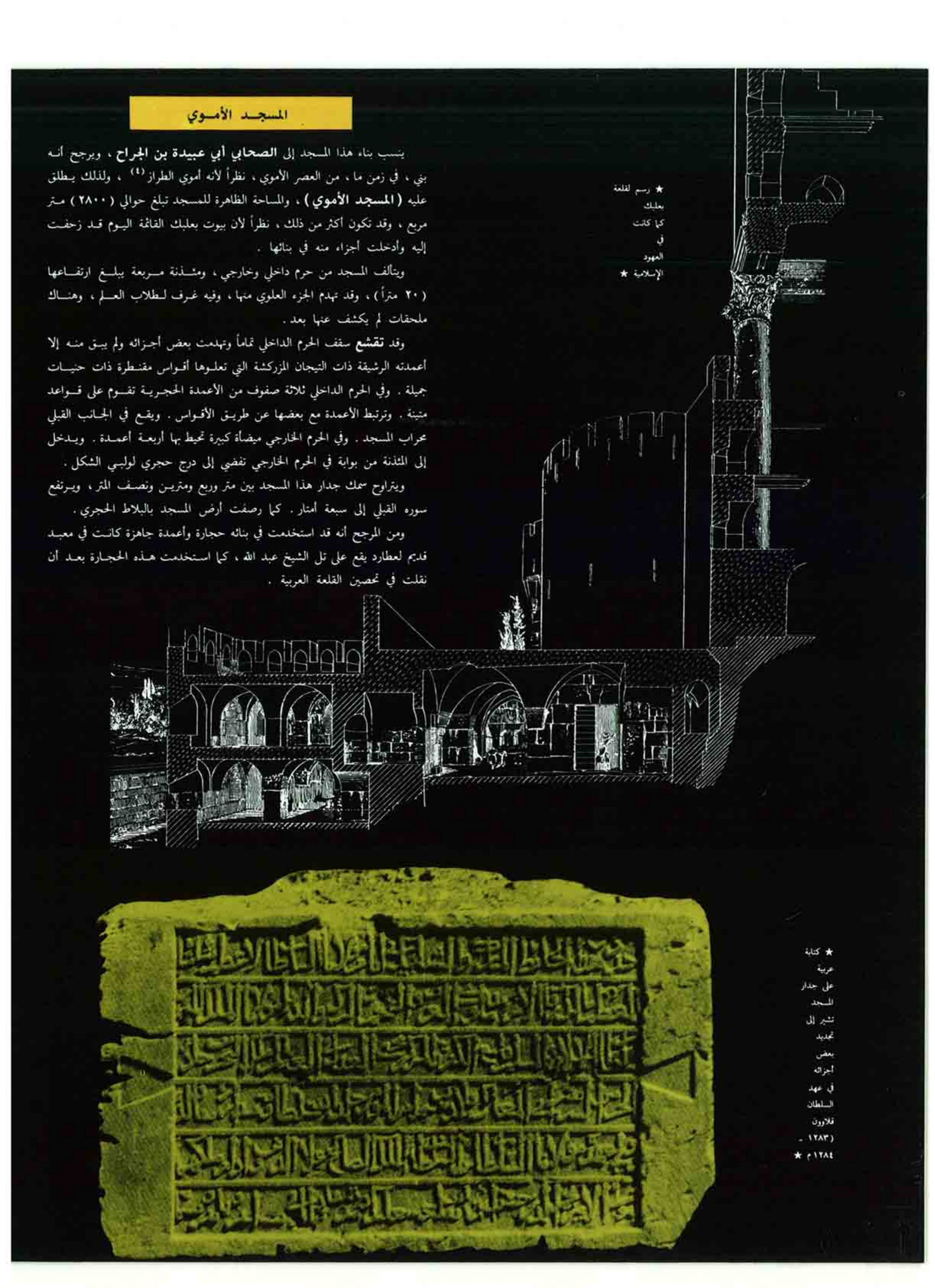






★ أعمدة وسقف معبد باخوس ★

★ منظر عام لمدينة بعلبك ★



المسجد الأموي

ينسب بناء هذا المسجد إلى **الصحابي أبي عبيدة بن الجراح**، ويرجح أنه بني، في زمن ما، من العصر الأموي، نظراً لأنه أموي الطراز[4]، ولذلك يطلق عليه **(المسجد الأموي)**، والمساحة الظاهرة للمسجد تبلغ حوالي (٢٨٠٠) متر مربع، وقد تكون أكثر من ذلك، نظراً لأن بيوت بعلبك القائمة اليوم قد زحفت إليه وأدخلت أجزاء منه في بنائها.

ويتألف المسجد من حرم داخلي وخارجي، ومئذنة مربعة يبلغ ارتفاعها (٢٠ متراً)، وقد تهدم الجزء العلوي منها، وفيه غرف لطلاب العلم، وهناك ملحقات لم يكشف عنها بعد.

وقد **تقشع** سقف الحرم الداخلي تماماً وتهدمت بعض أجزائه ولم يبق منه إلا أعمدته الرشيقة ذات التيجان المزركشة التي تعلوها أقواس مقنطرة ذات حنيات جميلة. وفي الحرم الداخلي ثلاثة صفوف من الأعمدة الحجرية تقوم على قواعد متينة. وترتبط الأعمدة مع بعضها عن طريق الأقواس. ويقع في الجانب القبلي محراب المسجد. وفي الحرم الخارجي ميضأة كبيرة تحيط بها اربعة أعمدة. ويدخل إلى المئذنة من بوابة في الحرم الخارجي تفضي إلى درج حجري لولبي الشكل.

ويتراوح سمك جدار هذا المسجد بين متر وربع ومترين ونصف المتر، ويرتفع سوره القبلي إلى سبعة أمتار. كما رصفت أرض المسجد بالبلاط الحجري.

ومن المرجح أنه قد استخدمت في بنائه حجارة وأعمدة جاهزة كانت في معبد قديم لعطارد يقع على تل الشيخ عبد الله، كما استخدمت هذه الحجارة بعد أن نقلت في تحصين القلعة العربية.

★ رسم لقلعة بعلبك كما كانت في العهود الإسلامية ★

★ كتابة عربية على جدار المسجد تشير إلى تجديد بعض أجزائه في عهد السلطان قلاوون (١٢٨٣ - ١٢٨٤م) ★



★ صورة تاريخية لقلعة بعلبك العربية عام ١٩٢١م ★

وتظهر الكتابات المنقوشة في الأحجار باللغة العربية أنه تم تجديده أو توسعته عدة مرات من قبل ولاة الأمر . وتشير إحدى هذه اللوحات الحجرية أنه تم ترميم بعض أجزائه واصلاحه خلال حكم المماليك في عهد **قلاوون** (١٢٧٧ ـ ١٢٩٠م) .

وإذا كان لنا أن نفكر بإحياء آثار بعلبك القديمة فيجب أن لا يغيب عن بالنا هذا المسجد الأثري التاريخي .

بعض مشاهير بعلبك

كانت مدينة بعلبك موطناً لكثير من الرجال المشاهير . وقد برز منهم العالم والفقيه **عبد الرحمن عمرو الأوزاعي** (٧٠٧ ـ ٧٧٤م) ، واشتهر بالعلم والزهد والجرأة الأدبية ، وعندما قدم المنصور إلى سورية سمع الأوزاعي يخطب فأعجب به اعجاباً شديداً . وقد وضع هذا الفقيه مذهباً فقهياً شاع في سورية نحواً من قرنين .

ومنهم الطبيب البارع **قسطا بن لوقا** الملقب بالبعلبكي المولود عام ٨٢٠م . وكان نطاسياً بارعاً حذق مختلف العلوم والفنون كما ترجم العديد من الكتب الإغريقية إلى اللغة العربية بتكليف من **الخليفة العباسي المستعين بالله** .

كما كانت موطناً للشيخ **عبد الله اليونني** الذي اعتزل عن الناس في الجبال وكان الناس يفدون إليه . وهنالك تل يقع في الجهة الجنوبية الغربية من المعابد الرومانية ينسب إليه ويعرف باسم (تل الشيخ عبد الله) .

كما أن السلطان **صلاح الدين الأيوبي** قدم إلى بعلبك سنة ١١٣٩م ، ـ وكان عمره سنة واحدة ـ مع والديه وذلك عندما تم تعيين والده (أيوب) قائداً لحامية بعلبك بأمر **نور الدين زنكي** . وهكذا قضى صلاح الدين في ربوع بعلبك شطراً من طفولته وصباه . وكان هنالك فرع من سلالة أيوبية تتحدر من بعلبك من **(طوران شاه)** شقيق صلاح الدين .

كما أن **تقي الدين أحمد المقريزي** (١٣٦٤ ـ ١٤٤١م) ، المؤرخ الذي عاش في مصر يتحدر من عائلة بعلبكية . ولا نستطيع أن نذكر هنا كل مشاهير بعلبك ، ولو فعلنا لضاق بنا المقام ، لكثرتهم ، وقد ذكر ياقوت في معجمه بعض رجال بعلبك . وحسبنا أن نذكر هنا ابن بعلبك وشاعر القطرين **خليل مطران** الذي قال في وصف آثارها :

خرب حارت البرية فيها
فتنة السامعين والنظار

* * *



الحواشي

(١) سورة الصافات ـ الآية ١٢٤ وما بعدها .

(٢) جوليا دومنة : الزوجة الثانية للإمبراطور (سبتيموس سيفروس) (١٩٣ ـ ٢١١م) ، كانت شخصية قوية في نظام خلفه (كاراكالا) ، وهي من مدينة حمص في سورية وابنة الكاهن الأكبر (باسيانوس) . وقد جمعت حولها الفلاسفة والمفكرين وزارت بلاد الغال ، حيث ولدت ابنها كاراكلا ـ وبريطانيا ـ وكانت تدبر دفة الحكم في الشؤون الإدارية والمدنية عند غياب ابنها في الحروب ، وكانت إمبراطورة فعلية غير متوجة ، وصفت بأنها كانت على جانب كبير من الجمال والقوة الفكرية والمقدرة السياسية والأدبية .

(٣) اتخذ هؤلاء الأنباط أسماء تبدو إغريقية ويمكن ارجاعها إلى أصلها العربي ومن أسماء ملوكهم بطليموس بن مانوس (بطليموس بن معن) ، ليسانياس بن مانوس (لسان بن معن) ، زينودورس (زين الدار) .

(٤) أخذنا هنا بعض ما أورده الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي عن هذا المسجد ، ولم تصدر حتى الآن دراسة أثرية متعمقة عن هذا المسجد الهام .

المراجع

١ ـ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، د . فيليب حتي ، ترجمة د . جورج حداد ، وعبد الكريم رافق ، ج١ وج٢ .

٢ ـ معجم البلدان : ياقوت الحموي ، المجلد الأول .

٣ ـ صفة جزيرة العرب : أحمد بن يعقوب الهمذاني .

٤ ـ بعلبك في التاريخ الإسلامي : الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي ، مجلة الفكر الإسلامي ، العدد العاشر ـ رمضان ١٣٩٧هـ ، أيلول (سبتمبر) ١٩٧٧م .

5 – BAALBEK HELIOPOLIS – City of The Sun, Nina Jidejian.

6 — Lumière Du Liban, F. Jalain et J. Boulad.

7 — Facts About Lebanon, the National Council of Tourism,Beirut, Lebanon.

وحشية العينين

قال الأصمعي : كنت في بعض مياه العرب ، فسمعت الناس يقولون : قد جاءت ، قد جاءت ؟!

فتحول الناس فقمت معهم ، فإذا جارية قد وردت الماء ما رأيت مثلها قط في حسن وجهها وتمام خَلْقها !

فلما رأت تشوُّق الناس إليها أرسلت برقعها فكأنه غمامة غطت شمساً !

فقلت : **لم تمنعينا النظر إلى وجهك هذا الحسن ؟**

فأنشأت تقول :

وكنت متى أرسلت طرفك رائداً
لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر
عليه ولا عن بعضه أنت صابر !

ونظر إليها أعرابي فقال :

أنا والله مِنْ مَنْ قلَّ صبرُه !

ثم قال :

أوَحْشيَّة العينين أين لك الأهلُ
أبالحَزْن حلّوا أم محلُّهم السهلُ
وأية أرض أخرجتك فإنني
أراك من الفردوس إن فتش الأصل
ففي خبرينا ما طعمْتِ وَمَا الذي
شربتِ ومن أين استقلَّ بك الرحل
لأن علامات الجنان مُبِينة
عليك وإن الشكل يشبهه الشكل
تناهيت حسناً في النساء فإن يكن
لبدر الدجى نسل فأنت له نسل

(روضة المحبين، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣) .



بقلم : د. محمد سلام مدكور

سبق أن نشرت في مجلة « **الفيصل** » بالعدد الحادي عشر السنة الأولى بحثاً عن « **أحمد بن حنبل ومنهجه الاجتهادي** » وقدمنا لهذا البحث بكلمة عن الاختلافات الفقهية وأسبابها . وقد طلب مني رئيس تحريرها مشكوراً أن أكتب عن باقي الأئمة الأربعة . **فآثرت أن أكتب عن الإمام الشافعي لأنه أستاذ الإمام أحمد ، ولأنهما تجمعهما مدرسة واحدة من ناحية المنهج الاجتهادي والأخذ بالخبر وتقديمه على دليل العقل .** وسنوافي المجلة بعد ذلك بعون الله بمنهج الإمامين **مالك وأبي حنيفة .**

نشأة الشافعي

هو محمد بن إدريس الشافعي ، عربي قرشي **يلتقي مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه في جده عبد مناف** ، ولد **بغزة** إحدى مدن **فلسطين ، وتقع على شاطىء البحر الأبيض المتوسط**، وكان ذلك **سنة ١٥٠ هجرية** ، وهي السنة التي مات فيها الإمام أبو حنيفة ، فهذه السنة ولد فيها فقيه صارت له الإمامة في الفقه ، ومات فيها فقيه صاحب مدرسة فقهية كبيرة .

نشأ الشافعي يتيماً فقيراً **إذ مات أبوه وهو في المهد** ، فرحلت به أمه بعد سنتين من مولده إلى **مكة المكرمة** موطن آبائه . وحفظ القرآن الكريم بها ، ثم قصد إلى **مضارب قبيلة هذيل بالبادية** ، فتعلم الفصحى والشعر والفروسية ، وبرع في **الرماية** ، ثم اتجه إلى **دراسة الحديث والفقه** بمكة ، فجلس في حلقة كل من **سفيان بن عيينة ، ومسلم بن خالد الزنجي** . وبرز في هذا حتى أذن له **شيخه مسلم** أن يجلس للفتوى بالحرم الشريف وهو في مقتبل العمر ، كما كان يرجع إليه **شيخه سفيان** في معاني الحديث أحياناً .

سمع الشاب عن فقيه **بالمدينة المنورة** بكثر الناس عن التحدث عن مكانته العلمية ، هو **الإمام مالك** . وعلم أن له كتاباً اسمه « **الموطأ** » صنف فيه الحديث وبوبه ، وعقب على كل حديث بما ورد حول موضوعه من أقوال للصحابة . فتطلع الشافعي للقائه والأخذ عنه . ورأى أن يتزود لذلك بقراءة الموطأ والتعرف على ما فيه ، فاستعاره من رجل بمكة ، كان قد اقتنى نسخة منه . **ثم رحل إلى المدينة واستأذن مالكاً في تلقي العلم عليه** . ولما أحس مالك بذكاء الشافعي وما وهبه الله من مواهب ، بشره بأنه سيكون له شأن . وقال له : **إن الله قد ألقى في قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصية .**

بقي الشافعي ملازماً مالكاً نحو تسع سنين حتى عُدَّ من أصحابه ، ولما مات مالك سنة ١٧٩ هـ ، انتقل الشافعي إلى **اليمن** مع والبها ، واشتغل في **ولاية نجران** ليتعيش من كسبه ، وليتلق عن شيوخها ما تلقوه عن **الليث بن سعد فقيه مصر** ، وعن **الأوزاعي فقيه الشام .**

وفي سنة ١٨٤ هـ ، وشى به الحاقدون إلى **الخليفة الرشيد** بأنه متشيع للعلويين ، وحقاً إن الشافعي كانت ميوله نحو **علي** واضحة إلا أن ذلك لم يصل إلى حد التشيع السياسي والعمل على نقل السلطان من أيدي العباسيين إليهم . استطاع الشافعي بقوة حجته وبمعاونة **محمد بن الحسن الشيباني** ، الخروج من هذه المحنة ، ثم صحبه محمد بن الحسن في بيته ، فدرس الشافعي **فقه العراقيين** ، وبذلك يكون **قد اجتمع له علم أهل الرأي وعلم أهل الحديث . ومزج بين الاتجاهين ، وخرج من هذا المزيج**

بمذهب خاص أقامه على قواعد وأسس أصولية وخاصة أنه وضع أسس علم الأصول بعد أن رحل ثانية إلى مكة .

وفي سنة ١٩٥ هـ ، رحل إلى **بغداد** فالتف حوله العلماء ، وقدم لهم أروع الأدلة على **حجية خبر الآحاد** ، حتى أصبحت الأحاديث المقبولة تعد بالآلاف واتسع الاعتماد على السنّة وعرف بين الناس **بناصر الحديث** ، كما بين لهم الناسخ والمنسوخ ، وأملى في هذه الفترة كتابه المبسوط المعروف بـ «**الأم**» ، وكتابه في الأصول المعروف بـ «**الرسالة**» .

وفي سنة ١٩٩ هـ ، شد الرحال إلى **مصر** وأخذ يلقي دروس الفقه والحديث واللغة **بمسجد عمرو بن العاص بالفسطاط**. وبقي الشافعي بمصر ، وتأثر فقهه بما شاهده فيها من عادات فكوّن مذهباً جديداً وكان لنضجه الفقهي وكثرة اطلاعه وما لاحظه من أعراف أثر كبير . كما **كان أسلوب الشافعي متميز في الحوار والجدل لما فيه من دقة البحث وحسن التصرف في الاستدلال**[١] .

واستطاع الشافعي بسلامة لسانه أن يرفع أسلوب التعبير الفقهي ، كما استطاع أن يرفع اللغة العربية إلى مستوى الدين[٢] ، وكان رضي الله عنه قوي الحجة سهل العبارة عميق الفكرة واضح التعبير حريصاً على طلب الحديث والتثبت منه للاستدلال به .

وقد كان الشافعي معتداً بنفسه فلا يجادل ويناظر إلا من يرى أنه ندّ له . روى **الفضل بن الربيع** أنه قال للشافعي : أحب أن أسمع لك مناظرة مع **الحسن بن زياد** . فقال الشافعي : ليس الحسن بن زياد في هذا الحد ، ولكني أحضر بعض أصحابي حتى يكلمه بحضرتك[٣] . **ومات الشافعي بمصر ودفن بها سنة ٢٠٤ هـ .**

فقه الشافعي

كان فقه الشافعي منظماً أقيم على قواعد منضبطة وأسس أصولية حاكمة . **فهو أول من أبرز علم أصول الفقه ووضع أسسه في رسالته المشهورة** ، وكان **عبد الرحمن بن مهدي** قد كتب إليه أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن ويجمع مقبول الأخبار فيه وحجة الإجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنّة[٤] .

ضبط الشافعي الأحكام المتفردة تحت قواعد تحكمها ، ولا يقدم في الاستدلال على الحديث شيئاً ، يميل إلى إعمال اللفظ على حقيقته فيأخذ بما يمليه ظاهر اللفظ ما لم تصرفه عن ظاهره قرينة قوية . **وقد فتح الشافعي بمنهجه الفقهي أعين الناس للاجتهاد** إذ يقول : ليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله دليل عليها ، وكل ما نزل بمسلم ففقيه حكم لازم أمر على الحق فيه دلالة موجودة وإذا كان فيه بعينه حكم وجب اتباعه وإذا لم يكن فيه بعينه طلبت الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد .

ولم يلتزم الشافعي بفقه كل من مالك وأبي حنيفة برغم دراسته له ، لأنه عاب عليهما أخذهما في الاستدلال بالحديث المرسل المتقطع بينما يرى هو عدم الأخذ بالحديث المرسل إلا عند وجود شروط خاصة ، كما أنه وجد الخلل يتطرق إلى مجتهداتهم لعدم ضبط قواعد الجمع بين المختلفات . كما أنه وجد أن بعض الأحاديث الصحيحة لم تبلغ علماء التابعين ممن قاموا بالفتوى مما أدى إلى صدور فتاوى منهم تعتمد على الرأي والعمومات . ولما ظهرت هذه الأحاديث بعد ذلك لم يعمل بها **فقهاء المدينة** تقديماً لما عليه عمل أهل المدينة عليها ، ولم يعمل بها **فقهاء العراق** لخفائها عليهم أو لأنها من الأخبار التي لم تشتهر فقدموا عليها القياس والرأي . كما أنه لم يلتزم بفقههم لأخذهم بالاستحسان الذي كان مفهومه قبل وضع الضوابط أنه دليل ينقدح في نفس المجتهد لا يقدر على اظهاره لعدم مساعدة العبارة عنه . وقال الشافعي : «إن هذا التشريع منهم والتشريع ينبغي أن يكون لله وحده» فكل هذا جعله يتجه إلى أخذ الفقه من منابعه الأصلية دون اتباع لأحد ولذا فإنه عني بدراسة الحديث والاعتماد عليه في الاستنباط ، فكان يقول : «**إذا صح الحديث فهو مذهبي**» ويقول : «**لا حجة في قول أحد دون رسول الله وإن كثروا ولا قياس ولا في شئ**»[٥] .

أصبح الشافعي صاحب مذهب فقهي له منهج خاص مميز . وقد تهيأ له ما لم يتهيأ لغيره ، فقد وجد ثروة فقهية من أحكام الفروع تشير إلى ما يسلكه أئمة الفقه في المدن الأخرى ، وقد عرف هؤلاء الأئمة عن قرب فنظر في فروعهم وتعرف على الموازين التي يزنون بها الفقه ، وساعده هذا على وضع قواعد علم الأصول وقد اتجه رضي الله عنه بهذه القواعد اتجاهاً علمياً ونظرياً وجعل الفقه بهذا مبنياً على أصول مقررة منضبطة وليس مجموعة من الحلول الجزئية لمسائل واقعة أو مفترضة .

يقول **الرازي** : «استنبط الشافعي علم الأصول ووضع للخلق قانوناً كلياً يرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع» ، فهذا الاتجاه من الشافعي هو اتجاه العقل العلمي الذي لا يعني بالجزئيات والفروع . فكان تفكيره تفكير من لا يهتم بالمسائل الجزئية والتفاريع ، بل يُعنى بضبط الاستدلالات التفصيلية بأصول تجمعها[٦] .

مصادر فقه الشافعي

يقول الشافعي ـ كما في الأم ـ العلم طبقات شتى : «الأولى **الكتاب والسنة** إذا ثبتت ، ثم الثانية **الاجماع** فيما ليس فيه كتاب ولا سنّة ، والثالثة **أن يقول بعض أصحاب رسول الله قولا ولا نعلم له مخالفاً منهم** ، والرابعة **اختلاف أصحاب النبي في ذلك** ، الخامسة **القياس** . ولا يصار في شيء غير الكتاب والسنّة وهما موجودان» . فالشافعي يعتمد في الاستدلال **أولا** على الكتاب والسنّة ويجعل السنّة في مجموعها في مرتبة الكتاب

عند استنباط الأحكام فهما المصدر الحقيقي للتشريع وغيرهما تبع . فكلا الكتاب والسنّة من عند الله وقد علم الأخذ بالسنّة من الكتاب نفسه ، ولا يمكن أن يكون لها البيان إلا إذا كانت في مرتبة المبين في العلم .

ومع هذا فالسنّة إن عارضت الكتاب أخذ بـه دونهـا ، وإن كان نص الكتاب محكماً استقل بالاستدلال دونها . ولذا فإنه ينظر في القرآن الكريم والسنّة النبوية ، فإن لم يجد نصاً صريحاً فيهما ولا مؤولا استخرج المعاني والصفات في الأشياء المنصوص عليها ، ثم يلحق الحكم الذي لا يجد فيه النص إلى أقرب الأمور المنصوص عليها وصفاً به ، أو ما يشترك معه في معنى الحكم فهو لا يعتبر الفهم الشخصي في الشريعة بل يعتبر دائماً الفهم الموضوعي المادي ، ولذا فإنه يبني حكمه في حدود التصرفات القولية على الإرادة الظاهرة .

منهج الشافعي في موضع السنة من الكتاب

يقول الشافعي : إن السنّة بالنسبة للكتاب إما أن تكون مبينة لمجمله .. ومبينة لفرائض تثبت في القرآن بالنص وزاد النبي عليها بما يوحى إليه مما يتصل بها أو يترتب عليها ، وأن تأتي بحكم في القرآن نص عليه .. وأن تبين الناسخ والمنسوخ . وقال : لم أعلم من أهل العلم مخالفاً في أن سنن النبي من ثلاثة وجوه . فأجمعوا منها على وجهين . **أحدهما** ما أنزل الله فيه نص كتاب فبين الرسول مثل نص الكتاب . **والآخر** مثل ما أنزل الله فيه جملة كتاب فبين عن الله معنى ما أراد . أما **الوجه الثالث** المختلف فيه فهو ما سن رسول الله ﷺ فيما ليس فيه نص كتاب[7] .

فمنهم من قال : لم يسن سنّة قط إلا ولها أصل في الكتاب . ومنهم من قال : بل جاءته به رسالة الله فأثبت سنّته بفرض الله ، ومنهم من قال : ألق في روعه كل ما سنّ ، وسنّته الحكمة التي ألق في روعه عن الله عز وجل ، ويقول الله سبحانه وتعالى : **﴿ ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾** ، قال الشافعي : الكتاب هو القرآن والحكمة سنّة رسول الله . وهناك من قال : جعل الله له بما افترض من طاعته وسبق في علمه من توفيقه لرضاه أن يسن فيما ليس فيه نص كتاب[8] .

وتوسع الشافعي في اثبات حجية السنّة بسرد الأدلة من القرآن . وكان ذلك منه للرد على من يحاول انكار حجيتها ، أو تقييد حجيتها بما إذا عضدها شيء من القرآن وكانت مبينة له فلا تكون مصدراً مستقلاً ولا تقبل في أمر زائد عليه ، وليرد أيضاً على من ينازعون في حجية خبر الآحاد بحجة أنه ظني في ثبوته لقيام احتمال التدليس فيه .

ويشترط الشافعي للاحتجاج بخبر الواحد الذي جعله في الاحتجاج دون الكتاب والسنّة المجمع عليها ، أن يكون الراوي في كل طبقة ثقة في دينه عاقلاً لما يحدث فاهماً له ضابطاً لما يرويه سمع الحديث ممن يروى عنه وإلا كان مدلساً ، واشترط ألا يكون الحديث مخالفاً لحديث أهل العلم إن شاركهم في موضوعه .

ومع أن الشافعي يرى أن العمل به أمر لا بد منه ، وأنه يقدم في ابتناء الحكم واستنباطه على كل من القياس وما عليه عمل أهل المدينة . فإنه على الرغم من ذلك لا يرى معاقبة الشاك فيه وبالجملة فإن الشافعي يتوسع في الأخذ بخبر الواحد ما لم يتوسع الأئمة قبله ، حتى قال **ابن العربي** : إذا جاء خبر الواحد معارضاً لقاعدة من قواعد الشرع فإن أبا حنيفة لا يجيز العمل به بينما يعمل به الشافعي . ويتردد مالك فإذا عضدته قاعدة أخرى قال به . وإن كان وحده تركه[9] .

ويذهب الشافعي في **الحديث المرسل** مذهباً وسطاً ، فهو يأخذ به إذا انتهى إلى كبار التابعين ، وأسند مرسل ذلك التابعي أو قوي بمرسل آخر مقبول ، أو قول صحابي ، أو فتوى جماعة من العلماء .. وانتهى الشافعي إلى قوله : ومن نظر في العلم بخبرة وقلة غفلة استوحش من مرسل كل من دون كبار التابعين بدلائل ظاهرة .

وبالرغم من أن الشافعي جعل السنّة في درجة القرآن من ناحية الاستدلال على أحكام الفروع حتى يكون الاستنباط صحيحاً مستقيماً ، وذلك باعتبار أنها شرح وبيان لما جاء بالقرآن ، فإنها لا تكون ناسخة للقرآن عنده ، كما لا ينسخها القرآن ، وإنما **ينسخ الكتاب بالكتاب والسنة بالسنة** . وإذا جاء ما يشعر بنسخ السنّة بالقرآن فإنه لا بد من وجود سنّة أخرى ناسخة[10] .

وينظر الشافعي في السنّة فإذا كان بينها اختلاف فإن عرف فيه الناسخ والمنسوخ عمل بالناسخ وترك المنسوخ . أما إذا لم يعرف ، وكان الاختلاف في ظاهر القول في المعنى فإنه يسار إلى التوفيق بينها ما أمكن التوفيق ولا يسار إلى الاختلاف إلا عند تعذر التوفيق . وإذا كان الاختلاف في المعنى الظاهر فإنه يفرض أن أحدهما متأخر وناسخ ، وقد روي المنسوخ من غير أن يعلم راويه أنه منسوخ ويلزم التحري لمعرفة ذلك . فإذا لم يمكن معرفة المتأخر بعد التحري وازن الشافعي بين الحديثين من حيث **السند** ، ويأخذ بالأقوى منها ، فإذا استوى السند بحث عن **الشواهد** في نصوص القرآن أو السنّة الثابتة أو **القرائن**الأخرى . ويقول الشافعي : **«ولم نجد عنه ﷺ شيئاً مختلفاً فكشفناه إلا وجدنا له وجهاً يحتمل به ألا يكون مختلفاً»**[11] .

نظرة الشافعي للإجماع وعمل أهل المدينة

يعتبر الشافعي الإجماع حجة في غير موضع النص ولو خبر آحاد إلا إذا كان الإجماع يستند إلى نص رواه جماعة عن جماعة فإنه يقدم عليه ، وبين أصله من الكتاب والسنّة ووضع له المقاييس وهو يتحقق عنده باتفاق جميع المجتهدين بعد عصر الرسالة على حكم شرعي ، يقول الشافعي : لا أقول ولا أحد من أهل العلم هذا مجتمع عليه إلا لما تلقى عالماً

أبداً إلا قال ذلك وحكاه عمن قبله . كالظهر أربع[١٣] . ويقول : ما اجتمعوا عليه وذكروا أنه حكاية عن رسول الله ﷺ فكما قالوا أما ما لم يحكوه فاحتمل أن يكون قالوه حكاية عن الرسول واحتمل غيره فلا يجوز أن تعدله حكاية . لأنا نقول بما قال به من قبلنا اتباعاً لهم ، ونعلم أن عامتهم لا تجتمع على خلاف السنّة عن رسول الله ولا على خطأ[١٣] . فقد أخبرنا **سفيان بن عيينة بن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن عبد الله بن مسعود** عن أبيه أن **رسول الله** ﷺ قال : «نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها . فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه . ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : اخلاص العمل لله ، والنصيحة للمسلمين ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم» .

وعلى هذا فالشافعي لا يعتبر إجماع أهل المدينة وحدهم إجماعاً ملزماً ولذا فإنه إذا تعارض ما عليه عمل أهل المدينة مع خبر الواحد قدم الخبر . ويقول رضي الله عنه : أرأيتم إذا سئلتم من الذين اجتمعوا بالمدينة أهم الذين ثبت لهم الحديث أم ثبت لهم ما اجتمعوا عليه وإن لم يكن فيه حديث ؟! فإن قلتم نعم . قلت : يدخل عليكم أنه لو كان إجماع لم تكونوا وصلتم إلى الخبر عنه إلا من جهة خبر الانفراد الذي رددتم مثله في الخبر عن رسول الله ﷺ . فإن ثبت خبر الانفراد فما ثبت عن النبي أحق أن يؤخذ به . كما أنكم كيف تقولون أجمع أصحاب رسول الله وهم يختلفون على لسانكم وعند أهل العلم[١٤] .

ومع هذا فقد روى **البيهقي** أن مناظرة وقعت بين الشافعي وآخر حول هذا الموضوع . فقال الشافعي : «إذا وجدت أهل المدينة على شيء فلا يدخل قلبك شك أنه الحق . وكل ما جاءك وقوي كل القوة لكنك لم تجد له بالمدينة أصلاً وإن ضعفت فلا تعبأ به» .

وهذا النقل يشعر بأن الشافعي يعتبر ما عليه أهل المدينة ويقدمه على خبر الآحاد ، وهذه الرواية إما أن تكون غير صادقة بالنسبة إليه ويكون وجه الطعن في صحتها مخالفتها للمشهور من أصوله وأقواله والمدوّن في كتبه وهي أولى بالأخذ والاعتبار ، وإما أن يكون ذلك كان رأياً له أيام كان من أصحاب مالك وأنه كان يقرر من هذا إذا كان ذلك رأياً له في دور من أدوار اجتهاده ، ولكنه ليس رأيه الذي انتهى إليه وقرره في مصر ودوّنه في كتبه بها[١٥] .

وإذا كان الشافعي لا يعتبر **الإجماع السكوتي** حجة إذ لا يثبت لساكت قول وناقش الحنفية في اعتبارهم له[١٦] ، فإن كثيراً ما اشتد في الجدل على من يحاجه بالإجماع حتى لقد قال في إحدى المناقشات : «**دعوى الإجماع خلاف للإجماع**» .

ويبدو أن الشافعي يحصر الإجماع في أضيق صوره التي لا يسع أحداً جهلها ، فذلك الإجماع .. وفي أشياء من أصول العلم دون فروعه . فأما ما أدعيت من الإجماع حيث أدركت التفرق في دهرك وتحكى عن أهل كل قرن فانظره أن يكون هذا إجماعاً[١٧] .

موقف الشافعي من الاحتجاج بقول الصحابي

يجعل الشافعي **قول الصحابي** في مرتبة تالية للنص والإجماع لكنه مقدم عنده على القياس ، ويرتب أقوالهم عند اختلاف مراتبهم في القوة ، فهو يقول في الرسالة : نصير في أقوال الصحابة إلى ما وافق الكتاب والسنّة أو الإجماع أو ما كان أصح في القياس ، أما إذا قال واحد منهم القول لا يحفظ عن غيره منهم فيه له موافقة ولا خلافها .. فإن أهل العلم يأخذون بقول الواحد منهم مرة ويتركونه أخرى ويتفرقون في بعض ما أخذوا به منهم . وإني أتبع قول أحدهم إذا لم أجد كتاباً ولا سنّة ولا إجماعاً ولا شيئاً في معنى هذا[١٨] .

وقد أثر عنه أنه قال بالنسبة لأقوال الصحابة : رأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا ، ويقول : هم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل .. وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا[١٩] .

ومن هذا يظهر أن الشافعي رضي الله عنه يأخذ بما أجمع عليه الصحابة وبما يقوله واحد منهم دون أن يكون لغيره موافقة فيه أو مخالفة . أما ما يختلفون فيه فإنه يتميز من أقوالهم بحيث لا يخرج عنها وأن أساس الاختيار وجود دليل آخر يعضده .

مدى حجية القياس عند الشافعي

الشافعي يعتبر القياس حجة ويستند إليه في استنباط الأحكام إذا لم يقف على نص ولا إجماع في المسألة . بل يحصر الشافعي الرأي المعتبر في القياس ويخضعه لبعض أدلة العقل الأخرى - التي يعتبرها فقهاء الرأي - إلى القياس . يقول الشافعي : «كل ما نزل بمسلم ففيه حكم لازم أو على سبيل الحق فيه دلالة موجودة وعليه إذا كان فيه بعينه حكم وجب اتباعه أو إذا لم يكن فيه بعينه طلبت الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد . **والاجتهاد القياس** . فإذا كان الشيء في معنى الأصل فلا يختلف القياس فيه وإن كان الشيء له في الأصول أشباه فذلك يلحق بأولاها به وأكثرها شبهاً فيه . وقد يختلف القايسون في هذا»[٢٠] .

وعلى هذا فإن الشافعي يمنع الاجتهاد بالرأي إذا لم يكن هناك نص يقيس عليه . فالقول بغير خبر ولا قياس على الخبر غير جائز . وبالتالي فالثابت بالقياس لا يكون أصلاً يقاس عليه ، فلا بد أن يكون الأصل المقيس عليه ثابتاً بالنص ، ومع هذا **فليست كل النصوص قابلة لأن تكون أصلاً يقاس عليه** ، فهناك نصوص جاءت في أمور خاصة وقامت القرينة على عدم عمومها ، وكذلك فقد جاءت نصوص على سبيل الاستثناء من القاعدة الأصلية وتكون من قبيل الرخص المستثناة .

والقياس عند الشافعي مراتب : أقواها أن يحرم الله في كتابه أو يحرم رسوله القليل من الشيء فيعلم أن تحريم كثيره بالأولى ، وكذلك إذا حمد

على يسير من الطاعة كان ما هو أكثر منه أولى أن يحمد عليه، وكذلك إذا أباح الكثير كان القليل أولى بالإباحة. مما يسمى **بالقياس الأولوي**. وقد ضرب الشافعي الأمثلة لكل ذلك[٢١]، ثم يقول في الرسالة: «ما كان لله فيه حكم منصوص ثم كانت لرسول الله سنَّة بتخفيف في بعض الفروض دون البعض عمل بالرخصة فيما رخص فيه رسول الله دون ما سواها ولم نقس ما سواها عليه، وهكذا ما كان لرسول الله من حكم عام بشيء ثم سنّ فيه سنَّة يفارق الحكم العام»[٢٢].

وهذا يفيد أن هناك نصوصاً لا يقاس عليها وإنما يقتصر فيها على موضع النص، وهذه النصوص هي التي تكون مخالفة للأمور الثابتة أي التي جاءت بحكم استثنائي. وهذا يفيد بالتالي **أن الشافعي لا يقيس على الرخص**، باعتبار أنها أمور مستثناة والاستثناء لا يتوسع فيه. ويمثل بقوله: قد فرض الله تعالى الوضوء على من قام إلى الصلاة من قوله سبحانه وتعالى: **﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴾**. فقد قصد النص القرآني الكريم الرِّجْلَيْن بالطهارة، كما قصد سائر أعضاء الوضوء من الوجه واليدين. فلما مسح الرسول ﷺ على الخفين لم يكن لنا أن نمسح على العمامة ولا على برقع ولا قفازين قياساً عليها[٢٣].

وبالرغم من هذه العبارات الصريحة التي نقلناها عن الشافعي في القياس على الرخص والمستثنيات، فإننا نجد في كتب أصول الشافعية التصريح بالجواز خلافاً للحنفية. ونجدها قد فرعت على ذلك بعض الفروع الفقهية[٢٤].

وقد حقق **العطار** ذلك وحمل عدم الجواز في القياس على الرخص الواردة في الفروع على الرخص التي لا يعقل لها معنى. أما الرخص التي يعقل لها معنى فيجوز القياس فيها[٢٥]. واتجه **الشربيني** إلى أن الرخص التي يقتصر فيها على مورد النص هو أصول الرخص بخلاف الرخصة الواحدة فإنه يجوز القياس عليها[٢٦].

لكن **الأسنوي** ينسب إلى الشافعي القول بعدم جواز القياس عليها كما جاء في التمهيد[٢٧]، ومذهب الشافعي كما في المحصول أنه لا يجوز القياس في الحدود والكفارات والتقديرات والرخص إذا وجدت شرائط القياس فيها... وقد رأيت في البويطي الجزم بالمنع في الرخص، فقال: ولا يتعدى بالرخص موضعها، وقد اتسع النقاش والجدل في هذا بين الكاتبين من فقهاء الشافعية[٢٨].

وكلام الشافعي في الرسالة يشعر بتعميم منع القياس على الكفارات والحدود إذ يقول: ولم نقس ما لزم من عزم بغير جراح خطأ على ما لزمه بقتل خطأ[٢٩]. مع أننا نجد في كتب الأصول ما هو صريح في أن القياس عليها يجيزه الشافعية خلافاً للحنفية، ويذكرون أدلة الجواز بأن الدليل على حجية القياس يتناولها بعمومه فوجب العمل به فيها، وأن الصحابة حدوا في الخمر بالقياس[٣٠].

الاستحسان والمصلحة المرسلة وموقف الشافعي منهما

أبطل الشافعي القول بالاستحسان وحمل على القائلين به حملة شديدة، فقد روي عنه أنه قال: **من استحسن فقد شرع والتشريع لله وحده**. وقال: **إن القول بالاستحسان باطل**[٣١]. وقال: «إن القول بالاستحسان قول بالتشهي وترك القياس به يكون تركاً للحجة لاتباع هوى أو شهوة نفس فكان باطلاً». وجاء في الرسالة للشافعي: «إن حراماً على أحد أن يقول بالاستحسان إذا خالف الاستحسان الخبر.. وإن حلال الله وحرامه أولى ألا يقال فيه بالتعسف ولا بالاستحسان أبداً إنما الاستحسان تلذذ[٣٢]. ولو جاز تعطيل القياس جاز لأهل العقول من غير أهل العلم أن يقولوا فيما ليس فيه خبر بما يحضرهم من الاستحسان؟[٣٣]، ودلل الشافعي على بطلان الاستحسان، فقال: ولم يجعل الله لأحد بعد رسول الله أن يقول إلا من جهة علم مضى قبله.

ويبدو أن الاستحسان الذي أبطله الشافعي وحاربه هو القول بالهوى والتشهي وخاصة أنه عرف قديماً بأنه عبارة عن دليل ينقدح في نفس المجتهد لا يقدر على اظهاره لعدم مساعدة العبارة عنه كما ينقله **الآمدي الشافعي** عن أصحاب أبي حنيفة. **أما الاستحسان المستند إلى دليل فإن الشافعي أخذ به واعتبره مصدراً، فمثلاً في الشفعة** استحسن الشافعي أن يبقى للشفيع حق طلب المواثبة إلى ثلاثة أيام وهذا استحسان في مقابلة القياس، واستحسن اجازة التعاقد على دخول الحمام مع جهالة المدة التي سيمكثها ومقدار الماء الذي يستهلكه. وقد نقل الآمدي الشافعي عن إمامه أنه استحسن في المتعة أن تكون ثلاثين درهماً.. واستحسن ترك شيء للمكاتب من نجوم الكتابة، وقال في السارق إذا أخرج يده اليسرى بدل اليمنى فقطعت القياس أن تقطع يمناه والاستحسان أن لا تقطع»[٣٤].

أما **المصلحة المرسلة** أي التي سكت عنها الشارع، وليس لها أصل معين تقاس عليه، فإن كانت المصلحة فيه ضرورية فلا نزاع على التحقيق بين القائلين بالقياس في جواز اعتباره في الجملة دليلاً والتعليل به. **فالغزالي الشافعي** لا يعتبر المصلحة دليلاً إلا إذا كانت مرسلة وضرورية قطعية كلية[٣٥]، ويعبر فقهاء الشافعية عن المصلحة بالوصف المناسب، ويتكلمون عنها هم وفقهاء الحنفية ضمن كلامهم عن القياس.

ويبدو أن الشافعي يعتبر المصلحة المرسلة مصدراً إذا كانت تشبه مصلحة مقيدة بإجماع أو بنص، وهذا ما يفيده قوله في الرسالة عند الكلام عن القياس: وأن يكون الشيء له في الأصول أشباه فهذا يلحق بأولاها وأكثرها شبهاً فيه[٣٦]، ويقول **الزنجاني الشافعي**: ذهب الشافعي إلى أن التمسك بالمصالح المستندة إلى كلي الشرع وإن لم تكن مستندة إلى

الجزئيات الخاصة المعينة جائز مثال ذكر ما ثبت من إجماع الأمة أن **العمل القليل لا يبطل الصلاة والعمل الكثير يبطلها** . قال الشافعي : حد العمل الكثير ما إذا فعله المصلي اعتقده الناظر إليه متحللاً عن الصلاة وخارجاً عنها ، كما لو اشتغل بالخياطة ، والكتابة ، وغير ذلك ، والعمل القليل ما لا يعتقد الناظر مرتكبه خارجاً عن الصلاة كتسوية ردائه ومسح شعره ، وليس لهذا التقدير أصل خاص يستند إليه وإنما يستند إلى أصل كلي . وهو أنه قد تقرر في كليات الشرع أن الصلاة مشروعة للخشوع والخضوع ، فما دام الإنسان على هذا الخشوع يعد مصلياً ، وقال : إن قتل الجماعة بالواحد من هذا القبيل .

أسلوبه العلمي وقوة حجته

كان أسلوب الشافعي متميزاً في **الحوار والجدل** لما فيه من دقة البحث وحسن التصرف في الاستدلال ، وقد كثرت مناظراته ، وكان قوي الحجة سهل العبارة عميق الفكرة بعيد الحرص حاضر البديهة يعتمد في فقهه على النصوص حريصاً على طلب الحديث . **ويروى أن أحد الملاحدة سأله الدليل على وجود الله ، فقال : «ورقة التوت طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد . لكن تأكلها دودة القز فتخرج الحرير ويأكلها النحل فيخرج العسل وتأكلها الشاة فترمي اللحم وتخرج اللبن وتأكلها الظباء فتغذيها وينعقد في فوالجها المسك فمن الذي جعل هذه الأشياء متنوعة الافرازات والغذاء واحد . إنه الله سبحانه وتعالى»** .

ويروى أنه دخل على **محمد بن الحسن الشيباني الفقيه الحنفي** وهو يطعن على فقهاء المدينة في قضائهم بشاهد واحد ويمين المدعي ويقول : هذا زيادة على كتاب الله بخبر الواحد . فقال له الشافعي : ألا تجيزون ذلك ؟ قال محمد : نعم ، فقال الشافعي : لم قلتم إن الوصية للوارث لا تجوز لخبر (ألا لا وصية لوارث) ، مع أن الله يقول : **﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين﴾** . ويقول : **﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول﴾** . ثم بين الشافعي فقه المسألة وقال إن النص القرآني في **ميراث الوالدين والأقارب والميراث بين الزوجين** ، محتمل أن يكون ذلك ناسخاً للوصايا ومحتمل للإرث والأخذ بالوصية أيضاً . فوجب على أهل العلم طلب الدلالة من كتاب الله تعالى ، فلما لم يوجد طلبوه من سنّة رسول الله ﷺ .

وقال : وجدنا أهل الفتيا ومن حفظنا عنهم . . لا يختلفون في أن النبي ﷺ قال : **عام الفتح** لا وصية لوارث ولا يقتل مؤمن بكافر ويؤثرونه عمن حفظوا عنه ممن لقوا من أهل العلم بالمغازي فكان هذا نقل عامة عن عامة وكان أقوى في بعض الأمور من نقل واحد عن واحد . . ثم قال : فاستدللنا بما وصفت من نقل عامة أهل المغازي عن **النبي** ﷺ على أن المواريث ناسخة للوصية للوالدين والزوجة مع الخبر المنقطع الذي رواه بعض الشاميين والذي قبلناه كما وصفنا من نقل أهل العلم بالمغازي وإجماع العامة عليه .

فهذا أسلوب الشافعي في الحوار والجدل تلمس فيه حسن التصرف وقوة الحجة وشدة التعلق بالحديث وتمسكه به . ورحم الله الشافعي فقد **كان إماماً في الفقة والأصول واللغة ، ومزج بين فقه الرأي وفقه الحديث** بعد أن درس كلاً منهما فاجتمع له الفقه الذي يغلب عليه النقل والفقه الذي يغلب عليه العقل . وقال عنه **أحمد بن حنبل** : كان الفقه نقلاً على أهله حتى فتحه الله بالشافعي وذلك بتأصيله الأصول وكتابته الرسالة ونشرها .

ورحم الله الشافعي ، فقد انتشر مذهبه في الآفاق واستطاع أن يزاحم المذهب الحنفي والمذهب المالكي في بعض المناطق مع سبقهما مع شدة حرصه على النهي عن التعصب المذهبي ، فيروى عنه أنه قال لصاحبه الربيع : يا أبا اسحاق لا تقلدني في كل ما أقول وانظر في ذلك لنفسك فإنه دين . ويقول **ما صح عن النبي ﷺ أولى بالاتباع ولا تقلدوني وإذا صح خبر يخالف مذهبي فاتبعوه واعلموا أنه مذهبي** . وحقاً إنه ناصر الحديث .

الهوامش

(١) انظر في ذلك وغيره من تاريخ الشافعي : مناقب الشافعي للرازي ، الانتقاء في فضائل الأئمة لابن عبد البر ، تاريخ بغداد ، وفيات الأعيان لابن خلكان ، الشافعي لأبي زهرة ، الشافعي لعبد الحليم الجندي ، وانظر لنا مناهج الاجتهاد في الإسلام ج٢ ، ص ٦٤٤/٦٥٤ .

(٢) انظر في ذلك بحثاً منشوراً بمجلة اللسان العربي التي تصدر بالمغرب العدد السادس يناير / كانون الثاني سنة ١٩٦٩م ، ص ٢٦٠ / ٢٦٢ .

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي ج١ ، ص ٢٢٨ .

(٤) الرسالة ص ٣٦/٤٠ .

(٥) حجة الله البالغة للدهلوي ص ٣٠٩ / ٣١١ .

(٦) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية لمصطفى عبد الرازق ص ٣٣٠ .

(٧) الرسالة ص ٢٨ .

(٨) المرجع السابق ص ١٤ .

(٩) أحكام القرآن لابن العربي .

(١٠) الرسالة ص ٣٠/٧٣ ، انظر تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ج٢ ، ص ٢٥٧ .

(١١) الرسالة ص ٥٩ .

(١٢) الأم : إبطال الاستحسان ج٧ ، ص ٢٧١ .

(١٣) الرسالة ص ١٢٥ .

(١٤) الأم ج٧ ، ص ٢٤٢ .

(١٥) انظر لنا مناهج الاجتهاد في الإسلام ج٢ ، ص ٦٦٦ طبع جامعة الكويت ، وانظر : الشافعي لأبي زهرة ص ٢٥٩ .

(١٦) الأم ج٧ ، ص ٢٥٧ ، والأحكام في أصول الأحكام للآمدي ج١ ، ص ٣٦١ .

(١٧) الأم ج٧ ، ص ٢٥٧ .

(١٨) الرسالة ص ١٥٨ / ١٥٩ .

(١٩) أعلام الموقعين لابن القيم ج٢ ، ص ٢٤١ / ٢٤٣ .

(٢٠) الرسالة ص ١٢٨ / ١٢٩ .

(٢١) المرجع السابق ١٣٦ / ١٣٧ .

(٢٢) المرجع السابق ١٤٥ .

(٢٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٢٤) جمع الجوامع بحاشية العطار وشرح الجلال المحلي ج٢ ، ص ٢٤٣ ، المستصفى للغزالي ج٢ ، ص ٣٢٦ ، تخريج الفروع على الأصول للزنجاني ص ٨٥ .

(٢٥) العطار على شرح الجلال المحلي ج٢ ، ص ٢٤٣ / ٢٤٤ .

(٢٦) تقرير الشربيني على جمع الجوامع ج٢ ، ص ٢٤٣ .

(٢٧) التمهيد للأسنوي ص ١٤٠ .

(٢٨) نبراس العقول لقيس منون ص ١٢٦ .

(٢٩) الرسالة ص ١٤٧ .

(٣٠) الأحكام للآمدي ج٣ ، ص ١٣٦ / ١٣٧ ، ارشاد الفحول للشوكاني ص ٢٢٣ .

(٣١) نيل الأوطار ج٥ ، ص ٢٥٦ .

(٣٢) مقدمة الأم للشافعي ج١ ، ص ٦٩ .

(٣٣) الأم ج٧ ، كتاب إبطال الاستحسان .

(٣٤) الأحكام ج٣ ، ص ١٣٧ .

(٣٥) المستصفى ج١ ، ص ٢٨٧ / ٢٩٣ ، وانظر الأسنوي على المناهج ج٣ ، ص ١٤٠ .

(٣٦) الرسالة ص ١٢٨ .





شعر:
شاكر سليمان شكوري

يَهونُ عليَّ أن تشقى عُيوني
وما هانت لأجل سواك قَبْلُ

ولا بعدُ .. ولكني سعيدٌ
إذا هانت .. وفي عينيك تحلو

إذا أرضاك أن تعبَتْ عُيوني
لأجلك .. فليكن لو كان قَتْلُ

ولو ذابت من الآلام روحي
لجأت إلى حَنانِك أستظل

أُغالي فيك كل الناس طُراً
وأنت لها لَعمر اللهِ أهلُ

رَضيتُ على حياةٍ كنتُ فيها
زهوداً .. كل ما فيها مُملُ

لأنك كنت لي فيها حناناً
وإحساناً كهطَّالٍ يَهلُ

أحبُكَ هذه آهاتُ قلبي
شظايا .. إن لَقيتُكَ تضْمَحِلُ

* * *



بقلم: د. إحسان هندي

★ **يؤكد الفلاسفة عن حق أن الإنسان مخلوق أنيني** يتنازع داخل طيات نفسه عاملا الخير والشر معاً . ونجد هذين العاملين في كل واحد من بني الإنسان فردياً ، كما نجدهما بشكل جماعي لدى مجتمع معين أو لدى الجنس البشري ككل . وإذا استقرأنا أحداث التاريخ ، منذ مقتل (هابيل) على يد أخيه (قابيل) حتى اليوم ، وكذلك مختلف الانجازات ومظاهر الحضارة الإنسانية ، نجد تأثير هذه الأنينية ظاهراً فيها بوضوح وخاصة في مضمار المؤسسات القانونية بشكل خاص : فالقانون - بالمفهوم الواسع للكلمة « مجملة من القواعد الآمرة التي تنظم العلاقة بين أفراد جماعة معينة » - كان من الممكن ألا يكون لوجوده أي ضرورة لولا تلك النزعة الشريرة التي تظهر أحياناً في أحد بني الإنسان ، أو في جماعة منهم ، ضد فرد آخر (أو جماعة أخرى) ، وتنصب على شخصه أو أحد أفراد عائلته أو على ملكيته المنقولة وغير المنقولة ★

وهكذا فحب الخير - وهو إحدى القيم الإنسانية العليا - هو الذي دفع الجماعة في تكوينها الأول لوضع القواعد القانونية وتأييدها بقوة السلطة للوقوف في وجه العامل الآخر لدى بعض أفراد الجماعة وهو (الميل إلى الشر) .

والعودة إلى قراءة تاريخ البشرية بعمق تظهر لنا هذه الازدواجية ، لأن تاريخها ليس فقط تاريخ المكتشفات والاختراعات والأوابد والابداعات الإنسانية ، وإنما هو أيضاً تاريخ الحروب والنزاعات والصراعات الدموية . وقد لا نكون قد أتينا بجديد إذا قلنا إن « تاريخ البشرية ملطخ بالدماء » .

فخلال ستة آلاف سنة من التاريخ المكتوب للبشرية[١] ، لم يكن هناك إلا حوالي ستمئة سنة كفترات سلام لم يحدث فيها حرب على المستوى المحلي أو العالمي ، وأما الباقي (ما يزيد عن ٥٠٠٠ سنة) فلم يكن إلا فترات مذابح ومجازر ومعارك كلها دماء .

وكان من الطبيعي أن تنتفض روح الخير الموجودة في بني الإنسان ، أو في بعضهم على الأقل ، أمام كل المذابح والمجازر والدماء التي حدثت في هذه السلسلة المتصلة من الحروب : بأن تحاول منع حدوثها من **جهة** ، أو أن تتم حسب قواعد معينة يتقيد بها المتحاربون عند حدوثها من **جهة ثانية** ، وأن لا يحدث المتحارب في خصمه من الأضرار الجسمانية أو المادية أكثر مما تتطلبه مقتضيات النصر في المعركة من **جهة ثالثة** .

وهكذا في مضمار انجاز معين في انجازات الإنسانية ، وهو القانون الدولي ، ظهرت ثلاثة فروع جديدة هي :

١ - **قانون الحد من الحروب** DROIT PRÉVENTIF DE LA GUERRE

٢ - **قانون الحرب** DROIT DE LA GUERRE.

٣ - **القانون الإنساني** DROIT HUMANITAIRE- HUMANITARIAN LAW.

وسنأتي بكلمة موجزة عن كل من هذه الفروع الثلاثة من القانون .

قانون الحد من الحرب

فهو مجموعة النصوص التي تحاول منع حدوث الحرب عن طريق شجبه وتحريمه[٢] في أزمنة معينة أو أمكنة معينة .

ويعتقد بعض الباحثين بأن أول النصوص التي وضعت في سبيل الحد من

الحروب هو صك (**عصبة الأمم** S. D. N.) لعام ١٩١٩ م، ولكن الحقيقة أن النصوص الأولى يجب التفتيش عنها في **القانون الإسلامي** (منع القتال في الأشهر الحرم وفي المسجد الحرام)، ومن بعده في (**القانون الكنسي** DROIT CANONIQUE) في أوروبا خلال القرون الوسطى عبر ما سمي (**هدنة الرب** LA TRÊVE DE DIEU)، وهي هدنة اجبارية كانت تفرض على المتحاربين منذ مساء الجمعة وحتى صباح الاثنين في كل أسبوع، بالإضافة للفترات التي تسبق الأعياد الدينية المسيحية (**عيد الميلاد وعيد الفصح**)، وكان يحكم على من يخرقها بعقوبة (الحرمان الديني EXCOMMUNION).

أما قواعد قانون الحد من الحروب التي تم وضعها محدثاً فيشملها عدد من النصوص الدولية أهمها (صك عصبة الأمم لعام ١٩١٩ م)، و(**ميثاق بريان كيلوج لعام ١٩٢٨ م**) و(**ميثاق هيئة الأمم المتحدة لعام ١٩١٩ م**) و(**نظام المحكمة العسكرية الدولية المعروفة باسم محكمة نورمبرغ**)، ومواثيق المنظمات الإقليمية مثل (**منظمة الدول الإفريقية**) و(**جامعة الدول العربية**) وأخيراً (**اتفاقية تعريف العدوان لعام ١٩٧٤ م**).

قانون الحرب

فيشمل «جملة القواعد التي على المتحاربين التقيد بها أثناء عملياتهم الحربية تجاه الخصم» مثل **قواعد القصف والاقتحام والقنبلة والأسلحة الحربية التي يسمح باستخدامها ضد الخصم وتلك التي لا يسمح باستخدامها**.

وقد تم وضع قواعد قانون الحرب عبر عدد من المؤتمرات الدولية منها (**معاهدة وستفاليا**) لعام ١٦٤٨ م، و(**مؤتمر باريس**) لعام ١٨٥٦ م، و(**تصريح سان بطرسبرج**) لعام ١٨٦٨ م، **ومؤتمرا لاهاي للسلام** لعامي ١٨٩٩ و١٩٠٧ م[٣].

ولكن أهم النصوص التي تنظم الحرب البرية[٤]، هي القواعد التي تحويها (**لائحة الحرب البرية** RÈGLEMENT DE LA GUERRE SUR TERRE) الملحقة باتفاقية لاهاي الثانية لعام ١٨٩٩ م، والرابعة لعام ١٩٠٧ م.

القانون الإنساني

الذي هو موضوع بحثنا هذا، فهو من أحدث فروع القانون ظهوراً وإن كانت بعض مظاهره قد تم تطبيقها منذ العصور القديمة.

ويعتمد هذا الفرع من القانون المبدأ التالي: **بما أن الحرب شر لا بد منه - كما تدل وقائع التاريخ - لذلك فمن المناسب تخفيف ويلاتها وأضرارها ومصائبها ما أمكن ذلك، وذلك بجعلها أكثر إنسانية من الحروب البربرية القديمة**، ومن هنا جاءت تسمية هذا الفرع من القانون باسم (**القانون الإنساني**)، لأنه يستهدف ادخال الروح الإنسانية في الحروب، وعلى هذا يمكن تعريف هذا القانون الإنساني بأنه «**جملة المبادىء والقواعد الوضعية والعرفية التي تستهدف التخفيف من ويلات الحرب والتقيد بالروح الإنسانية تجاه جند العدو أثناء خوض المعارك الحربية**».

وإن فكرة ادخال الروح الإنسانية في الحرب - أو ما يسمى «**أنسنة الحرب** HUMANISATION DE LA GUERRE» - راودت ضمائر وعواطف المشرعين والقادة المحاربين منذ قديم الزمان، وذلك لأنها منبثقة عن دافع حب الخير، الذي يلازم النفس البشرية منذ الأزل: فقد أوصى مثلاً المشرع الهندي (**مانو** MANU)، في تشريعه الذي وضعه حوالي سنة ١٠٠٠ ق. م، بأنه «على المحارب الا يقتل عدواً استسلم ولا أسير حرب ولا عدواً نائماً أو أعزل، ولا شخصاً مسالماً غير محارب ولا عدواً مشتبكاً مع خصم آخر»[٥].

أما **الإسلام**، فقد حوى بشكل وضعي، سواء في **القرآن الكريم أو في السنة النبوية الشريفة**، مبادىء كثيرة متعلقة بالقانون الإنساني وكيفية معاملة جند العدو بشكل عام وأسرى الحرب بشكل خاص[٦]: ففي مجال المعاملة التي ينبغي على المسلمين التقيد بها تجاه أسراهم من الأعداء مثلاً نجد الآية الكريمة: ﴿**حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها**﴾[٧]، والتي تضع الأمير المسلم أمام خيارين لا ثالث لهما وهما:

- **المن**: أي العفو عن الأسير واطلاق سراحه من غير مقابل.
- **الفداء**: وهو اطلاق سراح الأسير مقابل دفع مبلغ من المال أو مبادلته بأسير مثله من المسلمين.

وقد تقيد قادة الحرب المسلمون بهذه الأحكام الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وطبقوها فعلاً فمارسوا في ذلك قواعد القانون الإنساني قبل أن يعرفها العالم بشكل وضعي بعد ذلك بحوالي اثني عشر قرناً من الزمن.

والحقيقة أن بعض هذه القواعد انتقلت إلى أوروبا في عصر **الحروب الصليبية**، ولكن رغم هذا بوسعنا التأكيد على أن القرون الوسطى قد انصرفت بكاملها تقريباً قبل أن تعرف أوروبا أي نص قانوني وضعي يتعلق بمبادىء القانون الإنساني، حيث لم يكن هناك أي تفريق بين **غير المحاربين** (الشيوخ والنساء والأطفال)، وبين **المحاربين** (الجنود)، وفي مجال المحاربين لم يكن هناك تفريق في المعاملة بين **المقاتلين**، وبين **غير المقاتلين** (الجرحى والمرضى والأسرى والمستسلمين..).

وبدا هذا بشكل خاص في الحروب التي خاضها الأوروبيون تجاه الشعوب غير الأوروبية وغير المسيحية: ففي عام ١٤٩٢ م، مثلاً عندما احتل الملكان الإسبانيان **فرديناند وإيزابيلا** مدينة **غرناطة**، آخر معاقل العرب المسلمين في **الأندلس**، لم يقبلا الابقاء على حياة سكانها من المدنيين المسلمين إلا بشرط تنصرهم، بالرغم من أنهما كانا قد تعهدا **لأبي عبد الله الصغير**، آخر ملوكها المسلمين، بضمان الحرية الدينية للمواطنين المدنيين المسلمين الذين يرغبون بالبقاء في المدينة. وكان من نتيجة ذلك «**محاكمات تفتيشية**» أدت إلى إفناء نصف السكان المدنيين المسلمين الذين كانوا يقطنون غرناطة في ذلك الوقت وهجرة الباقين أو تنصرهم، سواء كان هذا التنصر حقيقة أو تظاهر منهم بذلك (ظل نفر كبير منهم ولمدة تقارب قرناً كاملاً يتظاهرون بالتنصر مع محافظتهم على أداء الشعائر الإسلامية داخل بيوتهم)[٨].

إن مقارنة بسيطة بين هذه التصرفات الهمجية وبين تنفيذ أحكام العهود التي كان قادة المسلمين يقطعونها لسكان البلاد المفتوحة تدل على مقدار السبق الذي حققه الإسلام في مضمار معاملة المدنيين من الشعوب المعادية ووضع مبادىء القانون الإنساني موضع التطبيق: فقد جاء في العهد الذي كتبه



★ جان جاك روسو ★

خالد بن الوليد لأهل «**عانات**» من النصارى أنه «صالحهم على أن لا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة ، وعلى أن يضربوا بنواقيسهم في أي ساعة من ليل أو نهار إلا في أوقات صلوات المسلمين ، وعلى أن يخرجوا الصلبان في أيام عيدهم» .

وأول محاولة جرت في أوروبا لادخال فكرة حماية غير المقاتلين في الحروب (وهي محور اهتمامات القانون الإنساني اليوم) قام بها أحد رجال الكنيسة الفرنسيين ، وهو **الكاردينال «بيلارمان»** (١٥٤٢ - ١٦٢١م) ، الذي يقول في أحد كتبه اللاتينية التي تحمل عنوان (**المبادىء العفوية للدين المسيحي**)[٩] : «إن غير القادرين على الحرب كالقاصرين والنساء والشيوخ والعجزة الآخرين يجب عدم المساس بهم ، لأن الدوافع الإنسانية تدعونا لعدم قتل أولئك الذين لا يستطيعون القتال . إن رجال الدين والأجانب والتجار والفلاحين الذين يزرعون أراضيهم يجب عدم أسرهم تمشياً مع أعراف جميع الأمم» .

مثل هذه الأفكار الإنسانية ، التي كان الإسلام قد عرفها وطبقها قبل ذلك بقرون ، لم تجد لها آذاناً صاغية في أوروبا إلا في أواسط القرن السابع عشر ، حيث تم تضمين معاهدة (وستفاليا WESTPHALIE) لعام ١٦٤٨م ، بعض المبادىء الأساسية في حماية غير المقاتلين . وقد بدأت هذه الأفكار تتكرس في كتابات فلاسفة ومشرعي القرن الثامن عشر ، وخاصة الفقيه السويسري «**إيمريك فاتيل**» في كتابه (**قانون الأمم** DROIT DES GENS) عام ١٧١٥م ، والفيلسوف الفرنسي (**مونتسكيو**) في كتابه (روح القوانين L'ESPRIT DES LOIS) ، وكذلك (**جان جاك روسو**) ، في كتابه (العقد الاجتماعي LE CONTRAT SOCIAL) .

وبالرغم من كل ذلك يمكن القول إن تطبيق مثل هذه الأفكار والمبادىء في الحروب الأوروبية بشكل فعلي لم يحصل إلا خلال القرن التاسع عشر بعد الثورة الفرنسية ، وبهذا الشكل انتقلت بعض مبادىء القانون الإنساني من إطار (**مبادىء الأخلاق الدولية** MORALE INTERNATIONALE) ، غير الملزمة إلى إطار **العرف الدولي** الذي يجب مراعاته بشكل ملزم من قبل جميع الدول والقادة والعسكريين .

ولكن هذه المبادىء العرفية لم تسجل في نصوص تعاهدية مكتوبة إلا في منتصف القرن التاسع عشر ، ولذلك قصة يستحسن التوقف قليلاً عندها : ففي عام ١٨٥٩م ، شارك رجل سويسري اسمه (**هنري دونان** HENRY DUNANT) ، في معركة (**سولفيرينو** SOLFERINO) ، التي دارت بين **فرنسا والنمسا** ، وقد صدمته هذه الحرب بأهوالها وفجائعها ومآسيها فألف بعد انتهاء هذه الحرب كتاباً بعنوان (**ذكرى من سولفيرينو** UN SOUVENIR DE SOLFERINO) ، دعا فيه الدول الأوروبية إلى اتخاذ عدة تدابير إنسانية **أهمها** : «عقد مؤتمر دولي يقوم بصياغة مبادىء تعاهدية مقدسة توقع عليها الدول ، ثم تصادق عليها ليصبح ذلك منطلقاً لتشكيل جمعية لمساعدة الجرحى في مختلف حروب البلدان الأوروبية» .

وبالفعل تشكلت الجمعية التي دعا دونان إليها بعد ذلك بثلاث سنوات فقط (عام ١٨٦٣م) ، تحت اسم (**اللجنة الدولية للصليب الأحمر** C. I. C. R.)[١٠] . وذلك في مدينة **جنيف بسويسرا** ، وقد اتخذت لنفسها شعاراً دولياً هو (الصليب الأحمر على أرضية بيضاء)[١١] ، وهو عكس ألوان العلم السويسري (الذي هو صليب أبيض على أرضية حمراء) ، وذلك تكريماً لدور سويسرا في نشوء هذه المنظمة الدولية .

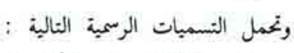
كما يبدو تكريم سويسرا من وجهة نظر أخرى ، وهي أن اعضاء هذه اللجنة ، بالرغم من صفتها الدولية ، يختارون حصراً من المواطنين السويسريين وذلك حفاظاً على حيادها ما أمكن .

وقد تبنت هذه المنظمة ، أي اللجنة الدولية للصليب الأحمر ، الدعوة إلى عقد اتفاقيات دولية للتقليل من ويلات الحرب والتخفيف من مصائبها ما أمكن ونجحت فعلاً في جعل عدد كبير من الدول الأوروبية توقع على اتفاقية دولية بخصوص (تحسين أحوال الجرحى والمرضى من العسكريين في الحروب البرية) ، وتسمى **باتفاقية جنيف الأولى لعام ١٨٦٤م** .

واتفاقية جنيف هذه هي أول اتفاقية في سلسلة اتفاقيات تتابعت بعد ذلك في جنيف في أعوام ١٩٠٦ - ١٩٢٥ - ١٩٢٩ - ١٩٤٩م ، وتشكل في مجموعها أهم قواعد القانون الإنساني المعروفة اليوم . لذا هناك من الفقهاء من يطلق عليها ، لهذا السبب ، اسم (**قانون جنيف** DROIT DE GENÈVE) أو (**قانون الصليب الأحمر**) بدلا من (القانون الإنساني) ، ولكننا نفضل هذه التسمية الأخيرة بسبب شموليتها وعدم ارتباطها بأي دلالة جغرافية أو دينية .

واتفاقيات جنيف المتعاقبة هذه تنسخ الواحدة منها الأخرى ، بمعنى أن الاتفاقيات التي تطبق أحكامها في هذه الأيام هي اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩م ، فقط بالإضافة إلى البروتوكولين الملحقين بها لعام ١٩٧٧م ، واتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩م ، السارية المفعول في هذه الأيام ، هي أربع





وتحمل التسميات الرسمية التالية :

١ ـ اتفاقية جنيف **الأولى** لتاريخ ١٢ آب / أغسطس ١٩٤٩م ، المتعلقة **بتحسين أوضاع الجرحى والمرضى من العسكريين في الحروب البرية .**

٢ ـ اتفاقية جنيف الثانية لتاريخ ١٢ آب / أغسطس ١٩٤٩م ، المتعلقة **بتحسين أوضاع الجرحى والمرضى والمنكوبين في الحروب البحرية .**

٣ ـ اتفاقية جنيف الثالثة لتاريخ ١٢ آب / أغسطس ١٩٤٩م ، المتعلقة **بحماية المدنيين في زمن الحرب .**

وهذه الاتفاقيات الأربع تشكل في مجموع موادها (**وعددها حوالي ٤٠٠ مادة**) أربعة أخماس أحكام القانون الإنساني المعروفة اليوم ، وأما الخمس الباقي فنجده متناثراً في نصوص دولية أخرى وخاصة عبر أحكام (لائحة الحرب البرية) الملحقة **باتفاقيات لاهاي** والتي سبق أن أشرنا إليها .

وقبل أن ننهي بحثنا في هذا المجال من المستحسن أن نشير إلى أن هناك فرق بين (**القانون الإنساني** DROIT HUMANITAIRE- HUMANITARIAN LAW) ، من جهة و(**حقوق الإنسان** DROITS DE L'HOMME- HUMAN RIGHTS) من جهة ثانية ، فبالرغم من أن الاثنين يشكلان جانباً من جوانب القانون الدولي العام المعاصر إلا أن (حقوق الإنسان) أشمل وأعم لأنها مبادىء عامة تطبق سواء بحالة السلم أو الحرب ، وأما (القانون الإنساني) فهو جملة قواعد وضعية في الأغلب ولا تطبق إلا في زمن الحرب حصراً .

وتشمل حقوق الإنسان بشكل أساسي (**الإعلان العالمي لحقوق الإنسان**) الذي يحمل تاريخ ١٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٨م ، **واتفاقية منع إبادة العنصر** GÉNOCIDE لنفس العام ، وجملة اتفاقيات إنسانية أخرى ، مثل (**الاتفاقية الخاصة بتحريم الرق**) ، والاتفاقية الخاصة **بتحريم كافة أشكال التميز العنصري** ، والاتفاقية المتعلقة **بمركز المرأة ، وحماية الطفل ، وتصفية الاستعمار ، وحقوق الإنسان الاجتماعية والاقتصادية .**

وكخاتمة لهذا البحث يمكننا أن نستعير القول التالي من كاتب سويسري يعتبر أكبر فقهاء القانون الإنساني في هذا العصر : « لكي تصل الدولة إلى غايتها من الحرب عليها أن تتغلب على خصمها ، ويكون ذلك بالقضاء على قوى الخصم سواء من الناحية البشرية أو المادية . والقوى البشرية يمكن القضاء عليها **بالقتل والجرح والأسر** ، وهذه النتائج الثلاث متساوية من حيث أثرها في اضعاف قوى الخصم لأن ثلاثتها تخرج الجندي المعادي من المعركة ، ولكنها ليست متساوية من الناحية الإنسانية لأن الموت هو الضرر الأعظم الذي يقع في هذا المجال ، إذ يحدث ضرراً لا يمكن التعويض عنه ، بعكس الجرح الذي هو أخف منه ، والأسر الذي هو أخف من الاثنين ، وروح التمدن تتطلب منا ـ كلما أمكن ذلك ـ تفضيل **الأسر** على الجرح ، **والجرح على القتل** »(١٢) .

هذه المقولة هي الركن الأساسي في بناء (القانون الإنساني) ، الذي بدأ يأخذ أهمية متزايدة في عصرنا هذا ، ولذلك خصصنا هذا المقال للتعريف به .

الهوامش

١) يبدأ التاريخ المكتوب للبشرية باختراع الكتابة حوالي سنة ٣٢٠٠ ق . م ، ولكن بعض المؤرخين يعيده إلى سنة ٤٠٠٠ ق م .

٢) تذكر كلمة (الحرب) وتؤنث في اللغة العربية ، والأصح تذكيرها .

٣) على سبيل المثال لا الحصر .

٤) هناك مؤتمرات أخرى حول (الحرب البحرية) و(الحرب الجوية) .

٥) أنظر مجلة : REVUE INTERNATIONALE DE LA CROIX- ROUGE- No 403 - P.560- GENÈVE - JUILLET 1952.

٦) أنظر المقال الذي كنا نشرناه في العدد التاسع من مجلة (الفيصل) بعنوان (شريعة الحرب عند العرب) .

٧) سورة محمد ـ الآية ٤ .

٨) لمزيد من المعلومات حول الحياة الملحمية لهؤلاء المسلمين أنظر الريبورتاج المنشور في مجلة (العربي) ـ العدد ٢٨٨ ـ ص ٧٠ ـ ٨٧ .

٩) CARDINAL BELLARMIN : «DE Officio PRINCIPIS CHRISTIANIS» - CHAP. XXI.

١٠) COMITÉ INTERNATIONAL DE LA CROIX - ROUGE.

١١) تستخدم البلدان الإسلامية ما عدا إيران وألبانيا شعار (الهلال الأحمر) وتستخدم إيران شعار (الأسد والشمس الحمراوين) بدلا من الصليب الأحمر .

١٢) JEAN S. PICTET : «LES PRINCIPES DU DROIT HUMANITAIRE INTERNATIONAL» - P. 29 - GENÈVE.





ذكريات شخصية

مع الصافي النجفي

بقلم: حسن الدجيلي

حينما كنت أزور **بيروت** صيفاً يعتريني شوق شديد لزيارة شاعرنا **أحمد الصافي**، ويتفاقم هذا الشوق كلما شعرت أن السن به قد تقدم وأن الأمراض به قد فتكت، كل ذلك وفاء لصلة قديمة تربطني به وبأفراد أسرته في **العراق**. ولكن زيارة الصافي ليست سهلة، إذ إن قلة من عارفي فضله في لبنان والعراق يعرفون على وجه التأكيد مسكنه، بل مأواه **فالاتصال به عسير، فهو لا يستخدم هاتفا ولا سيارة ولا يملك سكنا بالمعنى المتداول، ولا ترعاه زوجة ولا أولاد بل ظل عازفا عن الزواج حتى وافاه الأجل**[1]. وإذا شاء محب أو قريب أو أديب زيارته فعليه أن يتوجه إلى مكانين، إما إلى مقهى شعبي يقع قرب «**ساحة البرج**» حيث يرتاده شتاء، أو إلى «**مقهى ومطعم الحاج داود المعروف**» الواقع في منطقة (الزيتونة) عند شاطىء

البحر ببيروت حيث يرتاده صيفاً ، وإذا تعذرت زيارته فأغلب الظن أن يكون الشاعر مريضاً وراقداً في بيته ، أو نائماً على سرير في أحد مستشفيات بيروت .

كانت حياة شاعرنا الصافي قاسية ومريرة جداً ، كانت حياة تشرد واغتراب عن الأهل والوطن ، كانت حياة زهد وتقشف ومرض وسخرية بالحياة . بدأ حياته ثائراً ومجاهداً وتألق في عالم الشعر فيلسوفاً ومفكراً وزاهداً ومجدداً ، وارتدى من الملابس أخشنها وأبسطها وأرخصها ، وانتهت حياته جريحاً برصاص الغدر في بيروت حاملاً جروحه وآلامه إلى بغداد ، هارباً من سعير بيروت ، بعد أن تحولت إلى مقبرة للأحياء ، ناقلاً ثروته الأدبية ، واضعاً حياته في راحتين مرتعشتين ، ماشياً على قدمين متعثرتين ، متوكئاً على هيكل عظمي متداع ليلفظ أنفاسه هناك بعد اغتراب دام أكثر من أربعين سنة وقد قارب الثمانين من العمر .

الصافي .. والغربة

بدأ الشاعر حياته ثائراً ومجاهداً ، وشارك هو وشقيقه الأكبر (**محمد رضا الصافي**) في ثورةالعراق ضد **الاحتلال البريطاني** عام ١٩٢٠ م ، ولما انتهت الثورة عبّر الحدود العراقية إلى **إيران** تخلصاً من ملاحقة السلطات البريطانية . وأقام في العاصمة **طهران** ، وكان قد سبقه إليها شاعر وأديب عراقي آخر هو المرحوم **عباس الخليلي** . وفي طهران **اشتغل الصافي بالتعليم وعين مدرسا لتعليم اللغة العربية ، وانكب خلال هذه الفترة على تعلم اللغة الفارسية فأجادها وتذوق شعرها وآدابها ، وشرع في ترجمة « رباعيات الخيام »** .

حينما أخذت أوضاع العراق بالتحسن وحققت الثورة معظم أغراضها ، نودي بالأمير **فيصل بن الحسين** ملكاً دستورياً ، قرر الصافي مغادرة طهران[٢] والعودة إلى العراق .

كانت عودته كما أتذكر عام ١٩٢٨ م ، واستقر في مدينة **النجف** مسقط رأسه ومسقط رأس كبار شعراء العراق . وكان يومذاك يشكو من التهاب في الرئتين ، فنصحه الأطباء بالسفر إلى **دمشق** طلباً للراحة والاستشفاء . وأخذ يتردد على بيروت التي جعلها بعدئذ محل إقامته المفضل ، وفي بيروت ذاع صيته ونظم قلائد شعره وطبع دواوينه وأصبح من الشعراء البارزين والمعروفين .

وقبل أن أتناول ذكرياتي الشخصية التي دونتها خلال عامي ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ م ، عن حياة شاعرنا الصافي ، أود الإشارة إلى أنه كان « مدرسة شعرية » متميزة إذا ما قورن بكبار الشعراء العراقيين الذين عاشوا وظهروا خلال الفترة التي عاشها في العراق[٣] . فقد انكب على تصوير النفس البشرية ، ورسمها بأجمل المعاني وبأبسط التراكيب اللغوية ، واستعمل لغة مبسطة بعيدة عن الصناعة اللفظية والقوالب الشعرية القديمة يتفهمها كل قارىء . وربما اتهمه بعض نقاد الشعر بالركاكة والعامية الشعرية ، فهو فيلسوف ومفكر قبل أن يكون شاعراً أو ثائراً .

الدرس الأول

منذ الطفولة كنت أعشق عزلة
فأعيش عن باقي الرفاق بمعزل
آوي لهم حيناً فأسعد فيهمو
وأفرّ أحياناً ، فأقصد منزلي
ولربما شاركتهم في لعبهم
حيناً ، وعفتهمو للعبي الأفضل
لعبي المفضل كان ، في نظري لهم
إذ يلعبون ، ونشوة المتأمّل
ولعلني قد كنتُ أدرسُ حالَهم
ليعود يوماً درسهم بمحصَّل
قد كان ذاك لديّ ، درساً أولا
واليوم لم أبرح بدرسي الأوّل
هاتيك مدرستي الأصيلة ، بعدها
بفروعها الرعناء ضاع العقل لي
درسي بها ، وبها أدرّس جاهلاً
متعلماً ، أو عالماً لم يعقل
ما زلت طفلاً ، والأنام تلوح لي
أطفال عقل ، بعدُ لمّا يكمل
نظري لهم باق كسابق عهده
لكنهم مسخوا بزي تعقّل
هم لم يزالوا يلعبون ، ولم أزل
لهمو كما قد كنت ، أنظر من عل
ولكم جهلت مع الأنام مجرباً
حيناً ، وينقص علم من لم يجهل
ولكم غرقت من الحياة بلجّها
وخبرت فيها كل خطب معضل
وسكرت من خمر الحياة وخلها
وعرفت طعمة شهدها والحنظل
واليوم عدت من الوجود لعزلتي
مستغرقاً بتفكري وتأمّلي
فوجدت زاويتي الصغيرة جنتي
والحقُّ كان معي بدرسي الأول

ذكرياتي .. مع الصافي

تعرفت على شاعرنا الصافي وأنا شاب في مقتبل العمر وطالب في المدرسة المتوسطة، وقرأت وتابعت أخباره وتعلقت بشعره، لا لسبب خاص سوى أنني كنت أرتبط -كما ذكرت- بأفراد أسرته بروابط الجيرة والصداقة، ولما رحلت إلى أوروبا والولايات المتحدة لمواصلة دراستي العالية، توقفت علاقتي به ثم تجددت في العقدين الأخيرين. ورأيت من الوفاء والأدب أن أزوره كلما قصدت بيروت مصطافاً أو ماراً بها، ولا سيما بعد أن تقدم به السن وداهمته الأمراض من كل صوب.

في صيف عام ١٩٧٤م، ذهبت إلى «مصيفه» -كما يقول- المطل على ساحل البحر في مقهى ومطعم الحاج داود، مصطحباً زميلين من أقاربي، وجلسنا إلى مائدته .. وفي «زاويته الخاصة» بالمطعم، أبى إلا أن يستضيفنا .. وتحدثنا طويلاً في شؤون كثيرة وسمعنا منه تعليقات أكثر، وأنشدنا من شعره ما قل وطاب. وقد وجدته طاعناً في السن (وربما كان في الخامسة والسبعين)، طاوي المنكبين غائر العينين ضعيف البصر والسمع مضطرب الحركة، يحمل وجهه تجاعيد الحياة وثقلها وهمومها، يابساً كقطعة من جلد، قوي الصوت طلق اللسان سليم التفكير قوي الذاكرة نحيف الجسم، لا يتجاوز وزنه على ما أتصور خمسة وعشرين كيلو غراماً، لا تشاهد على جسمه إلا عظاماً تتصدى صروف الحياة وظروف الشيخوخة. يرتدي كعادته زياً عربياً مؤلفاً من ثوب وكوفية وعقال وعباءة خفيفة يحملها بيده تارة ويسحلها تارة أخرى من دون وعي ولا اكتراث. ولما شاهدته بهذه الصورة وقد بلغ من العمر عتياً، أدركت أن شاعرنا لم يعد، وا أسفاه، ينتمي إلى عالم الأحياء، بل إلى عالم الأموات.

حدثنا عن الآلام التي يعانيها بفعل **التسمم** الذي ألم به من جراء وصفة طبية أعدها طبيبه المختص وأسفرت عن مضاعفات غير متوقعة. وشكا شاعرنا شكوى مريرة من حالته الصحية المتدهورة، ومن ضمور طاقاته الحجمية التي أثرت في نشاطه، ومن **ضعف بصره وعجزه عن الكتابة والقراءة**، مما اضطره إلى الاستعانة ببعض المقربين لانجاز بعض أموره. وكان اليأس والاكتئاب يسيطران عليه وشعرت بانه بدأ بالعد التنازلي، وان نهايته قريبة بل لم يبق منها سوى ايام وساعات محدودة.

شعر الألم

سألته عن آخر ما نظم من شعر وفي أي باب، فأجاب بأن ما نظم من شعر خلال السنوات الأربع الأخيرة، وهي سنوات تدهور صحته، يختلف كل الاختلاف عن شعره القديم فهو **شعر الآلام، ويقع في خمسة دواوين محفوظة في منزله في محلة النبعة**. وحدثنا كذلك عن إمكاناته المادية الجيدة التي جاءت من طبع دواوينه الشعرية وعن حساباته المصرفية، ثم تطرقنا إلى الأسباب التي كانت تدفعه دائماً إلى عدم قبول أي راتب تقاعدي تعرضه عليه السلطات العراقية تكريماً لمكانته الشعرية وسداً لبعض متطلباته المعيشية. فقال إنه في وضع مادي حسن، ولما قيل له إن هذا «الراتب التقاعدي» يحمل معنى التكريم فقط استجاب لرغبة الحكومة عام ١٩٦٧م، وخصص له راتب تقاعدي مقداره مائة وخمسون ديناراً. ونظم بهذه المناسبة بيتين من الشعر وأغلب الظن أنهما لم ينشرا يومذاك وأنشدهما:

هو الحكم لم يخلد لأية دولة
وأعظم حكم ما يزان بانصاف
لئن زال ذاك العهد ما زال ذكره
كفى العهد قدرا أنه قدر «الصافي»

ورجوناه في نهاية اللقاء أن ينشدنا بعضاً من شعره، فأنشدنا المقطوعة التالية التي سماها «**بين نورين**»، وحينما شاهدني أدون أبياتها أصر على أن أتلوها عليه خشية وقوع بعض التحريف أو التصحيف وهي:

كم قد وهبت للورى أشياء
لم أنتظر حمداً ولا ثناء
من هم؟ لأرجو منهموا الجزاء
أشبه إذ أعطيهم السماء
تحسن للكون وإن أساء
كما يربي والد أبناء
يواصل الاحسان والعطاء
عقوه أو بروا به سواء
كالشمس حين تمنح الضياء
لا ترتجي من أحد رجاء
لا مثل من يعطيك كهرباء
بالنور يبغي البيع والشراء

هل أنا المتنبي

قالوا: أنا المتنبي قلتُ ذا خطأ
مهما يك المتنبي فليكن وبقى
إني أنا احمد الصافي أعز به
لئن اكن أنا غيري فهو ينقصني
أضاء نجماً ونوري غيرُ مقتبس
قالوا سيبقى ولا يأتي له شبه
لو مد في عمره ما كنت أفضله
لولا سقامي لأودى بي الطموح كما
نعم كلانا ولوع في مطامحه

وليس يكسبني ذا في القريض غنى
اما أنا فمرادي ان اكون أنا
وذاك قد عز باسم حالف الزمنا
كأنني كوكب منه أنال سنا
هناك شع وها إني أشع هنا
فجاء من زاد معياراً إذا وزنا
قد عشت دوحة شعر إذ قضى غصنا
أودي به ولكان الشعر قد دفنا
لا يرتضي بدلا مهما غلا ثمنا

التقاعد

قبلت بجهد، ان اخصَّ براتب
فشيطان شعري ليس بالمتقاعد
وقلبي مليء بالشباب، وبالهوى
يقربني لفظ «التقاعد» للردى
تكاد تعافُ النفس اخذاً لراتب
فلا تصدموا سمعي بلفظ «تقاعد»
ضعوا راتبي في اي لفظ أردتمُ

برغميَ يدعى راتباً للتقاعد
فما هو يجري زاخراً بالفرائد
دليلي له روح الصبا في قصائدي
فذاك لسنّ العجز أعظم شاهد
ينغّصه في السمع لفظ «التقاعد»
تلوح به للفقر بعض الشواهد
سوى لفظة فيها شفاء لحاسدي

نـوري إلى الله أنتمـي انتماء
للنـاس أفشي نـوره افشـاء
حـيرني سراجـه الـوضاء
أشـع حـين انتهـى انـطفاء

السعادة العليا

ثم أنشدنا مقطوعة أخرى عنوانها « **السعادة العليا** » ، وقال إنه نظمها قبل عشر سنوات وهي :

لا أشتكي الحرمان من دنيائي
لأن عندي لـذة العـطاء
ليس عطاء البذل من ثرائي
فـذاك عندي أتفه الأشياء
لـكن عطاء النور للظلماء
يفوق ليل الجهل بالظلماء
جـريا على سيرة أنبيائي
أسعد أهل الأرض والسماء
برغم ما عانوه من بلاء

وفي نهاية اللقاء ، الأول سئل الشاعر الصافي عما إذا كان قد نظم شعراً في تعظيم آل البيت أسوة بغيره من كبار الشعراء الهاشميين . فأجاب بأن المدح بوجه عام لا يؤلف جزءاً من فلسفته في الحياة ، واستدرك قائلاً إنه نظم أبياتاً في تعظيم آل البيت تخلصاً من الحرج الذي كان يقع فيه أحياناً وتلاها :

« بأهل البيت » ما أكثرت مدحي
فهم أهلي وأكره مدح أهلي
ولكني سأمدحهم بفعلي
ليعلم أن خير الأصل أصلي
سأعرضهم بأفعالي مزايا
وأخلاقاً تفيض بكل فضل
فروحي ناطق عنهم بشعري
وقلبي خافق منهم بنبلي

الصافي ينجو من الموت

وفي لقاء ثان[٤] ، وصف شاعرنا الصافي كيف نجا من الموت خلال الاشتباكات التي حدثت في **منطقة النبعة** ، حيث لازم جميع السكان ، وهو منهم ، بيوتهم أياماً طويلة . وقال لقد كان يسمع الطلقات النارية وكأنها تنهال عليه من كل صوب . وحينما عاد الهدوء إلى المنطقة نزل إلى الشارع لقضاء حاجة ، فلما رآه الجيران ذهلوا وظنوا أنه لاقى حتفه بسبب الطلقات التي انهالت عليه ، وأشاروا إلى الآثار التي تركتها على واجهة الشقة ، ويبدو أنه كان هدفاً لبعض القناصة الذين شاهدوه من بعيد يتنقل في غرفته . وقد وصف الأخطار التي تعرض إليها خلال تلك الأيام الحالكة ، وتخيل جسده ملقى على الأرض ممزقاً بالرصاص لا تسيل لأجله عبرة ، وأصبح تطارده المخاوف بعد أن كان يتمتع بالأمن .. وإليك ما قاله :

بين الرصاص نفذت بين معارك
فبرغم أنف الموت ـ ها أنا سالم
ولها ثقوب في جدار خمسة
قد أخطأت جسمي وهن علائم
ولديَّ خمس مجامع مخطوطة
فيها من الشعر الغريب عوالم

العناد

لي عناد ، طفلاً ، مع الأهل أضحى
لي عناداً لدى أداء الرساله
وعناداً في حفظ أسلوب شعري
رغم نقد المقلدين حياله
وعناداً على بساطة عيشي
رغم أهل الغبا وأهل الجهاله
وعناداً أن لا أساير صحبي
في شرابٍ ولو بقدر ثماله
وعناداً أن لا أساير قومي
إن هم آثروا طريق الضلاله
وعناداً في أن أواصل سيري
مستمراً حتى انطفاء الذباله
وعناداً بأن أشق طريقاً
لي جديداً ، ولو رأيت جباله
أنا إما عزمت أمراً أكمله
ولو أبصر المهات حياله
لم تزحزح رأيي بدون اقتناعي
وقفة العالمين ضداً قباله
أنا لولا العناد ما كنت شيئاً
لا يطيق الزمان يوماً زواله
لم تشوه زخارف العصر فني
حافظ فني الأصيل جماله

للعالم الأدبي فيها ثروة
ماذا سيفقد ـ لو أصبت ـ العالم ؟!

ومما قاله أيضاً :

عشت بيني وبين موتي شعرة
كيف عيشي ؟ الله يعلم سره
كان « عزريل » مغفياً فوق رأسي
وأنا آمن أطوف بحجرة
كان أمن واليوم عندي خوف
كلما لاح لي وجددت ذكره
حيث أبدو ممزقاً برصاص
مفرداً لم تسل لأجلي عبرة
خيفة الموت في الحياة وأما
إن أتى الموت فهو لحظة عصره
أنا آمنت بالقضاء
لأني عشت بين الحياة والموت فترة

وكان آخر ما أنشده الصافي من شعره مقطوعة قال إنه نظمها يوم ٧٥/٨/١٠ م ، وفيها ينادي باطلاق عقل الإنسان من القيود التي أحيطت به ، ويتهم أهله بأنهم يريدون سجنه وهي :

يضيق الكون عن فكري اتساعاً
وأهلي همهم أن يسجنوني
أرادوا السجن لي فيما دعوه
حقائق ليس تقرب من ظنوني
وعقلي لا تقيده حدود
إذا هو لم يصل حد اليقين
لاطلاق العقول وقفت جهدي
فليس كسجنها كل السجون

الأدب الفارسي

ودار الحديث عن الأدب الفارسي **وهو أول من ترجم رباعيات الخيام من الفارسية إلى العربية** ، وأعطاها المنزلة الأولى بين الترجمات ، وأنشدني الأبيات التالية ، ولم أسأله عن ناظمها وكتبها بخط يده بصعوبة .

وترجمتها كما أملاها عليَّ :

من روض الدهر المليء بالأشواق لم أقطف وردة
من جرح الشوق صار قلبي دماً ولم أصل إلى وردة
فهل السرور بالنسبة لي أصبح العنقاء ؟
لأني ما زلت أسمع به ولا أرى لونه

وأخيراً أطلعت على « المجموعة الكاملة لأشعار أحمد الصافي النجفي غير المنشورة » ، (ط وزارة الثقافة والفنون العراقية ، ص ٥٥٠/٥٥١) ، التي تؤكد أنه نفسه ناظم هذه الأبيات .

خاتمة حياته

حينما تصاعدت حدة الاشتباكات في بيروت عام ١٩٧٦ م ، وازداد قصف المدفعية ، أصيب شاعرنا الصافي بجروح ، ونقل على أثر ذلك إلى أحد المستشفيات القريبة للمعالجة . وكان أول سؤال وجهه إلى الطبيب المختص هو : هل ينصحه بالعودة إلى العراق الذي فارقه منذ أربعين سنة لأسباب صحية وهو في هذا الحال ؟ فكان جواب الطبيب بالايجاب . وغادر الصافي بيروت التي أحبها ، يوم الخميس المصادف ١٩ شباط (فبراير) ١٩٧٦ م ، عائداً إلى بغداد يرافقه ممثل خاص عن وزارة الخارجية العراقية ، واستقبل استقبالا حاراً[٥] على الصعيدين الرسمي والشعبي .

في ٢٧ حزيران (يونيو) عام ١٩٧٧ م (١٣٩٧ هـ) ، **انتقل الصافي إلى جوار ربه وشيع تشييعا رسميا وشعبيا ، وحمل نعشه إلى مدينة النجف مسقط رأسه ودفن في مقبرة العائلة . وبوفاته انطوت شخصية شعرية متميزة ، وفقد العراق شاعرا من شعرائه العظام ، وخسر العرب شاعرا عرف بالزهد والتصوف** .. تاركاً وراءه ثروة شعرية كبيرة لم يسبق لكثير من معاصريه أن طرقوا أبوابها وموضوعاتها ، ثروة مليئة بالعطاء الفكري والأدبي والشعري ، رحم الله شاعرنا الصافي .

الهوامش

(١) أنظر مجلة الفيصل ـ العدد السابع (للسنة الأولى) محرم ١٣٩٨ هـ ديسمبر ١٩٧٧ م ، بحث بعنوان « الصافي النجفي شاعر الحياة » صفحة ١١١ .

(٢) فضل صديقه الشاعر والأديب عباس الخليلي الاقامة في طهران ، واشتغل بالصحافة والترجمة والسياسة خلال حكم رضا شاه بهلوي مؤسس الأسرة البهلوية ، وصار نائباً في المجلس وسفيراً لايران في اليمن . وقد حدثني عام ١٩٦٧ م عن حياة الصافي في طهران والمساعدات التي قدمها إليه يومذاك وعن نشاطه الأدبي .

(٣) من هؤلاء الرصافي وآل الشبيبي (الشيخ محمد جواد الأب وأبناؤه ، الشيخ محمد رضا والشيخ محمد باقر والشيخ محمد حسين) ، ومحمد مهدي الجواهري (شاعر العرب المعاصر) ، وجميل الزهاوي والشيخ علي الشرقي وغيرهم كثيرون .

(٤) كان هذا اللقاء في مطعم ومقهى الحاج داود نفسه عام ١٩٧٥ م .

(٥) جريدة « الحياة » البيروتية عدد ٩٤٦٠ في ٢٠ شباط (فبراير) ١٩٧٦ م .



الشعر بين الضحك والبكاء



بقلم : فتحي سعيد

لم تكن الضحكات هي هدف الشاعر من وراء شعره الضاحك الذي أرسله على مر العصور والذي يتندر به الناس ويتمثلونه سيان كان هذا الشاعر فكهاً ضاحكاً لدرجة «الحلمنتيشية» كما فعل **حسين شفيق المصري وبيرم التونسي** في قصائدهما الفصحى .

أو كان هجاء مراً جاداً لا ضحك فيه ولكنه يثير الضحك بما يرسمه من صور لاذعة ساخرة .. كما فعل **الحطيئة وجرير وبشار والفرزدق** .

أو كان استعراضاً للمطايبة والمنادمة .. وطروقاً لمعان جديدة كما كان **أبو نواس وأبو دلامة** .

أو نوعاً من الخروج على المجتمع والتنديد بغدر الناس والحياة مثل **أبي الشمقمق ، وأبي فرعون وعبد الحميد الديب** .

أو نوعاً من المجون الفاحش كما كان **ابن حجاج وابن سكرة** .

أو نوعاً من الظرف والفن والسرد والتاريخ كما في ارجوزتي **ابن مكانس وابن المعتز** .

وقد ظل دائماً للشاعر غرض آخر غير الاضحاك والمفاكهة يختلف من واحد لآخر ومن دافع لآخر كذلك .

فقد كانت «**حلمنتشيشيات**» **حسين المصري** بمثابة نقد لاذع



لم يضحك الشعراء عبثاً ، ولم يطلقوا قصائدهم مرصعة بأغرب الصور وأشدها سخرية أو إيلاما .. بلا قصد، فقد ظل هذا الفن في أغلب الحالات سلاحا يشهره الشعراء ضد شيء ما !



وبقدر ما أدخل الشعر الضاحك البهجة والمرح في قلوب الناس على مر العصور ، بقدر ما أثار الخواطر وفتح العيون على مواطن الخطأ ، وألهب المشاعر ضد الدخيل .

للتناقضات الاجتماعية والاقتصادية وهجوم على الحكام والسلطات مقنعاً بالفكاهة حين لا يستطيع الجهر بالقول .

وكانت هجائيات **الحطيئة وجرير والفرزدق** متنفساً طيباً لاستعراض فحولتهم الشعرية والقبلية معاً مفتنين خلال هذا الاستعراض في حشد الصور المتناقضة اللاذعة الأخيلة والتراكيب ... والتي لا تحمل في طياتها لفظاً ضاحكاً واحداً . وإنما تحمل صورة ضاحكة تثير السخرية وتوجع .

وكانت بكائيات **الديب** تعبيراً صادقاً عن بؤس وشقاء طاحنين أفاض في وصفها تحت وطأة عذابه ... ليضحك الناس منها لما حفلت به من صور غريبة ، كما كانت مفاكهات **أبي نواس** استدراراً لذهب الخليفة حيناً وضماناً لترف القصور ورضا أهليها ... وتعبيراً في نفس الوقت .. عن سليقته المجددة وطبيعته الهازلة .

المهم .. **لم يضحك الشعراء عبثا .. ولم يطلقوا قصائدهم مرصعة بأغرب الصور وأشدها سخرية أو ايلاما .. بلا قصد . فقد ظل هذا الفن في أغلب الحالات سلاحا يشهره الشعراء ضد شيء ما .**

وبمعنى آخر .. كان الاضحاك كما يقول «**مكدوجال**» في كتابه «**سيكلوجية الضحك**» «**جرعة ضد ما هو تراجيدي**» بحيث يصبح الضحك «**حيلة بيولوجية**» يتحايل بها الفنان على انفعالاته أو يشارك بها الغير في وجدان ما . أو يستعلي على موقف ما بضحكة يطلقها قد تحجب وراءها دمعة .

ومن طريف التعابير عن سيكلوجية الضحك ذلك التعبير الضاحك الذي حلل به الكاتب الانجليزي جوزين اديسون الفكاهة :

«الضحك الراقي إنسان جده الأعلى الحقيقة ... وقد أنجبت الحقيقة أبا اسمته حسن الرأي وهذا بدوره أنجب الذكاء الذي تزوج امرأة من قريباته اسمها الفرحة فأولدها مولودا اسمه الفكاهة» .

ولقد كان **الجاحظ** وضيع النشأة قبيح الخلقة .. ولكنه تحايل على هذه الصفات بما تناوله من جرعات ضد مأساته وبما سقاه لغيره من جرعات بدوره .. **فلم يسلم من لسانه أحد** ، ولم يكن الجاحظ شاعراً حتى تلهج الألسنة بقصائده بل كان كاتباً ناثراً عالماً ناقداً من طراز فريد ، **فلم يترك أحد إلا وأنشب فيه قلمه ويده ، وصوره في صور شتى .**

فسخر من **البخلاء** في كتابه الموسوم بذلك .. ومن المعلمين في كتابه «**البيان والتبيين**» ومن معاصريه وأصدقائه في رسالة «**التربيع والتدوير**» معطياً بذلك للناس والتاريخ أدباً وفناً باقيين ، وكما فعل الجاحظ .. نجح **الشربيني** في «**هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف**» في أن يجعل الفكاهة سبيلاً إلى كشف الظلم والفساد والانحطاط الفكري في عصره بما أورده في خطب ومحاورات وأشعار هزيلة تصل إلى حد الاسفاف والبذاءة تثير الضحك لفظاً ومعنى ولكنها تكشف عما وراء السطور من أوضاع فاسدة ، وكذلك فعل **(ابن مماتي)** في كتابه الشهير «**الفاشوش في حكم قراقوش**» .

الشعر .. وفن الكاريكاتير

ولكن الشعر ... كان صاحب السبق دائماً - دون النثر - في فن «**الكاريكاتير**» وبما ابتدعه من صور متحركة حية في مجال الجد والهزل معاً كفلت لها الموسيقى سرعة الانتشار والانشاد .. وتأمل معي بيت **الحطيئة** الشهير الذي يرسم به «**صورة كاريكاتيرية**» لأمه حين يقول لها هاجياً متطاولا :

أغربالا إذا استودعت سرا
وكانونا على المحدثينا

وصورة أخرى شاعت على الأفواه حين تنصل صاحبها من لقبه وعشيرته :

والتغلبي إذا تنحنح للقري
حكَّ إسته وتمثَّل الأمثالا

أو قول الآخر الشائع :

قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم
واستحكموا من رتاج الباب والدار
قوم إذا استنبح الأقوام كلبهمو
قالوا لأمهمو بولي على النار
فتمسك البول خوفاً أن تبول به
ولا تبول لهم إلا بمقدار

ولو أن رساما .. أراد أن يرسم صورة للأم المهجوة والتغلبي المشؤوم .. والعجوز وقومها البخلاء .. لما وجد رسما أدق وأوضح وأدعى للسخرية من هذه الأبيات التي تكاد تكون صورة حية ناطقة .

أو تأمل الصورة الأخرى التي رسمها **دعبل الخزاعي** للخليفة المعتصم يهجوه :

واني لأعلي الكلب عنك رفعة
لأنك ذو ذنب وليس له ذنب

أو تأمل هذا البيت **لعبد الحميد الديب** يصف فيه بؤسه .. والبيت الآخر يصف به جوعه :

وهام بي الأسى والبؤس حتى
كأني عبلة والبؤس عنتر
كُلوا الحكومة أو موتوا من الجوع
صوت الضعيف المرجى غير مسموع

أو هذا المعنى المجسم الذي يصف فيه **بيرم التونسي** زوجة ضخمة :

بالة علم وزنها عند ربي
ليس عند الميزان والقباني
لم يكن قط غير بطن لها
رأس وسمانتان هائلتان

أو هذا المعنى الفاضح **لحسين شفيق المصري** يفضح به **الوساطات :**

يقولون لي هل من وسيط تجيبه
شفاعته عند الحكومة تنفعُ ؟
فهل كانت الليسانس لما أخذتها
شهادة تطعيم بها أتسكعُ

أو في هذا البيت **لناجي** رغم رقته وغزلته :

يا عبقريا في دمامته
ولدتك أمك وهي معتذرة

أو في صرخة **أبي فرعون** المركزة الكسيرة :

هذا جميع قصتي وأمري
أنا أبو الفقر وأم الفقر

أو في وصف **أبي الشمقمق** لحالته دون قصد منه الاضحاك :

ولقد أهزلت حتى
محت الشمس خيالي
ولقد أفلست حتى
حل اكلي لعيالي
من رأى شيئاً محالا
فأنا عين المحال

أو في قسوة **ابن حجاج** عندما هجا **المتنبي :**

يا ديمة الصفع صبي على قفا المتنبي
وأنت يا ريح بطني على سباليه هبي

أو في هذا الهجاء اللاذع لرجل اشتد بخله حتى يقتر على نفسه تقتيرا يصل إلى :

فلو يستطيع لتقتيره
تنفس من منخر واحد ..

ومن أرجوزة **ابن مكانس** ما يشيع الضحك حقاً بقدر ما يتضمن نقداً ورأياً :

لا تندب الطلولا	ولا تكن مهبولا
وإن دعاك أخوة	إلى ارتشاف قهوة
فلا تصفع ذقنكا	ولا تزرهم بابنكا

وذلك الشاعر الذي صور ليلة فراقه من زوجه بهذه الصورة :

ليلتي حين بت طالقة
ألذ عندي من ليلة العرس

وعلى قدر ما سخر الشعراء فأضحكوا حيناً وأوجعوا أحياناً بقدر ما دفع بعضهم الثمن غالياً . فقد قتل **المتنبي** بسبب قصيدته في **ضبة** كما يقال . وقتل **طرفة بن العبد** بسبب قصيدته في **عمرو بن هند** كما قتل **النابغة** لنفس الأسباب . وعرف **بيرم التونسي** التشرد والفقر بسبب قصائده .. خاصة قصيدته الشهيرة **في سلطان مصر .**

الشعر الضاحك عند العرب

لم يفرد العرب باباً للشعر الفكاهي .. أو الضاحك على قدر ما أفرد في ديوان الشعر العربي من أبواب للرثاء والفخر والمدح والهجاء .. وليس معنى هذا جهامة العرب وخلو حياتهم من السمر والترف ، فقد كانت لهم حلقات السمر والقصف والأراجيز الضاحكة .. ولكن **الشعراء العرب أهل بلاغة ، حرصوا على الشعر ولغته مما عصمهم من النزول به إلى حد الاضحاك ... ولقد قال العرب شعرا فاضحا مكشوفا تسامروا به وتندروا .. ولكن لم يذع في جهرة أشعارهم ولكن سجل في مواضع أخرى ، حيث تجده متناثرا في الكشكول (للعاملي) وفي مقامات الحريري وفي الأغاني وفي يتيمة الدهر للثعالبي والمستطرف للمرزباني وأخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي .**

وإن كان شعرهم الهجائي قد غطى إلى حد كبير هذا النقص ، إذ يمكن أن ندرج الكثير منه تحت باب الفكاهة لما يحمله من أوصاف وتراكيب تبعث الضحك وإن خلت من الألفاظ الضاحكة المكشوفة وترسم الصورة الصارخة الموحية دون اسفاف في اللفظ أو خروج .

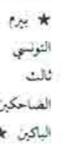
ولقد خفت حدة البداوة وتلك الجهامة التي صبغت الشعر العربي إلى حد ما حين انتقلت الحياة من البادية للقصور واختلط الشعر بالغناء والشراب والدنانير . وامتد بساطه الذهبي على مدى العصرين الأموي والعباسي .



★ أحمد رامي من الشعراء الذين تناولهم بيرم التونسي في شعره الساخر، الضاحك ★



★ بيرم التونسي ثالث الضاحكين الباكين ★



وكان الشعر على قدر تقدير الخلفاء والسراة له في هذين العصرين بالذات لحاجة الدولة لألسنة الشعراء تفخر ببطولاتها أو تشيد بملوكها وتهجو أعاديها .. بجانب هذا الدور كان الشعر يحمل دوره الآخر . أو قل دوره الخلفي .. حين تسدل الستائر وتعد القيان وتبرز الجواري وتمتد موائد الشراب والندامة آخر الليل ويسمح للخاصة من الشعراء بمخالطة أهل المجلس وادخال السرور على قلب الخليفة ويقوم الشعر بدوره في مفاكهة الخلفاء ومطايبتهم . أمثال **أبي نواس وأبي دلامة** بجانب الندماء والسمار الآخرين من الرواة والحافظين أمثال **الأصمعي والجاحظ** الذي كانوا يثقون بظرف الواحد منهم ولا يثقون بدينه .

ولعل ألمع الشعراء نجماً في مجال التفكه والهزل .. هو **الحسن بن هانىء** الشهير **بأبي نواس** ، حتى إن العامة نسجوا حوله الكثير من الحكايات والأساطير وكادوا يطمسون شاعريته الكبيرة تحت وطأة ما نسبوا إليه من طرف وضحكات .

والحق .. أن دماء جديدة دبت في أوصال الشعر العربي على يد **أبي نواس** رغم كل ما عرف عنه من مجون وخلاعة وفسوق .. فقد خلع على الشعر من روحه الضاحكة وموهبته المجددة ما أزاح عن القصيدة خشونة البادية وغرابة اللفظ وسلفية المضمون ، فسخر أول ما سخر من شعرائه الأوائل الذين درجوا على بكاء الاطلال :

دع الرَّبْع ما للربع فيك نصيبُ
وما أن سبتني زينب وكعوبُ
قل لمن يبكي على رسم دَرَسْ
واقفاً ما ضرّ لو كان جلسْ

أو في قوله الآخر :

لا تبك للذاهبين في الظعن
ولا تقف بالمطيِّ في الدِّمن
عاج الشقيُّ على رسم يُسائلُهُ
وعجتُ اسأل عن خمّارة البلدِ

ولم يقل **أبو نواس** شعراً (حلمنتيشياً) فكاهياً بمعنى الكلمة .. وإنما قال شعراً فصيحاً رفيعاً مزج فيه قدرته الشعرية بقدرته على السخرية .. وربما دعم هذا الجانب فيه حرصه على أن يظل بباب الأمراء ينعم بأطايب القصور ولين العيش والذهب المراق .. وهو خير مجال لشاعريته ولخفة ظله .

ومن اجمل ما نقرأ لأبي نواس أبياته التي هدد بها « **إبليس** » إن لم يعد إليه حبيبه الذي هجره .. هدده بماذا ؟ بأنه سيرتكب من الحسنات ما يفزع به إبليس وهو الشيطان :

لا قلت شعراً ولا سمعت غنا
ولا جرى في مفاصلي السُكرُ
ولا أزال القرآن أدرسه
أروح في درسه وابتكرُ
وألزم الصوم والصلاة ولا
أزال دهري بالخير أأتمرُ
فما مضت بعد ذلك ثالثةٌ
حتى أتاني الحبيبُ يعتذرُ

وأتقن أبو نواس اللعبة .. لعبة المنادمة .. مستعيناً بسلاح الشعر ، فعرف أطوار الخليفة ، فهو قد يحشو فمه جوهراً أو يأمر له بالنطع والسيف مرة أخرى .. فأعد عدته للأمر دائماً ، وقد أعانه على ذلك سرعة بديهة ورقة طبع وقدرة على الارتجال فهو يشتري حياته وقد أمر الخليفة بقلته سائلاً اياه عن :

من ذا يكون أبا نواسك إن قتلت أبا نواسك؟
وحياة رأسك لا أعود لمثلها .. وحياة رأسك ..

ومرة أخرى يتلاعب بالحروف فيقلب العين همزة وينقذ جلده من سجن الخليفة .. في قصته الشهيرة **عن عاتكة** والعقد وبيت الشعر الذي كتبه على باب سجنه هاجياً فقال :

لقد ضاع شعري على بابكم
كما ضاع عقد على عاتكة

وتثور عاتكة وتثير قلب الأمير على أبي نواس ويهم لعقابه فيسرع أبو نواس ويمحو باقي حرف العين لتصبح همزة ويصبح البيت بعد تغير المعنى :

لقد ضاء شعري على بابكم
كما ضاء عقد على عاتكة

وينجو أبو نواس ويمنح مكافأة كبيرة .

الباكون الضاحكون الثلاثة

وعلى النقيض من أبي نواس جاءت حفنة من الشعراء الذين تركوا رصيداً ضخماً من الشعر الضاحك **ولكنه ضحك كالبكاء** .. لأنهم لم ينشروه

على موائد الخلفاء وحلقات السمر .. وإنما نفثوه في وجه الخلفاء وكوكبة الحاكمين .. **فكانوا بذلك الضاحكين الباكين حقا** .. يتمرغون في الأسى .. ويضحكون الناس على أساهم هذا .

ولقد لجأوا إلى الضحك ليجهروا من خلاله بالرأي ضد ما يلمسون من مظاهر التخلف والتسلط وينفسون به عن وجيعتهم ليخففوا من حدة الحياة القاسية .

هؤلاء الباكون الضاحكون هم : **عبد الحميد الديب وحسين شفيق وبيرم التونسي .**

فالديب ذاق مرارة البؤس واستمرأ هذه المرارة وجعلها مداراً لأشعاره كلها فجاءت حزينة قاتمة بقدر ما بعثت البسمة على الشفاه ، حتى ليصفه **الزيات** خير وصف حين يقول عن شعره :

« رجعة إلى نوع انقرض من الشعراء الهجائين المستهترين المكدين ، الذين لم تهيئهم طبائعهم للعمل الكاسب ، فأخلدوا إلى التبطل وحملوا عجزهم وعوزهم على لؤم الناس وظلم القدر » .

وأياً كان اخلاد الديب للتبطل .. وحرصه على روح البؤس لم يفته وهو الشاعر أن يرصد عيوب مجتمعه ويصرخ في وجه ظالميه من أجل إخوته الجائعين :

فالرغيف الذي لا يجده .. ولا يجد غيره معه ينقص وزنه عام ١٩٤١م ، بقرار وزاري فيصرخ الديب :

صغر الرغيف كأنما هو قطعة
من قلب تاجره وجلد البائع
فقد كان شيخا للطعام فما له
قد صار شبه وليد شهر سابع
جوعوا .. تصحوا واذكروها حكمة
فالمجد لم يكتب لغير الجائع

والديب الذي لم تبتسم له الدنيا أبداً .. ترق له يوماً فيلحق بإحدى الوظائف ولا يلبث أن يفصل منها ولم تمض أيام عليه فيقول ساخراً :

بالأمس كنت مشردا أهليا واليوم صرت مشردا رسميا

وكان الديب من هذه الفئة المنكوبة الحظ في الدنيا ، أو من هؤلاء الذين ركبوا موجة سوء الحظ تلك دون محاولة النجاة .. فتصور أن في البؤس موهبة وأن العزف الدائم على وتر الضياع والشكوى وسوء الحظ هو عزف منفرد يتميز به عن سائر الشعراء حتى لينال عن جدارة لقب « **شاعر البؤس** » كما كان **حافظ إبراهيم شاعر النيل والمطران شاعر القطرين** وكأنه تاج يلبسه لا لعنة تطارده .

ومن ثم أخلص الديب لبؤسه وهام بفقره .. وشجع ذلك البؤس على أن يحكم قبضته عليه ، ففشل في دراسته بدار العلوم وفشل في جميع وظائفه .. ولم يستقر بسكن واحد أو محل اقامة .. واستنام للكسل والبطالة والترحال الدائم .

وكان ذلك البؤس ثوب من العوسج يدمي جسد صاحبه .. ولا يجد مفراً من تحمل وخز الشوك .. وبدلا من أن يخلع الثوب لينجو بجسده .. إنما آثره على ما يبلوه منه مبرراً لنفسه وللناس ذلك مستمراً في الندب والشكوى :

لا تنكروا الشكوى على متبرم
قلق الحياة كمن يشاك بشوبه
أنا لا أرى لي في شبابي لذة
لهفي على مرح الشباب وعجبه
من كان توأمه الشقاء وصنوه
فشبابه حرب عليه كشيبه

ولقد أخلص الديب لبؤسه كما يخلص عاشق لحبيبه ووفر على ناقديه ومعاصريه أن يطيلوا القول والجدل فيه فأعلن عن هديته في كل موقف وعرج على بؤسه في كل قصيدة واعترف أصدق اعتراف في شعره بذلك في قوله وهو يستقبل أحد الأعياد :

يا معشر الديب وافى كل مغترب
إلا غريبكم في مصر ما بانا
ذبحتم الشاة قربانا لعيدكم
والدهر قدمني للبؤس قربانا

ورحل الديب وحيداً فقيراً يائساً في غرفة مظلمة كالسجن وصفها بأنها لحده الذي يأوي إليه .

أبو نواس الجديد ـ صاحب « المشعلقات »

أما **أبو نواس الجديد** .. **حسين شفيق المصري** .. فلم يكن نواسياً كصاحبنا ولم يكن غارقاً في لجة البؤس كالديب .. ولكنه كان صاحب مدرسة في **الشعر الحلمنتيشي** تصدرت صحفه صدر هذه الفترة مثل **الكشكول** ، **المسامير** ، **البعكوكة** ، وغيرها .

وكان حسين شفيق المصري شاعرا بمعنى الكلمة .. ولكنه بدد شاعريته في المحاكاة والتقليد والنسج على منوال المشاهير من شعراء وأدباء . وقدرته على تقليد اللهجات كقدرته على تقليد الأسلوب . حتى طغت قصائده في هذا المجال على قصائده التي قالها دون تقليد لأحد .

وفي نفس الوقت ركز طاقته المبدعة في دائرة الفكاهة فكان فيلسوفا وشاعرا معا حتى طغى شعره الهازل على شعره الجاد .

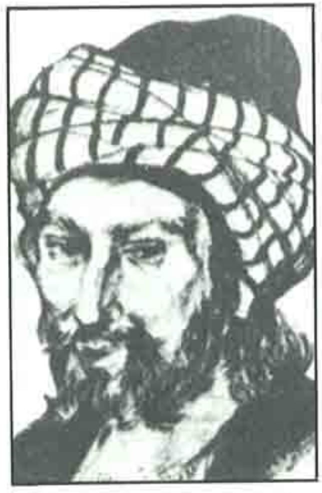
ولم يكن **حسين شفيق المصري** يستهدف الاضحاك فقط من وراء شعره وإنما رفع شعره سوطاً حاداً ألهب به الظهور حوله وفضح عيوب مجتمعه وسخر من تخلفه في شتى المجالات :

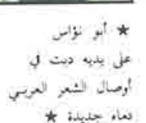
زمان العير قد ولى
بكبيل وخُنطور
وما الكمبيل والوابور
في عصر الطيايير
تقدم كل أهل الأرض
واحنا اللي ف تأخير
فأخيهم ميكانيكي
وأشطرنا الفواخيري

وهو يرفع صوته في وجه الحكام منددا بتدخل الانجليز في **أسعار القطن** مقلداً قصيدة **أبي تمام** الشهيرة « **كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر** » :



★ حافظ إبراهيم
شاعر
النيل ★





★ أبو نؤاس
على يديه دبت في
أوصال الشعر العربي
دماء جديدة ★

لقـد خلـطوا بـالسكلاريدس غـيره

فليس لـه في السـوق وزن ولا سـعرُ

فـلا بيـع في البـورصاء والحـال واقف

ومن لنـكشير النهـيُ يصـدر والأمـرُ

وقد اشتهر شفيق المصري «بالمشعلقات» إذ نسج على منوال المعلقات الشهيرة قصائد طويلة فكهة تدور حول أحد الأحداث ـ سماها «المشعلقات» مثل معارضته لمعلقة **طرفة بن العبد :**

لخـولة أطـلال بـبرقة تهمـد

تلوح كبـاقي الـوشم في ظـاهر اليـد

فقال :

لـزينب دكان بحارة منجـد

تلـوح بهـا أقفـاص عيش مقـدد

وقـوفا بهـا صحبي على هـزارها

تقـولون لا تقـطع هـزارك واقعـد

ومعارضته لمعلقة **امرىء القيس** الشهيرة : «**قفا نبك مـن ذكرى حبيب ومنزل**» فيقول :

يبيعـان مشوي الطحال وتـارة

يبيعـان ممبـارا فخـذ منـه أوكل

كدأبـك مـن أم الفـلافل قبلهـا

وجـارتها أم الخلـول يـا شيخ علي

مـطاعم مـكروباتها تلـد العمـى

لعـين كثـير الأكل والمتقلل

كما كتب قصائد أخرى هي «**المشهورات**» عارض فيها أشهر القصائد العربية منتهجاً نفس الأسلوب وهو النقد الجارح لـلأوضاع حـوله في ثـوب ضاحك يشد إليه القائمين فعارض **أبا العلاء** في قصيدته : «علاني فإن بيض الأماني» ، وعارض **أبا الطيب** في قصيدته :

لاخيـل عنـدك تهديهـا ولا مـال

فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

فقال :

تـظن أنـك بـاشا إذ تخـاطبني

وأنـت في نـظري بـالكاد زبـال

وكل ما فيـك مـن مجـد ومعجـزة

جـوازة حلـوة بجبـوحة عـال

فالست تعطيك مالا حـين تصرفـه

تهز طـولك ممـروعا وتختـال

وظل **حسين شفيق المصري** .. يواصل هـذا اللـون مـن الشـعر الفكاهي حتى ذهب بصره في الأربعينات .. وأسدلت عليه ستارة النسيان .

الضاحك الباكي الأخير

وكان **بيرم التونسي** هو ثالث الضاحكين الباكين .. وبموته اندثر هـذا اللون من الشعر الضاحك الذي لعب دوراً هائلاً على يد بيرم في كفاح الشعب وكشف نوايا الحاكمين .

ولم يكن الشعر الضاحك هو جماع فـن بـيرم كما كان عنـد شـفيق المصري .. ولكنه خاض في بحوره فأبدع بجانب بحر **الزجل** الكبير الذي كان بيرم ربانه الأكبر .. بجانب نثرياته ومقاماته وملاحمه .

ولعل قصيدة «**المجلس البلدي**» أشهر قصائد بيرم «الحلمنتيشية» لما أثارته من ضجة كبرى وقتها .. حتى باتت تتردد في الأزقة وعلى أفـواه النـاس وتعاد طباعتها أكثر من مرة ويعلقها الناس وينشدها المنشدون ويتناولها الشعراء بالتخميس والتشطير حتى بات طبع القصيدة وانتشارها مصدر رزق لـه عند الحاجة وكان يهاجم فيها **الضرائب الباهظة** التي فرضها **المجلس البلـدي بالاسكندرية** في ظل الاحتلال الأجنبي :

قد أوقع القلب في الأشجان والـكمد

هوى حبيب يسمى المجلس البلـدي

لا تنكروا ما رأيتم مـن ضنا جسـدي

ولا فـؤادي الـذي أمسكته بيـدي

إذا الـرغيف أتى فـالنصف آكلـه

والنصـف أتركه للمجلس البلـدي

ومـا كسـوت عيـالي في الشتـاء ولا

في الصيف إلا كسوت المجلس البلدي

أخشى الـزواج فـإن يـوم الـزواج أتى

يبغي عروس صديق المجلس البلـدي

وربمـا وهـب الـرحمن لي ولـدا

في بـطنها يـدعيه المجلس البلـدي

كان أمي بـل الله تـربتها

أوصت وقالت أخوك المجلس البلـدي

وعندما زادت الضرائب هب يندد بها في قصيدة فكاهية :

يـا أيهـا الـراقدون هبُّـوا

فـالكون بـالراقدين يمشي

قلـتم لنـا مـالنا قليـل

قلنا ومـا زال غـير نتْش

فـكم حجـزتم على رغيف
ورطـل سمـن .. وصـحن ميش
وقفـل بيـت وكوز مـاء
وزوج نعـل ونصـف بُـرش

وعندما يشتد الفقر والحرب .. يخاطب حبيبته مستنجداً **بطلعت حرب** صاحب **أول بنك مصري :**

شـليمى لم يـكن بُعـدي
لصـد أو غـنى عنـك
ولـكن لم أكن ألـق
بجيبي نصـف إفـرنك
عسى أن تصـل الشـكوى
(لـطلعت) صـاحب البنـك
هـو الحـرب .. الـذي أضحى
بمصر هـازم الضـنك

ويسخر بيرم من **التقاليد والمواصلات وقذارة الشوارع** فيقول لصاحبه القادم من مصر ليسأله عن حالها :

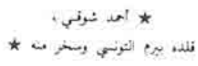
كيف غـدت سـكة زرع النـوى
وبـركة الفيـل وبـاب الحـديد ؟
ألا يـزال داهسـا فيـكم
تـراكم فـوق القضـيب المديـد
وهل نسـاء القـطر قـد أقلعـت
عـن ذلك اللـطم وذاك العـديد
والصـفع في الأقسـام مـا حـاله
هـل خف نـوعا أم قـوي شـديد

ويلتفت بيرم مواصلاً سخريته من **رجل البوليس** معارضاً قصيدة **الشريف الرضي : «منابت العشب لا حام ولا راع»** فيقول :

حـطوا الخفـير على الـدكان يحـرسهُ
فبـاعه جملـةً لا بيـع قـطّاعي
جاء الحـرامي لـه ليـلاً وقـاولهُ
على الذي فيـه مـن مـال وأبضـاع
والصـبح جـاء على الـدكان صـاحبه
لم يجد فيـه غـير السـقف والقـاع
قـال «المعـاون» شـغل ليس نعـرفه
فـاللص لا يسرق المستيقظ الـواعي
وحـرر المحضر المكتـوب صـورته
لكـل لـص ونشـال وقطّـاع
يا ابن اللئيمـة يـا شـاويش بلـدتنا
جعلتنـا ضـحكة الـدنيا بـإجماع

* * *





★ أحمد شوقي ، قلده بيرم التونسي وسخر منه ★

★ خليل مطران ، شاعر قلده آخرون ★

ولم يقف بيرم عند هذا الحد من اشهار الشعر الفكاهي كسلاح ضد التخلف وإنما كتب شعراً فكاهياً خالصاً نابعاً من روح شفيفة وذكاء جم وحصيلة وافرة من القراءة والوقوف على مختلف الثقافات فقلد **أبا العلاء** في لزومياته فقال في بائع **«كباب وكفته»** :

أرى للفـتى الجـربان في السـوق نصْـبةً
يبـاع عليهـا كفتـةٌ وكبـابُ
وحول الفـتى رهـط مـن النـاس واقفٌ
عليهـم دخـانٌ غـامق وضـبابُ
وقُـدّامهم حـطوا صـحون مخلل
بحـافات هـاتيك الصـحون هبـابُ

وقلد **شوقي** وسخر منه .. وقلد شعراء عصره **مطران وحافظ وعبد الرحمن شكري ورامي والهراوي والرافعي** ، وكتب مقامات شعرية كشفت عن بصيرة نفاذة في تحليل الشخصيات فكان بارعاً حقاً في سخريته الجادة .. وبارعاً حقاً في فكاهاته المرسلة عن صفاء طبع وخفة روح وحضور بديهة .

وبقدر ما أدخل الشعر الضاحك البهجة والمرح في قلوب الناس على مر العصور .. بقدر ما أثار الخواطر وفتح العيون على مواطن الخطأ .. وألهب المشاعر ضد الدخيل وحرث أرضا لشعراء العامية بعده .

* * *

وهكذا كان الشعر على مر العصور الحديثة .. سلاحا ذا حدين ، حد يضحك حتى تدمع العيون .. وآخر حتى تدمى القلوب .

ندوة الشهر

اشترك في الندوة

- د. محمد سعيد الشعفي - السعودية
- د. ابراهيم الإمام - مصر
- د. المنصف الشنوفي - تونس
- حسن الزين - السودان
- عبد الله الشيتي - الكويت

الاعلام الاسلامي

ماضيه.. حاضره.. مستقبله

اعداد: محمد مبارك



★ الاعلام .. من أبرز ظواهر العصر وأهمها ، وقد كثرت المؤلفات التي تبحث في أصوله وقواعده ، وتضطلع بأعبائه وتكاليفه مؤسسات وهيئات ، وتوليه جميع الدول اهتماما خاصا في عصر ينتقل فيه الخبر من أقصى الدنيا إلى أقصاها في لحظات معدودات .

والاعلام سلاح ذو حدين فهو مصدر للبناء كما أنه مصدر للهدم ، وهو يساهم في تشكيل العلاقات بين الناس وأساليب اجتماعهم واتصالهم وأمور ائتلافهم ، وينقل المعلومات ويعتبر من أهم وسائل التثقيف والاخبار والتوجيه والارشاد .

وإذا كان الاعلام كعلم من العلوم الانسانية يعتبر من أحدث العلوم ، إلا أنه كفن ووسيلة يعتبر من أقدم الأساليب التي استخدمت في الاتصال وتنظيم العلاقات ونشر الدعوات والتفسير والايضاح .

وهو أيضا كمبادىء وأسس بحث عنها رجاله كثيراً ونقبوا عنها يجد الباحث في التاريخ الاسلامي عامة وتاريخ اعلامه خاصة ، وتقترب تعريفات علمائه من المعاصرين من قواعد الاعلام الاسلامي سواء تلك التي جاء بها الدين الحنيف أم أضاف إليها عصور سابقة ، أو أدخل عليها مما انتهجته القرون الاسلامية الأولى ★ .

والإعلام في تعبير شديد البساطة هو الإخبار بالحقائق والوقائع والمعلومات الصادقة من أجل اتخاذ اتجاه سليم وموقف صحيح .

وإذا كانت وسائل الإعلام في ضوء هذا المفهوم تتجه بالدرجة الأولى إلى بعض صور الاتصال والأنماط الإعلامية التي تعود إلى العصر الجاهلي بالنسبة للعرب مثل **الخطابة** وإقامة **الندوات** والمناداة وعقد **الأسواق** الأدبية والتجارية، فإنها تتجه بقوة إلى ما كان للرواة الثقاة من دور كبير إمتد حتى العصر الإسلامي نفسه، حتى أنه خلال القرون الثلاثة للهجرة كانت **الرواية الشفهية** تسير جنباً إلى جنب مع **الكتابة والتدوين.**

ومن بين قواعد الاعلام الاسلامي ما تمثل في القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأعياد الاسلامية ومجالس الشورى والبعوث الاسلامية والأذان والندوات ومؤتمرات الحج.

والقرآن الكريم أساس المنهج الاسلامي القويم الذي يهدي إلى الحق، **فهو نور من الله وكتاب مبين.**

يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم.

وهو يتضمن جميع الأساليب الإعلامية والدعائية المعروفة من تقديم للأخبار إلى التوجيه والارشاد، واستخدام أساليب الأمثلة والشواهد والتوقيع ورسم معالم **الدعوة الاسلامية** وتقديم القدوة الصالحة مما يجب أن ينهل منه رجال الإعلام المسلمين.

ندوتنا لهذا الشهر تناقش قضية «**الاعلام الاسلامي**» من جوانب وزوايا مختلفة.. يشترك فيها عدد من العلماء والخبراء الإعلاميين في العالم الإسلامي.

جذور الاعلام الاسلامي

في البدء تحدث الدكتور محمد سعيد الشعفي رئيس قسم الاعلام بكلية الآداب بجامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية عن الجذور التاريخية للإعلام الإسلامي.

«الاعلام قديم قدم الإنسان وعهده بالحياة، وتقترب تعريفات علمائه من المعاصرين من جذور إعلامنا الإسلامي.. فهو:

★ **التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت. والمفروض أن يقوم الاعلام على:**

★ الوضوح والصراحة ودقة الأخبار مع ذكر مصادرها.

ويشترط:

★ الالتزام بمعايير الصدق والأمانة.

وينبني الاعلام أيضا على:

★ التنوير والتثقيف ونشر الأخبار والمعلومات الصادقة التي تنساب إلى عقول الناس. وبظهور دين الله الحنيف بدأت مرحلة جديدة كل الجدة في ماهيتها وأساليبها، مرحلة تسمو فوق التعريفات والإضافات كما تفوق خاصة في المرحلة الأولى منها - **الدعوة الاسلامية** - كل ما وصل إليه خبراء الاتصال الجماهيري وأصحاب النظريات التي قسمته إلى **شخصي وجمعي**، أو كما يطلق عليه حديثاً من مصطلحات مبتكرة مثل **المرسل والمستقبل ورجع الصدى.**

وهذه المرحلة الجديدة يقف **القرآن الكريم** منها موقف الأصل والركيزة، وتأخذ الرجل الاعلامي لأول وهلة عدة حقائق تتصل بهذا «**البلاغ**» الالهي، فهو يتضمن جميع أساليب الإعلام والدعاية المعروفة بدءاً من تقديم الخبر على جميع اشكاله ومروراً بالتوجيه والارشاد، وحتى استخدام أسلوب الامثلة والشواهد، واستخدام أسلوب التوقع ووضع يد الدعاة على ما ينتظرهم، ورسم معالم الدعوة الإسلامية، وتقديم المثل الأعلى، والمنهج القويم الذي يوصل إلى أبرز النتائج، كما استند في أكثر مواطن التوجيه والارشاد إلى أسلوب محبب إلى نفوس البشر فنقدم الدليل والعبرة معاً ذلك هو **أسلوب القصص القرآني.**

ويأتي بعد ذلك النبي محمد ﷺ القدوة الاعلامية، ومن أبرز ما تركزت فيه أساليبه الاعلامية، أحاديثه النبوية ثم خطبه الكريمة حيث يجد فيها دارس الاعلام كل ما ينشده من معالم الصدق والدلالة، واعطاء الأمثلة الواقعية والقريبة من الأذهان، والاعتراف بفضل السابقين من الأنبياء، وأدب الحديث، وبساطة التعبير، والتواضع، واحقاق الحق، ووضوح الايمان بالرسالة.

والمدقق في أحاديثه وخطبه النبوية - صلوات الله وسلامه عليه - يجد فيها تحقيقا للأهداف التي تسعى إليها جميع وسائل الإعلام المعاصرة وهي الإعلام والإخبار والتوجيه والارشاد والتفسير والايضاح والتثقيف.

وقد تعمقت الجذور الإعلامية ورسخت في عهد الرسول الكريم ﷺ، ووضعت أسسها، واستمر بعضها، وأدخل على الآخر ما يتناسب مع ترامي أطراف الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين».



★ د. محمد سعيد الشعفي ★



★ عبدالله الشيتي★

الاعلام موضوع الساعة

ومن مصر يشترك الدكتور إبراهيم الامام رئيس قسم الصحافة والاعلام بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر برأيه ويورد مثال لمفكر غربي يرى في اللجوء إلى المبادىء الإسلامية خلاص مجتمعه، وهذه المبادىء هي ما يجب أن ننهل منها في إعلامنا الإسلامي :ـ

« إن موضوع الإعلام هذا يعتبر موضوع الساعة، ذلك أن كثيراً من الناس غاضبون على ما تقدمه أجهزة الإعلام في العالم الإسلامي حيث لا يتوائم مع المفاهيم الإسلامية والسلوك الإسلامي.

وأرى أنه لا يمكن أن يتقدم الاعلام الاسلامي في عصرنا الحالي ويواجه مشاكل التنمية وتكوين الانسان المسلم على أساس الهدى الاسلامي الصحيح إلا إذا ارتكز على أساس الاسلام الصحيح.

وسأقدم الآن مثلاً على أن المجتمع الغربي يعاني من الصنم الذي صنعه ذلك أن عالم الغرب يعاني من التردي في **المادية** والشعور **بالاكتئاب والضياع** ولا يجد المخرج إلا بتبني التعاليم الإسلامية وهنالك كاتب تكلم تحديداً في هذا الموضوع ـ **ماكس فيبر** ـ وقال : ان هناك خمس قيم :

١ ـ **التوحيد :** لا إله إلا الله، فيه مساواة وعدالة وعدم شرك وهو فوق الفلسفة المادية وهو قوة دافعة للإعلام والمجتمع.

٢ ـ **القيم الاسلامية :** وهي القيم والتقاليد الإسلامية وخصوصا قيم الأسرة والمجتمع (وهذه التي نجدها منحرفة بالضبط في إعلامنا) هم يبحثون عن قيم من عندنا ونحن نبحث عن قيمنا عند الغرب المكتئب.

٣ ـ **المهابة :** وهي توقير رب الأسرة وتوقير الكبير والكتب المقدسة.

٤ ـ **الاعتدال :** يقولون إن الإسلام يتصف بالاعتدال فالإسلام وسط، والوسط معتدل وهو لا يرضى عن المبذرين والمسرفين كما أنه لا يرضى عن البخلاء، والتوسط قيمة كبرى يفتقدها الغرب.

٥ ـ **السمو الروحي :** وهو أعظم القيم، فيه الارتفاع عن الماديات والدنايا. وهم يشكون من المادة « **الصنم الأكبر** » ومرض العصر وهم يرون في الإسلام الدواء.

ومن جهة أخرى فالعالم كله يشكو من التلوث، فعندما سقط القمر الصناعي السوفياتي في كندا أعربت الحكومة الكندية عن مخاوفها من التلوث، والدول الصناعية الكبرى منها والصغرى مسؤولة عن هذا التلوث وتشكو منه في ذات الوقت وتعقد المؤتمرات لاقتراح العلاجات المناسبة لهذه المشكلة.

إلا أن هناك تلوثاً من نوع آخر نعيش فيه باستمرار، والناس تحسه وتفزع منه، لكن الاحساس والفزع هذا لا يعامل بنفس الإحساس ولا يقابل بنفس الاهتمام، وهو **تلوث ثقافي وإعلامي**، ولا يمكن أن يكون كل العتب على الإعلاميين فقط، فهم يعيشون في بيئة وحضارة وإعلامهم نتاج مجموعة الظروف التي من هذا الشكل.

والأمل معقود على نجاح **وكالة الأنباء الاسلامية** في أن تبرز كوكالة لها أسس ومواثيق خلقية ودينية وأن تتعاون معها الدول الإسلامية وتأخذ منها وتعطيها حتى تصل إلى مركز مناسب بين الوكالات العالمية للأنباء

★ د. المنصف الشنوفي ★



★ حسن الربيعي ★

ذاتيتنا الثقافية

ويتحدث الدكتور المنصف الشنوفي مدير معهد الصحافة وعلوم الأخبار بتونس عن الأمجاد الإسلامية وثقافتنا الذاتية وحتمية اتخاذ إعلامنا الإسلامي لها أسساً يسير عليها فيقول :ـ

« أولا أود أن أنبه إلى ضرورة تدعيم أصالتنا التاريخية والحضارية بالبحث في جوانب ديننا الحنيف في كافة المجالات والأبعاد التي تواجه المسلمين في عصرنا الحاضر المتميز بطغيان المادة واهمال الجذور الأساسية للأصالة الإسلامية.

ولا شك عندي والمجتمعات العصرية قد بحثت بعد عن أصول مجدها وحضارتها أنه خليق بنا ونحن أمة مجدها راسخ وقديم أن نبحث عن جذور أصالتنا كعرب اتخذوا الإسلام لهم ديناً، وبناة لحضارة إسلامية عريقة اعترف خصومنا بدورها الايجابي في بناء الحضارة الإنسانية.

فالاسلام عند ظهوره اعتمد بصفة لا تختلف عما تقوم به وسائل الاعلام اليوم منهجا قويما في نشر الدعوة الاسلامية وبالتالي في الاعلام الديني في أجدى مظاهره، إذ دخل الناس في الدين الحنيف أفواجا وأفواجا.

ولا أريد أن أتحدث عن رواة الحديث ودعاة السنة وعن الطرق العلمية التي قامت عليها الدعوة النبوية وواصلها أصحاب الرسول ﷺ والتابعون لهم باحسان وأجيال من كبار العلماء والفقهاء مكنوا من ترسيخ الدين الإسلامي في جزء شاسع جداً من الكرة الأرضية إذا قيس ذلك بما تعمد إليه أحدث وسائل الإعلام في العالم المتقدم لاعتبر بحق أهم جذور لما ينبغي أن يقوم به الإعلام الإسلامي من دور في إرساء قواعد ذاتيتنا الثقافية التي هي إسلام وعروبة ولغة عربية ».

الدعوة الاعلامية الأولى

ومن السودان يوجز الأستاذ حسن الزين وكيل وزارة الثقافة والاعلام السودانية رأيه في قوله :

« جذور الإعلام الإسلامي تعود إلى « **بسم الله الرحمن الرحيم . . اقرأ باسم ربك الذي خلق** » وهي الدعوة الإعلامية الأولى التي انطلقت في وسط **الجزيرة العربية** حين عم الجهل والضلال وقام بها رسولنا ﷺ خير قيام حتى وصل بها وبنعمة من ربه إلى **المدينة الفاضلة** والمجتمع السامي الذي صار نبراساً لن تنطفىء شعلته ما دامت السماوات والأرض .

ونحن نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا أن نستهدي في عملنا الإعلامي بمبادىء الإسلام الحنيف وأن نسعى كما سعى نبينا ﷺ من قبل وأن نحقق الرجعة الحضارية المرغوبة لذلك المجتمع الفاضل الذي أصبح الأمل المنشود لخلاص البشرية مما تعاني منه الآن من مشاكل سلوكية عميقة الجذور . »

إعلام في حجم الاسلام

ومن الكويت يقول الأستاذ عبدالله الشيتي مدير تحرير مجلة النهضة الكويتية :

« القرآن الكريم في يقين ، وبكلمات قليلة ، ومعان بسيطة أقرر أنه - أي **القرآن الكريم - عالم واسع المدارك من الاعلام والارشاد والتوجيه والتبصير . وكذلك الأحاديث النبوية والسيرة الشريفة وسيرة السلف من الصالحين والخلفاء الراشدين .** هذه المعطيات جميعاً تشكل في جوهرها العظيم وخصائصها الكريمة ، إعلاماً إسلامياً ذا جذور ضاربة في التراث والتاريخ والحضارة العربية والإسلامية التي تنكرنا لها ، وأفسدنا التفرنج ، وساءنا التقليد الأعمى ، وأضرت بنا التيارات الوافدة كالوباء .

وأنا هنا لا أريد أن أؤرخ لماهية وجذور الإعلام الإسلامي ، لغيري من المختصين والمؤرخين أن يفعل ذلك . ولكن **الذي أريد أن أقوله إن إعلامنا العربي والاسلامي يجب أن يقوم ويتحرك ويفعل ويؤثر من خلال القيم والأخلاقيات والمناقب الإسلامية وأن تؤدى هذه المهمة بأسلوب عصري وعلمي ومنطقي .**

ولقد كان الرسول الكريم ﷺ أول من حمل راية الاعلام الاسلامي وقد بعثه الله ليبلغهم الدعوة . . ويعلمهم علم اليقين ، ويهديهم إلى سواء السبيل بالحق والبينة وبالصدق والأمانة .

وإن على هذا العالم الإسلامي الممتد على طول الأرض وعرضها أن يتدارك أمره ، ويحفز إرادته ليضع إعلاماً في مستوى هذا الدين قيمة وموضوعية وانسانية ، وأن يتصدى لمثل هذه المهام رجال قادرون أكفاء أخيار يبتغون مرضاة الله ودين الله . وأن يعيدوا سيرة الإسلام الأولى حتى ترفرف راياتها فوق كل سارية وكل مرتفع من هذا العالم المليء بالمشاحنات والمتناقضات والماديات .

ويجب أن نكون مسلمين حقيقيين لا قولا ، وحقيقة لا وهما ، أو أن تكون مؤسساتنا الاعلامية مرتكزة على أساس روحي ومادي معا وليس على أساس مادي فقط.

ولتكن مؤسساتنا قادرة على أن تقود إعلاماً إسلامياً في حجم هذا الدين وهذا التراث بل وفي حجم الإنسانية .

إنهم الرجال المؤمنون الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، يستطيعون أن يفعلوا هذا وأن يحققوه وينصروه بإذن الله » .

* * * * * * * * * * * *

تعليق

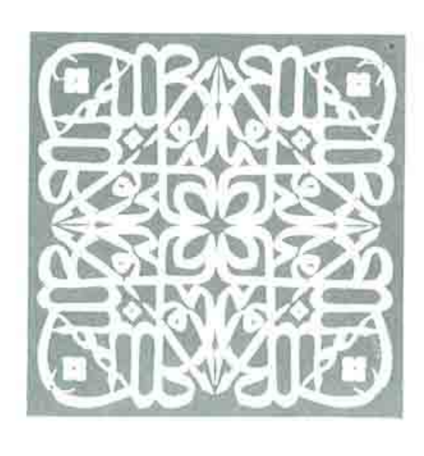
ما أحوجنا في عالمنا الإسلامي إلى الاستفادة من الرعيل الأول من المسلمين في أساليبهم المبتكرة لنشر الدعوة الإسلامية والتي صلحت مع غير المسلمين في إعلامهم أو على الأقل في وضع مبادىء الإعلام السليم . .

إن المعالم المضيئة التي ارتكز عليها الإعلام الإسلامي من صدق وبساطة وحسن اختيار الأسلوب الإعلامي والتشويق والحقائق والإخبار والارشاد والايضاح والتثقيف ، تحقق بها لمسلمينا الأوائل رفع راية التوحيد ونشر الدعوة الإسلامية على أوسع نطاق ، وأيضاً تحقق بها ائتلاف العقول والقلوب .

والمبادىء السامية الخالدة بكتاب الله عز وجل ، والتي حقق بها نبي الله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم القدوة الصالحة للمسلمين صالحة دائماً أن ينهل منها الناس على اختلاف مشاربهم .

وللاعلام الاسلامي جذور عميقة يجب أن يبرزها المتخصصون في مجالات الاعلام المختلفة ، والقيم التي يرتكز عليها إعلامنا الاسلامي والمنطلقة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يجب أن تتبناها وسائل الاعلام المختلفة في العالم الاسلامي ، وكما أن الدين عند الله الاسلام فعلى العلماء المسلمين في كافة مجالات الحياة - ومنها الاعلام - أن ينهضوا وينطلقوا بها ليكون كل مجال منها خليق بأن ينسب إلى الإسلام .

وننتظر اليوم الذي ينسب الفضل فيه إلى أهله بحيث يعترف العالم أن أسس الإعلام السليم القويم إنما نبعت من روافد الاسلام . . وهذا يلقي أعباء ومسؤوليات جسام على المؤسسات الإعلامية في عالمنا الإسلامي بحيث تلتزم بشرف الكلمة وأمانة العرض وحسن القصد .





شرق آسيا المنطقة التي اكتشفت مؤخرًا

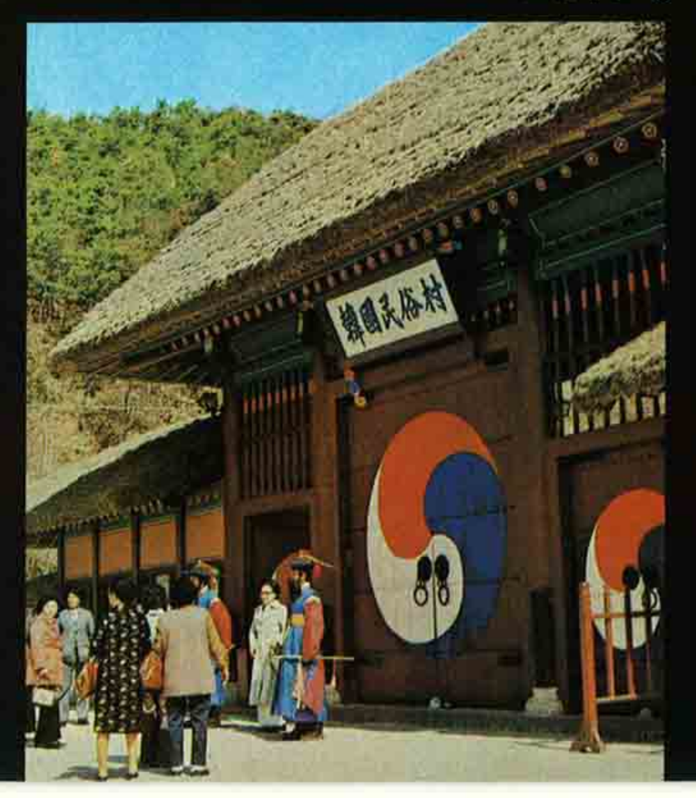
بقلم
عبد الله جفري

★ كانت الرحلة تبدو شاقة جداً .. بطول مسافتها ، وبقصر الراحة في أيامها الثلاثة ! لكنها - في محصلتها - جعلتنا ننظر إلى الوقت برؤية فلسفية متعاطفة مع مكاسب المعرفة واكتشاف الجديد ، والانبهار بقدرة شعب على صناعة التطور المضطرد في حاضره واستشرافاً لمستقبله !

أما مشقتها .. فقد تمثلت في ربطنا بأحزمة الطائرة حوالي ثمانية عشرة ساعة ، ونحن في طيات السحب القطنية .. نعبر فوق جبال ، وبحار ، وندخل إلى ليل دامس ، ونخرج من طرف قرص الشمس القاني ، حينما تميل إلى الأفول .. فكأننا - بين السماء والأرض - نتأمل في صنع هذا الكون الشاسع الباهر دليلاً على قدرة الخالق وآية من آياته . وكأننا بزخم الحميمية في صدورنا ننشد في هذا اللامدى المترامي قصة الإنسان الذي استمد إبداعه من قدرة خالقه .. فربط القارات هذا الرباط المتماسك .. لتكون بين الناس وشائج من عواطف الإنسان ، ولتكون هناك أيضاً فلسفة لأبعاد الانفصام التي تحدث أحياناً من فكرة التسابق إلى حياة أفضل ، أو التصارع من أجل سيادة أقوى !! ★



★ الكثير من العائلات الكورية تحضر أطباق الحلوى الشعبية في المنزل . وهنا تبدو مجموعة من السيدات منهمكات في إعداد فطائر دقيق الأرز مع السكر ★



★ الباب الرئيسي للقرية الشعبية التي تمثل طريقة الحياة في كوريا القديمة . ★

● كأنها زقزقة العصافير بعد طلوع قوس قزح: أصواتهن!

●● نحن نتحد في محاربة الشيوعية عدو الإنسان الحر.

●●● منع التجول في كوريا.. أصبح عادة!



★ آلة موسيقية كورية تشبه القانون فيها اثنا عشر وتراً ★



★ خزاف شاب يزخرف آنية خزفية قبل إدخالها في الفرن. ★



★ بيت ريفي مسقوف بالقش، يذكرنا بهدوء الحياة الريفية ★

ولكننا في هذا الملكوت الممتد.. كنا نتأمل كيف يحس الإنسان في لحظة من عمره بالضعف، وبالضآلة.. رغم أن هذا الإنسان نفسه هو الذي اخترع الطائرة، والصاروخ، وأسرع الوسائل التي تأخذه إلى حفافي العمر عندما يبحث عن عمق الحياة!!

فكأن هذه السحب التي نطويها بزمن قصير من اختراع الإنسان.. تطوينا هي الأخرى في لا مداها الرحب.. فلا ندري لحظتها، هل نغني للحياة أم نصغي لأصداء ما نرتكبه ضد الحياة؟!

ولكننا كنا نعجز عن التأمل الطويل.. لأن طبيعة الإنسان أن يتلفت، وأن يتكلم، وأن يغمض عينيه ليرتاح بالنوم قليلاً من شجونه وأفكاره، وأن يحس بالملل.. فلقد كانت **مسافة الرحلة من جدة**

إلى الظهران ، ومن الظهران إلى «سيول» ، عاصمة كوريا الجنوبية ثمان عشرة ساعة ، وهي مسافة يختلط فيها التقدير للوقت ، والحساب للزمن ، وربما يصبح الوقت في طول هذه المسافة شيئاً لا أكثر من الانتظار الطويل . فنحن داخل مقاعد الطائرة كنا ننتظر اللحظة التي يتحرك فيها الوقت من جديد ، ويتحول إلى عمل ، وإلى خبر ، وإلى رؤية ، وإلى شعور !!

ونحن أيضاً ـ في طول هذه المسافة ـ نفكر في الاتجاه الذي ننطلق إليه .. وبعض رفقاء الرحلة زار الكثير من مدن العالم ، وربما قطع أطول من هذه المسافة إلى «سيول» .. لكنه في هذه الرحلة يشعر أنه يتقدم إلى شيء جديد ، ويتجه إلى رقعة من الأرض لا يعرفها ، لأنها تختلف كثيراً عن كل ما تعرف عليه .. **ومنطقة «شرقي آسيا» بالذات لم يكتشفها الإنسان العادي إلا مؤخراً .. ولكن أميركا ، قد تمكنت من اكتشافها منذ وقت طويل وقالت للعالم : إن هذه الأرض جديدة .. تختلف بناسها عن كل ما تعودناه وعرفناه .. ثم بعد ذلك تنازعت أميركا ، وروسيا على هذا الجزء من العالم وما زال النزاع ما بين مد وجزر .. وما زالت روسيا بايديولوجيتها تنسج أطماعها الكثيرة ضد هذه المنطقة ، لتستفيد من ثرواتها** ، ومن استراتيجيتها ، والصراع محتدم ، والتحديات قد انتقلت من القوتين العظميين إلى نفس شعوب هذه المنطقة .. فهي شعوب تناضل الصخر بأظافر مدببة .. لتحظى باستقلالها إلى التطور ، وتبني بلدانها بخطط التنمية الهادفة قبل كل شيء إلى توعية الإنسان هناك ، وإلى توفير غذائه ، وإلى رفع مستوى معيشته !!

●● وعندما هبطت الطائرة بنا في مطار «سيول» قالوا لنا في أولى النصائح :

« انتبهوا .. فإن الطقس هنا يختلف عن طقس بلادكم إلى النقيض ، ودرجة الحرارة في حوالي الساعة العاشرة **صباحاً** ، كانت (أربعة تحت الصفر) ، وفي **المساء** ، ستكون (سبعة تحت الصفر) . لقد كان فارق الزمن مهولاً مثل فارق المناخ .. فبينما كانت الساعة العاشرة صباحاً في «سيول» ، عرفنا أن الزمن في المملكة العربية السعودية ، هو الساعة الرابعة بعد الظهر من اليوم القادم .. **فنحن في «سيول» الآن .. في بداية يوم السبت ، ولكن الناس في المملكة أصبحوا في يوم الأحد بعد الظهر !!**

فما أشد الفرق علينا بحسابنا للزمن .. وأيضاً ربما تمثل الفرق الزمني كذلك ، عندما نقارن بين عطاء إنسان وإنسان ، وبين انجازاتها ، وبين نظرتيها للإبداع وللإنتاج !!

وبحركة عفوية كنا «نفرك» أكفنا بعضها ببعض . وكان البخار المتصاعد من بين شفاهنا كما «نقلة» سريعة من شعور إلى شعور .. ومن تجربة إلى تجربة . وحاولنا أن نبتسم بحرارة في هذا المناخ البارد جداً ، وعندما لمست أكفنا أكف المسؤولين في **شركة الخطوط الكورية ،** المستقبلين لنا شعرنا بحرارة دافئة .. فكأنما قلوبهم توسطت أكفهم تعبيراً عن فرحتهم بلقائنا !!

وانطلقت بنا الحافلة الصغيرة في شوارع «سيول» .. وكنت لحظتها أسترق السمع إلى حديث هؤلاء الأصدقاء الجدد ، رغم أنني لا أعرف كلمة واحدة من لغة كوريا .. لكنني استمزجتها فكأنها نقر مطر خفيف على شباك زجاجي . أما هذه اللغة بأصوات نسائهم ، فقد كانت شيئاً من نقر الطيور .. كأنها زقزقة العصافير بعد طلوع قوس قزح .. ولم تكن هذه العصافير طويلة الإقامة معنا في رحلة الأيام الثلاثة إلى كوريا .. لكنها أخذت كثيراً من الطبيعة العفوية والباهرة !!

فالطبيعة هناك بساط ممتد .. وسياج لا ينتهي كحزام أخضر يحوط هذه المدينة ليصد عنها النفايات والاطماع . **وإذا لم يكن اللون الأخضر من ألوان شعار كوريا .. فلا بد أن هذا اللون هو اللون السائد في جوانح أهلها** .. فليس من طبيعتهم العنف ، وليس على وجوههم القسوة .. إنما من طبائعهم الصلابة ، وعلى وجوههم ذلك الجد ، الذي حولهم كلهم إلى شعب يعمل بلا كلل . وهم يعملون لتحسين حياتهم ، ولانجاح خطط التنمية في بلادهم ، ولذلك فقد جعلوا ساعات العمل «اثنتا عشرة» ساعة بدلا من ثماني ساعات !!

■■ اليوم الأول

●● قالوا لنا هناك : إنكم أصدقاء لنا ، ومن الضروري أن ندعوكم لتشاهدوا جهودنا من أجل الإنسان الحر وفي مناخ الحياة الكريمة . ونحن نتشابه في أشياء حميمة وملاحقة للمستقبل الذي نرجوه .. فكوريا من الدول النامية ، والسعودية أيضاً . ولدينا خطط للتنمية حققت لنا بعض أحلامنا وما زلنا نواصل العمل ، ولديكم خطط للتنمية استطعتم بها أن تحيلوا الصحراء إلى حدائق ومبانٍ شاهقة ، ومصانع ، ومدارس ، وجامعات ، ومستشفيات ، ولديكم المال ، ولدينا الخبرة واليد العاملة .. ومن هنا كان التقاؤنا ونمت العلاقات في اضطراد !

— قلنا لهم : وهناك رابط أهم وأخطر !

— قالوا : نعم .. فنحن نتحد في محاربة عدو الإنسان الحر : الشيوعية . أنتم تبصرون الأخطار المحدقة بالإنسان على عقيدته وتراثه وثروته وأرضه ، فتحاربون الشيوعية الخطر ، ونحن اكتوينا وعانينا الكثير من تسلط الشيوعية وقهرها ومحاولة تمزيقنا .. لكننا بخطط التنمية وبنظام الاقتصاد الحر ، استطعنا أن نحقق معدلا للزيادة في الإنتاج .. فأصبح نمونا الاقتصادي يمثل ١٠ ٪ في السنة ، ولكن الأخطار ما زالت محدقة بنا .. فقد نجحت الشيوعية أن تقسم الأرض الواحدة ، أو كوريا الواحدة إلى كوريا جنوبية وشمالية ، وفي يوليو (تموز) ١٩٥٣ م ، وقعت اتفاقية تقسيم كوريا عند خط العرض ٣٨° ، وعقدنا **معاهدة الدفاع المشترك مع أميركا** في نفس العام ، وفي السادس من يونيو (حزيران) ١٩٦١ م ، ولدت أول حكومة عسكرية .. وخلال ثمانية عشر عاماً ، استطعنا أن

ننجز ما ترونه اليوم ماثلاً أمامكم . **وما زلنا نواجه خطر مؤامرات الشماليين الشيوعيين** . وكانت لهم محاولات عديدة ، أشهرها **مؤامرة الأنفاق الثلاثة** ، التي اكتشفناها في عام ١٩٧٤ ، وعام ١٩٧٦ ، وعام ١٩٧٨ م . . والهدف منها هو تهريب الأسلحة والمخربين لزرع القلاقل في البلاد ، ولاشغالنا عن بناء مستقبلنا ، وتنفيذ مشاريعنا الإنمائية !

— قلنا لهم : يلاحظ أن هناك انفتاحاً من العالم العربي على بلادكم . . هدفه تطوير التعاون والمشاركة في البناء الحضاري ؟!

— قالوا : رغبتنا في السلام أمنية وعمل ، ولا بد أن ننفتح على العالم الحر لنستفيد ونفيد ، فمشاكل التنمية فيما بيننا مشتركة ، وخطط التنمية لدينا ولديكم هدفها البناء ، والتعمير وتطوير الحياة إلى الرخاء والرفاهية ، ولا ينبغي أن نعيش في خوف لأن حولنا أعداء شرسين . . بل لا بد أن نبلور الخوف فنجعله حذراً ، ونجعله إبداعاً في العمل والإنتاج . . فإذا نجحنا في ذلك استطعنا أن نهزم الشيوعية . . نهزمها ببناء الاقتصاد الحر ، ونهزمها بتوفير الحياة الكريمة والرخاء في شعور كل إنسان !

— قلنا لهم : إننا نستخدم اليوم في بناء خطط التنمية في بلادنا الأيدي الكورية العاملة ، ونبحث معاً التعاون الاقتصادي والفني والتجاري والثقافي ، ونستفيد من خبراتكم في الرغبة لتطوير المجمعات الصناعية ، **وزيادة المشتروات السعودية من منتجات كوريا** ، وفي تقرير أخير عن مجالات هذا التعاون المتعدد . . أثبت أن **صادرات كوريا إلى المملكة العربية السعودية ، قد ارتفعت خلال الشهور التسعة من هذا العام إلى ما قيمته ٥٥٢ مليون دولار ، ومن هذه الصادرات : الألياف الصناعية ، والآلات ، والألواح الخشبية ، والمنتجات المعدنية ، والاطارات . كما أن صادرات المملكة من البترول إلى كوريا الجنوبية ، قد بلغت ٩٢٧ مليون دولار** .

— قالوا : اقرأوا هذا المقال الذي كتبه صحفي كوري ، عن العلاقات بين كوريا الجنوبية والدول العربية . . إنه يقول فيه : « لا شك أن العالم يراقب باهتمام هذه المساهمة التي تقدمها كوريا والبلاد العربية من أجل السلام في آسيا ، والتقسيم الأفقي للعمل بين شبه الجزيرتين يسجل الأنموذج الأفضل للتعاون الدولي في النصف الأخير من القرن العشرين » !!

— قلنا لهم : إنه خلال سبع سنوات مضت استطاعت كوريا أن تحصل على عقود بلغت قيمتها الإجمالية ١٣,٦٠٠ مليون دولار ، في مختلف مشروعات البناء في المملكة العربية السعودية ، **وفي المملكة الآن ، يوجد حوالي ٥٧ ألفاً ، من الفنيين والعمال الكوريين الجنوبيين التابعين لسبع وخمسين شركة !!**

ثم . . . انتهى اليوم الأول من الحوار بهذه الاحصائية التي دلت على أن العلاقات اليوم ، تزداد ازدهاراً ومتانة بين كوريا والسعودية بالذات ، وبينها وبين الدول العربية .

* * *

■■ اليوم الثاني

●● كنت أقف خلف زجاج يؤدي إلى شرفة الغرفة في الفندق بمدينة سيول . . أتأمل ذلك الازدحام العجيب أمامي في الشوارع . . ورغم ذلك فإن الحياة كانت تسير هادئة . . **لا أصوات عالية لأبواق السيارات . . لا سائق سيارة يمد رأسه من نافذة عربته ليشتم سائقاً آخر . . لا تكدس في السيارات أو ضغطاً في المرور ، رغم كثرة تلك السيارات !!**

وتساءلت : كيف هي الحياة في هذه الجزر ؟!

إن كوريا كلها تضم حوالي ٣٤٠٠ جزيرة ، وتاريخها الطويل يصل إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد . وتاريخها الأصل يدون هذه البداية المعروفة في كتب التاريخ عن ميلاد كوريا الكبرى :

● « إن التاريخ يذكر العالم الصيني **كيتزي** ، الذي أسس مستعمرة في **بيونجيانج** ، وفي القرن السابع أنشئت **مملكة سيلا الوطنية** بتأييد الصين ، ومدت نفوذها في أنحاء كوريا ، وجاء الدكتاتور الياباني **هيديوشي** ، ١٥٩٢ ـ ١٥٩٦ م ، فاحتل كوريا في حملته على الصين ، وفي **الحرب العالمية الثانية** ، وعدت أميركا وبريطانيا والصين ، بمنح كوريا استقلالها ، ولكن عندما انتهت الحرب ، قسمت كوريا إلى مناطق احتلال : **الروس** شمال خط عرض ٣٨° ، **والأميركيون** جنوبه » .

● والمعلومة الأخرى ، تقول : « **إن الكوريين يعتنقون خليطاً من البوذية والكنفوشية والشامانية ، وأقلية مسيحية** » . . ولكنهم اليوم ينضوون تحت العلم الكوري الجنوبي . . مواطنين يستيقظون في الصباح المبكر مهرولين إلى أعمالهم ، وينامون في المساء المبكر حفاظاً على صحتهم ، والتزاماً باحترام وقت العمل . **وما زال نظام حظر التجول سارياً كل ليلة من الساعة الثانية عشرة . . فحقق لهم هذا الحظر نوعاً من التماسك الأسري أيضاً ، ورغم أنهم يعرفون أن منع التجول الآن لا ضرورة له . . لكنهم قد تعودوا عليه شكلاً من أشكال النظام ، الذي ارتضوه بهدف تنظيم الوقت من أجل الإنتاج والعمل !!**

وفي كوريا الجنوبية ، يعتمدون أساساً على **التجارة** . . فهم شعب بارع في التجارة التي حولوها إلى « فن » التعامل مع الشعوب ، وهذا الفن مكنهم من الانطلاق إلى العالم الثالث بالذات ، وترويج بضائعهم في العالم الحر . . أما في بلادهم . . فلا بد أنك تدهش أمام الطريقة التي يعاملون بها كل راغب في الشراء من معارضهم ومتاجرهم !

وكنا نضحك كلما تجولنا في أسواقهم ، ونحن نركض إلى بعض تلك الأسواق التي بنيت ونظمت تحت الأرض . . لأننا نبحث أولا عن الدفء هرباً من البرودة ، التي تتسلل إلى عظامنا كلما فتحنا باب الفندق الكبير إلى الشارع . أما لماذا كنا نضحك ، فلم يكن ضحك السخرية ، وإنما كان من ضحك الغبطة والاعجاب . . فالبائعات يخرجن من داخل المعرض ليصافحننا ويجذبننا إلى الداخل ، ولديهن طريقة محببة ومغرية في عرض

السلعة التي يعرفن أنك تود اقتناءها .

وفي أحد المعارض قالت لي الفتاة الصغيرة البائعة :

— هل تريد شيئاً لزوجتك ؟ .. إنه عندي . هل تريد شيئاً لابنتك ؟ .. إنه عندي .

● قلت مبتسماً : بل أريد شيئاً لي !

— فقالت : أمتأكد أنت ؟!

● قلت : ولماذا التأكد ؟ .. إنني أعرف ما أريد !

— قالت : أقصد .. هل انتهيت تماماً من شراء هدايا لزوجتك وابنتك وابنك ؟!

● قلت : ليس كل الهدايا وإنما بعضها !

— قالت : إذن .. أكمل النقص أولا .. فالبيت قبل كل شيء ، وأنت في النهاية !

● قلت : حقاً ما تقولين !

— قالت : هل لك أربع زوجات ؟!

● قلت .. ولماذا ؟!

— قالت : لا تغضب .. فالعرب كما نعرف يتزوجون أربعاً : إن أخي يعمل لديكم في الظهران .

● قلت : ألا ترغبين في زيارته ؟!

— قالت : إنه في عامه الأول .

● قلت : السلام عليكم !

— قالت بلهجة مكسرة : السلام أليكم !!

★ ★ ★

■■ اليوم الثالث

●● يهتم الشعب الكوري **بالفنون** . واهتمامه هذا ينبع أصلاً من تقديره لقيمة الثقافة عند كل شعب ، وهو يرى **أن الفنون معيار يدل على تقدم كل شعب!**

وفي لقائنا مع **مدير عام الصحافة بوزارة الإعلام الكورية** قال لنا :

« إن الثقافة في تقديرنا هي هوية الاستقلال لكل شعب .. فإذا كان شعب ما بلا ثقافة فإنه بلا هوية ، ونعتبر الفنون من أهم ركائز الثقافة للدلالة على تقدم الشعب ، وعلى حفر تاريخه الحافل بالتراث وبالقيم وبالنهضة . ونحن نحترم الدول الأخرى من خلال هذه الهوية .. أو من خلال الفنون التي تمثل في رأينا « **الاختبارات التاريخية** » .. ونحن في كوريا منذ سنوات .. نحرص كثيراً على تأكيد وبلورة تلك الاختبارات التاريخية ، وذلك عن طريق اعادة اكتشاف قيمنا التقليدية .. كذلك الحرص على المحافظة على كل ما لدينا من تراث قديم وبلورته وتطويره عن طريق الفنون ، وعن طريق الاقتراب من ثقافات وفنون الدول الأخرى ، وعن طريق البرامج الثقافية مع دول العالم ، وبعثنا بالعديد من الفنانين والمفكرين والممثلين الكوريين إلى دول كثيرة ، ليطلع العالم على ثقافتنا وفنوننا ، ولنأخذ منهم الدلالة على اختباراتهم التاريخية عبر ثقافاتهم وفنونهم .. فإن المجتمع الإنساني لا يتحقق له البوح والصهر إلا من خلال تعبيراته .. سواء بالكلمة ، أو بالتمثيل ، أو بالرسم ، أو بالنحت ، أو بالموسيقى !

وقد حرص المسؤولون الكوريون في حفلاتهم التي أقاموها للاحتفاء بنا .. أن يقدموا لنا جانباً من **فنونهم الشعبية ..** سواء ما كان منها عن طريق الرقصات الشعبية ، أو عن طريق الغناء .. **ولديهم آلات موسيقية خاصة بهم ..** وهي تتشابه ، أو ربما تتفق مع الآلات الموسيقية التي نراها في **اليابان** ، أو في **الصين** .. لكن التعبير يختلف عند كل شعب منهم عن الآخر . وإن كانوا الآن ينساقون في أغانيهم الحديثة إلى « **الرتم** » الغربي .. لكنهم لا ينسون أبداً أن يحافظوا على طابع بلادهم .

ولقد رأينا ـ أيضاً ـ جانباً من ذلك الفن في النقوش التي يبدعونها على القطع الخشبية .. **وأجمل ما يمكن أن تبتاعه من أسواقهم كهدايا تحملها ، تلك الأشكال الفنية من النقوش والحفر فوق الخشب .**

وقد استفادوا من هذا الفن في الخشب .. فجعلوا الكثير من أدوات المطبخ مثلاً من الأخشاب ، والكثير من التحف أيضاً ، في شكل جميل يجذبك !

وعندما خرجنا من أسواقهم .. تأكد لدينا أن هناك الكثير الكثير مما لم نستطع أنْ نحمله معنا على كثرة ما اشترينا .. فكل ما تراه من منتوجاتهم لا بد أن يشدك للوقوف أمامه ، ثم الرغبة في شرائه !

وعندما حانت ساعة الوداع لنودع « سيول » ، كنا نضحك على اكتشاف تنبهنا إليه في اللحظات الأخيرة ، وهو : أن وزن كل واحد منا قد انخفض بسببين :

●● **السبب الأول :** أننا كنا نمشي مسافات طويلة ولا نشعر بالتعب !

بينما نحن في بلادنا ، قد نسينا هذه الرياضة المفيدة الجميلة بسبب انشغالنا وركضنا ، واعتمادنا دائماً على السيارة !

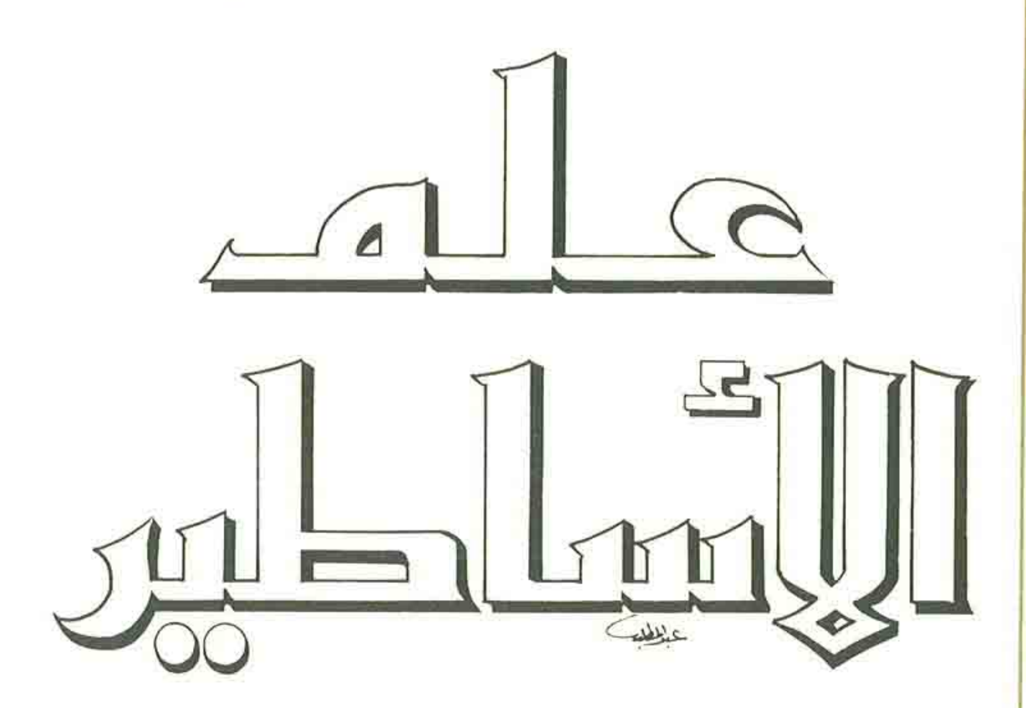
●● **السبب الآخر :** أننا في أغلب وجبات الأكل .. كنا نفضل تناول **الأرز ..** وهو **طعامهم المفضل** ، أو هو كما يسمونه : **طعام الفقراء الأصحاء ..** فهم يتناولون كميات محدودة من الأرز ، ويمشون ويعملون وينامون مبكرين .. فتسبب ذلك الأرز في خفض أوزاننا ونحن سعداء جداً !!

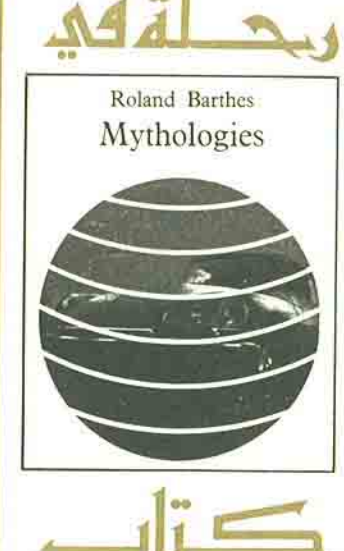
●● **وبعد ...**

فلقد كانت هذه الرحلة .. قد تهيأت لنا بدعوة من الخطوط الكورية .. وضمت بعض المسؤولين عن الصحافة وكتاب الكلمة في المملكة العربية السعودية ، وكان الهدف من ورائها : أن تؤكد جمهورية كوريا الجنوبية تطور العلاقات بينها وبين المملكة العربية السعودية ، في مناخ المساهمات المتبادلة بين البلدين على طريق البناء والتطور !



رحلة في كتاب





تأليف :
رولاند بارتيه

عرض وتحليل :
جمال بدران

★ استلفت نظري هذا الكتاب ، لا لعنوانه أو مؤلفه فقط ، وإنما لما رسمه مصمم الغلاف من خطوط انسيابية تتوازى في دائرة ذات لون أخضر مريح للنظر . بينما تخفزت خلف هذه الخطوط ... سيارة عصرية بالغة الحداثة .. لتنطلق مخترقة هذه الخطوط المنسابة ، مما زادني شوقاً إلى استكناه مضمون الكتاب .

فالسائد أن كلمة الأسطورة تستحضر في الأذهان معنى الخرافة والقدم .. بل وتسترجع عهود ما قبل الرسالات السماوية ، وما سادها من حكايات لقدرات خارقة ، وصور خيالية متماسكة .. أطلقت للانسان العنان ليشرد في حدود إسارها ، لكنها لم تتح له الوثب إلى رحاب الفكر المتسق ، والتأمل المعتقد .. إلا بعد لأي بذل فيه الجهد ، وعانى فيه من تخطي الحواجز ★

لذلك فإن إنسان القرون الثلاثة الأخيرة ، وقد أخذ على عاتقه التنظير ووضع القواعد ، لدراسة التفكير البشري .. بارتقاءاته وسقطاته ، بمعقولياته وخيالاته .. من خلال تلك الأساطير المبتدعة ، وتتبع جذورها البعيدة الغور ، ومتابعة ما دخل عليها من تعديلات أو تشويهات ، وملاحقة المتشابه منها في أنحاء الأرض بالمقارنة والاستصفاء .. حتى أصبح للأساطير منهج بحث يدرسها ويجمعها العاملون عليها به ، ويتطلعون إلى مستوى من العلم يقيمون مبحثهم عليه .. لكنه مثل بقية علوم الإنسان .. مفتقر إلى ثراء مادة بحثه ، عويص الخضوع لافتراض علمي موحد . ومن ثم تعددت وجهات تفسيره ، وتباعدت نظرياته بين تاريخية ومجازية وطبيعية وشعبية وجذور جنسية .. لكنها اشتركت جميعها في حصر مجال بحثها في الماضي وحده دون غيره .

هل يمكن أن نعتبر أنفسنا في عصر أساطير جديدة؟

هنا يقفز إلى الذهن سؤال .. **هل بالامكان أن يتعدى علم الأساطير نطاق الماضي، ويمتد ببحثه إلى حاضرنا الذي نعيش فيه؟**

يقول آخر .. هل يمكن أن نعتبر أنفسنا في عصر أساطير جديد؟

هذا هو ما انفرد كتاب رولاند بارتيه بالتعرض للاجابة عليه.

مضمون الكتاب

وبنظرة شاملة لمحتوياته .. نجدها مقالات نشرت على مدى عامين في **الصحف الفرنسية** في الستينات، تناولت ما دار ويدور في الحياة اليومية من عاديات وغرائب، وترابطت برباط موغل في الأعماق .. هو رباط النظرة الباحثة عن أصول هذه المستحدثات.

فما الذي تناوله مؤلف الكتاب بالبحث والتأصيل؟

أشياء تبدو للوهلة الأولى متنافرة .. فمن المصارعة الحرة إلى الرخصة الضرورية للممثل الجديد، ومن **الرومان في السينما** إلى تزجية وقت فراغ الكاتب، ومن **دورة الدم الأزرق** إلى النقد الأبكم والمكفوف، ومن **المنظفات إلى الحكايات والأولاد، ومن التأكيد على أن باريس لم يغرقها الزحام بعد، إلى الحديث عن العنب واللبن، إلى اللحم وشيه، إلى آداموف** واللغة، إلى مخ **اينشتين**، ومن أسطورتين للمسرح الحديث إلى المرشد السياحي الأزرق ودور فرنسا كملحمة، ومن النحو الإفريقي إلى **سيارة ستروين** إلى القارة المفقودة، ومن **علم الفلك** إلى لدائن البلاستيك إلى العائلة الإنسانية الكبرى .. **وغير ذلك من عناصر متباعدة كل البعد عن بعضها ... لكنه يخلص منها في النهاية إلى إفراد فصل بأكمله للتعريف بالاسطورة اليوم.**

قد يخطر لذهن القارىء من اطلاعه على عناوين هذه الموضوعات، أن الكاتب يستخدم كلمة الأسطورة استخداماً مجازياً، أو أنه يطوع مدلولها الخرافي أو المستحيل للسخرية من هذه المستحدثات الجارية .. **والأمر يقتضينا عندئذ أن نعرض نماذج عما كتب.**

فها هو يقول: **«عانيت في كل لحظة - الرؤية المختلطة - برواية أحداثنا الحاضرة، رؤية الطبيعة والتاريخ»**. ويستعين ببيت من أشعار **بودلير في كلامه عن المصارعة الحرة، فيصدر ما كتبه بما سبقه به الشاعر الجهنمي من قول «إنها الحقيقة المتعاظمة لقبضة اليد في أحداث الحياة الضخمة»** ... ففضيلة المصارعة الحرة يراها في كونها استعراضاً يتسم بالمغالاة، تبرر ملاءمتها للمسارح القديمة التي كانت مكشوفة في الهواء الطلق.

أما في باريس .. حيث الواجهة البارقة، تخفي وراءها قاعات تتنافس في عدم النظافة، يختزن فيها جمهور - باختياره - ليتابع على الطبيعة، أحداث المصارعة وما يلبث هؤلاء أنفسهم، أن يتملكهم الحنق لما يرونه من زيف .. صحيح أن بعضاً من هذه الاستعراضات يكون كاذباً ويتكلف نفقات باهظة .. لكن الجمهور يسخر لمجرد ما إذا كان هذا الاستعراض معرّضاً للتساؤل .. خادع أم غير خادع .. وللجمهور الحق كل الحق، في قناعته بالاطمئنان إلى الواجهة الناصعة من قاعة الاستعراض .. فهي تبطل كل تردد وتنفي كل استنتاج، إنه جمهور يثقل عليه أن يظن غير ما يراه.

المصارعة الحرة والملاكمة

فهل يعرف هذا الجمهور الفرق بين المصارعة الحرة والملاكمة؟

إنه يعرف أن **الملاكمة**، رياضة سيئة، تعتمد على علامات من المهارة، وبالامكان المراهنة على نتيجة صراع الملاكمة. أما **المصارعة الحرة**، فلا تتضمن أية اشارة موحية. مباراة الملاكمة عبارة عن قصة تصاغ أحداثها تحت أعين النظارة؛ أما المصارعة الحرة فعلى العكس تماماً، مجموعة من المشاهد، التي لا يكون أي واحد منها بذي أهمية، فهو مؤقت التأثير.

وهكذا تصبح مهمة المصارع .. ليست الفوز .. بل تأدية الحركات التي تنتظر منه بالضبط، أو المتفق عليها تماما.

هذه المهمة التي يلتزم بها المصارع، هي نفسها التي للمسرح القديم .. فنشاط المصارع يعادل لسان الممثل، ووسائل التنكر والخداع واحدة .. فالأحذية والأقنعة تتحكم بشكل واضح في اشباع الضرورة.

وفي المصارعة الحرة كما على المسارح التقليدية .. إذ لا خجل من التوجع إلى حد البكاء .. ومن ثم يكون جسم المصارع هو المفتاح الأول لإدارة الصراع .. ويكون المصارعان هما الحقل الذي ترتع فيه جرثومة الصراع كله .. حيث ينضج جسد كل منهما على الجمهور نوعاً من التسلية الشاملة تختلط فيها الحركة بالوضع الطبيعي.

وعندما ينتصر أحدهما .. تتدلى ذقنه وهو يفتح فمه في استرخاء، ويمسك بالبطاقة الرياضية تحت ركبتيه، ويقف بجانبه المتعهد معلنا للعامة، بضحكة مقنعة، عن لقاء ثأري

وهـــل بالإمكان أن يتعدى علم الأســاطير نطاق الماضي ويمتد ببحثه إلى حاضرنا الذي نعيش فيـه؟

قريب ، بينما قبع هناك المصارع الآخـر على الارض يضرب التراب ضربات قوية بذراعيه ليفهم الجميع طبيعـة مـوقفه الحرج .

ومن ثم فان كل لحظة في المصارعة الحرة كما في الجبر يـكشف في الحال عن العلاقة بين السبب وبين اثره الملموس ، وعند هـواة المصارعة الحرة ـ بالتأكيد ـ نوع من اللذة الذهنية ، لمشـاهدة اسـتخدام الآليـة باجادة : فأمامهم مصارعون بعينهم ، كممثلين فكاهيين عظماء ، مـرفهون تماماً كشخصية من شخصيات **موليير** ، لأنهم ينجحون في فرض مـطالعة آنية من داخلهم .

إلا أن ايقاع المصارعة الحرة جد مختلف ، لأنـه مستمد مـن هـذه الاطالة البصرية . . كتضخيم الرغبات ، وتبـديل أقصى الانفعـالات ، فعنف الاستجابات لا يمكن أن ينضب ـ بقدر طبيعي ـ إلا على الملابسات الغريبة جداً .

وقد لوحظ ـ في أميريكا ـ أن المصارعة الحرة تمثل نوعا من الصراع الأسطوري بـين الخـير والشر ذات طبيعـة شـبه سياسية . . إذ إن المصارع السيء يكون على الـدوام كما لـو كان « ذا لون أحمر » . أما في فرنسا . . فهـي تـكتشف بـطولة مختلفة تماماً ، فهي نسـق أخلاقـي وليس سياسياً ، وهـو مـا يسعى اليه الجمهور ، الصرح الأكثر تقدما لصـورة مـلائمة . . أقصد صرح الخداع التام .

الخداع التام

إذن ما هذا الخداع التام في نظر هـذا الجمهـور المعقـد ، بشيء من التقريب؟

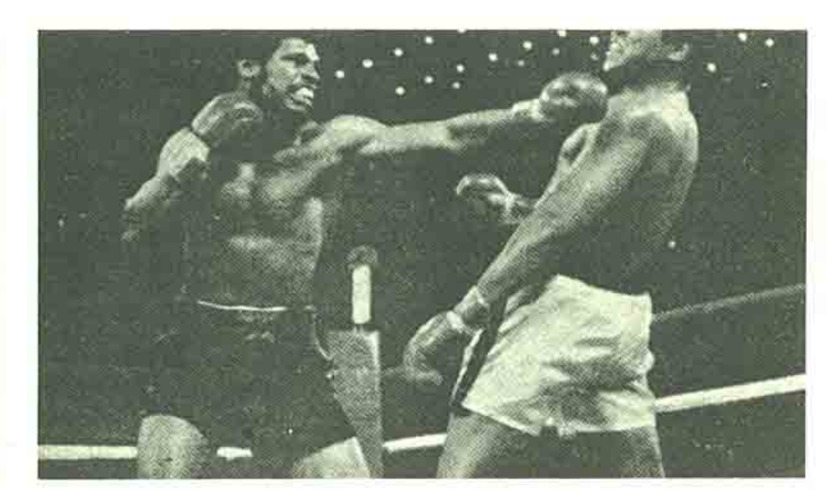
المصارعة الحرة هي كالجمهور تمـاماً . فـالمصارعون رجـال ذوو خـبرة عظيمة ، يجيدون معرفة الانحراف بالحادث التلقـائي العـارض للصراع إلى الصورة التي يعتبرها سائر الناس شريحة فاخرة للفن الأسطوري . فالمصارع بإمكانه أن يغيظ أو يقرف ، لكنه لا يغش أبداً ، لأنه يجري الصراع حتى منتهاه ، في صلابة ذات علامات يعهدها منـه الجمهـور . فـي المصـارعة الحرة ، لا شيء موجود إلا بالتمام والكمال ، ليس من رمز أو كتـابة ، بـل قد وضع كل شيء باستفاضة ، بمعنى آخر لا شيء مـتروك في الـظلام . . إلا الاتفاق .

والأسطورة الأخرى الجديرة بالتنويه عنـد رولانـد بـارتيه هي . . ممثل هاركور . . ففـي فرنسا ، لا يصبح الإنسان ممثـلاً إن لم يكن قد صور في ستوديو تصوير هاركور . ومن ثم يعتبر ممثل هاركور آلها .

فعلم الايقونات في ستوديو هاركور يرفع من حجم الممثـل ، ويـواصل تقديم عرض مبتذل بالضرورة ، لا لأنه يقيم تمثالا غريباً في مدينة لا حراك فيها ، أو بالأحرى مدينة وهمية ، فالتمثال هو الحقيقة هنا ، أما المدينة فهـي الأسطورة ، الحلم الضخم . والممثل في تخلصه بمهارة من لفافته الجسدية ، بربط ذاته الهلامية ببطل ، بنموذج إنساني موضوع في اطار مبالغات معتادة لدى الآخرين . فها هنا الوجه في وضع روائي ، ببراءة ، بـطبيعة سمـاوية تحجب الحقيقة اليومية ، وتسبب خلـلا ، بـوسواس الـظن الأكثر معلقـاً بالعصر وبالبيئة الاجتماعية ، الضعيفين معاً أمام العقل الخالص والاسطورة العارمة ، فجمهور وقت الراحة الذي تضـجر ويـكشف ، يعلن ان هـذه الوجوه غير الحقيقية هي بنفسها التي في المدينة . وهكذا يتاح لـه الضـمير العقلاني الخير لكي يفترض أن رجـلاً مـا يقف خلف الممثـل ، لـكن في لحظة تجريد الملمح ، يبدو هنا دور ستوديو هاركور . . إذ يقيم بـين جمهـور المدينة الضعيف الحواس بشكل عام ، يقيم بينهم إنسان الممثل ، فيعـايش الجمهور اكذوبة التمثال الوهمي . . ويصير الكل مقتنعاً .

وبالمثل . . على سبيل االاستنتاج . . فان صورة من هـاركور بـالنسبة للممثل الكوميدي الشاب ، هو اجراء طقسي مفـروغ منـه ، هـو شـهادة الزمالة العليا . . فالصورة هي بطاقته الحقيقية ليعبر إلى الاحتراف . فهـل هذا تنصيب حقيقـي . . مـادام الشـاب لم يمس **أيقـونة هـاركور أو القديسة اميول** ؟ نعم . . فهذا المربع الذي تنهض فيه رأسـه الخـرافية للمرة الأولى ، يبدو فيه ملمحه الذكي ، رقيقاً أو خبيثاً ، تبعاً للدور الذي تتقرر له فيه الحياة ، ليعتبر اجراء احتفالي يقبل به المجتمع ما هو مطلق من قوانيه الطبيعية الخاصة ، ويقدم له لاحتفال الطقسي وجها يتقبـل بـركة ، في يوم هذا التعميد ، يقدم له كل القوى المرفوضة في الظرف العادي ـ في وقت واحد على الأقل ـ فوق منبر عام : فيكتسي ببهاء لا يتغـير ، وجـاذبية نقية من كل شائبة ، وقدرة عقلية لا تقـترن بـالممثل الفـكاهي في أغلـب الأحوال .

لذلك فإن تصاوير **تيريز ليبرا** أو **أني فاردا** ، على سبيل المثـال ، إذ إنها من الطلائع الجديدة ، يتركان للممثـل وجهـه مجسـداً بعـد أن يحيطانه بهالة مضيئة ، تسبغ عليه نـوعاً مـن التـواضع المرمـوق في دوره الاجتماعي الذي يبديه ويؤديه دونما مبـالغة أو افـتراء . وتبـقى الأسـطورة الحمقاء المتعلقة بوجوه الممثلين ، إذ يعتبر أسلوب المصورين المذكورين بهذا الخصوص جديد جداً . . فـلا يرقى إلى مسـتوى درجـات هـاركور



★ ماذا يعني صراع الملاكمة في الأسطورة ★



★ الجودو... من الألعاب الرياضية الجديدة التي بدأت تلفت الاهتمام ★

التقليدية، ما دام الشعر مجعداً، والارهاق باد على محياه، والرجولة أو التسامي باد على الملامح «تبعاً لجنسه» أسلوب في حد ذاته يمثل شجاعة لكن قلما تقتنع بها المسارح خضوعاً لأسطورة هاركور.

تأصيل الأسطورة

من هذين النموذجين وغيرهما يصل المؤلف إلى أهم جزء في الكتاب.. وهو الخاص بمحاولته التأصيل لعلم الأساطير، ووضع معايير وسبل لدراستها. وتحت عنوان الأسطورة اليوم، يستعين بعلم الاشتقاق اللغوي Etimologie فيعترف بأن لكلمة أسطورة الف معنى، ما دامت الأسطورة كلمة، لكنه يستدرك متحفظاً بقوله إنه يبحث في تحديد الأشياء لا الكلمات.

بالطبع لا بد من لغة، لكن أيضاً لا بد للغة من شروط خاصة، حتى تصبح الكلمة **أسطورة**.. فالأسطورة طريقة للاتصال. وهي أيضاً شكل، واستوجب الأمر مؤخراً أن يوضع لها حدود تاريخية، كشروط استخدام، يمتزج المجتمع بها.. وذلك لا يتعارض مع ما يجب وصفها به أولا.. بأنها شكل.

فالإنسان يرى لأول وهلة أن الميزة الجوهرية للموضوعات الأسطورية يكسوها وهم بيّن. **لأن الأسطورة قول، وربما الأسطورة كلها، ومن ثم تكون خاضعة للبحث. فلا تتحدد بموضوع الهدف الذي تحمله، بل بالشكل الذي تقوله: هناك إذن حدود شكلية للأسطورة جوهرية. فهل يمكن أن تكون لكل أسطورة؟**

نعم، أعتقد ذلك، لأن المجال لا يفرغ إيحاؤه. إن كل موضوع في الدنيا بالإمكان أن يمر من وجود مغلق، صامت، إلى وجود شفاهي، منفتح على اللياقة بالمجتمع، لأن كل قانون، طبيعياً كان أم غير طبيعي لا يتدخل في التحدث عن الأشياء. فالشجرة هي شجرة. نعم ولا ريب، لكن الشجرة الذي يخبرنا بها **مينو درويه**، ليست شجرة الآن بالضبط، بل هي شجرة منمقة، متوافقة باستيعاب معين وموثوق به مع استجابات أدبية، أو صور، مستمدة من استخدام اجتماعي، ومضافة إلى الخامة النقية.

إنه لأمر واضح، أن كل الأشياء لا يخبر عنها في وقت واحد: فتظل موضوعات بعينها فريسة للحديث الأسطوري لفترة، ثم تختفي، لتحل محلها أخريات، حتى تصل إلى مستوى الأسطورة. **فهل هناك من موضوعات جبرية الايحاء؟**

لا بالتأكيد: ففي الإمكان توليد أساطير قديمة جداً، خالية من الأزليات، لأن التاريخ الإنساني هو الذي يدع الحقيقة تمر إلى حالة القول، هو، وهو وحده الذي ينظم حياة وموت اللغة الأسطورية. بعيداً أو غير بعيد، لا يمكن لعلم الأساطير إلا أن يكون ذا أساس تاريخي، لأن الأسطورة هي قول مختار عن طريق التاريخ: **إنها لا تعرف أن تولد من «الطبيعة» أشياء.**

هذا القول هو في حد ذاته هدف. بامكانه إذن أن يكون شيئاً آخر أجود من الشفاهي؛ **بإمكانه أن يكون شكلاً من كتابات أو صور.**

إن البحث المكتوب، بل أيضاً **الصورة الشمسية، السينما، التحقيق الصحفي، الرياضة، العروض، النشرة الاعلانية**.. كل ذلك في الإمكان أن يستخدم لتدعيم القول الأسطوري. فالأسطورة لا يمكن أن تتحدد بموضوعها، أو مادتها، لأن المادة لا أهمية لها إلا إذا أمكن جعلها موقوفة على معنى تحكمي: **حتى ما يذكره الإنسان من تحد يكون كذلك قولا. كذلك الصورة وفن الكتابة، على سبيل المثال، لا ريب أنهما، في إطار الادراك الحسي، لا يحتاجان نمط الشعور نفسه**: وفي الصورة نفسها كثير من طرق القراءة: إذ إن رسماً مبسطاً يكون أكثر تهيؤاً للمعنى عن اللوحة التشكيلية، وكذلك التقليد يمكن أن يكون أكثر من الاصل، كما تكون الصورة الهزلية أكثر احتواء للمعنى من الصورة الشخصية. لكن التزاماً بالدقة، نقول إنه لا توجد أكثر من طريقة نظرية هنا لتشبيه شيء بآخر: فبصدد الحديث عن هذه الصورة، الموضوعة لهذا المعنى: نقول إن القول الأسطوري قد يشكل من مادة مستخدمة من قبل بهدف تحقيق اتصال متوافق. هذا لأن كل مواد الأسطورة، التي قد تكون تصويرية أو كتابية، تستلزم شعوراً ذا معنى، ليمكن للإنسان أن يتحدث فيها

باستقلالية عن مادتها . **هذه المادة ليست سواء : فالصورة** ، في الحق ، أكثر ثباتاً عن **المخطوط** ، إذ إنها تفرض المعنى بلمحة ، من غير تحليلها ، بدون تفريغها . لكنها هنا ليست أكثر من اختلاف تكويني . فالصورة تصير مخطوطة ، منذ اللحظة التي تصبح فيها دالة : مثل المخطوطة ، إذ تسمى مشتقات .

هنا إذن يسمع الإنسان ، ومن الآن فصاعداً ، باللغة ، بحثاً ، قولا ، الخ ، فكل وحدة أو كل تركيب ذو معنى ، يصبح إما شفاهة أو مرئياً : فالتصوير الشمسي سيكون بالنسبة لنا قولا بنفس العنوان الذي يكون مقالا في جريدة ؛ ستقدر الموضوعات نفسها أن تصبح قولا ، لو تضمنت معنى شيء ما .

هذا الشكل النوعي لولادة اللغة يكون خاضعاً من ناحية أخرى للتاريخ ، تماماً مثل المخطوطات : فقبل اختراع أبجديتنا بكثير ، كانت موضوعات مثل **الكويبو إنكا** Kipo Inca ، ولوحات رسم مثل **البكتوجرام** Pictogram ، من الأقوال ذات القواعد . هاهنا ليس القصد أن نقول بأن الإنسان عليه أن يعامل القول الأسطوري كلغة : وإنما والحق يقال ، تنهض الأسطورة من علم واسع ممتد إلى **علم اللغة** ، وهو **علم الاستدلال** .

الأسطورة كمنهج استدلالي

كدراسة لقول ، يكون علم الأساطير ليس إلا ـ في الحق ـ جزءاً من هذا العلم الواسع للدلائل ، الذي كان العلامة **سوسير** قد أكد على أنه ظل مندرجاً تحت اسم علم الاستدلال لأكثر من أربعين عاماً . فهو لم يتأسس به . فضلاً عن ذلك ، فمنذ **سوسير** نفسه وربما قبله بقليل ، آل كل جزء من البحث المعاصر بلا توقف إلى مشكلة من مشاكل المدلول : **التحليل النفسي ، التركيبة ، علم النفس المرضي ، ومحاولات جديدة معينة في النقد الأدبي وضعها بوشلار نموذجاً ، لا يحتاج كل واحد منها لأكثر من دراسة الظاهرة إلا بما تدل عليه . . أو التركيز على معنى ، وهذا يؤدي إلى علم الاستدلال . لا أريد أن أقول إلا أن علم الاستدلال يأتي بتفاصيل مساوية لكل هذه البحوث : له مضامين مختلفة . لكنها تحتوي على نظام عام ، فهي كلها علوم قيم ؛ لا تكتفي بمواجهة الحقيقة : فهي تحددها وترتادها .**

إن علم الاستدلال هو علم التركيبات ، لأنه يدرس المدلولات منفصلة عن مضمونها . أريد أن أقول بأنه قول ضرورة وحدود علم صوري معين .

الضرورة ، هي نفسها لكل لغة دقيقة . لقد سخر **زادانوف** من فلسفة **الكسندروف** عندما تحدث عن « **البناء الفلكي لكوكبنا** » فقال : « **إلى هنا تبين أن الشكل وحده هو الذي أكلفه بأن يكون فلكياً** » . كان **لزادانوف** الحق ، فلا يمكن للإنسان أن يتحدث عن تركيبات بحدود من الصور ، وبالعكس . بالإمكان أن يكون مطبقاً بشكل أفضل على مستوى « **الحياة** » ، فلم يكن فيها إلا جملة لا يمكن تمييز التركيبات فيها عن الصور . لكن العلم ليس فيه من مجال غير إنجاز ما يفوق الوصف : عليه أن يتحدث عن « **الحياة** » ، إذا كان يستهدف تغييرها . على عكس الحركات **الدون كيشوتية** بالذات ، فضلا عن **الأفلاطونية** . . للأسف ، من أجل التركيب ، إذ لا بد أن يرضى كل نقد بالتدريب الروحي ، بالمصنوع من التحليل ، وفي التحليل لا بد من توافق المناهج مع اللغات . فشبح **الصورية** يسبب ارتباكاً أقل .

ربما كان النقد التاريخي أقل عمقاً ، فقد عرف أن الدراسة التصنيفية للأشكال لا تناقض بتاتاً المبادىء الضرورية للجملة وللتاريخ . على النقيض تماماً : فقد حددت أكثر من طريقة بتصنيفها في صورها ، وأكثرها قد كان أطوع للنقد التاريخي . إن كلمة شائعة ، بتحريف لها ، سأقول إن قليلاً من شكليتها بعيد عن التاريخ ، لكن كثيراً منها يقود إليه . فهل من نموذج أصلح للنقد الشامل ، حيث يكون وصفه صورياً وتاريخياً واستدلالياً وفكرياً ، مرة واحدة ، بالأهمية كما في القديس **جينيه لسارتر** ؟

إن الخطورة ، هي على النقيض ، من اعتبار الصور كالموضوعات المزدوجة المعنى ، نصف الصورية ونصف المادية ، من تزيين الصورة بمادة صورة ، كالتي فعلته الواقعية الزادانوفية كنموذج .

إن علم الاستدلال ، بوضعه في نطاق حدوده ، ليس فخاً ميتافيزيقياً : إنه علم بين العلوم الأخرى ، هو لازم لكنه ليس بكاف . فالمهم هو رؤية ما إذا كانت الوحدة الشارحة لا يمكن أن تصدر عن اقتطاع بقدر مماثل أو أكبر من مثيلاتها ، أم تصدر عن النسق الجدلي للعلوم الخاصة التي أدمجها فيه . بهذا يتم الانتقال بالوحدة الشارحة من علم الأسطورة : فهي جزء من علم الاستدلال كعلم صوري ، ومن الأيديولوجيا كعلم تاريخي معاً : وبذلك تدرس الأفكار في شكل ما . . **مثل تطور الإعلام ، وتضخم الصحافة ، والاذاعة ، والمصورات ، بدون الحديث عن الاستبقاء من لا نهاية طقوس نقلية (أي طقوس ذات مظهر اجتماعي) .**

سأنبه إذن إلى أن علم الاستدلال كله يلح على مرابطة بين حدّين ، دالة ومعبر عنه . هذه الرابطة بين موضوعات لنظام مختلف عنها ، ولذلك فهي ليست مساواة وإنما موازاة . لا بد هنا من التنبه إلى أنه على العكس في اللغة المألوفة ، إنها تخبرني ببساطة أن الدالة تتضمن المعبر عنه ، فأمامي مهمة في كل منهج استدلالي . . لا إزاء حدين فقط ، بل ثلاثة حدود مختلفة ، إذ إن هذا الذي أفهمه ، ليس حداً على الاطلاق ، الواحد تلو الآخر ، وإنما هو تضايق يوحدها : إذن فتوجد الدالة ، والمعبر عنه ، والإشارة . . التي تكون الجملة الرابطة للحدين الأوليين : صحبة زهور على سبيل المثال . أجعلها تدل على انفعالي . ألا يوجد هنا إذن غير دالة ومعبر عنه ، أي الزهور وانفعالي ؟ ولا هذا : للقول الحق ، ليس هنا إلا زهوراً « **انفعالية** » . لكن على مستوى التحليل ، توجد بالضبط ثلاثة حدود ، إذ إن هذه الزهور المحملة بالانفعال تنفك بالتمام والكمال إلى زهور

وإلى انفعال : الوحدات والآخر وجدوا قبل الالتقاء وتشكيل هذا الموضوع الثالث ، ألا وهو الإشارة .

وسواء كان حقيقياً ، على المستوى المرئي ، فلا استطيع تفرقة زهور الصحبة المحمولة ، أيضاً ، على مستوى التحليل ، إنني لا أستطيع أن أخلط الزهور كدالة والزهور كإشارة : الدالة فارغة ، والاشارة ممتلئة ، إنها حس .

لدينا مثال آخر . . **حصاة سوداء** : يمكنني أن أجعلها تعني صوراً كثيرة ، فهي دالة بسيطة : لكنني لو أحملها كمعبر عنه بالتحديد (كالحكم بالموت لدى رأي مجهول المصدر) لأصبحت إشارة ، لأصبحت تداخلات وظيفية (**كانتقال من الجزء إلى الكل**) ضيقة جداً لدرجة أن التحليل يمكن أن يظهر فيها كضرب من العبث . لكن الإنسان سيرى للتو أن هذا التمييز ذو أهمية رئيسية لدراسة الأسطورة كرسم استدلالي .

بالطبع هذه الحدود الثلاثة صورية خالصة ، ويمكن طرحها بمضامين مختلفة . وأمامنا ما فعله **سوسير** في اللغة كمثال ، إنه كان يبحث بطريقة استدلالية خاصة ، لكنها نموذج للبحث المنهجي . . فالمعبر عنه هو المعنى المجرد للغة ، والدالة هي الصورة السمعية (**نظام حياة نفسية**) والرابطة بين المعنى المجرد والصورة هي الإشارة (**مثل الكلمة ، أو الكائن العيني**) .

لغة	دالة I	
	٢ ـ معبر عنه	
أسطورة	٣ ـ اشارة / ١ ـ دالة	معبر عنه II
	إشارة III	

نرى الأسطورة في الرسم التوضيحي ، الثلاثي الذي نتحدث عنه : دالة ، معبر عنه وإشارة . لكن الأسطورة أسلوب خاص ، تتأثر فيه بناء على سلسلة استدلالية توجد قبلها : هذا أسلوب استدلالي ثان . فما أشير إليه في المنهج الأول (**أي جملة متآلفة من معنى مجرد ومن صورة**) يصير في المنهج الثاني دالة بسيطة .

يجب التنبه هنا إلى أن مواد الكلام الأسطوري (**لغة مقولة كما ينبغي ، تصوير ، رسم ، إعلان ، طقس ، موضوع الخ**) . بالنسبة للبعض منه القابل للتناقل ـ مادام من الميسور فهمه ـ بواسطة الأسطورة ، يؤول إلى دالة مرشدة خالصة : **فالأسطورة لا ترى فيها إلا مادة أولى معينة : وحدتها هي هذه التي تحولت كلها إلى قانون بسيط في اللغة .**

أما فيما يتعلق بالتصوير الحرفي أو التصوير التشكيلي ، فلا ترضى الأسطورة أن تكون مفهومة هناك إلا على اعتبارها جملة إشارات ، أي إشارة جماعية ، تكون حداً نهائياً لأول سلسلة استدلالية . وهو على وجه الدقة الحد النهائي الذي يعتبر حداً أولا أو جزئياً في المنهج الأوسع الأكثر تأثيراً . بمعنى أن المنهج الأوسع يتم كأن الأسطورة قد أقامت دعامة افتراضية من المعاني الأولى له كمنهج صوري . لأن هذه ترجمة أساسية بالنسبة لتحليل الأسطورة . وبإمكاننا تبينها في الرسم التوضيحي ، بشرط ألا تكون رحابته إلا مجازاً بسيطاً : ففي الرسم نرى ، أن في الأسطورة منهجين استدلاليين ، ينحل أحدهما فيها بارتباطه بالآخر : منهج لغوي ، لغة (**أو طرق التبين التي تمثلت فيها**) ، سأسميه لغة موضوع ، لأنها اللغة التي ترتقي فيها الأسطورة إلى تركيب منهجها الخاص ، أما الأسطورة نفسها التي سأسميها ما وراء اللغة Meta langue ، لأنها لغة ثانية ، القول فيها بالأولى ، تأملاً في ما وراء اللغة . **والاستدلال هنا ليس له أكثر من الاستفسار عن تركيب لغة الموضوع ، ليس له أكثر من رصد التفصيل في الرسم اللغوي : إن المعرفة لن يوجد فيها أكثر من حد جامع أو إشارة جامعة ، والقياس فقط هو الذي يصبح فيه هذا الحد مهيأ للأسطورة .**

هذا هو السبب في كون الاستدلال قد أسس للتعامل بالمنهج نفسه مع المخطوط ومع الصورة : فهذا ما يبرز للفهم منها ، وما جعل كلا الاثنين إشارة ، تحدثان عند عتبة الأسطورة ، مزينتين بدالة مرشدة ، فيقيمان بالواحدة والأخرى لغة لموضوع .

وهنا يقتضي الأمر تقديم مثال أو اثنين على القول الأسطوري :

نستعير ملحوظة في مذكرات **فاليري** : كنت تلميذاً في الخامسة بمدرسة الليسيه فرانسيه ، أفتح كتابي في النحو اللاتيني ، وأقرأ فيه جملة ، مقتبسة من **إيسوب** أو من **فيدر** : « **لأنني أنا الذي أتسمى بالأسد** » . هنا لنتوقف ونفكر : إن ازدواجاً موجوداً في هذه القضية . فمن جانب ، الكلمات فيها ذات حاسة بسيطة : « **لأنني اتسمى أسداً** » . ومن جانب آخر ، الجملة هناك تدلني بإيضاح على شيء آخر : في القياس حيث تقصدني القضية بأنني ، تلميذ في الخامسة ، تخبرني بوضوح : إنني نموذج لنحو مخصص لتصوير القاعدة طبقاً للمحمول . إنني مضطر حتى لمعرفة أن الجملة لا تعبر لي عن الحس بها ، إنها تبحث بنوع من الالحاح عن التحدث معي عن الأسد وعن الصورة التي تتسمى ، فمدلولها الحقيقي والنهائي ، هو في إلزامي أنا كحضور واحد معين باتفاق مع المحمول .

استنتج أنني أمام منهج استدلالي خاص ، آخذ في الاتساع ، لأنه يتسع للغة : فمؤكد أنه توجد دالة ، لكن هذه الدالة هي في ذاتها محددة الشكل بجملة إشارات ، لها وحدها ـ الدالة ـ أول منهج استدلالي (**إنني أسمى أسداً**) . أما بالنسبة للبقية ، فإن الرسم الصوري يتسع بطريقة صائبة : إذ يوجد معبر عنه « **إنني نموذج لقاعدة النحو** » ، ويوجد مدلول جماعي . . وهو ليس شيئاً آخر إلا تضايف الدالة والمعبر عنه ؛ لأنه لا تسمية الأسد ، ولا نموذج قاعدة النحو قد جعلاني منفرداً .

وها هو مثال آخر : **إنني عند الحلاق** ، أمدني بعدد من مجلة باري ماتش . على الغلاف شاب أسود في زي رسمي فرنسي يؤدي التحية العسكرية ، العينان شاخصتان ، مثبتتان ولا ريب على صارية علم مثلث الألوان .

هنالك ، إن الصورة أمامي .. هذه هو حسها . لكن ، ساذج أنا أم لا ، أرى أنها تدلني تماماً : بأن فرنسا امبراطورية مترامية ، وبأن كل أبنائها ، بدون تميز في اللون ، يعملون باخلاص تحت علمها ، وبأنها ليست إلا أحسن إجابة على المشنعين بالاستعمار المزعوم ، وبأن حمية هذا الأسود هي في خدمة الطغاة الوهميين . إذن ، وهنا أيضاً ، أصير أمام منهج استدلالي مغالى فيه : فتوجد دالة محددة الشكل بذاتها ، مسبقاً ، بمنهج قبلي (**جندي أسود يؤدي التحية العسكرية الفرنسية**) ؛ ويوجد معبر عنه (**هو هنا مزج متعمد بين التفرنس والتعسكر**) ؛ ويوجد أخيراً حضور للمعبر عنه عبر الدالة .

المنهج الأسطوري

قبل الانتقال إلى تحليل كل حد من المنهج الأسطوري . يقتضي الأمر أن يتم التفاهم حول مجموع مصطلحات العلم .

فالمعروف الآن ، أن الدالة بالإمكان أن تكون متناولة ، في الأسطورة ، بوجهتي نظر : كحد نهائي للمنهج اللغوي ، أو كحد أصلي للمنهج الأسطوري : هنا يستوجب الأمر اسمين .. اسم على مستوى اللغة ، بمعنى الحد النهائي للمنهج الأول .. فأسمي الدالة : حس (**أتسمى أسد ، أسود يؤدي التحية العسكرية الفرنسية**) ، واسم على مستوى الأسطورة ، فأسمي الدالة : صورة . أما بالنسبة للمعبر عنه ، وليس من ازدواج لمعنى محتمل : فلنترك له اسم المعنى المجرد .

أما الحد الثالث فهو تضايف الاثنين الأولين : في منهج اللغة هو الإشارة : لكن ليس ممكناً استرجاع هذه الكلمة بدون ازدواج المعنى ، إذ إن الدالة ، في الأسطورة (**وتلك خاصيتها الأولية**) ، قد شكلت مسبقاً من إشارات اللغة . سنسمي الحد الثالث للأسطورة ، **المدلول** : وهنا يكون للقول ـ بقدر ما للأسطورة من انضباط أكثر ـ دالتان : فهو يحدد وهو يعلق ، إنه قول يُفهم ويلزم .

بعد هذا التفسير المنهجي لعلم الأساطير اليوم ، وما يوجبه من التزام قاعدي في تناول الأسطورة بالنقد والتحليل .. **يمكننا أن نقول إن المؤلف يحاول أن يخضع الأسطورة للمنطق ومقاييس العقل** .

فما الغرض الذي يستهدف فيه من ذلك ..؟ هل هو تخليص العقل من براثن الخرافات الأسطورية ؟ إنه يعود مؤكداً على ضرورة قراءتها بتمعن وأناة .. وتحت عنوان جانبي .. قراءة وفك رموز الأسطورة .. يقول :

قراءة الأسطورة

كيف تتقبل الأسطورة ؟ هنا يجب العودة إلى تضاعيف دالتها .. حساً وصورة معاً . إذ إنني سأهتم بواحد أو بالآخر أو بالاثنين معاً ، وسأنتج ثلاثة أنماط مختلفة من القراءة .

●● **اولا** : لو اهتممت بالدالة فارغة ، أترك المعنى المجرد يملأ شكل الأسطورة من غير ازدواج ، وأجد نفسي أمام منهج بسيط ، حيث يعود المدلول إلى الحرفية : فالزنجي الذي يحيي هو نموذج للاستعمار الفرنسي ، فيه الرمز .

●● **ثانيا** : لو اهتممت بالدالة ممتلئة ، أميز فيها بوضوح الحس بالشكل ، وأنتقل بتغييره الذي أحدثه إلى الآخر ، إنني أوهن المدلول من الأسطورة ، أتقبله كخدعة : فالزنجي الذي يحيي يصير هو الغائب عن الاستعمار الفرنسي .

●● **ثالثا** : أخيراً لو اهتممت بدالة الأسطورة ، مثلما اهتممت بكل مستغلق من الحس والصورة ، فإنني أتقبل مدلولا مزدوجاً : فأجيب بآلية مدعمة بالأسطورة ، بحركتها الخاصة ، أصير أنا القارىء لها : فالزنجي الذي يحيي لا هو بالمثال ، ولا هو بالرمز ، كذلك هو أقل غياباً : فهو الحضور نفسه للاستعمار الفرنسي .

هنا يمكننا القول بأن التكيفين الأولين .. هما نظام اسقراري ، تحليلي ، يتلفان الأسطورة ، بإعلان مغزاها ، بكشف قناعتها : بل يمكننا أن نقول : إن النمط الأول من القراءة كلبي المدرسة ، أما الثاني فقراءة لا ساخرة . ومن ثم يصبح التكييف الثالث حركياً ، يتمم الأسطورة تبعاً لأواخر بنائها نفسه .. فالقارىء رأى الأسطورة بطريقة مستمدة من تاريخ حقيقي وغير حقيقي جملة واحدة .

خاصية الأسطورة

فما هي الخاصية التي تميز الأسطورة عما عداها إذن ؟ .. يجيب المؤلف على ذلك بفصل عنونه بصفة أساسية .. فقال ..

الأسطورة كلغة شائعة .. إنها تتميز بتحويل الحس إلى صورة ، أو بقول آخر .. هي دائماً شيوع لغة .

فهل كل لغة أولى تظل بشكل مقدور فريسة اللغة ؟ ألا يوجد أي حس يقدر على مقاومة هذا القبض الذي يهددها شكلاً ؟

في الحق ، لا شيء بمستطيع أن يكون ملاذاً للأسطورة ، بإمكان الأسطورة أن تطور رسمها الخيالي الثاني بدءاً من عدم الاهتمام إلا بالحس ، ولقد رأيناها ، من بدء فقدان الحس نفسه . لكن اللغات كلها لا تقاومها بالصورة نفسها .

فاللغة ، التي تكون أكثر شيوعاً وبشكل متواتر عن طريق الأسطورة ، تبدي مقاومة ضعيفة . فهي تتضمن إمكانات أسطورية معينة ، هي نفسها رسم مبسط لجهاز إشارات مصيرية للكف عن الغاية التي تستغلها ، وهذا هو ما أمكن تسميته بتعبيرية اللغة : كالطرائق اللغوية من صيغة الأمر أو الاحتمال على سبيل المثال ، هي صورة لمعبر عنه خاص ، مختلف عن الحس : فالمعبر عنه هنا هو إرادتي أو طلبي .

ومن جهة أخرى ، فإن القول الارادي للأسطورة يمكن أن يحدد أدبنا التقليدي : فهذا الأدب ، على الأساس المعياري ، يكون منهجاً أسطورياً . ذا ملمح : فيه حس ، أي البحث

المقول ، فيه دالة ، أي هـذا المقـول نفسـه كمصـور أو مكتوب ، وفيه أيضاً معبر عنه ، أي المعنى المجرد لـلأدب ؛ وفيه أخيراً مدلول وهو المقال الأدبي نفسه .

إن الأسطورة تستطيع دائماً ، وفي اللحظة الفاصلة ، أن تدل على المقاومة والتي تواجه بها . وللقول الحق ، فـإن أمضى سـلاح ضـد [illegible]

وعلى حد قول **فلوبير** : « **هذه الأسطورة المعاد تركيبها هي التي ستكون علم أساطير صحيح** » . والمغزى من قوله هـذا لا يخفى على الباحث فيها . . إذ إن كثرتها الموضوعة سوف تمده بقـدر أكبر لتطبيق منهج هذا العلم .

هنا يحق لنا أن نرفض كل ما يعـكر علينـا لحـظات الاسـتمتاع والسعادة ، التي تنشأ من معايشتنا للأجواء الأسطورية ، التي تهيئها لنـا ـ نحن القراء ـ قراءة أسطورة ، ذلك لأن إخضاع اللحظات الخيالية لقـانون العقل ، يفسدها ، بل توقف تسلسل حلقات الخيـال ، الـتي تنبىء عـن إمكانات وطاقات للانفعال ، وتـؤدي بـالقارىء إلى مـواصلة التخيـل والتصور ، والابتداع . **إننا حينما نتقبل اليـوتوبيـات بفضـائلها ومثاليتها معاً . . تمدنا بالقدرة على التطلع والانتظار .**

لكن المؤلف يرد رداً مضيفاً بقوله : « **اليـوتوبيا بـالنسبة لعـالم الأساطير أمر فخم ولـكن مستحيل ، ولا يحـق لـه أن يضيع جهده هباء بين الاستحالات** » .

وكذلك الأمر مع القارىء العادي لا عالم الأساطير ، فمن اعتـاد على قراءتها دون اعتماد على منهج التحليل والاستدلال هـذا . . فسـد خيـاله نفسه . . **ذلك لأن الخيال إن لم يكن خادماً للوجدان والعقـل ، أعاق صاحبه عن استقامة التفكير والتصور ، وأبقـاه في إسـار العقم والواقع المستحيل .**

ثم يعود المؤلف إلى ما واصل المناداة به . . منهج استدلالي لفحص الغث من الثمين في عالم الأسطورة . . منهج يعايش اللغة الجماعية المطلقـة بلا أمل في العودة إليها ، لأنها ـ **على حد قوله** ـ فقدت العطاء . ومـن ثم تكون دراستنا لها دراسة متحفية وليست تاريخية ، لأن هذه الأخيرة قـد توحي بحقائق متصلة ، أما الأولى فقد قطعت صلتها بأغلب عصرنا .

ربما نحس من هذا الاتجاه بموقف الكاتب مـن الأسـاطير . . هل هو موقف معاداة ؟ هل هو موقف رافض ؟

إنه هو نفسه يفرد صفحات للأسطورة بين اليمين واليسـار . . حتى الأسطورة يريد ـ كمفكر ـ أن يخضعها لميول أصحاب الاتجـاهين . . هـذا بالطبع ما يبدو للوهلة الأولى من هـذا التصـنيف . . لـكننا لا نلبث أن نقف أمام حقيقة علمية يسوقها . . حيث يقول « **العلم الاستدلالي أداة صماء** » بمعنى أنها أداة في يد هـذا وذاك ، ولا بـد ـ إذا مـا اسـتخدمت بالطريقة العلمية المنهجية ـ أن تخرج عن سيطرة ذات الباحث ووجـدانه . وبمعنى أنها تسفر عن نتائج تلزم الباحث بالنزول عند حقـائقها . ومـن ثم فإننا إن بحثنا عن أسطورة يمينية وأخرى يسارية . . فهي أساطير مـوضوعة تتنافى وضرورة غياب مصدرها . ونكون قد دخلنا ـ دون أن نـدري ـ في حلقة القيم التي تعتمد على المعيارية الذاتية .

وهنا لا يفـوت المؤلف أن يـؤكد على صـفة هـامة جداً . .هي أن الأسطورة قول لا سياسي . . لأنها بعيـدة كل البعد عن التخديم والتهديف السلطويين ، هي قول تلقائي [illegible] اجتماعية . . أما دمغها باتجاهات سياسية . . فهو تحميل خاطىء لمحمـول ذاتـي على مـوضوع وهمـي خادع .

ولا نعجب أو ندهش إذن عنـدما نجد المؤلف يصر على ضرورة علم الأساطير ، لأنه ـ **على حد قوله** ـ إن كان ضرورياً لـلأزمنة القـديمة ، فهو أكثر ضرورة للأزمنة المعاصرة والمستقبلة على السـواء . . تحسباً مـن نكسة فكر ، أو شطحة خيال . وإن كان يستعير مـن **سوسير** قـوله عـن أهمية حدود علم الأساطير وضرورة التعويل عليها تمـاماً . . فـإن **رولانـد بارتيه** يعقب بقوله : « إنني أستريب بشدة في أن تكون حقائق الغد ظهراً منضبطاً على أحلام اليوم . فلم يـؤكد التـاريخ أبـداً انتصـار النقيض على نقيضه انتصاراً خالصاً وبسيطاً » .

وبعد . . آن لنا أن نتذكر ما عرضه المؤلف مـن نمـاذج ، كانت مثار نقده ، ومزج بـين كل منهـا وبـين أشـباهها في الأساطير . . فهل كان هذا سخرية منه بكل هذه الصروح ؟

قال **بارتيه** في الفصل الخاص **بالنقد الأبكم والأعمى** . . إن إجراء فن النقد والاعلان بأن أحـداً ـ على سبيل المثـال ـ لا يفهـم في مذهب معين ، فإن هذا الناقد يقيم بـكمه أو عماه على قـاعدة تحصـيل عالمية ، إذ إنه يطرد هذا المذهب من العالم : « **أنا لا أفهم ، إذن فانتم الأغبياء** » . . وهذا في الحق معناه أن كل مـا يستبقـى في مجـال الثقـافة يكون في وضع إرهابي .

لكن لو شكك أحد أو احتقر مـا في العمـل المنتقـد مـن أسس فلسفية ، ولو طالب في قوة بالحق في عدم فهم شيء وفي عدم الـكلام . . فلماذا يحدث النقد ؟ يفهم ، يستوضح ، إن هذا بـالأخص هـو عملك . في إمكانك بشكل واضح أن تقود الفلسفة نحـو اسم ذي معنـى بـالسأم مثلاً ، هذا ما إذا لم يكن « **المعنى** » و « **الشعور** » غـير مفهـومين في الفلسفة ، فالفلسفة ، هي التي تفهمهـا كل الفهـم . فـأنت لا تفهـم الفلاسفة ، إنما الفلاسفة هم الذين يفهموك .

معنى هذا أن المؤلف يشترط لاحتراف النقد ، إجادة فهم الأسس الفلسفية للعمـل المراد نقـده ، وبنفس المسـتوى يشترط فيمن يقدم على نقـد الأسـطورة ، أن يجيـد فهـم أسسها . . لكنها ليست هنـا الفلسـفية على الاطـلاق ، بـل فلسفة اللغة التي تنتقل بها هذه الأسطورة . . وهذا ما أفلح المؤلف بارتيه في وضع وإبـراز حـدوده المنـطقية ، بمنهج استدلالـي يسـاند علم الأساطير .

















★ طفل من الدول الفقيرة ، يلهو بالحبال ، في انتظار من يهتم به . . وأطفال من الدول الغنية ، في درس موسيقى . . والصورة الأخيرة لأطفال الدول الفقيرة ، حيث تفرض عليهم الظروف ، العمل الشاق في سن مبكرة ★

اليونيسيف

وعام الطفولة العالمي

١٩٤٦ ـ ١٩٧٦



★ الطفل في حاجة إلى الطعام ★

★ رغم الانجازات الكبيرة التي حققتها منظمة اليونيسيف خلال الأعوام الثلاثين التي انقضت منذ إنشائها في عام ١٩٤٦م ، وذلك في مجالات تحسين الظروف الحياتية والصحية والاجتماعية والتربوية لملايين الأطفال في الدول النامية ، ما زال أكثر من ثلاثة أرباع أطفال هذه الدول ، يحتاجون إلى المزيد من خدمات اليونيسيف ، تلك الخدمات الجليلة التي تحقق انجازات حقيقية في حماية هؤلاء الأطفال من أشباح الجوع والجهل والمرض ★

فالحقيقة المؤكدة هي **أن أكثر من مائة طفل يولدون كل ثلاثين ثانية ، في الدول النامية ، يموت عشرون منهم قبل أن يتموا عامهم الأول ، في حين لا تتوافر الرعاية الطبية الملائمة ، والعناية الغذائية الكافية لستين أخرين ، خلال سنوات الطفولة .**

ومن الذين يبقون على قيد الحياة ، ويبلغون سن التعليم ، لا تتاح إلا لنصفهم فرصة التعليم والالتحاق بالمدارس ، علماً بأن أربعين في المئة فقط من هؤلاء ، هم الذين ينهون مرحلة التعليم الابتدائي ، ولا يواصلون التعليم إلى ما هو أبعد من ذلك .

وتزداد خطورة هذه الحقائق ، عندما ندرك أن ثلاثة أرباع أطفال العالم دون الخامسة عشرة من العمر ، يعيشون في الدول النامية ، وأن أكثر من ٨٠٠ مليون طفل ، يعيشون في دول لا يزيد معدل دخل الفرد فيها على ١٠٠ دولار في كل عام .

وبعد ..

إن الطفولة ، هي أكبر ثروة للبشرية ، وأغلى مورد لها ، وعلى المجتمع الدولي بكامله ، مهمة النهوض بها ، وتوفير أفضل ظروف الحياة لها ، وللمرء أن يتصور ما يمكن أن يكون عليه العالم غداً ، إن هو أهمل أطفال اليوم !

من أجل هذا كله ، كانت منظمة اليونيسيف !!

فقد أنشأتها منظمة الأمم المتحدة للأطفال في ١١ ديسمبر (كانون أول) عام ١٩٤٧م ، بناء على قرار أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وعهد إليها بمهمة تقديم معونات الاغاثة الفورية لأطفال الدول التي دمرتها الحرب العالمية الثانية .

وبعد أن بدأت هذه الدول في استعادة قوتها الاقتصادية ، قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ديسمبر (كانون أول) عام ١٩٥٠م ، مد فترة عمل اليونيسيف ثلاث سنوات أخرى ، على أن تقوم بتوجيه اهتمامها نحو البرامج البعيدة المدى ، لتحسين أوضاع الأطفال في الدول النامية .

وفي أواخر عام ١٩٥٣م ، قررت الجمعية العامة جعل اليونيسيف منظمة دائمة ذات نشاطات واسعة النطاق في خدمة الطفولة والأمومة .

هذا **وتضم اليونيسيف لعضويتها ، جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة ، أو في وكالاتها المتخصصة ،** علماً بأن الانتماء لليونيسيف ليس عضوية بالمعنى الحرفي أو بالمعنى الرسمي للكلمة ، بل هو أشبه بمساهمة عالمية تصدر عن طواعية واختيار من قبل الحكومات والمجتمعات والأفراد .

وانطلاقاً من مبدأ المساهمة الطوعية ، **تستمد اليونيسيف مواردها المالية من تبرعات الحكومات والمنظمات والأفراد ، كذلك تعتمد اليونيسيف على بيع بطاقات المعايدة والتهنئة لتعزيز مواردها المالية ،** ذلك لأن اليونيسيف ليست لها مخصصات مالية من قبل الأمم المتحدة ذاتها !

هذا في الوقت الذي تعد فيه اليونيسيف جزءاً لا يتجزأ من الأمم المتحدة ، وفي الوقت الذي تشكل فيه كياناً ذاتياً شبه مستقل ، إذ يحكمها **مجلس تنفيذي** تتبعه هيئة **سكرتارية** ، ويتألف هذا المجلس التنفيذي من ممثلي ثلاثين حكومة ، ينتخب عشرة منهم كل سنة ، ولفترة ثلاث سنوات من قبل المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة .

ويجتمع هذا المجلس التنفيذي مرة كل عام ، لاقرار برامج المنظمة ، واستعراض تطور العمل ، ودراسة طلبات المساعدة المقدمة إلى المنظمة ، وتخصيص المعونات اللازمة ، وتحديد الميزانية الإدارية والتنفيذية للمنظمة . هذا في الوقت الذي يتم فيه **تولية مدير عام إدارة المنظمة ، وتعيينه من قبل الأمين العام للأمم المتحدة ، بالتشاور مع المجلس التنفيذي لليونيسيف !**



★ اليونيسيف والرعاية الطبية ★

الحاجة إلى اليونيسيف

إنه طالما كان في العالم أطفال يعانون من الجوع والمرض ، ويفتقدون فرص التعليم والتدريب المهني ، تظل هناك حاجة إلى مساعدات اليونيسيف ، ولليونيسيف مبدأ أساسي ، هو أنها لا تبادر إلى المساهمة في مشروع ما ، إلا بناء على طلب الحكومة المعنية ، على أن يكون هذا المشروع أو هذا البرنامج الذي تدعمه اليونيسيف جزءاً من خطط التنمية الوطنية للدولة .

وتربط اليونيسيف معوناتها المادية ، بمشروعات محددة كالمساعدة على تجهيز المراكز الصحية للأطفال والأمهات ، وتوفير الغذاء والمياه النقية ، والتعليم والتدريب المهني ، وتأهيل الاخصائيين ، وغير ذلك من الخدمات التي تعود بالفائدة على الطفل بما يتفق مع الأولويات والبرامج الانمائية للدولة .

وتساعد اليونيسيف الوزارات والهيئات المختصة في إجراء البحوث والدراسات الميدانية الهادفة إلى تحديد الأولويات ، واقتراح الحلول الملائمة للمشكلات القائمة .

وتبدي اليونيسيف اهتماماً كبيراً في اشتراك المجتمعات المحلية وهيئاتها القيادية ، إلى أكبر قدر ممكن ، في حل المشكلات ، وزيادة استخدام الموارد والطاقات المحلية في ايجاد هذه الحلول ، كما تهتم بتقييم النتائج كوسيلة لتطوير برامج أكثر فعالية ، وتفادي أخطاء الماضي ، أو الأخطاء التي وقعت في الماضي .

هذا ويبدأ الإعداد لمشروع يطلب إلى اليونيسيف المساهمة في تنفيذه ، بمشاورات مستفيضة بين ممثلي الوزارات أو الهيئات المعنية ، وخبراء المنظمة ، وتضم هذه المشاورات في أحيان كثيرة ، ممثلي وكالات أخرى تابعة للأمم المتحدة ، أو منظمات محلية لها علاقة بهذا المشروع ، وتزود اليونيسيف الحكومة ، خلال هذه المرحلة بالمشورة والمعلومات ، وتسهم في تمويل الدراسات والخدمات الاستشارية .

وبانتهاء هذه المرحلة ، توضع « **مسودة خطة عمل** » تحدد أهداف المشروع ، وأسلوب التنفيذ والتنظيم الإداري ، وفترة التنفيذ ، كذلك تحدد الخطة التزامات كل جانب سواء تمثلت في مخصصات مالية ، أو في معدات وتجهيزات وخدمات .

وبعد ذلك ، يعرض المدير العام لليونيسيف خطة العمل على لجنة البرامج ، التي ترفع توصياتها إلى المجلس التنفيذي ، فإذا ما وافق المجلس على الخطة ، انتقل العمل إلى مرحلة التطبيق ، فتوقع الأطراف المعنية على خطة العمل ، بحيث تصبح اتفاقاً رسمياً ملزماً .

ومع بدء التنفيذ ، تقدم الوزارات أو الهيئات المعنية الاعتمادات المالية ، والتجهيزات ، والخدمات ، والتسهيلات ، التي تعهدت بتوفيرها محلياً ، فيما تستقدم اليونيسيف المعدات والتجهيزات التي التزمت باستيرادها ، فضلاً عن تقديم المساعدات المالية في حال التزامها بتقديم مثل هذه المعونة ، هذا ويسهم موظفو اليونيسيف في متابعة تقدم العمل في المشروع ، وتقديم المشورة الفنية ، وتقييم مراحل التنفيذ ، فضلاً عن النتائج .

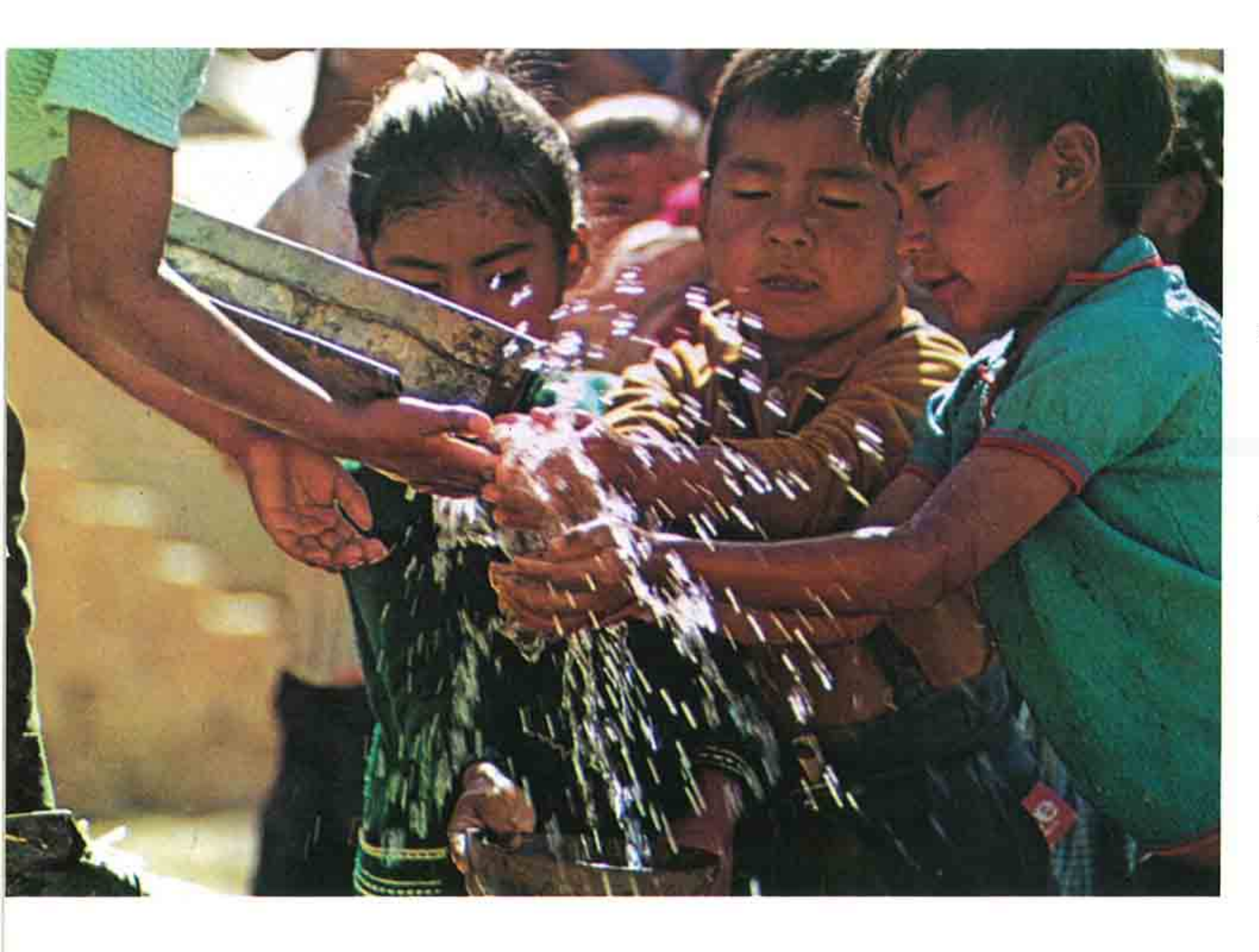
اليونيسيف في خدمة الطفل

نعم ، فلقد قرر المجلس التنفيذي لليونيسيف في مايو (أيار) ، عام ١٩٧٥م ، التركيز على توفير الخدمات الأساسية للأطفال ، نظراً إلى عجز حكومات كثيرة عن تقديم هذه الخدمات ، وازدياد تدهور أوضاع الأطفال في مناطق كثيرة من العالم . وبخاصة في الأرياف والأحياء المزدحمة بالسكان في المدن .

وتشمل هذه الخدمات الرعاية الصحية للأمهات والأطفال ، وتنظيم الأسرة وتوفير المياه النقية ، والتخلص من الفضلات ، والتأهيل الغذائي ، وإنتاج المواد الغذائية ، بصورة أكثر فعالية ، على المستوى المحلي ، وسد الاحتياجات التعليمية الأساسية ، وتطبيق الأساليب الفنية والتكنولوجية البسيطة التي تخفف عن الأمهات أعباء العمل اليومي ، بالإضافة إلى برامج تعليمية واجتماعية تستهدف رفع مستوى الأسرة ، وزيادة اشراك المرأة في شؤون مجتمعها .

اليونيسيف في خدمة الصحة

ذلك أن معظم سكان الدول النامية ، يفتقرون إلى أبسط الخدمات الصحية ، وتبلغ نسبة هؤلاء في بعض الدول ، أكثر من تسعين في المئة من مجموع السكان .



★ الطفولة تحتاج إلى اللهو واللعب كما تحتاج إلى الماء والهواء ★

وتتم في الدولة النامية سبعون في المئة من الولادات دون إشراف طبيب أو قابلة مدربة، وتشير الاحصائيات إلى أن الوفيات بين الأطفال دون الخامسة من العمر، تشكل نسبة ٣٥ ٪ من مجمل الوفيات في الدول النامية، مقابل ٧٪ في الدول المتقدمة.

وانطلاقاً من هذه الحقائق المفزعة، تخصص اليونيسيف جزءاً كبيراً من مواردها ونشاطاتها لدعم برامج الرعاية الصحية للأمهات والأطفال، وتضع نصب عينيها هدفاً طموحاً، هو جعل هذه البرامج تشمل أكبر عدد ممكن من المواطنين المحرومين من الخدمات الصحية الأساسية، وفي هذا الإطار تشدد اليونيسيف على عمليات التطعيم ضد الأمراض، وحماية الحوامل، وتوفير أساسيات الحياة الصحية للأسرة كلها.

هذا وتساعد اليونيسيف في تدريب العاملين الصحيين على المستوى المحلي، للقيام بمهام محددة، كتقديم العلاج البسيط والقبالة وأعمال الوقاية وإرشاد الأهالي إلى اتباع شروط الصحة!

كذلك تسهم اليونيسيف في تدريب **الممرضات، وإنشاء مراكز رعاية الطفولة والأمومة**، وغير ذلك من المؤسسات التي تقوم على خدمة الصحة العامة.

وتشجع اليونيسيف المجتمعات المحلية على المساهمة الفعالة في توفير الخدمات الصحية، بما في ذلك التخطيط والإدارة وتوفير العاملين، وتبذل جهوداً كبيرة في العديد من الدول النامية لتوفير **مياه الشرب** النظيفة، للحد من انتشار الأمراض التي تنقلها المياه الملوثة، والتي تصيب الأطفال في المقام الأول.

ومن الأعمال التي قامت بها اليونيسيف في مجال الصحة، خلال عام ١٩٧٥م، أنها:

● خصصت ٤٦ ٪ من مجمل مساعداتها، أي حوالي **٤٤** مليون دولار، لدعم برامج الخدمات الصحية الأساسية في أكثر من ١٠٠ دولة.

● أسهمت في تدريب ٣١,٠٠٠ شخص، من العاملين في مختلف التخصصات الصحية.

● قدمت تجهيزات ومعدات إلى ٢١,٠٠٠ مركز صحي، منها مراكز لرعاية الطفولة والأمومة، وعيادات ريفية، ومستشفيات للتوليد ورعاية الحوامل.

● قدمت لقاحات وأدوية ضد **السل والجدري والجزام والخانوق والكزاز والتيفوئيد والحصبة وشلل الأطفال وأمراض أخرى**، لحماية عشرات الملايين من الأطفال، وشفاء المرضى منهم.

● أسهمت في مشروعات توفير المياه النظيفة في ٨٢ دولة، منها ٣٨ دولة في **إفريقيا**، و٢٣ دولة في **آسيا**، و١٦ دولة في **أمريكا** اللاتينية، و٥ دول في **الشرق الأوسط**، وتم في هذا الإطار إنشاء ٥٨,٥٠٠ شبكة للمياه النظيفة، يفيد منها أكثر من ١١ مليون شخص.

اليونيسيف وتغذية الطفل

تسعى اليونيسيف إلى تشجيع الدول على النهوض بمستوى تغذية الأطفال، وتقدم لهذه الدول المساعدات في هذا المجال، هذا وتحتوي نشاطات اليونيسيف الصحية والاجتماعية والتعليمية على عناصر هامة من الدعم المباشر، لتحسين أوضاع التغذية.

وتساعد الدول النامية على وضع برامج ملائمة لإنتاج الغذاء، وتحديد أولويات التغذية بما يتفق مع الاحتياجات الخاصة للوضع، والأطفال الصغار، والحوامل

★ هكذا الطفل في الدول الفقيرة دون رعاية ، نتيجة أن أبويه يعملان ولا وقت للرعاية ★

والأمهات المرضعات .

وتقدم مساعدات لتدريب العاملين في المجالات المتصلة بالتغذية ، كالزراعة والتعليم والتنمية الحضرية والتنظيمات التعاونية ، كما تنتهج سياسة تشجيع الأسر والمجتمعات الريفية على إنتاج وتخزين واستخدام الأغذية الأفضل للأسرة وصحة الطفل .

كما تهتم اليونيسيف ببرامج التوعية الغذائية ، وايصال المعلومات اللازمة إلى الجمهور بوسائل متعددة كمراكز الرعاية الصحية ، والجمعيات والمدارس ووسائل الإعلام ، وتقدم مواداً غذائية بعينها ، غنية بالبروتينات والفيتامينات وغيرها من العناصر الضرورية ، وذلك في المناطق التي تشتد فيها حاجة الأطفال إلى مثل هذه المواد ، وفي حالات الطوارىء كالكوارث الطبيعية والحروب .

وفي عام ١٩٧٥ م ، أنفقت اليونيسيف ١٦٪ من مساعداتها ، أي حوالي ١٥ مليون دولار ، لمعالجة **مشكلة سوء تغذية الأطفال** في ٦٨ دولة ، فقدمت تجهيزات إلى ٢٠,٣٠٠ مركز للارشاد الغذائي والزراعي ، وأسهمت في تدريب ١٨,٩٠٠ عامل في هذا المجال . كما وزعت ٣٨,٠٠٠ طن ، من المواد الغذائية لانقاذ حياة ملايين الأطفال ، وخاصة في **بنجلاديش والهند والصومال وأثيوبيا ودول الهند الصينية .**

وعلى مر السنين ، أسهمت اليونيسيف في تجهيز ٢٢٠ معملاً لإنتاج الحليب الصحي المعقم في ٤٥ دولة ، كما ساعدت على إقامة مصانع لإنتاج الأغذية المعدة لمرحلة فطام الطفل في كل من **مصر والجزائر والهند وتركيا** ، ويجري العمل في إقامة مصانع مشابهة في **إيران والمغرب وتونس .**



★ في بعض الدول الإفريقية لا يزال الناس يعتمدون في مياه الشرب على النهر ★





اليونيسيف وتنظيم الأسرة

تدرك اليونيسيف أن صحة الأطفال ونموهم السليم ، يتوقفان إلى حد كبير على حجم الأسرة ، وفوارق العمر بين أطفالها ، فكثرة الأطفال في عالمنا المتفجر بسكانه عبء ثقيل على الأسرة والمجتمع ، وعامل رئيسي في حرمان معظم أطفال الدول النامية من الرعاية الصحية وفرص التعليم والنمو السليم ، وفي الحد من فعالية برامج التنمية .

وتنظر اليونيسيف إلى **تنظيم الأسرة** ، كجزء من مجمل الخدمات الأساسية المتعددة الهادفة إلى رفع مستوى الحياة .

وتعتقد اليونيسيف بأن نجاح برامج تنظيم الأسرة ، يعتمد على التثقيف الجماهيري والتوعية العامة عن طريق الجمعيات المعنية ، والمؤسسات ذات الاتصال الجماهيري العريض ، فضلاً عن مناهج التعليم ووسائل الإعلام المختلفة ، وتقدم اليونيسيف مساعدات عديدة إلى الحكومات التي تقرر تنفيذ برامج تنظيم الأسرة ، وذلك حسب الأولويات التي يتم الاتفاق عليها بين الجانبين .

اليونيسيف في خدمة التعليم

نعم ، فالدول النامية تعاني بنسب متفاوتة من مشكلات خطيرة ومعقدة في مجال التعليم ، **وتشير التقديرات إلى أن النسبة الوسطية لأطفال الدول النامية الذين لا تتاح لهم قط فرصة دخول المدرسة ، تبلغ أكثر من ٥٠ ٪ وترتفع هذه النسبة المفزعة إلى ٨٠ ٪ في بعض الدول الأقل نمواً** . وتبلغ هذه النسبة أبعاداً أشد وطأة بالنسبة للفتيات ، **ففي بعض الدول لا تدخل المدرسة إلا فتاة واحدة من أصل كل عشر فتيات .**

ولا تقتصر هذه المشكلات على الأرياف ، بل تشمل الأحياء الفقيرة والمكتظة بالسكان في المدن ، وترجع هذه المشكلات إلى العوامل التالية :

- الافتقار إلى المدارس .
- الافتقار إلى المعلمين المؤهلين .
- الافتقار إلى الكتب والأدوات المدرسية .
- الافتقار إلى الوعي الكافي بأهمية التعليم .

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، فمن بين أطفال الدول النامية الذين يلتحقون بالمدارس عدد كبير ينقطعون عن الدراسة قبل بلوغ سن الدراسة الابتدائية الثالثة ، وتبلغ نسبة هؤلاء ٢٦ ٪ في **إفريقيا** ، و٣٧ ٪ في **جنوبي آسيا** ، و٥٠ ٪ في **أميركا اللاتينية** .

★ في أعلى الصفحة ، أطفال يتعلمون في مدرسة بلا مقاعد .. ولا أدوات كتابية .. وفي أسفل طفلان يحملان واحداً من الملصقات التي صنعها الكبار احتفالا بالعام الدولي للطفل ، وفي عيونهما أمل في المستقبل ★



★ طفل يحاول تعلم فك رموز الخط حيث توفرت له الرعاية التعليمية والصحية ★

★ طفلة ضائعة وسط الاهمال ، لا تجد الرعاية من أي نـوع وفي عينيهـا نـظرة أسى حـزينة



هذا واليونيسيف لها مبدأ أساسي ، تلتزم به في تقديم مساعداتها التعليمية ، هـو جعل المناهج متوافقة مع احتياجات البيئة ومتطلبات الحياة في المستقبل .

وهي تسعى إلى تحسين التعليم كماً ونوعاً للفتيات والفتيـان على السـواء ، وذلك عن طريق المساعدة في إنشاء المدارس وتزويدها بالتجهيزات والأدوات وتوفير الـكتب المدرسية ، وتقديم المنح لتدريب المعلمين في الخدمة ومـا قبلهـا ، وتحسـين المنـاهج الدراسية أو وضع مناهج أخرى جديدة .

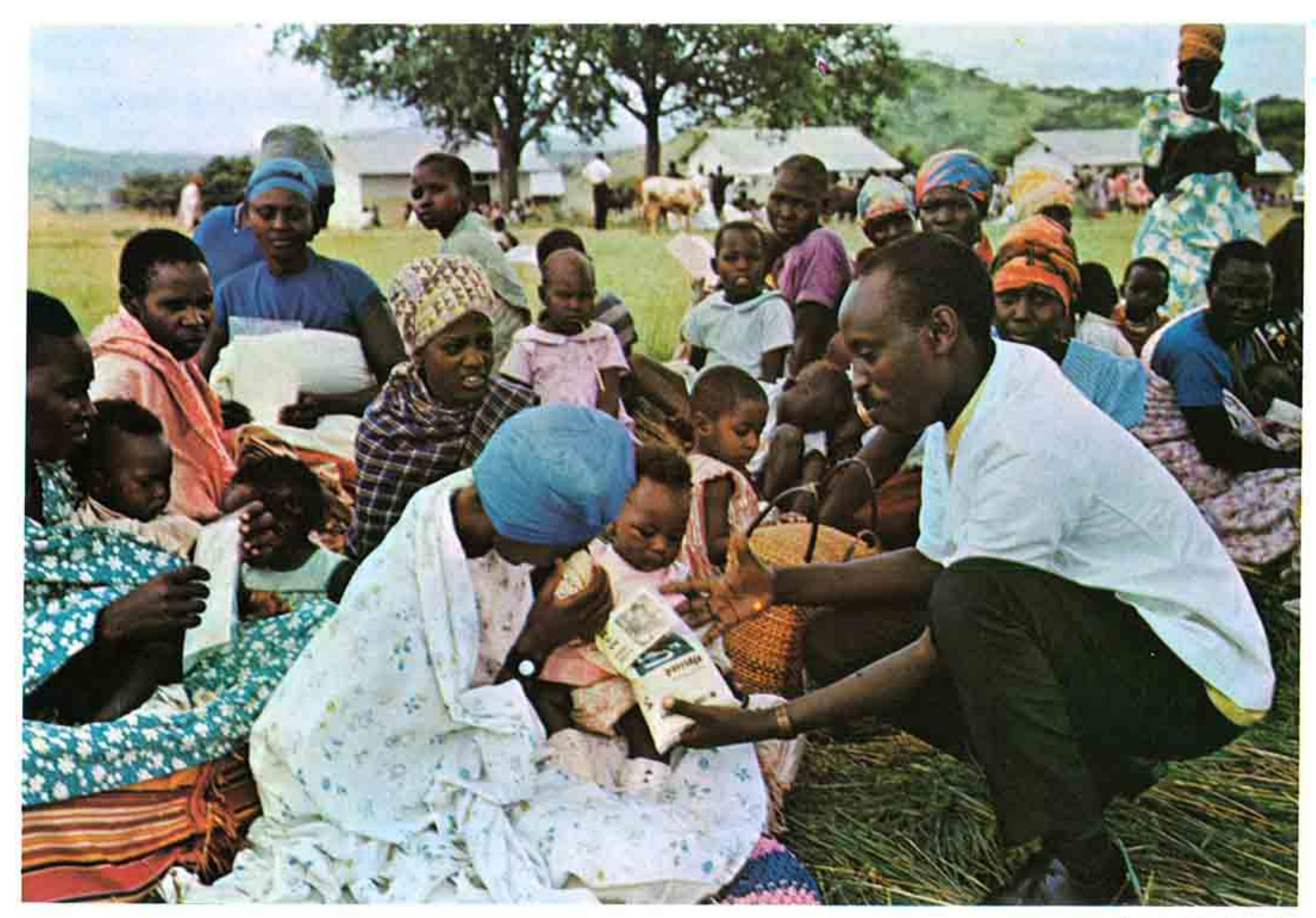
وتهتم اليونيسيف **بمكافحة الأمية بين الأحـداث والـكبار** ، وتـوجه عنـاية خاصة في هذا المجال إلى الفتيات والنساء ، كما تسهم في نشاطات التدريب المهـني ، للأحداث والنساء على نحو خاص ، لاكتساب مهـارات في العمـل تضـمن دخـلاً إضافياً للأسرة .

ولقد قدمت اليونيسيف خلال عــام ١٩٧٥ م ، منحـاً دراسـية أتـاحت لـ ١٠٣٤٠٠ معلم ، للاشتراك في دورات تدريبية متقدمة ، كما أسهمت في تقـديم تجهيزات وأدوات تعليمية إلى ٥٢٥٠٠ مدرسة ابتـدائية وثـانوية ومـركز لتـدريب المعلمين ، و ٦٠٠ معهد للتدريب المهني ، وساعدت دولا عديدة على إنتـاج الـكتب المدرسية محلياً بتقديم الورق وأجهزة الطباعة والتجليد .

وتتعاون اليونيسيف تعاوناً وثيقاً مع منظمة اليـونسكو في مجـال المساعدات التعليمية ، وخاصة في تطويـر المناهج الـدراسية وبـرامج تدريب المعلمين .

اليونيسيف والخدمات الاجتماعية

تنزح ملايين الأسر من الأرياف إلى المدن في الـدول النـامية كل عـام ، يحـدوها



★ السعي لخدمة أطفال الدول في جميع المجالات ★

أمل تحسين مستواها المعيشي ، ظناً منها أن المدينة توفر فرصاً أكبر ، للعمل ، وتقدم خدمات لا تعرفها الأرياف .

غير أن الغالبية العظمى من هذه الأسر ، تضطر إلى الإقامة في أكواخ بدائية متداعية ، داخل أحياء بالغة الفقر ، تكتظ بكثافة سكانية رهيبة ، وتنعدم فيها أبسط الضمانات الصحية ، والخدمات الاجتماعية والتعليمية .

وتتفاقم مشكلة هذه الأحياء الصغيرة عاماً بعد عام ، نتيجة للتضخم السكاني الرهيب فيها ، الذي يعادل ثلاثة أو أربعة أضعاف نسبة التضخم السنوية في الأحياء الأخرى الأكثر رخاء ، فتنتشر الأمراض ، وتسود البطالة ويزداد عدد المنحرفين .

وقد أجرت اليونيسيف دراسة مفصلة عن هذه المشكلة وأبعادها ، تولدت من خلالها قناعة بأن سكان الأحياء الفقيرة يستطيعون عمل الكثير لمساعدة أنفسهم إذا هيئت لهم المعطيات اللازمة من تخطيط ومؤسسات ودعم فني .

وانطلاقاً من هذه القناعة ، تركز اليونيسيف اهتماماً في هذا المجال ، على إقامة المؤسسات والمراكز المعنية بالتوجيه والارشاد ، وتقديم الخدمات الاجتماعية الأساسية ، وتدريب العاملين فيها ، ومن أبرز نشاطات اليونيسيف في هذا الحقل **المساهمة في إقامة دور الحضانة ، ونوادي الشباب ، ومراكز تدريب الأمهات ، ومكافحة الأمية** ، وذلك بالإضافة إلى التوسع في الخدمات الأخرى التي تقدمها في مجال الرعاية الصحية ، والتغذية والتعليم ، وتنظيم الأسرة .

وفي عام ١٩٧٥ م ، أسهمت اليونيسيف في تعزيز الخدمات الاجتماعية في ستين دولة ، وشملت هذه المساعدات :

- تدريب ٧٨٠٠ شخص من العاملين في رعاية الأطفال .
- تجهيز ١٠٠٠ دار للحضانة .
- تجهيز ٦٠٠ مركز قروي للشباب .
- تقديم منح دراسية لتدريب ٧٠٠٠ شخص من أفراد القيادات المحلية في ٣٧ دولة ، للعمل في النشاطات النسائية ، والتنمية الاجتماعية .
- الاسهام في مشروعات اختبارية لتحسين الظروف المعيشية للأطفال والأحداث في الأحياء الفقيرة ، داخل بعض المدن الرئيسية في **مصر ، والهند ، وكولومبيا ، وزامبيا ، والفلبين** .

إعلان حقوق الطفل

وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ، عام ١٩٥٩ م ، على إعلان حقوق الطفل ، وتعبر مقدمة الإعلان عن جوهر هذه الوثيقة ، إذ أنها تنص على « أن البشرية مدينة للطفل بأفضل ما لديها »[1] .

وبعد ، فتلك كانت هي اليونيسيف ، وكان ذلك دورها في خدمة الطفولة ، ورعاية الطفل ، والتغني دوماً بنشيد الأطفال .

المجلة : طالع (العدد ٢٠) الماضي من هذه المجلة نص إعلان حقوق الإنسان .





من أمثال العرب

أَثْقَلُ مِنَ الكانونِ

يقصد به الشخص الذي يخفى عنه الحديث . . قال الحطيئة في هجاء أمه :

أغــربالا إذا اســتودعتِ سِرًّا
وكَانــوناً على المتحــدِّثينا

اللَّيْل أَخْفَى لِلْوَيْلِ

أي أن أفعال الليل مستورة ، غير مكشوفة ، فالليل أستر للسر . . يروى أن أول من قاله سارية بن عويمر العقيلي .

أَحَنُّ مِنْ شارِفٍ

الشارف : الناقة المسنة . وهي أشد حنيناً إلى ولدها من غيرها .

جَاءَ بِالقَضِّ والقَضِيضِ

القض يطلق على الحجارة الكبيرة ، والقضيض على صغيرها . . والمعنى أنه جاء بالكبير والصغير ، ويقال أيضاً : « جاء القوم قضهم بقضيضهم » أي جاءوا كلهم . . قال الشاعر :

وجـاءت سـليم قَضَّـهَا بقضيـضها
وجمـع عـوال مـا أدق وألأمـا

بَاقِعَةٌ مِنَ البَوَاقِعِ

أي داهية من الدواهي . . وأصله من البَقَع ، وهو اختلاف اللون ، ومنه الغراب الأبْقَع ، وسَنَةٌ بَقْعَاء تعني سنة خِصْبٍ وجَدْب . . وسمي الرجل الداهي باقعة ، لأنه يؤثر في كل ما يقصد ويتولَّى ، والباقعة : الداهية نفسها ، لأنها أمر يلصق حتى يرى أثره . وقيل الباقعة طائر حَذِر إذا شرب الماء نظر يَمْنَةً ويَسْرَة .

أَلْزَقُ مِنْ جُعَلٍ

المعروف أن الجعل يتبع المرء البائت في الصحراء إذا أراد الغائط . . يضرب به المثل في لزوم من تكره صحبته . . قال الشاعر :

إذا أتيت سليمى شب لي جعل
إن الشقيَّ الذي يغري به الجعلُ

قَدْ حَمِيَ الوَطِيسُ

قال الأصمعي وغيره : الوطيس حجارة مُدَوَّرَة ، فإذا حميت لم يمكن أحداً أن يطأ عليها .

يضرب للأمر إذا اشتد . ويروى أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام رُفِعَتْ له أرض مُؤْتَةَ فرأى معترك القوم ، فقال : « الآن حمي الوطيس » ، أي اشتد الأمر .

عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذْهَبُ الأَحْقَادُ

المعنى واضح . . قال الشاعر :

تخلت لـه نفسي النصـيحة إنـه
عنـد الشـدائد تـذهب الأحقـاد

عَنْزٌ اسْتَتْيَسَتْ

أي صارت العنز كالتيس في جرأتها . . ويروى عنز نزت في الحبل فاستتيست . أنشد ابن الأعرابي :

عـنز نـزت في حبـل فـاستتيست
في دارنا حيث انشظي ضرس الضبع

يضرب لمن يعز بعد الذلة .

قَتَلَ أَرْضاً عَالِمُهَا

أصل القتل التذليل . . ويراد بالمثل أن الرجل العالم بالأرض عند سلوكها يذلِّلُ الأرض ويغلبها بعلمه . . يضرب في مدح العلم . . ويقال في ضده : « قَتَلَتْ أَرْضٌ جَاهِلَهَا » ، ويضرب لمن يباشر أمراً لا علم له به ، أو يقوم بعمل لا يحسنه ، لأنه يجهله .







من أمثال الشعوب





●● الغياب يزيد القلب شغفاً .
●● ما نكسبه دون جهد نبذله دون ندم .
●● المقشة الجديدة تكنس أفضل .
●● لا يرغب الناس في إعطاء شيء مجاناً كالنصيحة .

(أميريكا)

●● إن وجهة نظر القوي هي الأثقل وزناً .
●● لا يمكن أن نحصل على صفقة إذا لم نسع إليها .
●● من يستطيع أن يلعق يستطيع أن يعض .
●● على الدجاجة أن تكف عن الصياح في حضور الديك .

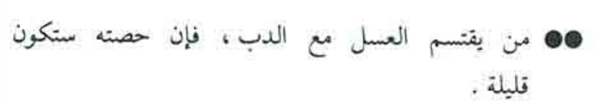
(فرنسا)

●● القوس المشدود على الدوام . . إما أن يرتخي وإما أن ينكسر .
●● الرغبة تجعل الذميم جميلاً .
●● حفلة العرس لا يكفيها طبق فطر واحد .
●● عندما نفكر بالصيد قد نصبح نحن الطريدة .

(إسبانيا)

●● لا ينفع الاقتراض إلا لمرة واحدة .
●● الإطراء لا يكلف غالياً . . مع أن بعضهم يدفع غالياً للحصول عليه .
●● إذا أردت ناراً فابحث عنها في الرماد .

(ألمانيا)



●● من يقتسم العسل مع الدب ، فإن حصته ستكون قليلة .
●● من يحب الولائم عليه أن يولم .
●● ليس هنالك أكثر حمقاً من أحمق متعلم .
●● من غيَّر مكان إقامته غيَّر حظه .

(إيطاليا)



●● لا يُقاس المرء بمظهره كما لا يُقاس البحر بالصاع .
●● لا يُباع الحطب قبل قطعه كما لا يُباع السمك في البحيرة .
●● عندما يبرد الجو تصيح الديكة في منتصف الليل ارتقاباً لشمس النهار .
●● الغراب الأسود . . أسود في كل الأصقاع .

(الصين)

●● خيارة مهداة إليك أفضل من بطيخة تشتريها من السوق .
●● ثروات القلب لا يمكن أن تسرق .
●● كثير من الرجال لا يجيدون السباحة . . لكنهم يحبون الماء .
●● عندما يمشي القلب مع القدم فإنها تجد الطريق سهلاً .

(روسيا)

خالد بن الوليد

شعر
إلياس قنصل

رَفَعْتَ لمجدِ العرْب ذكراً مخلَّدا ... وكنتَ لدين الله سيفاً مجرّدا
ودمّرتَ للطُغيان والبطْل معقلاً ... على جَبَهات البائسين تشيّدا
وجابهتَ أخطارَ المعارك مؤمناً ... بأن لواء الزور لن يتوطّدا
ولقّنْتَ جيشَ الروم درساً فصولُه ... تردّد في إيوان كسرى لها صدى
سننتَ لعهد السلمِ نهجاً مقوّما ... وأعددْتَ للهيجاءِ شرعاً مسددا
ولم تكُ للتفظيع والقتل والأذى ... ولكن لنشْر الخير والفضل والهدى
فَتَحْتَ ولم تهدمْ ملاذاً لفاشلٍ ... يبالغ في عدوانه مترصّدا
ومن بدّلَ البهتانَ بالحق مرشداً ... كريمٌ ، ولو أبدى الصرامة مُرشدا
عدوّك يأبى أن يقرّ بخسْره ... وأنت تواليه بحلمك مُرْفِدا
تريد له أن تمستقيم حياته ... ليمعنَ في كسب الرقيِّ ويسعدا
ويُخفي لك الاشراك في كلٍ موقفٍ ... ويبغي لك الارزاءَ والويل والردى
يُقيّده بالنار والغيِّ دينُه ... ودينُك يأبى أن يراه مقيّدا

★ ★ ★

تجانسَ فيك الغيظُ والعطفُ والتَقى ... كفاحُك في الإسلام بالعنف والندى
بحزْزك ما شاء النبيهُ مسالماً ... وما يستحقّ الوغدُ بالسوء أُخلدا :

كتابٌ تمنّى الدهرُ بعضَ خلوده   بسوراته ليلُ الفساد تبدّدا
وسيفٌ على افرنده الموتُ جاثم   يراقب من عادى وآذى وأفسَدا
وما ثُرتَ إلا حينَ كابرَ حاكمٌ   وأبعد في تضليله وتمرّدا
فإن عاد عن ركب الغواية نادماً   سمحتَ، ولم تصْعَب عليه منددا
تمدّك بالرأي المرجّح خبرةٌ   تحلّ على آثارها ما تعقّدا
فكم شدةٍ شامتْ بعزمك مُنقذاً   وكم غمرة لاقت بحزمك مُنجدا
تعدّ عتادَ الحرب غيرَ مقلّد   وتنجز أسلوب الهجوم مجدّدا
ويخترق الأيامَ فكرُك ثاقباً   كأنك تحيا من فراستك الغدا
إذا ضرب الأعداء للكأس موعداً   ضربتَ بساح السيف والرمح موعدا
وما خسرتْ كفاك حرباً كأنما   عقدتَ وغارَ النصر حلفاً مؤبّدا
ندوبك عن «سبعينها» تشهد الوغى   ولستَ تبالي أن تضاعفها المدى
جراحٌ غدتْ من مجدها : كلُّ قطرة   وساماً على صدر العروبة سَرْمدا

★ ★ ★

بإيمانك الصافي ابتدعتَ عجائباً   تكنُّ لها الاجيالُ مدحاً مجوّدا
وما كنتَ في صون الكرامة واحداً   ولا كنتَ في فرض السيادة مُفْردا
صحابك بين الفتح والحكم معشر   تبارتْ سجاياهم جهاداً وسؤددا
كنوزُ الثرى، أن يرغبوا، رهنُ أمرهم   وما بسطوا إلا لمكرمةٍ يَدا
بأخلاقهم ساسوا النفوس فاذعنتْ   وأمسى طريق النبل فيها ممهّدا
وناءَ عن الأفهام ما كان غامضاً   وصحّ من الألباب ما كان مُقْعدا
يدير شؤونَ الأرض إنصافُ رأيهم   ويرضى عليه من تظلّم أوْ عَدا
ولم يُخضعوها بالحسام مزمجراً   كما ربحوها بالبيان مغرّدا
أحَبّوا ضمانَ الخير باللطف والنهى   وراحوا ينادون الشعوب توددا
وحين تعامى الكفر كفّ لسانهم   وحين تمادى الشرُّ سلّوا المهندا
وتزدهر الدنيا ويسلس أمرُها   وتقبس من إحسانه ما تعدّدا
على سَنَن الاصلاح قام نظامُهم   وبالعدل والتهذيب بات مؤيدا
تفجّر ينبوع المساواة منهم   فطاب حياةً مثلما لذّ موردا
فما عرفوا في الجد فقراً وثروة   ولا عرفوا في الخلق عبداً وسيّدا
فيا لفريق في البداوة معرقٍ   تكبّد من صحرائها ما تكبدا
يلقّن اعلامَ العقول مبادئاً   بعقيانها جيد الخلود تقلّدا
وقد كان من أقوى الأنام عداتهم   وأوسعهم في الكارثات تجلّدا
فيالقٌ لا تحصى، يفيض سلاحها،   فتحسبها كالبحر أرغى وأزبدا
يدربُها من قادة الحرب عصبة   تمارسُها علماً وطبعاً ومقصدا
ولكنها ذلّتْ حيال كتيبةٍ   تخوض لظاها غيرةً وتعبدا
لها ثقة بالله ينصر جندَه   ويكسر ما البهتان للكفر جنّدا
لها ثقة بالحق تعلو بنودُه   ويغدو على رغم الصعاب مسوّدا

ولا يتساوى خائف من مصيره ... وآخر بالايمان يحيا مزوّدا
وشتان بين المرء يجهدُ للسما ... وآخر يبغي السلبَ والنهبَ مُلحدا

★ ★ ★

وحاول أن يغلو بشتمك كاشحٌ ... مهمّته أن يستريب وينقدا
وجرّب أن يعزو إليك نقائصاً ... لتلقى ملام الباحثين مردّدا
فلطّخ من تاريخك الفذّ صفحةً ... وشوّه من أعمالك الغرّ مشهدا
وضلّ بما يرجو وأدبر خائباً ... وعاد يغشّيه الهوانُ منكدا
هو الحق يحمي نفسه بجلاله ... وتمضي جهود الكائدين له سدى !
ومن رام حَجْبَ الشمس بالكف لم يقُمْ ... حواليه إلا السخْر مما تعمّدا
ومن كان في عُرف الشمائل فرقداً ... يظل ، وان ضجّت أعاديه فرقدا
ومن يتّبعْ سُبْل الغواية والخنا ... يجدْ بعدها بابَ السلامة موصدا

★ ★ ★

حياتك برهان على ما رسمتَه ... واكملتَه مستغنياً متزهّدا
دعاك الهدى والناس تقبع في الدجى ... وقربك صوت الشرّ يهدر مُرْعدا
فواجهتَ عتب الأقربين ببسمةٍ ... وصاولتَ من أبدى الجفاء وهدّدا
وكان لك الصيت الذي عزَّ مثلُه ... وكان لك السيف الذي أرهب العدى
وكان لك الرهط الذي إن أمرته ... تدفّق سيلاً في الطعان مجسّدا
وكان لك المال الذي لو طلبتَه ... تلألأ في مغناك دُرّاً وعسجَدا
وأسلمتَ ، لم تحفلْ بغضبة حانق ... تصلّب في بغضائه متوعّدا
ونجّيتَ جيش المسلمين من الأذى ... وخلّصتَه من أن يهون ويهمدا
لئن أحرز الفوزَ المهند مُسْلَطاً ... فقد يحرز الفوزَ المهند مُغمدا
ورب انتصارٍ كان للعار مطلَعاً ... ورب اندحارٍ كان للمجد مولدا

★ ★ ★

وهيأت الأهواءُ اشعالَ فتنةٍ ... بأغراضها الشيطانُ سُرَّ وعيّدا
على رأسها أقوى الصناديد صولة ... وأبرزهم باساً وجهداً ومحتدا
فأخمدتها مستسهلاً ما تعدّه ... ولم يكُ سهلاً أن تخفّ وتخمدا
وأرجعتَ للدين الحنيف قبائلاً ... أبى خوفُها أن تستمرّ وتصمدا
ونفّذتَ وعداً جاءك الأمرُ عكسَه ... وأمّنتَها عن ذنبها متعهّدا
فكنتَ مجيداً في كفاحك ضدهم ... وكنتَ وقد انجزتَ عهدَك أمجدا

★ ★ ★

تحدّاك «هرميز» فلاقى جزاءَه ... وكان كُلَيْباً واهياً قد تأسّدا
وولّى ـ كما تسرى الارانبُ ـ جندُه ... وأسعدُهم من كان في الفرّ أبعدا

يعنفهـــم كسرى على ذلّ ركضهـــم   ويصرخ غيـظاً ، وهـــو أول مـــن غـــدا

ولاحقتَهـم حتـــى تنـــاهى انـــدحارهُم   وأدركتَ منهـــم في مخـــططك المدى

وراســـلتَه لا تبتغـــي غيــــرَ خيــــره   ودام على رغْـي الضـلال معنّـــدا

عـــرضتَ عليـــه أن يتـــوب ويهتـــدي   ويتبـــع دربـــاً بـــالرشاد معبّـــدا

فلما ازدهى لـــم يبـقَ للصـــلح مـطرحٌ   ونال القصاص العدْل عـن كل مـا اعتـدى

وليس الـــذي لله نـــاضل مثـــل مـــن   يحارب مـــن خـــوف الفـــرار مصـــفّدا

ومـــاستْ بآيـــات الهـــداية فـــارسٌ   وأُطفىءَ مـــن نيـــرانها مـــا تـــوقّدا

وَوُزعـــت الأمـــوالُ وهـــي ضرائـــب   تحملهـــا الشـعبُ الضـــعيف مشرّدا

وحُـطمت الأغـــلال أوهـــي حـــديدُها   فقيـــراً يعـــاني النـــائبات ومُجْهـــدا

وضاءَ مـــن القـــرآن فجـــر منـــوّر   فصـــدّع أفقـــاً بـــالأضاليل أســـودا

★ ★ ★

وأنجدتَ جيشَ [illegible] بالشام [illegible]   [illegible] يجلو [illegible]

تســـابقُ في الجـــري النهـــارَ مفـــكراً   وتقضي الليـــالي الـــكالحات مســـهّدا

وكانـــت بتـــاريخ البـــطولة بعثـــة   تميّـــزتَ في تنـــظيمها متفـــرّدا

ونـــازلتَ أقيـــال العـــداة مفـــاجئاً   وغـــادرتهم جيشـــاً شـــتيتاً مهـــدّدا

وأصـــبحت « اليـــرموك » للعـــرب عـــالماً   جـــديداً وعهـــداً بـــالاباء ممجّـــدا

ونحّتْـــك عـــن رأس القيـــادة رغبـــةٌ   ستبقى على التفســـير سراً ملبّـــدا

فلـــم تتـــظلم وارتضـــيتَ بحـــكمها   وكنـــتَ قـــديراً أن تنـــدَّ وتحـــردا

وحسبك هـــذا مـــن حيـــاتك مـــوقف   يجمّلـــه الإيثـــار ، حتـــى تخلّـــدا

فسوّت على الأعداء ، لا عـــن ضراوةٍ   فمـــا كنـــتَ إلا في ثبـــاتك جلمـــدا

ولـــكن لمرمـــى عـــزّزته تجـــاربٌ   حملتَ عـــواديها ومـــا ذهبـــتْ سُـــدى

ولم تمنـــح الأيـــام للعـــطف فـــرصةً   ولم تتـــرك الأحـــداث للـــرفق مَســـندا

إذا أُطلقـــوا عـــادوا أشـــدّ شراســـة   وأكثـــر إيـــذاء وأعصى وأحقـــدا

ولو ظفـــروا مـــا ســـامحوك تـــكرماً   ولا وفّـــروا عنـــك العـــذاب المشـــددا

★ ★ ★

ألا قـــائدٌ ثـــانٍ لأمـــة يعـــرب   يحـــرّك فيهـــا عـــزمَها المتجمـــدا ؟

تتـــالتْ عليهـــا الحـــادثات وزعـــزعتْ   بنـــاءً على أسّ الـــكفاح تـــوتدا

يخـــادعها النـــذلُ الـــذي كان جـــدّه   كما هو ، مـــن ســـامي الصـــفات مجـــرّدا

ألا قـــائدٌ ثـــانٍ يـــداوي اعتـــلالَنا   ويجعل دنيـــا العـــرب صـــفاً مـــوحّدا ؟

إلامَ نغضُّ الـــطرف عـــن ربـــوةِ العلى   ونلبـــثُ في ســـفح الـــكلال تـــردّدا ؟

أما حـــان أن نجـــري على نحـــو خـــالدٍ   أمـــا حـــان أن نـــرضي النبيَّ محمـــدا ؟

مالك بن المرحل
أديب المرينيين

بقلم: نفيسة بنطالب

★ مما لا يتسرب إليه أدنى شك ، أن المغاربة شاركوا بقدر لا يستهان به من إنتاجهم في مضمار الأدب المغربي . ولكن لسوء الحظ لا يزال هذا الإنتاج ضائعاً في بطون الكتب . فنحن نسمع بأسماء لأدباء مغاربة - وربما لا نسمع بها أبداً - ولكن قلما نظفر لهم بإنتاج ذي بال يصلح للحكم عليه ، فلا نكاد نحصل إلا على بضعة أبيات في الشعر ، وسطور في النثر لا تشفي غلة ، ولا تروي ظمأ ، أو لا نعثر عليه البتة .

فقد تعاونت يد الاهمال والظروف والعصبية التي عاشها كثير من الأدباء ، والشعراء المغاربة في ظل الحروب والفتنة التي عرفتها عصورهم ، على تغطية وطمس أخبارهم . فظلوا مغمورين أخبارهم مجهولة ، وإنتاجاتهم مهملة .

والعصر المريني الأول له قصب السبق في كثير من النماذج التي عاشت مغمورة ، وطوتها بإنتاجاتها المبعثرة يد النسيان ، وظروف نهاية الموحدين وقيام المرينيين . ومن نماذج هذا العصر شخصية الأديب الكبير مالك بن المرحل ★

وبما أن هذه الشخصية الفذة تعتبر أحد أعلام العصر المريني ، فالأجدر أن نلقي نظرة ولو وجيزة على هذا العصر ، وعلى حالة الأدب فيه .

فبعد العز والقوة ، ومثال العظمة ورفعة السلطان التي كانت سمة **الدولة الموحدية** مدة طويلة من الزمن ، خضعت أخيراً لسنّة الكون ودستوره الذي يتلخص مبدؤه في ترقب النقص إذا تم التمام . فسرعان ما تداعت أركانها وتهاوت قواعدها ، فبدلت برج العز بحضيض الهوان ، وفشى المرض في جميع جسم الدولة ، وتعددت **الاضطرابات** حتى أصبحت الفرصة مواتية وسانحة لبزوغ دولة جديدة ، كان دعاتها يعملون في الخفاء ليجهزوا على الدولة القديمة .

واستمروا في تنفيذ هذه الفكرة وتحقيقها - وشأن الحوادث الكبرى ، تبدأ عادة بسيطة ثم لا تزال تنمو وتتسع رقعتها إلى أن تصل الهدف - وفعلاً استولوا على البلاد ولم يكن فعلهم هذا مبنياً على فوضى ، بل كان مبنياً على حركة منظمة لها نظام وقانون يتزعمها زعيم كسائر الزعماء هو **« عبد الحق المريني »** الذي ظل يواجه الموحدين إلى أن مات وخلفه أولاده . وعلى رأسهم **« يعقوب بن عبد الحق »** وهكذا تقلص ظل الموحدين واختفى من المغرب ، واستتب الأمر لبني مرين ، فلم يبق من ينازعهم في كل شيء .

الحياة الأدبية في العصر المريني

ونجد الحركة العلمية قد اعتراها نوع من الفتور والانقطاع إبان فترة الانقلاب هذه إلا أنها ما لبثت أن استرجعت ما كان لها قبل من قوة وظهور، واستأنفت سيرها في ظل هذه الدولة التي ما فتئت تمد يد الإعانة لها بأجل الخدمات. فوجهوا عنايتهم بكل ما لديهم إلى تشييد **المدارس** في أنحاء المغرب، ونشر الثقافة حتى بلغت في الجملة المستوى اللائق بها والمشرف لها.

أما **الناحية الأدبية** - وهي التي تعنينا - فإن العصر يعتبر **العصر الذهبي** للعلوم الأدبية في المغرب. والأستاذ **عبد الله كنون** يجعل سبب هذا الرقي غير متوقف على طبقة دون غيرها، بل هو نتاج عمل الناس بمختلف طبقاتهم.

فقد اشترك في تكوينه جميع الطبقات من **الملوك**، فمن دونهم إلى الناس العاديين، أما الملوك، فقد علمت أن **أكثر سلاطين بني مرين كانوا من أهل العلم والمعرفة والمشاركة في فنون الأدب، وبالطبع فإن وزراءهم وحجابهم وقوادهم فضلاً عن كتابهم وقضاتهم كانوا كذلك**. إذ يستحيل أن يقرب بساط الملوك إذا كانوا ملوكاً بمعنى الكلمة، غير أهل الكفاءات النادرة من أرباب المعارف المتنوعة... وهؤلاء ممن دون الملوك، ولكنهم فوق الناس العاديين، وأما الناس العاديين فقد أشرنا (فيما سبق)[1]، إلى ما أثرت فيهم نهضة علوم اللسان وما مكنت لهم من تذوق أسرار اللغة وتفهم أغراض الأدب.

والصورة التي تعكس لنا مدى ما وصل إليه الأدب في هذا العصر، ظهور نوع جديد من الشعر يسمى **الشعر العامي**، زيادة على تطور وتجديد في المناظرة، وإن كان ابن خلدون «لم يجعل هؤلاء العوام هم شعراء المغرب، وإنما أتى بهم دليلاً على ضعف الملكة الشعرية عند أهل الأمصار وخصوصاً الأعاجم منهم»[2]، إلا أن عبد الله كنون يتحدث عنه باعتزاز ويجعله بنداً من بنود النهضة الأدبية المغربية: «ولا يخفى أن في هذا العصر استفحل ذلك الشعر العامي الذي يتحدث عنه ابن خلدون في المقدمة، وهو من نظم عوام المغاربة، فيكون من الدلائل القاطعة على تمام أشعارهم، وبالتالي على رقي الوسط الأدبي عندهم..»[4].

وبالإجمال فالحياة الأدبية في العصر المريني بلغت ذروة الكمال حيث «إن في هذا العصر بلغ الأدب المغربي كماله فتخلص من سائر التأثيرات الأجنبية عن النفس المغربية، وشق لنفسه طريقاً نحو الغاية المقصودة وهي سد حاجة تلك النفس الظامئة إلى حياة أدبية حرة تتمثل فيها عواطفها ومشاعرها وسجاياها ومزاياها مصورة بصورة طبق الأصل لا رياء فيها ولا تصنع ولا ادعاء ولا تقليد»[5]

نشأة مالك بن المرحل

فهذا الوسط الأدبي الطافح بعناصر الحياة، كان هو مهد شاعر المغرب الكبير ابن المرحل الذي طبقت شهرته الآفاق آنذاك، وعمت أخباره جميع الأنظار، ولكنه للأسف طغى عليه النسيان والاهمال. ومدينة **«مالقة»** هي المدينة التي شهدت اطلالة أول يوم من حياة شاعر مغربي حظي بما لم يحظ به غيره، وذلك في السابع عشر من محرم فاتح عام ٦٠٤هـ، إنه **أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن فرج بن أزرق ابن منير ابن سالم بن فرج بن المرحل**، المصمودي **نسباً**، المخزومي **ولاء**، السبتي **بلداً** (ولكن أبا الحكم وأبا المجد والأولى أشهر)[6]، ونجده قد سجل هو بنفسه تاريخ ولادته عندما أجاب ولد **القاضي ابن عبد الملك، وقد سأله عن مولده**:

يا سائلي عن مولدي كي أذكره ... ولدت يوم سبعة وعشرة

من المحرم افتتاح أربع ... من بعد ستمئة مفسرة

وقد استوطن سبتة طويلاً بعد أن رحل به والده إليها حيث تلقى تعليمه بها، وكانت إذ ذاك مركزاً من مراكز المغرب الثقافية ازدهرت بها العلوم والفنون، كما رحل إلى **فاس وأشبيلية**، وأخذ عن علماء هذه وتلك. أخذ بفاس عن **الفقيه اليزناسني** وغيره، ولقي بأشبيلية رجالا أفذاذاً، وجالس بمالقة **أبا بكر بن عبد الرحمن بن علي، وأبا عمر بن سالم، وأبا النعيم رضوان بن خالد**، فنال ثقافة واسعة في **علوم اللغة والنحو**، مشاركاً في **الفقه والفرائض** مجيداً **للقراءات السبع**، حيث أخذ القراءات عن **أبي جعفر أحمد بن علي بن الفحام**. وكان ممن روى عنه **أبو جعفر بن الزبير والقاضي أبو عبد الله بن عبد الملك وجماعة**.

وقد تعاطى التوثيق في بلده سبتة، وولي القضاء مرات بجهات في **غرناطة** وغيرها. وكتب **للأمير أبي مالك بن السلطان يعقوب المنصور المريني**، وربما لوالده أيضاً، ثم **للسلطان يوسف بن يعقوب**، وكان حسن الكتابة وإن لم تصل روعة الشعر.

خلفيات الأوضاع القائمة في حياته

وقد عاش هذا الشاعر أوضاعاً كان لها عظيم الأثر على أطوار حياته، تلك الأوضاع لم تترك حياته تمر من غير أن تلصق بها بعض البصمات، فابن المرحل عاش في فترة زمنية صعبة، فيها طغت الفتن والقلاقل على ما سواها من الجوانب الأخرى في الأمة - وهي فترة نهاية الموحدين، وقيام دولة المرينيين، وما سادها من ثورات وحروب وانقسامات في رقعة الإمبراطورية الموحدة وتمزيقها وتشتيت شمل المسلمين **بالأندلس**، وانعدام الأمن وسيطرة الخوف وكثرة الهجرات.

هكذا كانت الوضعية السياسية. في حين نجد الوضعية الاجتماعية لا تقل عن هذه الحالة. فمن الواضح أن الاستقرار الاجتماعي يأتي مقروناً بالاستقرار السياسي. وإن انعدام هذا العنصر أدى إلى انعدام العنصر الثاني بانفصام عرى الوحدة التي تجمع بين أفراد الشعب الواحد نتيجة تعدد الانتماءات الدينية والاختلافات التي سادت هذه المناطق. ففي الأندلس كان التهديد الدائم والتهيب المستمر من هجومات المسيحيين، وخشية الأهالي على أموالهم ودينهم، وبما يهددهم من عوامل تشتيت شملهم بالهجرة والاستشهاد، فطغى التفكير الفردي في وسائل النجاة من المصير المرعب مما أدى إلى سقوط الأخلاق وانحطاطها بالعمل مع العدو واتقاء شره، وخيانة الوطن نتيجة فقدان الثقة بالذات وانعدام الإحساس بالكفاءة الذاتية. وبالمغرب كان الحذر والحيطة



شعار الفترة ، فطغت المصلحة في ظل الصراع وتعددت العناصر واختلطت من بربرية وعربية ومهاجرين أندلسيين : يهود ومسلمين ، مما أدى إلى تعدد العادات وانفصام وحدة الشخصية . فهل في هذه الأوضاع السياسية منها والاجتماعية ما يساعد ويشجع الأدباء والمفكرين والعلماء على الظهور والإنتاج الفكري ؟ وهل ثمة مجال للعناية بأهله وشيوخه ؟ **مؤكد أن الحركة العلمية والثقافية تزدهر بتوفر الاستقرار والأمن على النفس والاهتمام بالأدباء والعلماء والعناية بهم حتى يقوموا بدورهم الحضاري في الأمة** ، وهذا ما يفسر لنا الصمت الذي صاحب هذه الفترة ، وقلت الأسماء المثقفة .

هكذا كانت الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية في عصر مالك قبل استقرار الأوضاع في المغرب نهائياً في ظل المرينيين ، وهذا ما حجبه عنا في هذه السنين كغيره من أدباء عصره دون أن يعرف عنه شيء ، « وقد ساعد على ذلك شيء في ابن المرحل وأخلاقه هو بعده عن الشهرة ، ونفوره من مساقط النور ودخوله غمار السياسة »[٧] ، فقد نشأ خامل الذكر خفي المنزلة إلى أن واتته الفرصة عن طريق أدبه وشعره حين استقرت الأوضاع إذ ذاك ، فانهض أدبه وشعره وعوضاه عن الخمول الظهور . **فكان في عصره شاعر المغرب غير مدافع** ، واطبع شعرائه أسلوباً وأرشقهم لفظاً وأبلغهم معنى وحق له ذلك ، **فهو ماهر في فنون الأدب بصير بمواقع الكلام** ، استعان على هذا كله بالمقاصد اللسانية لغة وبياناً ونحواً وعروضاً وقافية ، وحفظاً للجيد من الشعر ، واطلاعاً بمعرفة معانيه وتراكيبه ، فإنه كان في ذلك نافذ الذهن شديد الإدراك قوي العارضة سريع البديهة ، ومما زاده بصراً بأسرار العربية أنه تلا القرآن الكريم بالسبع كما تقدم . وبهذا حق له أن يملك زمام الأدب .

أدبه ومؤلفاته

ابن المرحل لم يكن نبوغه مقتصراً على ناحية أدبية دون أخرى ، فإلى جانب كونه شاعراً من الدرجة الأولى ، يعد عالماً مشاركاً في علوم شتى . وقد استغل قدرته على النظم في نظم كثير من العلوم التي لا تهمنا بقدر ما تطلعنا على مرحلة الشيخوخة في التأليف ، تلك المرحلة التي انتهت إلى **نظم العلوم** . وعلى الرغم من تقدم سنه ، فلم يحل ذلك بينه وبين روح الفكاهة والمرح ، بل ربما زاده بسطة في العلم ، وقد سجلت له كتب الأدب خواطر جادت بها قريحته ، وهو يعارك الثمانين :

يا أيها الشيخ الذي عمره ... قد زاد عشراً بعد سبعينا
سكرت من أكواس خمر الصبا ... فحدك الدهر ثمانينا

وما ضعف في قول الشعر ولا ونى عن مقاومة خصومه ، ولا قصر عن شيء من أمره ، فقد كانت بينه وبين بعض معاصريه مساجلات ومناظرات نطلق عليها تجاوزاً لفظ « **المخاصمات** » ، فهذه التي أثرت الأدب المغربي ، وزادت شهرته ، ومن بينها ما حدث بينه وبين الأديب **ابن رشيق** .

كان بين ابن رشيق الثعلبي ومالك بن المرحل خصام أدى إلى تهاجيهما ، فنظم ابن رشيق قصيدة جاء في مطلعها :

لكلاب سبتة في النباح مدارك ... وأشدها عند التهارش مالك
شيخ تفانى في البطالة عمره ... وأجل محكيه الكلام الآفك

واتخذ لها كنانة كأوعية الكتب وكتب عليها « زمام معجل إلى مالك بن المرحل » وعمد إلى الكلب وجعلها في عنقه وأوجعه ضرباً حتى لا يأوي إلى أحد ، وطرده بالزقاق ، فذهب الكلب يعوي وخلفه من الناس أمة ، وأخذ الكتاب وقرىء فحمل إلى ابن المرحل ، فلم يخف عليه أنه من عمل ابن شريق ، فقال في جوابه :

كلاب المزابل آذينني ... بأبوالهن على باب داري
وقد كنت أوجعها بالعصا ... ولكن عوت من وراء الجدار

وفي هذا المضمار نجد لوناً آخر من ألوان المناظرة ، وهي تلك التي وقعت بينه وبين **ابن الربيع النحوي** في (كان ماذا ؟) ، حيث وقعت هذه اللفظة في شعر مالك بن المرحل فأنكرها ابن أبي الربيع ، وقال : الصواب

(ماذا كان ؟)، فقال مالك رداً عليه :

عـاب قـوم كان مـاذا
ليـت شـعري لم هـذا ؟
وإذا عـابوه جهـلاً
دون عـلم كان مـاذا ؟

وكثر النزاع بينهما وألف كل منهما في المسألة منتصراً لرأيه ، وكان الذي ألفه مالك كتاباً سماه « **الرمي بالحصى والضرب بالعصا** » وجزاه ثلاثة أجزاء ، ولم نقف على شيء مما كتب ابن أبي الربيع . يقول عبد الله كنون عند الكلام عن هذه المناظرة في كتابه **النبوغ** :[٨]

« وكان ابن المرحل ذا أصالة شعرية دفعت به إلى مركز الصادرة وأحلته منزلة عالية ، ولفتت إليه أنظار سلاطين المرينيين ، وأبصار الأدباء . وهذه الأصالة كانت تكمن في شعره الحربي وشعره الزهدي ، أكثر مما تلمحها في أي لون آخر من ألوان شعره ، ويظهر أن ثورة مكبوتة كانت تعتمل في نفس الشاعر ، وتصطرع بآرائه في الحياة والناس والموت ، وتقلب الدهر ، وأخيراً هدأت هذه الثورة في اليأس والاعتزال والانصراف عن الدنيا إلى التفكير في الآخرة والحث على الزهد والابتعاد عن الموبقات والنصح بالصبر والأناة وأعجب ما نلقاه في زهدياته أنه يواجه الحياة بروح واقعية ليست فيها هذه المبالغات والتهويلات التي نلمسها في أمداحه ووصفه وفخره ، فليس لديه إغراق في خيال أو ضلال عن رؤية ما يجري في النفس البشرية وفي مجتمعه ودنياه .

وواقعية ابن المرحل هي التي يسرت عليه نظم هذه **الزهديات** العجيبة أو **اللزوميات** التي كان يسير في نظمها على ترتيب حروف المعجم في كل حرف عشرة أبيات أو عشرون أحياناً ، ولذلك أسماها « **العشريات الزهدية** » وكان يلزم نفسه بافتتاح أبياتها بحرف الروي (أي إذا بدأ بالياء مثلاً أنهى قافية البيت بالباء ، كما نرى في قصيدته : بأي دواء ؟) . وهذه الواقعية هي التي منحته هذه السهولة في البيان والوضوح في التعبير .



ويمكننا من هذه الناحية أن نقرنه **بأبي العتاهية** ، ويمكننا أن نقرنه أيضاً به في زهدياته الخالية من هذه الجزالة والفخامة التي تصادفنا في فخره ومدحه ، وإن كان هذا الأخير لم يلتزم منهج الصدق في زهده ، بل كان يتقلب بين الزهد وحب الدنيا . لذلك لم يكن زهده صدى لنفسه ، وإنما رغبة في الظهور على الناس بفن جديد لا غير . بينما كان زهد مالك تعبيراً عن ذاتيته وهدى لنفسه الزاهدة ، ورسماً لجانب مهم من الحياة في العهد المريني الذي لم تغمر الناس فيه زخارف الدنيا .

ومالك بن المرحل فضلاً عن كونه شاعر العصر بل شاعر المغرب هو أيضاً ممن ألف في اللغة والأدب كتباً عدة منظومة ومنثورة منها : **نظم غريب القرآن لابن عزير ، نظم اختصار اصلاح المنطق لابن العربي ، ونظم فصيح ثعلب مع شرحه ، ونظم الثلث الأول من أدب الكتابة لابن قتيبة** بعد ترتيبه **وترتيب الأمثال لأبي عبيد ، وأرجوزة في العروض** ، ثم الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والآخرة . وديوان **الجولات ، وله مؤلفات خصصها للمعارضة كالتبيين والتبصير في نظم التيسير الذي عارض به الشاطبية في علم القراءات** . وكتاب الرمي بالحصى والضرب بالعصا الذي رد به على ابن أبي الربيع النحوي .

مكانته بين أدباء عصره

من خلال تأملنا في أدبه واللبنات التي وضعها في باب الزهد والمناظرة ، وتأملنا في مؤلفاته المتشعبة الأغراض والمقاصد تقتنع إذ ذاك أن مالك بن المرحل « خير من يمثل الأدب المغربي بعد (**ميمون الخطابي**)[٩] ، في منتصف القرن السابع إلى نهايته »[١٠] ، فهو سيد شعراء العصر المريني الذي نهض فيه المغرب نهضة كبرى في شتى فروع العلم والمعرفة حتى أنه شرف العصر الذي عاش فيه . يقول الأستاذ عبد الله كنون : « **ويكفي أن في هذا العصر نبغ ذلك الشاعر الذي يحق أن يقال عنه إنه شاعر المغرب الأكبر ، ونعني به مالك بن المرحل الذي طبقت شهرته العالم العربي** ، على رغم ما مني به أدباء المغرب من خمول الذكر ، والذي لم يسع ابن خلدون إلا أن يعترف بشاعريته على ما علم من تحفظه الشديد . ولكن يا أسفي لضياع شعر هذا النابغة الفذ وغيره من شعراء هذا العهد الذي يعتقد أنه لو وصلت إلينا جميع آثارهم لما بقي من يخفض رأساً عند ذكر أدب المغرب . . »[١١] ، فهو شاعر قوي الأسلوب وافر المادة ، مبدع ومجدد ، صاحب روعة وجمال .

فهذا الحكم نصدره عليه وإن لم نتوصل حتى بجزء يسير من شعره . **وعلى العموم فشعره أو قصائده المتداولة تنقسم إلى قسمين** : قسم كله امداح نبوية رائعة ، وقسم هو إلى السياسة أقرب . ويتجلى في قصائد كثيرة من بينها قصيدته التي أجاب بها (المستنجدين)[١٢] بيعقوب المنصور المريني حين ضيق عليهم الإسبان الخناق :

شهد الإلـه وأنـت يـا أرض اشـهدي
أنـا أجبنـا صرخـة المسـتنجد
لما دعـا الـداعي وردد معلنـاً
قمنـا لنصرتـه ولم نـتردد

نموذج من شعره

وكنموذج على نفسه القوي ويده الطولى في الشعر، نأخذ قصيدة من قصائده في الزهديات والتي تحمل عنوان «بأي داء» والتي التزم افتتاحها بما ختمت به لنلقي عليها بعض الأضواء :

بأي دواء أم بأي طبيب
يداوي عذار من بياض مشيب
بياض كما لاحت كواكب سحرة
تريك ضلوعاً مؤذناً بغروب
بشيراً نذيراً لاح كالفجر صادقاً
على كاذب حلو اللسان خلوب
بنيّ ابك لي إن البكا يبعث البكا
وليس جوابي منك غير وجيب
بحاراً ركبناها بغير سفائن
غروراً فإن نهلك فغير عجيب
برتني يوماً آيه في براءة[13]
فإن ضحكت سني فضحك مريب
بكى صاحبي حتى إذا مال في الثرى
وسالت مآقيه كمثل غروب
بداراً إلى هذي الدموع فربما
غسلت ذنوباً جمة بذنوب

فالقصيدة هذه كلها حكم ووصايا، ونستشف هذا من خلال الموضوع المطروق من طرف الشاعر، والذي هو بياض المشيب. فيبدأ متسائل عن كيفية مداواة الشيب الذي أخذ يشتعل في عذاريه، والذي لاح مثل كواكب السحر في آخر الليل، وأن هذا المشيب مؤذن بغروب حياة الإنسان كما أن هذه الكواكب مؤذنة بانتهاء الليل ومبشرة بقدوم الفجر. ثم يستنجد بابنه ليعاونه على البكاء، والبكاء يبعث البكاء، ثم أفضى به نظره إلى الموت والتوسد في الثرى والدعوة إلى الاعتصام بالدموع لعلها تكفر عن هذه الذنوب التي تثقل كاهل الإنسان.

وابن المرحل بهذا صاحب طريقة وإن كان هناك سابقون له، فإنه قد وضع لبنة في هذا الفن، وغدا صاحب مدرسة تأثر بها - من غير شك - من أتى بعده من شعراء المغرب، أمثال : **ابن السوناي، واليوسي**، وغيرهما كثير، حتى يمكن أن نعتبره بذلك صاحب مذهب في الدعوة للزهد والتنفير من الدنيا والعمل للآخرة، كما كشفت لنا عن هذه المقدرة القصيدة.

وفاة مالك بن المرحل

وهكذا توالت الأيام وتابعت عجلات الزمن سيرها الاعتيادي في حياة هذا الشاعر مدة ٩٥ سنة إلى أن كان يوم ١٧ رجب من سنة ٦٩٩ هـ، حيث وقفت المنية حجر عثرة أمام عجلات حياته، واخترمته لتضع بذلك حداً لنشاطه، ودفن بمدينة فاس خارج **باب عجيسة**. جاء في السلوة : (أن ضريحه من جملة ما قطع عن هذا الخارج بالسور)[14]. وقد كتبت على قبره في مربعة أبيات كان قد أوصى بها في أخريات أيامه. والأبيات هي :

زر غريباً بمغرب — نازحاً ما له ولي
تركوه موسداً — بين صخر وجندل
ولتقل عند قبره — بلسان التذلل
رحم الله عبده — مالك بن المرحل

هكذا قضى هذا الأديب حياته كما قدر له أن يقضيها، وأنجب شعراً بديعاً ظل وسيظل مسجلاً على صفحة التاريخ فخراً لعصره، هذا الأثر الخالد الذي أوقفنا على صورة من الحياة الأدبية التي بلغت أوجها في ذلك العهد. وكما بدىء الشيء يختم. فطويت هذه الصفحة الزاخرة من حياة هذا الرجل، وبقيت تحمل مواقف تشهد بعظمته وعظمة عصره.

تلك صفحة عن حياة ابن المرحل، وهناك آخرون يماثلونه أو يفوقونه أسدل عليهم الزمن ستاراً من النسيان ولم يلتفت لهم أحد، ليزيح عنهم هذا الستار المظلم، وينفض عن إنتاجهم السلبية العالقة به من جراء العزلة والإهمال، وتلق هذه التبعية على أبناء قومهم الذين لم يولوهم أدنى اهتمام، وتركوهم يضيعون. وفي ذلك ضياع لتراث قومي عظيم هو كل ما نفتخر به ونشيد بذكره في المجامع. وعسى أن يلتفت كتابنا وأدباؤنا إلى هذه الناحية من عظمة المغرب فيولوها الاهتمام اللائق بها، لقد آن أوان الانفتاح لتهوية الفكر. وإلى جانب ما قامت الدعوة إليه من الإقبال على الفكر العالمي في صوره هناك دعوة تليدة إلى بعث التراث وتجديده. وليس أضر على الشخصية من الانسلاخ والانحياز إلى اليسار - إن صح التعبير - أو التقوقع والمحدودية، والرجوع إلى اليمين المطلق، ولذلك ينبغي أن نفتح أعيننا على كل الجهات، ونركز أفهامنا على كل المنابع والتيارات، ونترك لأنفسنا حق الإبداع وإيجاد اتجاهات موافقة، لعلنا بفعلنا هذا ننفض غبار الزمان والظروف عن أولئك الأفذاذ ونضعهم من جديد أمام أعين الدنيا لنرفع ما مزقت يد الأقدار الخفية.

المراجع

١ - النبوغ المغربي - ج الأول - ص ١٩٦، حيث تطرق لهذا النوع من الأدب، وهو العامي وحديث النظافة، الذي وقع بين مالك بن المرحل وأبو اسحاق التلمساني. ويدل على انتشار وتغلغل الأدب بين سائر الطبقات حتى العامية منها.
٢ - النبوغ المغربي لعبد الله كنون - ج الأول - ص ٢٢٢ - ط ٢.
٣ - نفس المصدر ص ٢٢٢.
٤ - نفس المصدر ص ٢٢٣.
٥ - نفس المصدر ص ٢٢٤.
٦ - الأعلام لخير الدين الزركلي - ج : الثامن - ص ٨٦ - ط ٣.
٧ - مجلة دعوة الحق - العدد الأول - السنة ١٦ (يونيو / حزيران ٧٣م- جمادى الأولى ٩٣هـ).
٨ - النبوغ المغربي لعبد الله كنون - ج الثاني - ص ٥٥.
٩ - ميمون بن علي بن عبد الخالق الخطابي المعروف بابن خبازة توفي بالرباط سنة ٦٣٧ هـ، وكان عظيماً في ميدان الأدب.
١٠ - الأدب المغربي لابن تاويت وصادق عفيفي، ص ٢٠٦.
١١ - النبوغ المغربي - ص ٢٢٤ - ٢٢٥.
١٢ - بنو الأحمر من ملوك الطوائف بالأندلس.
١٣ - يشير إلى سورة التوبة، والآية هي قوله تعالى : ﴿**فليضحكوا قليلاً، وليبكوا كثيراً**﴾.
١٤ - نقلاً عن كتاب ذكريات مشاهير المغرب لعبد الله كنون.

إبسن بعد ١٥٠ عاما

بقلم: فوزي سليمان

تحتفل الأوساط الأدبية في كل العالم خلال عام ١٩٧٨م وبدايات عام ١٩٧٩م بذكرى مرور مائة وخمسين عاماً على مولد الكاتب المسرحي النرويجي **هنريك إبسن** . وبين احتفالات نوادي العالم في مختلف العواصم ، ومراكز اليونيسكو ، تبرز احتفالات وطن الكاتب ، حيث أعدت النرويج برنامجاً ضخماً للعروض المسرحية والسينمائية والندوات والمحاضرات ، يقام في مختلف المدن النرويجية وخاصة تلك التي قضى فيها الكاتب بعضاً من سنوات عمره ، وحيث تحولت البيوت التي كان يقطنها إلى متاحف أو بيوت ثقافية يتردد عليها الزائرون ، كما في «**سكين**» و«**جريمستاد**» و«**أوسلو**» و«**بيرجن**» . ويعاد تقديم بعض مسرحياته في اخراج جديد . كما تنشر مطبوعات جديدة ، عن إبسن مثل «**هنريك إبسن**» (١٨٢٨ - ١٩٧٨م) ، وقائمة الأفلام المأخوذة عن أعمال إبسن . وأعد فيلم تسجيلي باسم «من كان هنريك إبسن» يكمل في خريف ١٩٧٨م ، كما تصدر طوابع بريد بمناسبة هذا اليوبيل .

مسرحياته

وقد جذبت مسرحيات إبسن بما أثارته من قضايا مخرجي السينما ، وقد قدمت مسرحية «**بيت الدمية**» في أمريكا سنة ١٩٢٢م من اخراج **شارلز بريانت** - وأعيدت عام ١٩٧٣م في فيلم انجليزي من اخراج **باتريك جارلاند** وبطولة **كلير بلوم وانتوني هوبكنز** ، وفي فيلم انجليزي - فرنسي مشترك اخراج **جوزيف لوزي** وبطولة **جين فوندا** . وقدمت «**البطة البرية**» في ألمانيا في فيلم سنة ١٩٢٥م وأعيد اخراجها عام ١٩٧٧م . وقدمت **هيدا جابلر** في فيلم ألماني سنة ١٩٢٤م تمثيل **استانيلس** إحدى نجوم السينما في عهدها الصامت . وأعيد اخراجها في انجلترا سنة ١٩٧٥م ، وقس على هذا العديد من أعمال هنريك إبسن .

أبو الدراما الحديثة

وقد كتبت دراسات عديدة عن أثر إبسن في المسرح العالمي ، وقد اخترنا أن نقدم دراسة للناقدة شيلا ادواردز بعنوان «**أبو الدراما الحديثة**» مصحوبة بمجموعة من الصور عن مسرحياته والأفلام المأخوذة عنها وعن حياته والبلاد التي عاش فيها ، وزوجه والفنانين المعاصرين له .

في عام ١٨٩٨م احتفل أحد عظماء النرويج - في كل العصور - الكاتب المسرحي **هنريك إبسن** بعيد ميلاده السبعين ، كانت مناسبة عامة حظيت بقدر كبير من الاهتمام على المستوى القومي والعالمي ، فقد تلقى الكاتب رسائل وهدايا من مختلف أنحاء العالم ، وبدا أن كل إنسان يريد أن يشارك في تكريم هذا الرجل الوقور ذي اللحية البيضاء والزي الوقور . فقد كان إبسن - **بحق** - كاتباً عالمياً مرموقاً صاحب روائع هزت المسرح الأوروبي مثل «**البطة البرية**» و«**بيت الدمية**» و«**هيدا جابلر**» و«**الأشباح**» . وقد منحته أكثر من دولة أجنبية بهذه المناسبة **وسام شرف** . ولعل إبسن هو الكاتب الذي كون ثروة تفوق ثروة أي كاتب معاصر له ، رغم معاناته الفقر في صباه وشبابه .

وفي العام التالي افتتح المسرح القومي الجديد في أوسلو وأقيم احتفال آخر كبير على شرفه ، وأمام مبنى المسرح كان يقف تمثال كبير لإبسن نحته المثال **ستيفان سنيدينج** ، وفي داخل المسرح كان الجمهور يتصايح مرحاً «**يحيا**



★ إبسن أبو الدراما الحديثة للفنان إريك ديرنيسكولد ★

هنريك إبسن » .

ولعل أعظم تكريم لإبسن جاء من كاتب معاصر في انجلترا هو **جورج برنارد شو** الذي كتب يقول : **« إن أثر إبسن في انجلترا يعادل أثر ثلاث ثورات ، وست حملات صليبية ، وغزوتين أجنبيتين ، وزلزال .. إن الغزو النورماندي يعتبر شيئا قليل القيمة إذا قيس بالغزو النرويجي »** ! .



لم يكن في حياة إبسن المبكرة ما يشير إلى أن مستقبله سيكون مزدهراً وكان أكبر خمسة إخوة ، وقد ولد في بلدة **سكين** SKIEN بجنوب النرويج في أسرة ذات أصول دنمركية واسكتلندية وألمانية ، وكان والده التاجر رجلاً محترماً محافظاً ، ولكن تجارته أفلست وهنريك في الثامنة من عمره ، واضطرت الأسرة أن تنتقل من منزلها في المدينة إلى منزل آخر في الريف يبعد عدة أميال عن سكين ، وأن تعيش حياة أقرب إلى الفقر ، مما ترك في نفس هنريك شعوراً بالهوان لم ينسه أبداً ، وغدا طفلاً منعزلا متمرداً ، يقتات الأحلام .. **وقد ظل طوال حياته رجلا خجولا منطويا على نفسه ، ليس له إلا قلة من الأصدقاء** .

ولم يكن كما قد يتصور البعض دودة كتب ـ فالكتاب ، كما قال هو نفسه فيما بعد ـ يمكن أن يعمي عيون الناس عن الحياة الواقعية حولهم ، وكان في المدرسة متهماً بالبلادة ، كان ولداً لا يتميز بذكاء خاص كما أشار معلمه ، إنما كانت موهبته فقط في الرسم ، فقد كان يمضي ساعات طويلة يرسم مشاهد من الريف حوله ، ولو استطاع والده أن يكفل له مصروفات التعليم في الخارج لخرج منه فنان مرموق ، لكن هذا لم يحدث لحسن حظ المسرح .

وفي سنة ١٨٤٣ م وجد هنريك ـ وهو في الخامسة عشر من عمره ـ عملاً في صيدلية في **جريمستاد** وهي بلدة صغيرة تقع على **فيورد اوسلو** حيث تجمعت بعض البيوت حول الميناء ، والآن .. يأتي الزوار من كل جهات العالم لمشاهدة بيت إبسن في هذه البلدة والمقعد الذي كان الصبي يحفر اسمه عليه . وفي هذه البلدة الهادئة المنعزلة أخذ هنريك يقرأ بنهم ويحلم بدوره ككاتب . وخلف زجاجات الأدوية والعقاقير كان يسترق القلم والورق ويأخذ يكتب بحماس حين يشعر أنه لا أحد يلاحظه ، وفي المساء كان يدرس الكلاسيكيات اللاتينية على ضوء الشموع مما هدد بصره بالهلاك ، ولكنه كان يتطلع إلى **« الرسالة الكبرى »** التي تنتظره .

وكان أهالي جريمستاد المحافظون ينظرون إليه في استغراب فقد بدا لهم شاباً بوهيمياً ، يبدو دائماً بسترته البالية متجهماً ، يثير سخطهم بآرائه **« العصرية »** في الزواج والأخلاق والمجتمع ، ويزعجهم برسومه الساخرة عن أثرياء البلدة ، حتى الأطفال لم يكونوا يودونه إذ كان يبخل عليهم بحلوى الصيدلية ، **وكان شعور الكراهية بينه وبينهم متبادلا** .

وحينما بلغ إبسن الثانية والعشرين قرر أن يتوجه نحو العاصمة **كريستانيا** ـ كما كانت تدعى **أوسلو** في ذلك الوقت ـ بعد أن مل اقامته في **جريمستاد** وادخر شيئاً من المال ، وكتب أول أعماله ، وقد اعتزم أن يلتحق بالجامعة ، وأن يتكسب بعض المال من كتابة المقالات والأشعار للصحف ، ولكنه كان ـ **قبل كل شيء** ـ يريد أن ينشر عمله الأول ، وكان دراما من ثلاثة فصول باسم **« كاتالينا »** ، وقدمها ـ يحدوه الأمل ـ إلى مسرح كريستانيا



★ إبسن في أواخر أيامه .. للفنان نين جراف ★

فإذا به يرفض بشدة ، ولم يهتم به الناشرون ، ثم طبع العمل بعد هذه المساعي الفاشلة ، على نفقة صديق له كان يؤمن بموهبة إبسن ، وفي ٩ إبريل (نيسان) سنة ١٨٨٩ م ظهرت أولى مسرحياته في ثلاثمائة نسخة بغلاف رمادي يفتقد الأناقة .

كان هذا يوماً عظيماً لإبسن الذي ملأت مشاعر الاثارة جوانحه ، ولكن عمله الأول لم يقابل بأي صدى مشجع ، ولم يبع منه إلا ثلاثون نسخة فقط ، وكان عليه أن يبيع الباقي كركام من الورق ، مما أشعره بالاحباط ، فقد كان يأمل أن يحقق من هذا العمل بداية أدبية عظيمة ، وقال فيما بعد : « إن مسرحيته الأولى قد كفلت له توفير احتياجاته الأساسية لبضعة أيام ، كما أنه لم يحقق نجاحاً كطالب إذ رسب في الامتحان فقد شغلته كتابة الشعر عن المذاكرة الجادة . وكان عليه أن يعاني الفقر ، وإن كانت أيام الدراسة سعيدة نسبياً ، فقد قضاها في صحبة زملاء يستطيع أن يتفاهم معهم وقد حقق البعض منهم شهرة في عالم الأدب ، وكما شارك ـ **بحماس** ـ في بعض الأعمال الصحفية فقد حرر في صحيفة الجامعة لمدة تسعة أشهر ، واستمر يكتب الشعر والنثر وينشر في الصحف المحلية ، وكم كان فخوراً وسعيداً حينما جلس ذات ليلة ـ قلقاً ـ في ركن مظلم بمسرح صغير يرقب أول عرض لمسرحيته الثانية **التي لم تستمر إلا عدة ليال ثم توقفت !** .

ولكن الحظ أسعفه حينما عين كمراقب دراما بالمسرح القومي الجديد بمدينة

Kjære Bjørnson!
Indlagt i mit officielle Svar
maa jeg tilskrive Dig nogle Linjer og
takke Dig for dit sidste Brev, som jeg
endnu ikke har besvaret. Korrespon-
dancen havde rigtignok taget en saadan
Vending at en hurtig Expedition fra

★ نموذج خطي .. لتوقيع إبسن ★

بيرجن ، وقد أثار اهتمام مدير المسرح « أولي بول » الذي كان يطمح في أن يؤسس مسرحاً نرويجياً حقيقياً متحرراً من المؤثرات الدنمركية ، وكان يرى في إبسن - رغم صغر سنه وقلة خبرته - الرجل الذي يستطيع أن يحقق هذه الرسالة ، وقد أسعد هذا إبسن رغم تواضع الأجر . وكان **بول** يريد منه أن يكتب للمسرح مسرحية كل عام ووعده أن يدفع له ثمن ما يكتب ، وكانت هذه فكرة تثير زهو إبسن ككاتب ، أن يدفع له لكي يكتب ، كما كانت أمامه فرصة كبيرة في أن يكتسب خبرة من خلال عمله بالمسرح ، بل وأن يرتحل للخارج حيث كان المسرح مستعداً أن يساعده في السفر للخارج للتعمق في دراسة الدراما .

وبآمال كبيرة ذهب إبسن إلى برجن التي غدت موطنه لمدة ست سنوات ، هناك درس قواعد صرفته كرجل مسرح حقيقي يشارك في الانتاج والاخرج وأحياناً في تصميم المناظر والأزياء . وقد ساعده حبه القديم للرسم والألوان على اتقانه تصميم هذه المناظر والأزياء . وفي برجن تزوج **سوزانا تورسين** ابنة أحد الموظفين بالمدينة ، وهي حفيدة روائي معروف .

ومع هذا فلم تكن سنوات برجن كاملة السعادة ، فإن توجيه الممثلين لم يكن بالمهمة السهلة لرجل خجول وانطوائي مثله ، ولم يستطع أن يحوز على رضاء أهل برجن ، تلك المدينة المعروفة باتجاهها المحافظ ، وكان إبسن يشعر بالاحباط إذ بلغ الثلاثين من عمره ولم يكتب عملاً يراه هاماً ، وكان قد كتب أربع مسرحيات كان يعتبرها مسرحيات رومانسية وطنية ولا تعكس الحياة الحقيقية .



★ إبسن في شيخوخته .. للفنان أولاف جولبرانسون ١٩٠١م ★

وفي أغسطس ١٨٦٥ م ، جاءه عرض مشجع من **المسرح القومي بأوسلو** ليعمل كمدير فني بالمسرح وأن يحصل على سبعة ونصف في المائة من الأرباح ، وقد سعد إبسن بهذا العرض ، ولكنه سرعان من صدم وكانت سنواته الست في كريستانيا (**أوسلو**) من أشد تجارب حياته احباطاً ، حتى اعتبرها كارثة - **من بدايتها حتى نهايتها** - وكان يشكو من قلة المال وعدم دربة الممثلين ومن ضعف مستوى المسرحيات ، حتى هبطت روحه المعنوية ، وكان الناس يلاحظونه في المقاهي بملابس رثة ولحية غير مهذبة ، حزيناً مثبط الهمة ، وكان يحاول في سخط أن يرد على اتهامات رؤسائه له بالتقصير في أداء

Skjøre Bjørnson!

Hvad er det igrunden for Helvedesskab, som gaar 'mask' eneste 'Punkt' komme ner og stiller sig imellem os? Det er som om den personlige Djævel kom og skygge

★ احدى رسائل إبسن .. من مراسلاته الخاصة ★

واجبه ، ويثور لما يوجهونه له من نقد حاد ، لكن أسوأ ما مر به كان ضياع ثقته في موهبته وقواه الابداعية .. وظل لمدة خمس سنوات لا يكتب مسرحية . وبعد خمس سنوات وقع المحظور ، أفلس المسرح ووجه أشد اللوم إلى إبسن بطريقة غير عادلة

فقد إبسن وظيفته ، غدا بلا عمل ، مفلساً يتحمل اعالة زوجته وابنه ، وبدا محبطاً غاية الاحباط ، إن كل ما يفعله يبوء بالفشل ، فقد رفضت مسرحيته **«ملهاة الحب»** التي أكملها سنة ١٨٦٣ م ، باعتبارها في نظرهم لا أخلاقية . وفي يأسه أخذ يكتب التماسات إلى الحكومة يستجديها منحة تساعده على السفر ، فقد شعر أن خلاصه في السفر للخارج ، ولكنه خذل بشدة ، وغضب إبسن واعتبر رفض اعانته اهانة .. غضب من بلاده ، وعدم مبالاتها بالسنوات التي قضاها في خدمة المسرح .. ولم يكن رائداً لحركة انشاء مسرح قومي . إنه كان صاحب دور عظيم بلا شك . كان إبسن بالنسبة للنرويج كما كان **ييتس** YEATS بالنسبة لايرلندا .. فكيف يترك هكذا بلا أي عون .

.. إلى المنفى

ثار إبسن على عدم تقدير وطنه له .. وفي إبريل (نيسان) ١٨٦٤ م ، من غير أن يثير دهشة أحد ، ترك النرويج وكان عمره ستاً وثلاثين سنة ، وجاءته منحة الحكومة المنشودة بعد نجاح عرض مسرحيته **«المطالبون بالعرش»** سنة ١٨٦٤ م . هدأت نفس إبسن ولكن مضت ست وعشرين سنة قبل أن يعود إبسن للاستقرار في النرويج . وقد قضى هذه السنوات مع زوجته وابنه في ألمانيا وإيطاليا ، ولم يهتم كثيراً بالمشاركة في الشؤون العامة ، كان يراقب السياسة عن بعد . لعل أصدق وصف له في هذا المقام هو ما كتبه أحد النقاد : **«كان إبسن قلما أكثر منه رجلا»** .

وفي سنوات المنفى عاد الصفاء إلى ذهن إبسن . يقول إبسن : **«حينما أكون بعيدا عن قرائي أكون اكثر انصافا وعدالة»** أي أكثر حكماً على الناس . كانت هذه سنوات تألقه وحيويته ، ولكنه ظل يحمل في نفسه غضبه القديم على بلاده التي لم تقدر مواهبه . وظل حتى نهاية حياته ينتقد الأفكار الاجتماعية السائدة والتقاليد البالية في بلاده .

كانت النرويج في ذلك الوقت بلداً محافظاً ، ويعيش داخل اقليميته ، في حين كان إبسن يعيش في أكثر أطواره تحرراً وانفتاحاً على العالم والإنسانية الرحبة أثناء اقامته في ألمانيا وإيطاليا ، وكان لا يخفي سروره وهو يعبر عن نقده لبلده في كتاباته التي يرسلها إلى وطنه ومواطنوه ، وكانت مشاعر مواطنيه نحوه تفيض بالكره والحب والتقدير في آن واحد ! نحو مواطنهم العبقري المغترب !

ونشرت أولى أعمال إبسن العظيمة وهي مسرحية **«براند»** سنة ١٨٦٦ م ، التي هاجم فيها بشدة انحطاط مستوى المواطن النرويجي العادي وانتقد فيها المؤسسة الكنسية مما أثار جدلا كبيراً في النرويج ، ولكنه في النهاية ضمن الحصول على معاش كشاعر . وفي العام التالي تكرر النجاح بمسرحيته **«بيرجنت»** وهي تناقش موقف النرويجي الحاكم والمتردد . وكان رد الفعل مرة أخرى مزيجاً من الغضب والحماس ، وغدت المسرحية بصورها الشاعرية الراقصة لوديان وغابات وريف النرويج مصدر احتفال في النرويج **واعتبرت من روائع أدب القرن التاسع عشر .**

وبعد هذا انتقل إبسن إلى **الكوميديا** ، فكتب مسرحية **«رابطة الشباب»** التي يسخر فيها بمكر من السياسيين النرويجيين .. وقد قوبلت المسرحية بصيحات الاحتجاج في النرويج سنة ١٨٦٩ م ، ولكنها حققت رواجاً وبيع منها عدد كبير . لقد رسخ إبسن ككاتب . وهو يستمتع بكل لحظة بشعور الزهو والنجاح .

إنه يكسب مالا ويحسن استغلال هذا المال . غدا رجل أعمال ينظم بدقة توقيت ظهور مسرحيته الجديدة ليضمن مبيعات كبيرة لها مقدماً . وقد غير هذا النجاح كثيراً من مظاهر حياته ، بعد أن صار ثرياً ، أصبح أكثر أناقة بسترته المخملية اللامعة وقفازيه الأنيقين . ولعل ما عاناه من سنوات الفقر جعله يبالغ في الاهتمام بمظهره الخارجي ، بل إن طريقته في الكتابة صارت أكثر قوة وجرأة . كان يعيش في سعادة خيالية كما في الحكايات ، كما كان يقول ، ولكنه ظل مستغرقاً في عمله ، يكتب كثيراً ، ويجرب أساليب عديدة ، دائماً جريئة ومثيرة للجدل .

النقد الاجتماعي

ووصلت قدرته في اثارة الناس إلى ذروتها في السبعينات ـ من القرن التاسع عشر ـ حينما أخذ يكتب مسرحيات عصرية نثرية تتناول المشاكل الاجتماعية وهي المسرحيات التي تخلد ذكره حتى اليوم . كان يريد أن يكشف للناس كيف يبدون حقيقة بلا رومانسية . . في الواقع . وقد ناضل لاثارة قضايا هامة ، وكان المجتمع النرويجي ينكر مناقشة مشاكل الزواج أو الجنس أو الأمراض السرية .

لقد عريت النرويج وأوروبا ، فضحت وأعجبت في نفس الوقت ، حينما قرأت وشاهدت مسرحيات مثل « **أعمدة المجتمع** » سنة ١٨٧٧ م عن رجل أعمال يضحي بالحب من أجل المال ، و« **بيت الدمية** » سنة ١٨٧٩ م التي تناقش قضية النفاق في الزواج وتحرر المرأة ، و« **الأشباح** » سنة ١٨٨١ م وهي دراما قوية عن أثر الأمراض السرية ، و« **عدو الشعب** » سنة ١٨٨٢ م التي تهاجم غباوة الأغلبية وجمودها ، ثم مسرحيته الرقيقة الشاعرية « **البطة البرية** » سنة ١٨٨٤ م ، ثم مسرحيته المأساوية « **آل روزمير** » سنة ١٨٨٤ م عن المثالية غير الايجابية ، ثم « **امرأة البحر** » سنة ١٨٨٨ م عن افتتان امرأة متزوجة برجل آخر . . القائمة طويلة . . وكلها أحدثت أثراً كبيراً وقد كتبت كل هذه المسرحيات بدقة ، وكانت دائماً تثير مناقشات حادة في كل مكان تعرض فيه ، وتنازعت حياته حملات المديح والهجاء .

لم يثر كاتب ما أثاره إبسن من نقاش وجدل ! .

قد يكون من الصعب أن نتفهم الآن لماذا أثارت مسرحيات إبسن كل ما أثارته من رد فعل سواء معها أو ضدها في ذلك الوقت ، إن مسرحيته « **الأشباح** » مثلاً حينما تقدم اليوم ـ وهي تقدم كثيراً ـ لا تقابل بالصفير أو يترك المشاهدون المسرح احتجاجاً . ولكن حينما عرضت هذه المسرحية في الثمانينات في أمريكا كتبت مجلة « **الحقيقة** » بعد أول عرض تقول : « إن ٩٧٪ ممن يذهبون لمشاهدة **الأشباح** هم ملوثو الفكر » ، ووصفتها صحيفة انجليزية بأنها نفاية أو زبالة ، وفظيعة ، واتهمت إبسن بافساد الشباب وأنه شاذ ومجنون .

وقد واجه إبسن كما واجهت مسرحياته العاصفة ، وقد ترجمت المسرحيات إلى مختلف اللغات الأوروبية وإلى اليابانية . وجذبت إليها الجماهير في كل مكان تعرض فيه ، وغدت « الأشباح » هي الاختيار المفضل لافتتاح المواسم المسرحية في أوروبا مثل مسرح Frei Buhne في برلين ١٨٨٩ م ، والمسرح الحر Theatre Libre في باريس ١٨٨٧ م ، والمسرح المستقل Independent Theater في لندن ١٨٩١ م ، وكان إبسن يزداد حيوية حينما يتناهى إليه ما تثيره مسرحياته من جدل .

وحينما بلغ إبسن الثانية والستين من عمره عاد إلى وطنه النرويج ليستقر فيه . عاد رجلاً مختلفاً كل الاختلاف عن ذلك الشاب الذي تركها فقيراً معدماً ، وكاتباً مكافحاً غاضباً . وكان من الصعب على الرجال المسنين الذين كانوا يعرفونه في تلك الأيام البعيدة أن يصدقوا عيونهم وهم يرونه . . من أشهر رجال أوروبا قاطبة . . وشخصية رئيسية في أدب القرن التاسع عشر ، أو أبو الدراما الحديثة كما كان يطلق عليه .

إنه الآن رجل ثري وفخور بثروته التي جناها من قلمه . وقد انتقل إلى شقة فخمة في شارع قريب من حدائق القصر ، ونقش على بابها اسمه **دكتور هنريك إبسن** بحروف من الذهب . تصرف قد يدل على الغرور! .

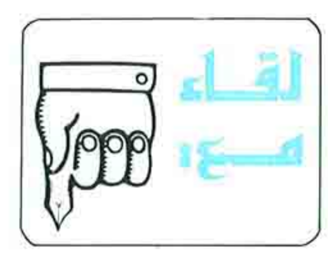
وكان عجيباً أن إبسن الذي بنى شهرته وثروته من السخرية من التقاليد ، صار في سنواته الأخيرة رجلاً تقليدياً محافظاً . كان يحلو له أن يسير كل يوم عبر شارع « كارل جون » إلى مقهى « جراند كافيه » وهو يرتدي معطفاً أنيقاً ، وربطة عنق زاهية ، وقبعة حريرية ، ويستقر على مائدته المحجوزة له ، وهو ينحني ليحيي المعجبين ، ثم يرتشف القهوة ويقرأ الصحف أو يراقب مسيرة الحياة في شارع « أوسلو » الرئيسي من خلال المرآة المواجهة . . لعل هذه هي الصورة التي يعرفها العالم عن إبسن ، وقد ظل نشطاً حتى في سنواته الأخيرة ، واخرج مسرحية « سيد البنائين » سنة ١٨٩٢ م ، ثم « **جون جابرييل بوركمان** » ١٨٩٦ م ، وأخيراً « **حينما نبعث نحن الموتى** » سنة ١٨٩٩ م .

ومع مطلع هذا القرن توقف نشاط إبسن حينما عانى من أزمة صحية لم يشف منها . ولمدة أربع سنوات لم يكن يعي ما يدور حوله . وتوفي في ٢٣ مايو (أيار) سنة ١٩٠٦ م وعمره ثمانية وسبعون عاماً . وكانت جنازته احتفالا رسمياً مهيباً وأعظم ما شاهدته النرويج من احتفالات ، حضرها الملك ورجال البرلمان . . كتقدير لرجل فعل الكثير من أجل شهرة بلاده . **واستراح جثمانه في مقبرة العظماء بأوسلو .**

ما زال إبسن يفرض وجوده إلى اليوم من خلال أعماله التي تقدم في كل أنحاء العالم . . في المسارح وعلى شاشات التلفزيون ، وفي دور السينما ، ويعاد طبعها لتقرأها الملايين .

Henrik Ibsen Henrik Ibsen Henrik Ibsen

★ نموذج خطي . . لتوقيع إبسن ★







★ ليس هذا حواراً فكرياً بقدر ما هو معايشة حية للأبعاد الفكرية والنفسية والذاتية لإنسان أفرغت في جوانحه الحياة كثيراً من الصور والايحاءات والتناقضات حتى بدا وكأنه بركان من نقمة ، لا يهدأ له أوار ولا يستكين له شعور ولا يستقر له إحساس ولا يرين شعور ★

قلت له ونحن نبدأ في نوع من الصدام المفتعل :

●● هل تعتقد بأنك نمط غاضب من البشر على كل ما يمس مشاعرك ويؤذي احاسيسك . او انك طبيعة متفجرة تمتلىء بالعافية والقوة إحدى صور التعبير عن الذات لديها ؟!

□□ سحب نفساً طويلاً من بين حنايا ضلوعه حتى لكأنني بها تتحطم أمامي ، وتحترق بين يدي وراح يقول :

ليس الأمر كذلك ، فأنا لم أولد في بيئة ناقمة ولم أخالط البؤس ولا الشقاء في كل مراحل حياتي من زواياه المادية ولم أكن زائغ البصر أو راغباً في أشياء يمتلكها الغير .

لقد كنت باستمرار أتحسس ذاتي من موقع مرتفع ، وربما كان هذا سبباً في أن أرى الحياة قميئة في بعض الأحيان ، وأجد البشر في صور محزنة ، لا يملك الإنسان تجاهها إلا أن يزداد ألماً وتمزقاً . . وترفعاً .

إن الحياة في عصر المادة تفسر هذا الانكفاء من الكثير من الأحياء . إنك تبحث عن السمو في بعض الأحيان فلا تجده وتسأل نفسك هل اللقمة ثمينة إلى هذا الحد ؟ ولكنك تصدم عندما لا تجد الأمر كذلك . . إن الإنسان ولد ليعيش ولم يعش ليخلق ، ومعنى هذا أن حياة الفرد سابقة لصيرورته ، إن وجوده أبقى وأعظم ، وإن الحكمة من العيش تتمثل في تعدد مصادر هذا العيش ، ولهذا تجد أنماطا من البشر ، بعضهم يعيش لذاته ، وبعضهم يعيش لمثله ، وبعضهم يعيش لغيره ، وبعضهم يعيش للقمته ، وذلك أردأ أنواع البشر وللأسف الشديد فكيف لا تريدني أن أتميز غيظاً . . وأتفجر من الداخل وأنا أنظر لهذا الإنسان وهو يمارس نوعاً مذلا من السقوط الحقير .

رحلة الإحساس القاتل بالعذاب

●● ولكنك لم تقل . . هل تتميز أنت بحس الشاعر . . أو بخلق الإنسان أو بردة الفعل المؤثرة من خلال ما ترى وتشهد ؟!

□□ لو تابعت بعض رباعياتي لأمكنك أن تلتقط الاجابة على هذا السؤال . . والحقيقة أن معاناتي الأولى هي مزيج من الشعور الإنساني المعذب كما أحياه من مفارقات يومية ، ومن ردود الفعل الحادة نتيجة سقوط الأكثرية من البشر ، في كل مكان من هذا العالم ، فرائس رغبات مؤقتة وأحلام مبالغ فيها .

●● وماذا تقول رغباتك . . تصويراً للمشهد المحزن كما وصفت ؟!



□□ في واحدة منها قلت :

أليس ضمير المرء منا غديره
وهل يرتجي المكروب إلا غديره
رضيت بكوخي وارتضيت لصاحبي
خورنقه الهاني به .. وسديره
أحس دبيب الموت في كل مفصل
واسمع من كل حين نفيره
ظمئت زماناً بالسراب فلم أعد
غريراً ، وكم أظمى السراب غريره

□□ كما قلت ذات مرة صارخاً :

يا ضمير الإنسان في كل أرض
لا تدع فورة العواطف تشقي

كما قلت :

ورب امرىء قد عاش يطوي ضلوعه
على مثل حر الجمر حيناً من الدهر

●● لقد لاحظت أن الشجن [illegible] الألم ممتزج بالجراحة . هلا نضع يدنا على ذلك؟

□□ الحياة لدي غانية .. والأقوياء هم الذين يصمدون أمامها . لقد قلت ذات مرة :

وملكتها ، فغدوت أزهد زاهد
فيها ، وما عادت تثير شجونا
ما كنت أحسبها تعود رخيصة
عندي ، وكنت بها أجن جنونا
فإذا استجد الظن كان يقينها
وإذا اليقين عفى استحال ظنونا

لا حياة بدون حزن

●● حسناً : أيهما تحس به أشد وأعمق . آلامك أو أحلامك .. أيهما يعمق جراحاتك الصدمة في الأحياء ، أم الصدمة في انهيار الأحلام؟!

□□ أنت تبحث عن ردود فعل جاهزة ، وكأنك تريد أن تقول إن المأساة حالة مؤقتة . تريد أن تقول إن اللحظة ليست أمراً مستديماً .

والواقع إنني ربما كنت غير هذا . **إنني جراح لا تتوقف عن النزف والذين يعرفون الشاعر محمد حسن فقي لا يختلفون عن الذين لا يعرفون الإنسان محمد حسن فقي . إنني أعيش حياة متصلة الآلام والجراحات . وقد تعجب إن أنا قلت لك بأنني أصبحت أعيش الألم كأمتع لذاتي .. إنني أعشق لحظة المعاناة ، وأقبل عليها كما يقبل « التافهون » على لحظات المتعة .**

ولعلي لا أستطيع الحياة يوماً إن أنا فقدت روافد الحزن والمعاناة ، لقد أصبحت هوية تطبع حياتي .

لقد عشت حياة غنية بالرفاه منذ نعومة أظفاري ولكنني كنت أشعر بالنقمة والألم يتجاوران في أعماقي .

وفقدت ـ على كبر ـ ابناً وابنة في سنوات الشباب المزدهر ، بل وفقدت لذة الحياة وطعمها بعدهما .

●● إذن .. فإن مدى العمق في استشعار المأساة لديك يمتد إلى مراحل مبكرة في حياتك .. ألا تعرف دوافعها ؟

□□ لقد فتحت عيني وكأنني قادم من عالم المثاليات حتى إذا رأيت هزيمة الإنسان أمام نفسه ورغباته وتطلعاته أصبت بالصدمة . وعدت إلى نفسي وبدأت أعاني . لقد حاولت أن أعتزل الحياة والناس منذ وقت مبكر ، لكنني لم أستطع ذلك ، ويكفيني أن مشاعري الداخلية تعيش حالة خصومة دائمة لكل ما يقع تحت بصري .. ربما لأنني ـ كما قلت لك ـ لم أجد الحياة صورة حقيقة للمعاني الإنسانية التي تعلمناها .

البيئة .. ليست كل شيء

●● أستاذ محمد حسن فقي : الروافد الثقافية ، إلى أي مدى تؤثر في المسار الذهني والشعوري لدى الإنسان الشاعر ؟!

□□ حقيقة أن تجربتي مختلفة ـ في هذا الصدد ـ إذ إن الفطريات التربوية والنفسية والحقائق الفسيولوجية جميعها تؤكد أن الإنسان ابن بيئته ، ولا شك أن البيئة الفكرية تشكل طرفاً في تشكيل قناعاته ، وأن التنشئة الاجتماعية الأولى تحدد سلوك الفرد وطريقة تعامله وتفرض عليه أن يتعايش مع الغير من خلال أطر معينة بصورة « إرادية » .

تلك هي الحقائق العلمية السائدة ، وتلك هي قناعتي الذاتية بالفعل ،





لكن تكويني النفسي ظل مستقلاً منذ الطفولة ، ظل غير قابل للتشيع لكل ما وجدت نفسي تحت تأثيره ، ظل غريباً عن المصادر التي حقنتني بقناعاتها .

وقد سألت نفسي ذات مرة : لماذا تعيش هذا النحو من التمرد الشعوري والذهني على كل ما حولك ..؟! ولم أجد غير إجابة واحدة هي : أن المفارقات التي يلمسها ذهن الطفل المتيقظ بين ما يجب وبين ما هو حاصل كانت وراء صدماتي الذهنية المبكرة .

لقد كنت أتعلم شيئاً .. ولكنني أصادف أشياء مغايرة له .. أسمع شيئاً [illegible] يكون ؟!

إن التبرير معقول ، وقد يجاوز مرحلة القبول به أو رفضه إلى مرحلة أبعد ، إلى قناعة جديدة بأن الإنسان قادر على أن يختار لنفسه الحياة داخل حياته والفكرة المستجدة حتى على قناعاته .. أن يجعل في ذاته ذاتاً مختلفة عن تلك التي أريد لها أن تكون صورة مكررة من كل الأحياء .

الجمال .. هذا الرمز الحسي

●● يبدو أن الرحلة ـ معك ـ مرهقة في عالم الحس ، فماذا عن رؤيتك للجمال ؟!

□□ تأوه من جديد .. وسرح بعيداً .. ثم قال : يبدو أن كل شيء في الإنسان .. ينطفيء .. إلا إحساسه بالجمال .. إن **البير كامو** يعجبني في تصويره لمعاني الجمال بأنها « **لوحة أسطورية لم يتعرف عليها الأحياء بعد** » .

أنت تسألني وكأنك تريد أن تلتقط مني اعترافاً بأنني ضعيف أمام هذا الرمز الحسي .. إنه يصيبني بالقشعريرة كلما حلقت في سمائه .. إنني أحاول أن أتفوق عليه ، ولهذا فإنهم يقولون بأن الصراع بيني وبين الجمال قد تحول إلى أرفع أنواع الكبرياء .

ربما كان هذا صحيحاً ؟! أما لماذا يحدث فلأن كل أنواع السقوط يمكن تدارك أخطارها ، إلا السقوط تحت وطأة قدم تتسلل إلى قلبك .

إن الادانة التاريخية الأولى لكبرياء الإنسان . إن الصمود قمة الاحتفاظ بالذات .. **وأنا أرفض أن أفهم الجمال على أنه « شيء رائع وكفى » إنه في رأيي سلاح يتحدى أفتك أنواع الأسلحة المتقدمة في هذا العالم** ، وعندما تتفوق عليه فإنك تمتلك العالم لأنك تكون قد احتفظت لنفسك بكرامتها .

الإنسان السقطة في أشعاره

●● هل قلت شعراً في هذا المعنى ؟

□□ قلت شعراً ؟! إن كل ما قلته يحكي قصة هذه الدوامة التي يعيشها الأقوياء والضعفاء مع البشر مدى الحياة :

لقد قلت ذات مرة :

أرفيقتي في اللهو قد جزعت
نفسي ورنق صفوها الملل
ما عدت مفتوناً بمن قدموا
أو عدت مشتاقاً بمن رحلوا
إن كان عندك للهوى أمل
يهفو فما عندي له أمل

« إن من يقرأ قصيد الأستاذ الفقي ، يدرك أن الإنسان السلوك والإنسان المعاناة ، والإنسان الذات ، والإنسان التعامل ، والإنسان الأنموذج ، والإنسان السقطة ، هو محور أشعاره ، هو مجال تناوله ، وكأنه بات قضيته الأولى .



صحيح أن هناك قصائد ذات مضامين فلسفية تتناول شرائح إنسانية ، وأخلاقية ، ورؤى عميقة لهذا الوجود إلا أن الأخلاقيات تظل أبرز محاور قصائده . . يتساوى معه شعور الأستاذ الفقي بالمأساة . . وربما يلتقيان في صورة من صور المعاناة الكبرى . فالشاعر يعتقد بأن الحياة رحلة منقطعة وهي لهذا لا [illegible] هذا « الانسحاق » [illegible] دهشته لما يرى . . إنه يقول :

ومن يلــق الصـــبا رغـــداً وأمنـــاً
[illegible]
[illegible]
ولاســـتغنيت عـــن بـــذل المهـــور
هجـــرت مبــاذلي وأرحـــت نفسي
فلن أشـــق بهـــا أبـــد الـــدهور
فـــمن يصـــبر على جـــور الغـــواني
فـــإني لســـت بـــالرجل الصـــبور

الموقع . . على خارطة شعر الجزيرة

●● لكنك لم تتحدث عن موقعك من خارطة الشعر في الجزيرة العربية إحساساً ، ومعاناة ، ومشاركة ؟!

□□ ليس من السهل علي أن أقول . . إن هذا هو موقعي ، ولكنني أعتقد أن الدارسين لشعري أقدر على مثل هذا التصنيف . . ألم أقل لك إن **تصنيف الأعمال الذهنية هو نوع من الامتحان . إنني أرفض هذه المقاييس لأنها لا تحترم في الانسان آدميته فضلاً عن أنها تحول عطاءه الحسي إلى كتلة مادية قابلة للوزن ، وهو فوق أي وزن .**

●● إذن . . ماذا يمكن أن تقوله في حمزة شحاته ، وحسين سرحان . لقد قيل بأنهما فارسان لم يتفوق عليهما أحد في الجزيرة العربية ؟!

□□ كم كنت أتمنى أن يكون بيننا حمزة شحاته الآن ليسمع هذا الكلام . . إنكم لا تعرفون أن « شحاته » عاش حتى مات لإنسانيته . والإنسانيون لا يقبلون مقاييس الأحياء . . **إن حمزة شحاته قمة شعرية لا أعترف لغيرها بالقدرة على التحليق في عالم الحس والجمال** . يتمتع برؤية جمالية وحسية وفلسفية مشرقة ورفيعة وعميقة . عندما يقول الشعر فأنت تحس بأنه يخاطب أعماقك وجوارحك ويستفز ذاتك . . ويستحث قدرتك على أن ترتفع إلى حيث هو .

إنني أقول هذا الكلام لأول مرة . . لأن حمزة شحاته قيمة وقمة أعرف مكانتي لديه ، ويعرف هو مكانته عندي ، ولهذا فإننا وجهان لصورة الإنسان الحقيقية شئنا أم أبينا .

السرحان والفقي عالمان مفتوحان

●● وحسين سرحان ؟!

□□ شاعر إنسان ، تعجبني صوره النابضة . . وتستبد بي أحزانه كثيراً . . إن حسين سرحان إنسان قتلته الحياة قبل الأوان فقتلت فيه حتى قدرته على التعبير الحي . إنني أبحث عنه فلا أجده إلا من خلال عطائه المتناثر فأعجب به وأحترمه .

●● ومحمد حسن عواد . . أيهما تتفوق فيه : شخصية المفكر أم شخصية الشاعر ؟!

□□ على الرغم من أن القول بأن الشاعر شيء والمفكر شيء آخر غير دقيق في التمييز بين القدرة الشعرية الغالبة أو القدرة التأملية المسيطرة . إلا أن **محمد حسن عواد . مرحلة أدت دوراً ، واضطلعت بمهمة . وذلك هو شأن المفكرين ، يصنعون الحدث أو تصنعهم المرحلة ولا يمكن أن يكتب البقاء والاستمرارية لهذا الدور .**

لقد عرفت العواد زميلاً في مجال العمل الصحفي في جريدة « **صوت الحجاز** » وإن كان قد سبقنا في مجال الأدب والتدريس كثيراً . .

وعرفته محاولة جيدة في صنع المناخ الثقافي ذات يوم ولكنني عندما أبحث عنه الآن لا أجد إلا ذلك الماضي اللاممتد وتلك هي طبيعة الحياة .

إن القدرة الشعرية لدى العواد متأثرة بتصورات انفعالية يغلب عليها الإدراك ، ويفصلها عن الشحنات النفسية الانفعالية فتبدو القصيدة عنده في صورة مقننة . والشعر انطلاق . . والشعر جيشان مشاعر . . والشعر انفعال . . والشعر رواية تبدأ من الحس وتنتهي إلى اللامدى .

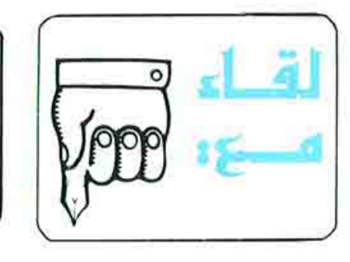
إن الشعر شيء يختلف عن القوالب القانونية المقننة ، ولكن العواد يظل قدرة متميزة في هذا المجال .

يتسلى بالشعراء المحدثين

●● هل تقرأ لأدونيس وصلاح عبد الصبور وسميح القاسم وأضرابهم ؟!

□□ اقرأ لهم للتسلية . . فقط .

●● هل يعني هذا أن



●● شعرهم خلو من المضمون الفكري الجيد ؟!

□□ لا أريد أن أقدم هنا دراسة للمفهوم الشعري قديماً وحديثاً ، ولكنني أريد أن أقول إن روح الشعر مفقودة في كل ما قرأت لهؤلاء وأضرابهم .

●● ألا تعتقد أن المضمون الإنساني يبعث لمشاعر تجيح هؤلاء في بلورتها ؟!

□□ قد لا أختلف معك في أن التعبير لدى هؤلاء عن تلك المضامين كان حياً . ولكنني أفتقد فيه العمق ، والاتصال الفكري العميق . إنني أقرأ قوالب .. أستعرض ألفاظاً قوية .. ولكنني لا أجدها قادرة على تصوير المضمون الإنساني بمستوياته

●● ولكن طبيعة القضايا مختلفة .. أنت تريد لوحة جمالية ، وهم يعيشون مأساة الإنسان ، جراحات الزمن المطعون في إرادته ، وحقوقه ودقيقته .. إن المضمون لديهم سياسي .. وما تطالب به مضمون فكري ؟

□□ أنا معك في هذا ، ولكن ما الذي يمنع أن يكون المضمون الفكري العميق طريقاً إلى التعبير عن المضمون السياسي .. ولك أن تتصور كم من القوة والتأثير والجمال يمكن أن تعبر عنه قصيدة لشاعر تمتد جذوره إلى أصول ثقافية وحضارية بعيدة المدى .

●● هل أفهم من هذا أن الاتصال الثقافي بين هؤلاء وما في القصيدة العربية سبب ما تسميه بالخواء لديهم ..؟

□□ ليس خواء .. ولكن سطحية تفرضها الأمية الثقافية في عالمنا العربي . والنزول إلى الدهماء مشاركة في الابتذال لا أرضاه للأديب الأصيل . وإلا فإن جذور بعضهم الثقافية عميق وأصيل : **إنها الاستجابة لما يريد الشارع السياسي وليس الاستجابة لما تفرضه القضية المتصلة بجذورها الفكرية .**

●● تقصد أن المضمون السياسي للقصيدة العربية كان وراء اهتزاز المضمون ؟!

□□ إن الأصالة لا تتأثر بطبيعة المضامين التي تفرزها الأحداث . **إنني ما زلت مصراً على القول بأن المناخ الذي تولد فيه القصيدة أو عنه لا يجب أن يهزم البناء الثقافي ويرغم القصيدة على الابتذال ..** وإلا فإن المضامين الحضارية تعتبر من أشد الروافد إثراء للقوة الشاعرة لدى الإنسان الأصيل .

شعر المزايدة

●● هل يعني هذا .. الرفض للقصيدة السياسية . أو على الأقل ، اتهامها بالعجز عن بلورة القضايا القومية بنجاح ؟!

□□ الحقيقة ، أن الإيمان بالمضمون أولا .. وليس المزايدة عليه جديرة بأن تمنح الشاعر دفقات قومية ، وإلا فإن الشعر الإسلامي السياسي كان أعظم قدرة في تغيير الواقع المعاش ، عندما كان يجمع بين الإيمان بالهدف ، والصدق في التعبير ، والقدرة على التصوير . إن الكثير مما نقرأ الآن .. فيه الكثير من المزايدة .

●● هل ينسحب هذا حتى على الشعراء الفلسطينيين أيضا ؟

□□ دون تحديد .. فأنا أريد أن أقول إن الاتصال الحسي بين القدرة الشاعرة والإيمان بالقضية هو القوة الدافعة إلى العطاء الرفيع .. وقد افتقدت هذا حتى في شعر بعض شعراء الأرض المحتلة .. ويمكن أن تلاحظ هذا في صورة تذبذب شديد بين قصيدة وأخرى .

●● هناك شاعران لم أسألك عنهما : نزار قباني وعمر أبو ريشة ؟! لقد تعمدت أن أجمع بينهما في هذا السؤال ؟!

□□ لولا قولك بأنك قد تعمدت أن تجمع بينهما لاتهمتك بالخلط بين الأشياء ...

إن نزار قباني ، شاعر صورة جمالية ، وأحسبه الآن قد تبين طريقه الطبيعي وراح ينثر أحاسيسه عبر الصحافة العربية ويجيد في هذا كما لم يستطع أحد أن يجاريه .

أما عمر أبو ريشة .. فإنه يحمل إليك رائحة الماضي ، ممتزجة بفورة الزمن الحاضر .. ويعطيك مضامين تجمع بين القوة والحداثة والعمق . إنه يعجبني كثيراً .. فهو بقية باقية من شعر الكرامة ، والارتقاء



بالذوق الشعري الرفيع ، رغم شعوره بوطأة الحياة وقسوتها وظلمها في بعض الأحيان .

●● هل يمكن اعتباره «متنوعاً» .. [illegible] للمعاناة الحضارية ؟!

□□ ليس هذا كثيرا عليه .

هذه صورة أخرى . . للقدرة الشاعرة . . والذات المتميزة لهذا الإنسان ، فأنت لا تستطيع أن تسبر أغوارها إلا من حيث تتلاقى مع آرائها . . وعندها فقط تكتشف أنك أمام إنسان بسيط . . يضعف أمام تحسسك للجوانب الحسية عنده . . ويهزم أمام تأملك لمعانيه الطارقة . . ولا يجد غضاضة في أن يقول لك إن ما أريد أن أقوله هو أنني لا أستطيع أن أتخلى عن شعوري بالغربة عن ذاتي في كثير من الأحيان فإذا وجد بعضهم صورته في بعض أشعاري ، فإن هذا لا يعني أنني التقط صورة محددة . . **لا يرغبها** . . إنني أجمع شرائح حياتية متناثرة مليئة بالحب والانفعال والرضى في آن واحد .

قمم الفكر الإنساني

●● قلت له : لمن تقرأ . . ؟!

□□ قد تستغرب إذا قلت لك إن قراءاتي بعيدة عن تناول ما يصدر من دواوين ، إنني أهتم أكثر بالدراسات التاريخية والفلسفية ؟! وبالشوامخ من القصص العالمي .

●● ولماذا لا تقرأ الشعر ؟!

□□ أين هو الشعر الذي يستحق أن يقرأ هذه الأيام ؟!

●● وكيف تستطيع أن تتابع و[illegible] ؟!

□□ قراءاتي السطحية تضع بين يدي صورة تقريبية لما تمتلىء به المكاتب ، فأقبل على أي عمل أعتقد أنه جيد ويستحق القراءة . ومع الأسف الشديد فأنا لم أجد هذا الجديد المتميز على مدى السنتين الأخيرتين .

●● ولمن تقرأ من الفلاسفة ؟!

□□ لا داعي للتحديد . . فأنت تقرأ كل ما يقع تحت يدك ويتجاوب مع ذاتك وإلا فأننا عندما نؤمم القدرة الذهنية باقتفاء آثار كتّاب أو فلاسفة معينين فإننا ندور كالعبيد في فلكهم . . ونفقد ذواتنا بالضرورة .

مسافة التيارات

●● وأين أنت من التيارات الفكرية السائدة ؟!

□□ لست بعيداً عنها . ولكنها بعث غير متوازن لمراحل تطورية ذهنية غير مستقرة .

●● كيف هذا ؟!

□□ كل التحولات التاريخية تتوالد في إثر التجارب الإنسانية العظيمة ولكنها لا تولد في ظل المحاولات العابرة . **لقد كانت الوجودية في الفكر ذات يوم اتجاهاً فلسفياً مؤثراً . . ولكنها تضاءلت وذهبت مع الريح** . . ولم نعد نسمع عنها ولا عن طارحها «**جان بول سارتر**» لأنها بذرة غير متصلة بأرض الفكر الإنساني .

ونفس الحال يمكن أن نطلقه على **مدارس اللامعقول** ومن قبل **مدرسة الرمز** ومذاهبه المتعددة .

إن أي تجديد «قشوري» يفتقد المضمون لا يستطيع أن يؤكد وجوده طويلاً .

ولا بأس أن نقبله كلون ولكننا لا نستطيع أن نعتنقه كاتجاه .

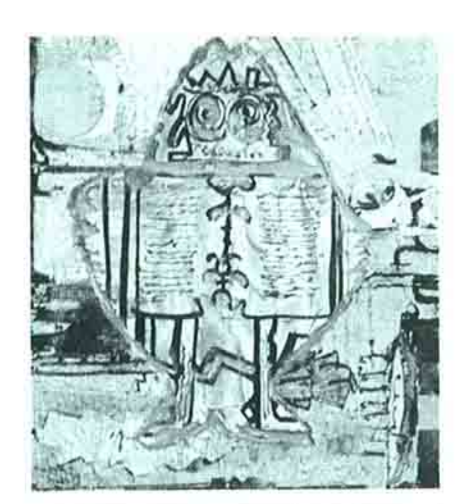
إن الفكر الشيوعي قبلاً ، فكر غير متوازن ، لأنه يحمل في تضاعيفه كل ألوان التناقض بين النظام الذي يؤمم الأغراض المادية كما يؤمم الفكر والإحساس ، ولهذا فإن أرضية المجتمع الشرقي موات من العطاء . إلا ما انفصل منه عن هذه القناعات في بعض أعمال «**ليو تولستوي**» و «**ديستوفسكي**» وأضرابهما .

كما أن النظريات العلمية التي توالدت في إثر التفاعلات الحضارية ، مثل نظرية «**النشوء والارتقاء**» ما تزال تعاني من ضعف القدرة على التأثير تطبيقاً عملياً حياً .

إن هذا يعني أن المفكر الحي هو الذي يتابع هذه التيارات باستقلالية تامة ، يسقط حذره تجاهها . ويقوى على قوة التأثير فيها . . وبغير هذا فإن السقوط يكثر . . والردة الذهنية تتوالى . وأنا أرفض أن أكون مع هؤلاء وأولئك .

* * *

باختصار شديد ، هذا هو شاعر الرباعية والملحمة ، محمد حسن فقي الشاعر السعودي وهذه هي رؤيته وأحكامه ، بقي أن أقول إن لدى هذا الشاعر حتى الآن (١٥) مجلداً لم تطبع بعد ، ولنا أن نتصور ماذا يعنيه هذا الرصيد لإنسان هذه أفكاره .



مطالعات ... في الكتب

الشعر الحديث في الحجاز

١٩١٦ - ١٩٤٨م

تأليف : عبد الرحيم أبو بكر

عرض وتلخيص :

د. عباس محجوب

« ولكن الأستاذ **عبد الرحيم أبو بكر** بذل غاية الجهد ليكون موضوعياً في بحثه فهو مقتصد كل الاقتصاد في إثبات المحاسن والمساوىء ، يشعرك في كل صفحة من صفحات كتابه أنه يتعامل مع نص لا مع شخص ، وأن استحسانه لقصيدة معينة لا يمنعه أن يبهرج قصيدة أخرى للشاعر نفسه ، بل إن رؤيته لسمة من سمات الجودة في بيت من قصيدة لا يصدفه عن الالتفات إلى وجه من وجوه الضعف في بيت آخر من القصيدة ذاتها ، وربما دعاك ذلك إلى القول بأنه يميل إلى النقد الجزئي كعادة نقادنا الأقدمين ، ولكنك سوف تلحظ أنه يضع النقد الجزئي في موضعه الذي يليق به ، ولا يبني عليه أحكاماً عامة بالجودة أو الرداءة » .

هذه الفقرة من تقديم أستاذنا **الدكتور شكري عياد** لكتاب **« الشعر الحديث في الحجاز »** للأستاذ عبد الرحيم أبو بكر ، هي النتيجة التي تخرج بها من قراءتك للكتاب ، والحقيقة أن الباحث قد التزم بمنهج واضح في دراسته بعامة وللشعراء بخاصة ، فهو يقدم الشاعر من خلال تكوينه الثقافي وخلفيته الاجتماعية ، ثم يعرض لنماذج من شعره مختارة تضع يدك على الخصائص الفنية المميزة له والدرجة الفنية للنصوص والقيمة التاريخية لها ومدى ارتباط الشعر بالبيئة التي عاش فيها الشاعر ومدى توفيقه فيما قال ، وما كان يريد أن يقول ، وما كان واجباً أن يقال ، ودراساته للشعراء مع أنها تمثل حيزاً كبيراً في الكتاب إلا أنها قصيرة مركزة معطاء خالية من المقدمات والحواشي بعيدة عن المجاملة والتحيز والتبرير ، الأمر الذي يجعل القارىء مطمئناً إلى الأحكام التي يقررها اخلاصاً وصدقاً بصرف النظر عن جوانب الاتفاق والخلاف معه في الأحكام .

والكتاب يشتمل على تقديم ومقدمة وأربعة أبواب وخاتمة وثبت بالمراجع المخطوطة والمطبوعة والدوريات .

البيئة الحجازية

● يتناول الباب الأول **البيئة الحجازية** من خلال عناصر ثلاثة تمثل وجه الحجاز الحديث كما يرى الباحث ، وهي :

١ - الحجاز ومجتمعه .

٢ - تطور الكيان وآثاره .

٣ - الحياة العقلية : وتشمل بدورها أربعة عناصر تمثل المنافذ الأساسية لدراسة بيئة الحجاز وهي : **التعليم والثقافة والمكتبات والصحافة .**

● بالنسبة للعنصر الأول تناول الباحث كلمة **الحجاز** في عدة مناح ، في الحديث النبوي الشريف ، والشعر القديم والمعاجم اللغوية والبحوث المعاصرة ، وفي مجال تحديد المفاهيم والأطر **يقرر الباحث أن موضوع دراسته يشمل حاضرة الحجاز لا باديتها** ، أي الإنتاج الشعري لثلث سكان الحجاز ، وهو **الشعر الفصيح** الذي يعد امتداداً طبيعياً للشعر العربي في هذه المنطقة ، أما الشعر الملحون المنتشر بين قبائل البدو الرحّل ، فليس مجال دراسته ولا ندري لِمَ لَمْ يسميه بالشعر النبطي كما هو متعارف أو الشعر العامي أو الشعبي ، لأن هذه الألوان موجودة في الحاضرة أيضاً ، ولعل للباحث رأياً في تحاشي هذه المسميات .

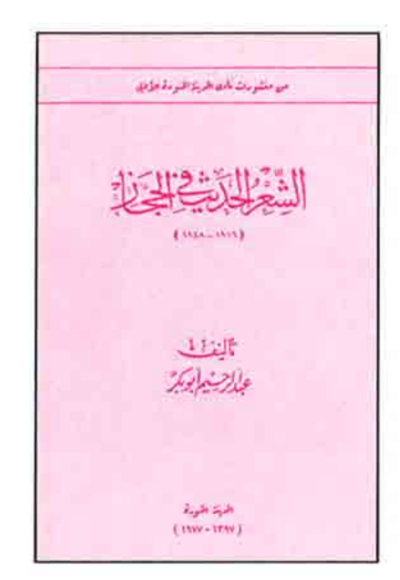
وقد حدد الباحث التركيب الاجتماعي للحجاز والعوامل الدينية والسياسية التي طبعت سكانه بطابع معين ، والملامح الرئيسية لهذا المجتمع الذي تميز بالركون إلى الدعة ورغد العيش والميل إلى اتجاهات معينة في الأعمال نتيجة للأوضاع الاقتصادية التي تميزت بالاتساع والحسن في **العهد العثماني** ، وبالضيق والسوء في العهد **الهاشمي** ، ثم بداية التغيير في أوائل **العهد السعودي .**

ويخلص الباحث إلى أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية والنشاط المحدود للعمل واتجاه المثقفين إلى ظل **الوظيفة** ، قد انعكس على الإنتاج الفكري بعامة ، والأدبي بخاصة ، والذي لم يواكب التطور الأدبي خارج الحجاز بالإضافة إلى عوامل أخرى ، تمثلت في انعدام الرعاية الأدبية من مؤسسات فكرية وعدم وجود دور للنشر باستثناء بعض الجهود الشخصية .

● أما العنصر الثاني ، وهو تطور الكيان ، فقد حدد الباحث حقيقة أولية وهي أن الجناية الفكرية على الحجاز كانت نتيجة عزلة طويلة أخرت الحجاز عن ركب النهضة الحديثة ، التي شملت الوطن العربي منذ القرن التاسع عشر ، وإن كان التعليل لذلك هو عدم تعرض الحجاز للسيطرة الاستعمارية التي أيقظت المشاعر الوطنية وعجلت بالوعي السياسي في الخارج الذي تعرض للاستعمار الأوروبي ، ثم يستعرض الباحث العهود الثلاثة التي مرت بالحجاز ، مبتدئاً بالفترة الأخيرة من العهد العثماني بصورته الممزقة للوضع الحكومي وضعف قبضته على بلاد الحجاز ، والعوامل التي أحاطت بانفصال الحجاز عن الدولة العثمانية ، وتسلم الشريف حسين للحكم حيث يبدأ العهد الثاني الذي سماه العهد الهاشمي ، وقد تميز بسياسة أدت إلى إبعاد الشخصيات الوطنية التي كانت قد لجأت إلى الحجاز ، كما أدت إلى افتعال عداوات مع زعيم نجد وحاكم مصر ، ثم تتابع الأحداث حتى فتح **الملك عبد العزيز** للحجاز ، الذي أصبح جزءاً من الكيان الكبير للدولة السعودية العربية الموحدة .

أما عن انعكاس هذه الأحداث السياسية على الفكر والأدب ، فإننا نجد بداية الوعي والتفكير السياسي في العهد العثماني ، وقد واكب الشعر أحداث ذلك العهد وصور بعض مظالمه ، وظهر شعراء من أمثال **أنور عشقي** ، والشيخ **إبراهيم الأسكوبي** اللذين نقدا الدولة العثمانية وأبرزا عيوبها وعيوب رجالها المنصرفين عن الحضارة الإسلامية ، المبهورين بالحضارة الغربية ، على حين نجد شاعراً هو الشيخ **محمد العمري** يشيد بالدولة العثمانية .

أما العهد الهاشمي فمع قصره - إذ لم يتجاوز السنوات التسع - فقد تطور فيه الأدب الحجازي بصورة واضحة لارتباط ذلك العهد بأهم مظاهر النهضة في الحجاز ، وعلى رأسها **قضية تعريب دواوين الحكومة** ، وجعل اللغة العربية اللغة الرسمية ، ثم وفود شخصيات عربية إلى **مكة المكرمة** ، لها وزنها الثقافي والفكري من أمثال **محب الدين الخطيب** الذي تولى تحرير الجريدة الرسمية « **القبلة** » ، والشيخ **كامل القصاب** الذي أشرف على مناهج الدراسة والتعليم ودروس آداب اللغة ، والتي كانت لها الفضل في فتح الآفاق الجديدة أمام النشء ، ثم عامل ثالث وهو تطور الصحافة التي كانت « قبلة » بداية لها ، وتلتها صحيفة « **بريد الحجاز** » ، أما الازدهار الكبير للأدب فقد ارتبط بظهور « **صوت الحجاز** » بعد « **أم القرى** » في العهد السعودي ، وقد خطر لي عدم إعطائه القارىء فكرة مفصلة عن هذه الصحف إلا أنه يعتذر بأنه يرصد بعض المظاهر ولا يحللها وإن كان الرصد يعني أيضاً إعطاء نماذج لعناوين المواضيع المطروحة والقصائد المنشورة ، حتى نصل إلى الأفكار التي كانت تناقش والآراء التي كانت تطرح ، وصلة ذلك كله



★ غلاف الكتاب ★



★ عبدالرحيم أبو بكر ، المؤلف ★

بقضية التطور .

● والعامل الرابع هو **الشعور الوطني** ، الذي استيقظ وفكر في المصير ونتج عنه ظهور جماعة تحاول الاسهام في أمور البلاد .

● والعامل الخامس هو بروز ما سماه الباحث **بالأدب الإقليمي** ، والذي كان نتاج تأثيرات وافدة من **مصر والشام والمهجر** ، ذلك الأدب الذي كان ومضة في العهد الهاشمي ، ثم توهج في العهد السعودي .

● العنصر الثالث المتمثل في الحياة العقلية ، فقد تناول فيه الباحث التعليم والثقافة ووسائلها في العهود الثلاثة ، حيث انحط التعليم في العهد العثماني إلى درجة **تدريس النحو العربي باللغة التركية** ، ومع ذلك وجدت الثقافة العربية الحماية في التعليم في **الحرمين الشريفين** ، وفي جهود **التعليم الأهلي** ، الذي بدأ في بيوت علماء الحرمين أيضاً ، إلى جانب بعض المدارس الأهلية التي أنشئت عن طريق التبرعات والإعانات الخيرية ، مثل **المدرسة الصولية في** مكة المكرمة ، **ومدرسة العلوم الشرعية** في المدينة المنورة ، ثم **مدارس الفلاح** في جدة ، حيث تخرج نخبة من المفكرين والأدباء من هذه المؤسسات العلمية الرائدة ، أما في العهد الهاشمي ، فمع أن المدارس لم تزد بما يذكر ، إلا أن التعليم ـ كما نقل الباحث عن الأستاذ **عبد القدوس الأنصاري** ـ قد انتقل من التركية إلى العربية ، وقد تحكمت عوامل سياسية واقتصادية في بطء حركة التعليم ، ثم تناول التعليم في العهد السعودي حتى فترة نهاية دراسته ١٩٤٨م ، كما تناول **البعوث العلمية** ودور **الأندية والمحافل الأدبية** في الأربعينات .

ويلاحظ أن التعليم قد حظي باهتمام الباحث أكثر من الصحافة على حين أن الجمعيات الأدبية في الأندية والتي تمثل انعكاس كل ما تقدم على الحياة الفكرية والأدبية ، لم تحظ بما كان متوقعاً إذ لم يكتب عن ذلك سوى ستة عشر سطراً ، كما تناول الباحث الحديث عن **المكتبات في المدينة المنورة ومكة المكرمة** ، وتحدث عن **الطباعة والصحافة** ودورهما في إحياء الحركة الفكرية والأدبية .

الشعر في العهد العثماني التركي

يبدأ الباحث في الباب الثاني بتقرير ضعف الشعر الحجازي قبيل النهضة وخفوت أنفاسه لولا بعض الجهود الصامدة ، ويعلل ذلك بأن « البيئة كانت محرومة من العوامل القوية المساعدة على استئناف النهوض والتقدم وإذاعة روحها بين جيل هذا العهد بقوة » ، ولذلك انحصر النشاط الأدبي في النصوص الشعرية التي تمثل الصلة بين جيل القدماء والمعاصرين والتي بذلت بعض الجهود المتفرقة لتقديمها والترجمة لشعرائها وإن ظل أغلب ذلك الشعر مخطوطاً لم يقدم للقراء ، ثم يترجم الباحث لشعراء هذا العهد بادئاً بالسيد **جعفر البيتي** من شعراء القرن الثامن عشر وأشهر شعراء عصره ، وهو من بيت علم وشرف في المدينة وكتب عنه الكثير وله كتاب في الثقافة العامة مؤلف بطريقة الأقدمين في جمع الشعر والترجمة والتاريخ والجغرافيا . . الخ . وديوانه مخطوط وأهم ما يميز شعره :

١ ـ الحرص على المقدمات التقليدية في القصائد .

٢ ـ الاهتمام بالمحسنات البلاغية من اقتباس وتضمين وجناس ومقابلة . . الخ .

٣ ـ الاقتصار على ما عرف من موضوعات الشعر القديمة كالمدح وغيره ، وميزة هذه الدراسة لدى الباحث أنها لا تكتفي بتقديم النماذج بل تعتمد على التحليل والنقد للنصوص وردها إلى أصولها ومؤثراتها التاريخية وخلفياتها البيئية وتذكر السمات المميزة لها .

أما الشيخ **عمر عبد السلام الداغستاني** ، فهو أشبه في كثير من جوانب حياته بسابقه وقد اهتم بالترجمة لمعاصريه ممن عاشوا في المدينة في كتابة « **التحفة** » الذي قصره على أربع فئات « الاشراف ثم العلماء ثم الخطباء ، وأخيراً الأدباء » وينقد الباحث النماذج التي وردت في الكتاب من الشعر مبيناً درجتها الفنية وقيمتها التاريخية ، كما يعرض لشعر هذا الشاعر من خلال نموذجين يمثلان الخصائص الفنية له .

والشاعر الثالث هو **محمد أمين الزللي الخطيب** وهو متأخر زمنياً عن سابقيه يجتمع معهما في ظروف النشأة وتعدد المجالات التي نبغوا فيها إلا أن الزللي كان أقلهم شعراً وشعره في باب الغزل والمدح ولم يعلل الباحث لقلة شعره الذي يظهر أنه كان كثيراً ضاع أغلبه لسبب كثرة أسفار الشاعر وعدم استقراره في مكان واحد وهو لا يختلف في خصائصه عمن سبقوه وقد حلل الباحث شعره مبيناً جوانب ضعفه وما عرض من شعره يدل على تكلف في الصنعة وخضوع للقافية وتجاف للتسلسل المنطقي في بناء الأبيات ، لذا كان الباحث منصفاً لمادته حين وصفه بأنه « يتدنى إلى مستوى الأساليب اليومية » .

وتوصل الباحث إلى نتائج عن هذه الفترة تمثلت في :

١ ـ أن حياة الشعر والأدب في الحجاز ، لم تمت في تلك الفترة كما يظن البعض .

٢ ـ أن القيمة التاريخية لتلك النماذج كبيرة خاصة في تأريخ حركة الأدب .

٣ ـ أنهم لم يكونوا أقل شأناً من معاصريهم من الشعراء في البلاد العربية الأخرى بخاصة في مصر .

٤ ـ أن هؤلاء الشعراء يمثلون إلى حد ما ارهاصات النهضة الأدبية في الحجاز ودراستهم مع من جاءوا بعدهم أساسية في هذا الجانب . ويرى الأستاذ عبد القدوس الأنصاري أن هذه الارهاصات ظهرت على يد شاعر واحد هو **إبراهيم الأسكوبي** إلا أن الباحث يخالفه في هذا الحصر ويرى أن هذه الارهاصات تمثلت في ظهور الإحساس بالذات والوعي بدور الحجاز السياسي في تاريخ الأمة الإسلامية .

وفي الشعراء الذين سبقوا جيل النهضة والذين قدمهم الباحث وفي شعراء عاصروا الأسكوبي وساهموا في بدء ارهاصات النهضة ومنهم **عبد الجليل برادة** المتوفي في أوائل هذا القرن ، وقد عرض الباحث لآراء من سبقوه بالكتابة عنه وتجاوزهم بالوقوف عند مؤشرات سياسية وأدبية في حياة الشاعر تتمثل في :

١ ـ ابتعاده عن المقدمات التقليدية للقصائد وتناوله موضوعه مباشرة .

٢ ـ اشادته بحدث سياسي كبير متصل بانتصارات العثمانيين الخارجية .

٣ ـ معارضته **لأبي تمام** في رائيته في رثاء **محمد بن حميد الطوسي** ليس تقليداً بل محاولة لاظهار البراعة والمقدرة على توليد معان جديدة من أفكار قديمة .

٤ ـ الاهتمام بالبديع الخالي من التكلف والمنسجم مع موسيقى الأبيات وتسلسل الألفاظ .

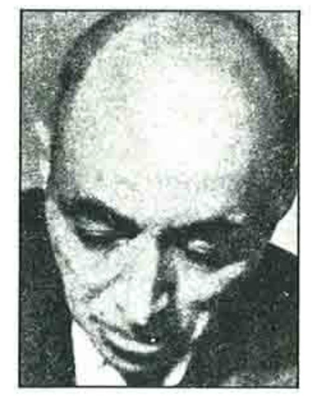
٥ ـ التجديد في ديباجية الشعر والسمو بأسلوبه والانتقال بالشعر إلى المرحلة التي وصل بها **البارودي** في مصر بالشعر . ومنهم أيضاً الشاعر **عبد الواحد الجوهري** المتوفي عام




★ د. محمد حسين هيكل ★



★ عبدالقدوس الأنصاري ★



★ د. ابراهيم ناجي ★

١٨٩٣ م، والذي قصر شعره على الغزل، ولا يخفى أن هذا التخصص يمثل اتجاهاً ضارباً في جذور الشعر العربي على أرض الحجاز، ويعرض الباحث لما كتب عن هذا الشاعر ناقداً ومقوماً ويصف الشاعر بأن في شعره «صفة الظرف وخفة الظل والروح بسبب ميل الشاعر إلى هذه الصفة»، ويعلل الباحث لاتجاه الشاعر وشعره بقوله :

«تحس أن هذا الشاعر مقبل على حياته بكل سعادة وشوق وحب للجمال وهو يحاول أن يصور هذا الاتجاه في شعر مقبول بالنسبة لذلك العصر الذي كان فيه الشاعر أسير **التشطيرات والتخميسات**، وما إلى ذلك من أنواع الصناعة والعبث».

أما الشيخ **إبراهيم الأسكوبي** المتوفي سنة ١٩١٣ م، فقد حظي بكثير من اهتمام معاصريه ومن جاءوا بعده كما يقول الباحث فقد عرض لما كتب عنه بمنهجه الذي اتبعه في مناقشة جميع الآراء التي سبق إليها ومع ذلك يدلل الباحث على أن الشعر الذي عرف للأسكوبي لا يمثل كل شعره بل جزء منه، ومعنى هذا أن الأحكام التي يقررها الباحثون عن هذا الشاعر ليست شاملة أو كاملة فضلاً عن أن تكون نهائية، لأن ما لم ينشر من شعره ربما أعطى ملامح وسمات جديدة خاصة وأن الباحث يقرر أن الشاعر الأسكوبي كان على صلة ثقافية بالإنتاج الخارجي عن الحجاز، كما كان كثير الرحلات والصلات، ولعلنا من خلال ما عرض الباحث نستطيع أن نقول إن الشاعر الأسكوبي كان يمثل ريادة الاتجاه الاصلاحي في الشعر التقليدي في الحجاز، مما جعله كثير الاهتمام بقضايا عصره ومشكلات جيله في المجالات المختلفة.

وآخر من عرض لهم الباحث من شعراء هذا الجيل، هو الشيخ **محمد العمري** المتوفي سنة ١٩٤٥ م، وهو شاعر جد معاصر بالنسبة لمن سبقوه زمنياً، إلا أنه فنياً قصر إنتاجه في أواخر العهد العثماني الذي كان فيه من أصحاب الحظوة والقربى كما يقول الباحث، وهو سبب إختياره له مع حداثته مع شعراء جيل ما قبل النهضة وهو كشعراء جيله من العلماء غلب علم الفقه عليه إلا أنه جرد شعره عن مؤثرات تخصصه ومصطلحاته الفقهية كما يقرر ذلك الأستاذ عبد القدوس الأنصاري فيما نقل الباحث عنه، وقد شبهه الأنصاري «في جزالة الألفاظ وتدفق المعاني وعزوبة البيان وبث الشكوى والأشجان والمساهمة في حوادث الأكوان»، وهذه الكلمات هي التي أغرت الباحث بدراسة شعر الشاعر الذي وجده كما وصف به بل يعتبره أكثر شعراء عصره تجديداً في المضمون ووضوحاً في الاتجاه السياسي وتميزاً بالمواهب الشعرية **فإذا كان للشاعر الأسكوبي فضل الريادة في الشعر السياسي وقضايا المصير فالشاعر العمري يمثل آخر المعابر الشامخة والقوية إلى عصر النهضة.**

الشعر في عصر النهضة

في الباب الثالث تناول الشعر في عصر النهضة، وتبدأ هذه الفترة بانتهاء **الحرب العالمية الأولى**، نتيجة للنشاط الأدبي المحلي لجيل جديد ذي تطلعات جديدة وأحلام كبيرة وطموحات واضحة، وظهرت معالم تلك النهضة خلال مسيرة الشعر في أربع معالم بارزة هي :

١) مرحلة مجموعة «**أدب الحجاز**» عام ١٩٢٦ م، للشاعر **محمد سرور الصبان** الذي أراد أن ينتقل بالشعر كما يقول الباحث من مرحلة التقليد والمحافظة إلى مرحلة الشخصية المميزة والإنتاج المستقل، وكان هذا بداية ظهور تيار التجديد التي حمل لواءها من بعده، ويظهر اتجاه الصبان للتجديد في قصائده الذاتية التأملية، وقد خسر الشعر هذا الشاعر لتظفر به الوظيفة وإن ظل راعياً للحركة الأدبية، وكان الشاعر «**العواد**» امتداداً لهذا الاتجاه في «**خواطر مصرحة**» وتأملات في الأدب والحياة.

٢) مرحلة مجموعة «**وحي الصحراء**» في السنوات العشر التالية لما قبلها عام ١٩٣٧ م، وقد تضمنت هذه المجموعة شعر عشرين شاعراً في مختلف الأغراض والفنون، وكتب مقدمته **الدكتور محمد حسين هيكل**.

٣) مرحلة النشر في الصحافة الجديدة مثل «أم القرى» و«صوت الحجاز» ولم تطل المسافة الزمنية بين هذه المرحلة وسابقتها.

٤) مرحلة الدواوين الشعرية المطبوعة، مثل ديوان «أحلام الربيع» سنة ١٩٤٦ م، **لطاهر الزمخشري** «والهوى والشباب» ١٩٤٧ م، **لأحمد عبد الغفور عطار** «والطلائع» سنة ١٩٤٧ م، **لأحمد محمد جمال**، و«البسمات الملونة» سنة ١٩٤٧ م، **لحسن القرشي**.

ظهرت بعد ذلك عدة دواوين وعظم رصيد الشعر في الحجاز الذي تفرع بطبيعة الحال في اتجاهين أو تيارين بارزين هما تيار التقليد والمحافظة، وتيار المتأثرين والمجددين.

تيار التقليد والمحافظة

أهم خصائص هذا التيار والتي توصل الباحث إليها تتمثل في :

١) تناول الموضوعات القديمة من مدح ورثاء وغيرهما بل تخصص البعض في واحد منها.
٢) افتقاد الوحدة الموضوعية في القصائد أو الوحدة العضوية.
٣) اجترار معاني الأقدمين وترجيع أصدائهم وتضمين قصائدهم بعض أبياتهم.
٤) الالتزام بالشكل البنائي القديم للقصيدة واختيار البحور الطويلة.
٥) معارضة النماذج القديمة وبعض الحديثة.
٦) صياغة المضامين الشعرية الحديثة في أثواب قديمة.
٧) بعد الأفكار والمعاني عن روح العصر إلا فيما ندر.

وشعراء هذا التيار هم : **أحمد الغزاوي، فؤاد شاكر، محمد صبحي، عبد الوهاب آشي، حسين سراج، أحمد محمد جمال، طاهر زمخشري، حسين القرشي** وغيرهم.

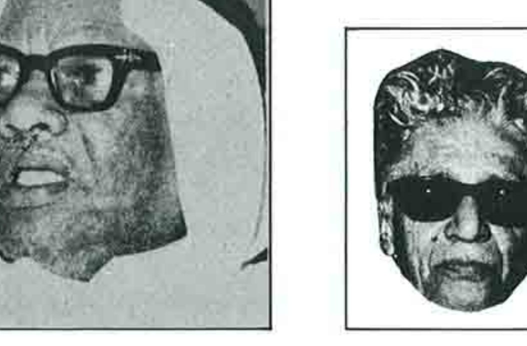
لم يتأثر الباحث في تناوله لموضوعات الشعر التقليدي بالأحكام النقدية المتداولة عن هذه الفنون، ولكنه أخضع شعر الحجاز التقليدي لدراسة نقدية تحت منهج معين يتمثل في البحث عن أساليبهم وما أضافوه من جديد في الصور والمعاني ومكانتهم في هذا الفن، وقد طبق هذه المقاييس على الشعراء الذين سبق أن ذكرناهم، وقد خلص الباحث في فن المدح إلى نتائج تتمثل في :

١ - اقتصار المدح على أولي الأمر.

٢ - لم يتجاوز شعر المدح لظاهرة شعر ثلاثة شعراء فقط، أما الرثاء، فلم يخرج عما عرف قديماً من الصفات المضفية على المرثي واستعمال التضمين واستلهام التراث، وقد يتخلل الرثاء أحياناً جنوح إلى التأمل العقلاني في اصطناع الحكم والمواعظ. أما الغزل فإن الإجادة فيه كان حليف الجيل الثاني من شعراء الحجاز المعاصرين «الذين أولوا شعر الوجدان والعاطفة عناية تكاد تقف بهم في صفوف نظرائهم من شعراء العرب المعاصرين» وبخاصة شعراء «**مدرسة أبولو**» ومن هؤلاء «الغزاوي» «وحسين سراج» من الجيل الأول، وحسن القرشي وفؤاد شاكر **وحسين عرب** من شعراء الجيل الثاني في الحجاز.

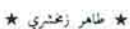
وتميز الفخر بالدعوة إلى التحاسك وقوة البأس في مواجهة الأحداث، وهو فخر فيه اعتداد بالنفس وقوة في الإرادة وهي بهذه المعاني لم تضف جديداً.

أورد الباحث عنواناً صغيراً للمعارضات باعتبار أن هذه النزعة قد شكلت فناً شعرياً منفرداً لدى المقلدين لا يختلف عن المدح والرثاء في رأي الباحث، **ومع ما أورد الأستاذ**






★ محمد حسن عواد ★


★ طاهر زمخشري ★

★ نازك الملائكة ★

عبد الرحيم من رأي في المعارضة الشعرية ، فإننا نستطيع أن نقول : إن هذه الظاهرة كما يعلم الباحث لم تكن كالظواهر الأخرى وقفاً على شعراء الحجاز بل كانت سمة أو مرحلة من مراحل تطور الشعر العربي الناهض في البلاد العربية كلها ، وقد مرت هذه الظاهرة بطورين :

● **أولا : طور التقليد** ، وإعادة الصور والأفكار القديمة وقد لا تكون أكثر من اختزان الذاكرة للصور القديمة التي تعاد عند انفعالها بموقف أو موضوع ما .

● **ثانياً : طور اظهار المنافسة** ، ومحاولة سبق القدماء ومجاراتهم وتوليد صور جديدة من مخزونهم الشعري ، ومثل هذه المعارضات يجب ألا تختفي فيها شخصية الشاعر ومواهبه بحيث تكون واضحة مميزة معتمدة على إعادة الصياغة والتراكيب والصور والمعاني القديمة .

وكذلك أفرد الباحث **للنزعة الوطنية في الشعر** عنواناً يجعلها فناً مستقلاً ، ولعل للباحث رأياً في هذا ، فهذه النزعة نجدها في شعر كل شاعر يحس بما حوله ، وقد تكون في قصيدة غزل أو مدح أو رثاء ، ولعل الباحث قد فطن إلى هذا فبين أن الوطنية بمفهومها الإقليمي لم تكن معروفة بل كان الوطن العربي والإسلامي كله في نظرهم وطناً ، وهذه النظرة لم تكن في الحجاز فحسب ، بل في العالم العربي كله ، مما جعل شاعر السودان في هذه الفترة **عبد الله عبد الرحمن** يقول :

فليس سوى الإسلام من وطن لنا
ولا غير أهليه نعد صحابا

ومن هذه النظرة الشاملة لقضايا الأمة الإسلامية لدى الشعراء ، ظهر موضوع **فلسطين** كمادة شعرية أخذت الوضوح والتفرد من خلال تفاقم المشكلة وتطورها إلى اليوم .

الإتجاه التجديدي

في الباب الرابع يتفق الباحث مع الدكتور أحمد هيكل في تسمية هذا الاتجاه **بالتيار الابتداعي** ، وقد علل لظهور هذا التيار **بعاملين :**

● **أولا** عوامل **ذاتية** ، حركتها بواعث حضارية ومفاهيم عصرية .

● **ثانياً** عوامل **خارجية** ، تمثلت في الثقافات الوافدة عربية كانت أو أجنبية ، ولم يكن التجديد وقفاً على مجال الشعر بل أدى إلى ظهور حركة نقدية تواكب حركة الشعر ، وتمثلت في ظواهر كثيرة أشار الباحث إليها بالتفصيل .

ولا يتسنى ذكر تيار دون الإشارة إلى الأستاذ **محمد حسن عواد** ، رائداً في هذا المجال بكتابيه « خواطر مصرحة » ، و « تأملات في الأدب والحياة » ، ويصف الباحث دوره بأنه دور **مدرسة الديوان** في مصر ، إذ يغلب على ظنه تأثره بها إلى حد ما ، ويأتي محمد سرور الصبان لما سبق أن ذكرنا في ريادة هذا الاتجاه ، ولم يكن العواد رائداً نظرياً للاتجاه ، بل ترجم آراءه واقعاً في إنتاجه الشعري « **آماس وأطلاس** » سنة ١٩٥٢ م ، وفيما ظهر له بعد ذلك .

ولا شك أن حركة الشعر في الحجاز مثلها في البلدان الأخرى قد تأثرت بشعراء المهجر وأدبائه وبالحركة الأدبية في مصر ، خاصة الحركة الرومانسية ممثلة في **علي محمود طه ، وإبراهيم ناجي** ، ومدرسة أبولو ، ومدرسة الديوان ، على درجات متفاوتة من شاعر لآخر وهذا التأثر في نظر الباحث دليل الحيوية والمعاصرة ونتيجة العوامل البيئية المشتركة بين أبناء الأمة الواحدة . ويرى الباحث أن مظاهر التجديد قد تمثلت في :

١ ـ الشعر المرسل الذي يرى من رواده في الحجاز محمد حسن عواد في قصيدته « ثورة محب » .

٢ ـ تنوع القافية والتذييل بتفعيلة .

٣ ـ طريقة التوشيح الأندلسية التي تأثر بها عدد من الشعراء ، كأحمد جمال ، **وإبراهيم فلالي ، وعزيز ضياء ، وعمر عرب** ، والقرشي ، وغيرهم .

٤ ـ الشعر الجديد الحر الذي نشأ في **العراق** ، بصرف النظر عن رواده المختلف فيهم .

وعن دور الحجاز في حركة **الشعر الحر** يرى الباحث أنه **لولا إقليمية شعر الحجاز وانصراف النقاد العرب عن الاهتمام به لكانت قصيدة « خطوة الاتحاد » للشاعر محمد حسن عواد من أولى قصائد الشعر الحر في العالم العربي** ، والواقع أن الباحث لم يعطنا فكرة عن الفرق بين الشعر المرسل والشعر الجديد الحر وكلاهما كان « العواد » رائداً فيه حسب ما ذكر .

ثم يناقش الباحث مفهوم الشعر الحر عند **نازك الملائكة وعز الدين إسماعيل** ، بحيث يطبق هذه المفاهيم على قصيدة « العواد » التي تحمل من سمات الشعر الحر ، التمرد على شكل البيت ذي الشطرين ، والحرية في تنوع التفعيلات وعدم الخضوع لنظام معين ، وحرية الحركة حتى داخل البحر الواحد ، ويخلص من ذلك إلى أن « **العواد** » **يمكن أن يوضع في طلائع رواد التجديد والشعر الحر .**

أما عزيز ضياء في محاولاته ، فلم يكن إلا متأثراً بالمهجريين في مزج النثر الشعري بأبيات من الشعر على حد قوله . ويحصر الباحث أهم ملامح التجديد في المضمون من :

●● اختلاف مفهوم الشعر ومهمة الشاعر عند المجددين .

●● تناول الموضوعات القديمة بحس جديد ونظرة جديدة كالمديح الذي بدأت شخصية الشاعر تبدو فيه وتغيرت لغته الشعرية إلى المعاصرة والخلو من التشبيهات والصور والأخيلة القديمة وبدأ التأمل والتفكير في حقيقة الحياة والموت يغلب على شعر الرثاء وتميز الشعر الوطني بالإقليمية وصدق العاطفة الوطنية وظهر الاهتمام بالنواحي الاجتماعية ، ونقد المجتمع وتوجيهه وعرض مشكلاته مما بشر بطلائع الاتجاه الواقعي في الشعر الحجازي كما يرى الباحث ، وكان من آثار التجديد والحركة الرومانسية ظهور الشعر الوجداني الذي اهتم به كثير من الشعراء في الجيل الثاني ، يصورون حرمانهم وأحلامهم وأنواع معاناتهم .

ويخلص الباحث في ختام بحثه إلى النتائج التي توصل إليها والتي تمثلت في :

١ ـ خفوت الملامح الشخصية للبيئة الحجازية في أدب تلك الفترة لأنها كانت فترة التكوين وبداية الوعي بالذات .

٢ ـ إن البيئة بخصوصياتها وخلفياتها الاجتماعية والفكرية والثقافية كانت عامل تأخر للحجاز عن اللحاق بالنهضة التي شملت البلاد العربية .

٣ ـ إن الشعر قد صمد لتلك الظروف العائقة عن النهضة والتطور مما جعل له قيمة كبيرة من الناحية التاريخية فضلاً عن الفنية .

٤ ـ إن أواخر العهد العثماني كان بدء ارهاصات النهضة الشعرية في الحجاز والاهتمام بالمضامين الجديدة ، والأفكار الحديثة والأحداث المعاصرة ، على يد شاعرين هما الأسكوبي والعمري .

٥ ـ إن ظهور اتجاهي التقليد والتجديد في بيئة الحجاز عقب الحرب العالمية الأولى كان أمراً طبيعياً إذ سارت حركة الشعر في اتجاهين متميزين لكل منهما دوره وصوته والحاجة إليه ليكونا في النهاية تراث الشعر الحديث في الحجاز .

لوحة و فنان

ثلج على "لوفانسين" (١٨٧٤م)

● مدخل إلى أسلوب الفنان ●

★ لقد وجد الفنان ، أن أسلوب الرسم داخل « الأستديو » والجدران ، يحجب عنه الضوء المتحرك في الطبيعة ، ويجعله محصوراً داخل دائرة الضوء الصناعية التي يشارك فيها الإنسان ، الطبيعة .

فالضوء ، ذلك الشيء الملموس الذي يعطي للأجسام الواحدة ، أشكالا مختلفة كلما تحرك في أي اتجاه .. ومن هذا المنطلق ، كانت فكرة خروج الفنان إلى الطبيعة ، والانطلاق مع زميليه « مونيه » و« رنوار » نحو ذلك الهدف ، في محاولة تسجيل الظلال في لحظتها ، حيث لا تستقر الطبيعة على حال فهي في تحرك دائم ، بألوانها وظلالها ★

★ اللوحة :

في ظل الطبيعة ، حاول « سيزلي » في لوحته هذه أن يعبر عن منظر الثلوج وهي تتحرك على أسطح المنازل وعلى قمم الأشجار ، حيث نراه قد سجل باللون أشجاره بعد أن استنشقت عبير الرياح الثلجية ، وتطلعت بأعناقها في سعادة ، في انتظار الضوء الذي سوف يأتي بعد قليل ، فقد أمطرت ، وسوف يتبدل الحال ★

★ الألوان :

تميل إلى « الرماديات » الهادئة ، مع اخضرار خفيف ، حيث بدأت الغيوم في الرحيل بعد صمت المطر .. والأفق قد تلون باللون الوردي الخفيف ، وكأنه عروس قد تزينت في يوم فرحها ★



الفريد سيزلي

★ من مواليد أكتوبر / تشرين الأول (١٨٣٩م) ، بباريس .

★ ولد من أبوين بريطانيين .

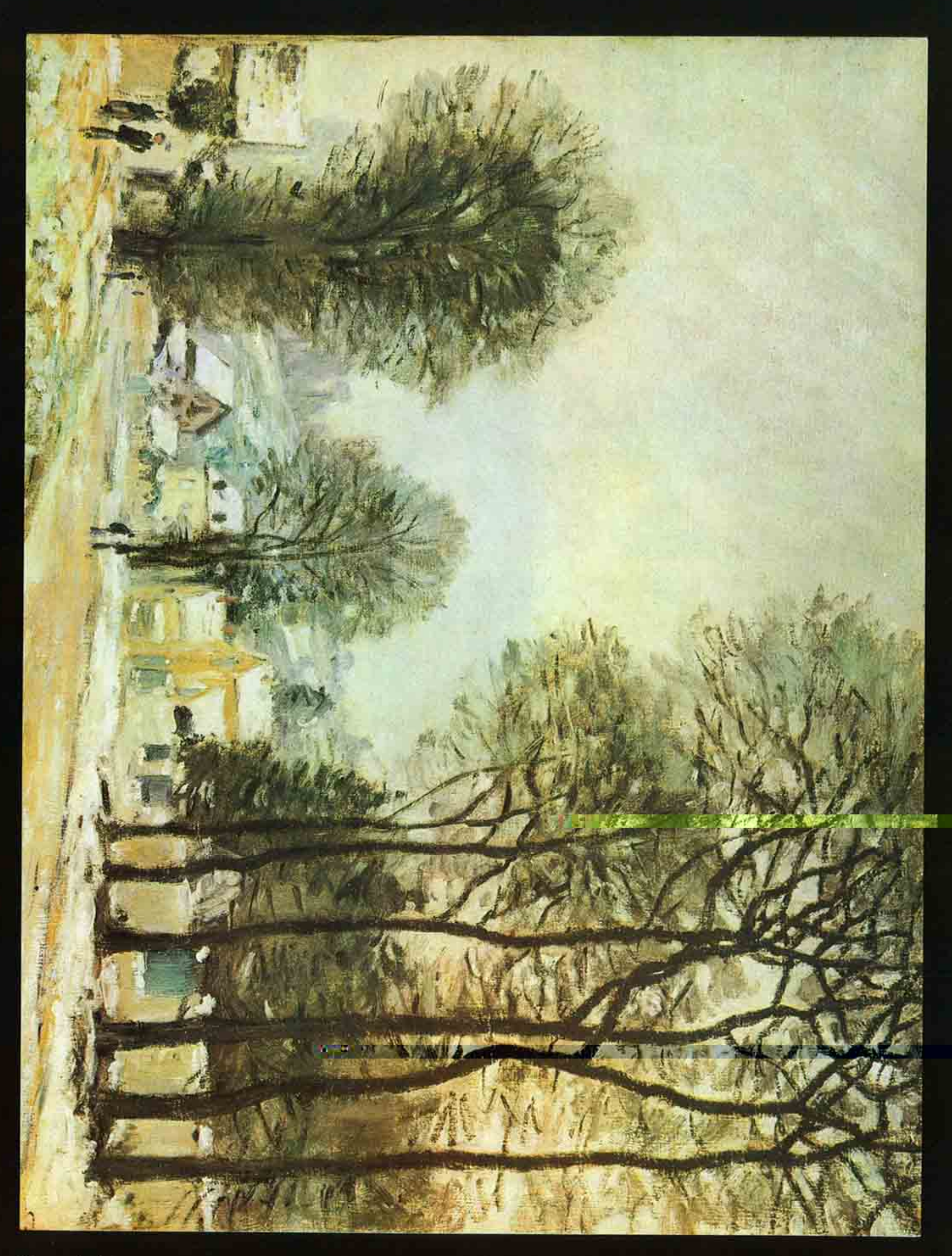
★ في الثامنة عشرة من عمره ، أرسله والده إلى لندن ليتابع دراسة « تجارية » حسب تخطيط والده .

★ في معمل الرسام الشهير « غلير » ، التقى بطالبين .. هما « مونيه » و« رنوار » اللذين أصبحا أشهر رسامي عصرهما .

★ ثم ترك المعمل ، والمعهد ، لممارسة فن الرسم ، متخذاً الطبيعة موضوعاً حياً له .

★ قضى سنوات قاسية بعد وفاة والده .. وبعد الدمار الذي تركته الحرب التي نشبت عام (١٨٧٠م) ، وكان لهذا تأثير كبير عليه .

★ أصيب بسرطان الحنجرة (١٨٩٩م) ، وتوفي في عزلة قاسية .. وكان في فترة مرضه لا يظهر اطلاقاً ولا يلتقي إلا ببعض الفنانين القدامى ، زملائه في رحلة الابداع والانطلاق إلى الطبيعة مثل « رنوار » و« بيسارو » و« مونيه » .

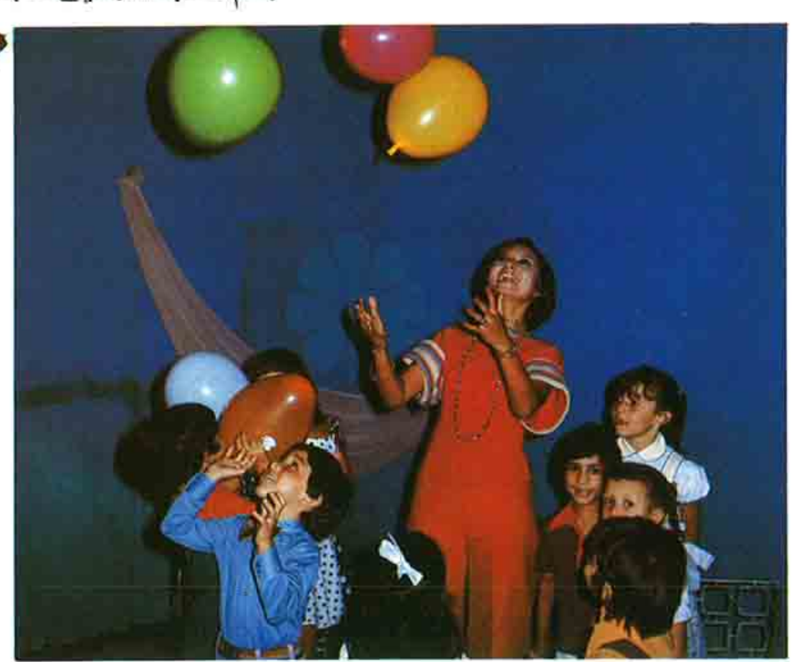




رحلة في عقل الطفل العربي

بقلم : عبد البديع عبد الله





★ برامج الأطفال على الشاشة الصغيرة ، تمثل دوراً في إنماء شخصية الطفل ★

لا شك أن الكتابة عن الطفل من أصعب مجالات الكتابة على الإطلاق ، فموضوعاتها متشعبة وشديدة التداخل ، كما أن فهم دوافع الطفل وسلوكه ، وما يدور في ذهنه ، وتفسير تصرفاته أمر شبه مستحيل . وتقوم محاولات تفهم سلوك الطفل ودوافعه على اجتهادات الباحثين سواء **في مجال النشاط الاجتماعي أو علم النفس** . وهي محاولات تقوم على إجراء أبحاث متنوعة لاستبيان دوافع السلوك عند الطفل ، والخروج منها بنظريات عامة ، وإن كانت غير مطلقة ، لأنها تضع في نتائجها النهائية اعتباراً كبيراً للظروف المتنوعة والمتباينة التي ينشأ فيها الطفل من بيئية واجتماعية وحضارية وجنسية ، بل ومنها ما يتعلق بطبيعة الجو وتضاريس المكان .

وإذا كانت محاولة فهم سلوك الطفل ودوافعه ليست سهلة على الإطلاق ، فالتعامل مع الطفل لن يكون كذلك من الأمور الميسورة ، ما لم يجد المهتم بتفسير سلوك الطفل وسائل وأفكار خاصة يجتهد في استكشافها بنفس المعاناة التي يمر بها الطفل أثناء اكتشافه عالمه الخاص والعالم المحيط به .

ولعل المرحلة التي تبدأ من السنة الثالثة لميلاد الطفل إلى السنة السابعة منه ، تعد من أشق مراحل التعامل المتبادل بين الكبار والصغار ، للتفاوت الشديد بين عقلية الكبير وعقلية الطفل . في هذه المرحلة يحاول كل طرف أن يفرض إرادته على الطرف الآخر حيناً باللين ، وحيناً بالعنف . فكما يستخدم الكبار العنف يستخدم الصغار العنف كذلك ، ولكل طريقته . . الكبار يضربون والصغار يغضبون ويبكون ويتلفون الأشياء المحيطة بهم احتجاجاً على سلوك الكبار تجاههم . وأبسط مثال على ذلك كسر الكوب أو الزهرية ، وإن كانت في ظروف أخرى يمكن أن يكون لها مغزى آخر غير الاحتجاج والغضب ، هو الاكتشاف مثلاً .

محاولات للاقتراب من عقل الطفل

وللمساعدة على إقامة حوار مفيد بين الكبار والصغار ، هدفه أساساً الأخذ بيد الصغار ، ظهرت عدة مجالات لمعاونتهم على اجتياز طفولة سعيدة كإنشاء **دور الحضانة والأمومة** ، وتأليف **كتب مبسطة وحكايات مصورة** تتناسب مع أعمارهم . وتقدم بعض النماذج الفنية المفيدة والمحببة إليهم **كأفلام الكرتون والرسوم المتحركة** ذات الشخصيات المثيرة لخيالهم ، وإنشاء **مسرح خاص بالأطفال** هو **مسرح العرائس** . هذا بالإضافة إلى





●● ماذا قدم الأدب للطفل.. ولماذا يتجنب الأدباء الكتابة للطفل؟

●●● البحث عن حلول لمشكلات الطفل العربي!





★ اللعب من الأشياء التي تنمي مدارك الأطفال ★

ابتكار أنواع كثيرة من لعب الأطفال ذات الفائدة الكبيرة أحياناً ، وطبع الأسطوانات والتسجيلات الخاصة بهم .

مشكلات يعاني منها الطفل

ومع ذلك ، هناك الكثير من الأمور التي يعاني منها الطفل في البلاد العربية بشكل خاص وتحتاج من المهتمين بشؤونه إلى عناية خاصة . وربما تبدو بعض المسائل المطروحة عديمة القيمة أو غير ذات تأثير ، ولكن البحث أثبت في كثير من الحالات أهمية النظر إليها بشكل جاد . وأول مشكلة يواجهها الطفل في هذه المرحلة من عمره «من الثالثة إلى السابعة» هي **ضيق البيت** وعدم وجود غرفة خاصة بالطفل في الكثير من الحالات . ومن المعروف أن معظم البلاد العربية التي تتمتع بكثافة سكانية عالية (مصر . سوريا . الأردن . مثلاً) تتكون الأسرة فيها من ثلاثة أبناء في المتوسط يعيشون مع ذويهم في بيت يتكون من ثلاث غرف .

وضيق البيت يحد من نشاط الطفل ورغبته في الحركة والإحساس بالتملك كأن تكون له غرفة خاصة ، كما أن له لعبة خاصة مثلاً . والطفل يشعر بالضيق ولذلك تنتج عنه تصرفات تبدو عدوانية أو غير سليمة ويبدأ الآباء محاولاتهم لتقويم الطفل باللين في البداية ثم يتطور الأمر إلى استخدام العنف الذي يؤدي إلى سوء التفاهم ونشوء العقد التي قد يمتد أثرها إلى ما بعد الطفولة بكثير .

ويلجأ الآباء أحياناً إلى الحل المتاح أمامهم بإخراج أطفالهم للعب مع رفاقهم في **الشارع أو الحارة** أو أخذهم إلى المتنزهات العامة إن وجدت . وخطورة هذا الحل أنه يترك الطفل معلقاً دائماً بين التوفيق والإخفاق سواء في اختيار رفاقه أو في الاستفادة منهم ذهنياً ونفسياً ، كما أنه يضعف من تأثير الوالدين عليه بقدر ما يكسب البيئة الخارجية الجديدة تأثيرها عليه .

مشكلة الثقافة عند الوالدين

ومن المعروف أن الطفل في هذه المرحلة من النمو **يكون محباً للاستطلاع كثير الأسئلة والاستفسار** ، كما أنه **يطلب إجابات واضحة** بحيث إنه يستطيع أن يعيد السؤال بطريقة أخرى إذا أدرك أن أحد والديه لم يجب على سؤاله إجابة مفهومة . كما أنه يكون قادراً على التسلسل المنطقي مع من يحاوره



إلى أن يصل إلى معرفة ما يريد معرفته . **وكثيراً ما يصاب الآباء بالدهشة من غرابة الأسئلة التي يطرحها الطفل عليهم** ، وأحياناً يوفقون في الإجابة وأحياناً يستخدمون لباقتهم للخروج من المأزق الذي وضعهم فيه صغيرهم . والغريب أن الطفل لا يكف عن مطاردتهم بالتساؤلات حتى يصل إلى مرحلة الإنهاك . والسبب أن **الطفل يسأل عن كل شيء ويتخيل أن والديه يعرفان كل شيء، وربما كان تخصص أحدهما بعيداً عن موضوع السؤال فيحاول الهرب منه .** هذا إذا كان الآباء مثقفين ، أما إذا كانوا محدودي الثقافة فإن الطفل كثيراً ما يعاني لتحصيل معرفته . فهو لا يسمع إجابة شافية ، وقد يقابل سؤاله بالزجر والنهر مما يكون له أسوأ الأثر على تكوينه النفسي فيما بعد ، وقد ينتهي به الحال إلى **الإنطواء والإنعزال** والميل إلى **الصمت والتردد** في التعامل والخوف من الناس ، وكثير من الآباء يشعرون بالحرج إذا سأل الطفل مثلاً : **كيف ولدت يا أبي أو يا أمي ؟** وعلى الرغم من أن الآباء يستخدمون الكياسة في الإجابة على مثل هذه التساؤلات ، يجد الطفل نفسه غير مقتنع بما قيل له فيعيد السؤال بشكل آخر : **ومن ولدك يا أمي ؟ أو كيف أصبحت كبيرة هكذا ؟** وإذا وجد الطفل استجابة وتساهلاً من والديه أو أحدهما فإنه يتتبع التطور الطبيعي لسؤاله إلى أن يصل إلى السؤال عن سر الوجود . . إذن **كيف وجدت الدنيا** . . فنقول إن الله أوجدها فيستمر الطفل في تساؤله . وتكون حيرة الطفل شديدة إن لم يجد استجابة من والديه ، وتكون كذلك بداية معاناته .

مشكلة الأطفال المعوقين

ولا تقتصر المشكلات التي يعاني منها الأطفال على ما يمكن أن يدخل تحت صفة « **النمو الطبيعي لعقلية الطفل** » ، فهناك مشكلات أخرى ترتبط بسوء مستوى الخدمات التي تقدم لنوعيات أخرى هي ما اصطلح على تسميته « **الأطفال المعوقين** » ، أو أولئك الذين حرموا من القدرات الطبيعية للطفل كالتخلف العقلي أو الإصابة بأمراض مزمنة كشلل الأطفال أو العمى أوالصمم مثلاً . وعلى الرغم من أن **الدول المتقدمة** التي يعاني بعض أطفالها من مثل هذه المعوقات ، استطاعت أن تجد الحلول التعويضية التي تقدمها لهم بشكل مركز بعد تجميعهم في **مراكز تأهيل** في كل مدينة كبرى على الأقل . ويقوم المسؤولون عن تلك المراكز بإعداد برامج جادة تحت رعاية فريق هائل من الأطباء والباحثين وعلماء النفس ، ويكون الهدف النهائي لهذه البرامج تدريب الأطفال على البديل المناسب للجانب المفتقد عندهم ، والمعالجة النفسية التي تنتهي إلى قبول الطفل لحالته الخاصة دون أن يخالجه أدنى إحساس بالنقص تجاه نفسه أو أقرانه . كما أن الطفل الذي انتهى من مرحلة التأهيل وأصبح قادراً على الخروج إلى المجتمع الكبير لا يكون بحاجة إلى مساعدة الآخرين أو تقبل نظرات الإشفاق والعطف ، فهو يستطيع أن يركب « الأوتوبيس » ويقود سيارته الخاصة ويمارس بعض الألوان الرياضية المناسبة .

وفي بلادنا العربية هناك مراكز تأهيل ، وهناك اهتمام برعاية الأطفال المعوقين ولكن هذا الاهتمام ما زال يسير في خطواته الأولى نظراً لقصور الإمكانات المادية في بعض البلدان وقصور الخبرات المتخصصة في هذا المجال وفي بعضها الآخر ولا بد من أن تنال هذه المراكز رعاية خاصة لتتمكن من تأدية رسالتها الجليلة في جعل المجتمع مجتمعاً بلا عقد .



مشكلة الأطفال الجانحين

وتتمثل خطورة **جنوح الأطفال** في عنصرين اثنين :

- أولهما أن جنوح الطفل دليل على فساد البيئة التي يعيش فيها سواء كانت الأسرة أو المجتمع .
- **وثانيهما** أن جنوح الطفل يمثل فيما يمثل خسارة الوطن لقطعة من المستقبل يمثلها الطفل أو المجموعة الجانحة .

ويعود السبب في جنوح الأطفال إلى عوامل كثيرة تختلف باختلاف الظروف الخاصة بكل مجتمع ، وإن كان علماء النفس يركزون الاهتمام بالعامل الاقتصادي ، الذي يعبر عنه عجز الآباء في بعض المجتمعات عن تلبية احتياجات أبنائهم أو الحد الأدنى منها ، فيجد الطفل الحل البديل وهو **السرقة** مثلاً ، أو **العنف في تعامله** مع أقرانه . ولكن العامل الاقتصادي الذي يهتم به الكثير من الباحثين في دوافع السلوك عند الطفل ، قد لا يكون على هذه الأهمية التي سبقت الإشارة إليها . ذلك أن جنوح الأطفال إنما يكون أساساً لعيب كامن في **البيت** ، والبيت هو الدعامة الأولى الأساسية في تكوين شخصية الطفل وسلوكه ، **فإذا نشأ الطفل في بيت بلا قيم ، بيت لا يستنكر الشر ويقبحه ، بيت لا يفرق بين الحق والباطل ، والخير والشر ، بيت لا تعرف الفضيلة مكانها بين أفراده ، فكيف يكون طفلاً سوياً ؟** إنه بلا شك سيبدأ - وبدون وعي - الطريق إلى **السقوط. وهنا لا بد من التذكير بأهمية غرس القيم الدينية** في قلب الطفل منذ حداثة أظفاره ، فهي العاصم الذي يصونه من الزلل إذا خرج من مجتمعه الصغير أو الأسرة إلى المجتمع الكبير في المدرسة والشارع والنادي . كما يجب دعم الاصلاحيات ومراكز العلاج النفسي ، مادياً وثقافياً ، باختيار نوعيات خاصة من الاصلاحيين المؤهلين لتأدية هذا الدور الخطير .

ماذا قدمنا للأطفال ؟

هناك الكثير من الآباء ينظرون إلى أطفالهم على أنهم رجال صغار أو نساء صغيرات ، وربما تكون هذه النظرة أسوأ ما يسقط فيه الكبار لأنهم لن يستطيعوا بواسطتها أن يقيموا جسراً من التفاهم بينهم وبين صغارهم ، كما أنهم يزيدون الشقة حفراً ، فالطفل عالم مستقل والطفولة مرحلة مختلفة تماماً عن الشباب والرجولة ، وقد اكتشف الباحثون والأدباء وعلماء نفس الطفل هذه الحقائق وبدأت مرحلة التعامل الجديدة على أساسها ، فقدموا للطفل الكثير . . . **القصص المصورة والمجسمة والموسيقية ، الأفلام والرسوم المتحركة ، ومسرح العرائس ، والأسطوانات الخاصة بالأطفال** ، وتتضمن الأغاني **والقصص المسموعة والموسيق ، الألعاب المتنوعة** ، التي تبدأ بالألعاب اليدوية البسيطة وتنتهي بالألعاب الذهنية كالمكعبات والمعياري والميكانيكي وغيرها من الألعاب التي تستهدف تنمية قدرات الطفل وتوسيع مداركه . وهذه الأشياء تنتج بعد دراسات دقيقة يقوم بها المتخصصون لمعرفة جدواها من ناحية وتأثيرها الايجابي أو السلبي من ناحية اخرى .

أدب الطفل

وإذا تتبعنا مسار الاهتمام بالطفل في بلادنا العربية نجد أنه يتمثل بالإضافة إلى الجوانب التي سبقت الإشارة إليها سواء لرعاية الأطفال المعوقين في مراكز التأهيل ، أو الأطفال الطبيعيين في دور الحضانة والأمومة أو الأطفال الجانحين في مراكز الرعاية والاصلاحيات ، نجد أن الاهتمام بتأليف **أدب خاص للأطفال** كان من أهم ما تميز به الاهتمام بالطفل والطفولة . وقد كانت هناك محاولات رائدة في هذا المجال قدمها « **كامل الكيلاني** » ، ولكن هذه المحاولات التي تمثل البدايات المعقولة لأدب الأطفال لم تستمر بعد الكيلاني لأسباب كثيرة تحتاج حديثاً منفصلاً . كما أن العديد من دور النشر في معظم البلاد العربية قد ساهمت في إثراء الطفل بمجموعات كثيرة من الكتب ذات الإخراج الجيد ، ومع ذلك يحتاج الأمر إلى نظرة فاحصة تضع في الاعتبار ما هو موجود بالفعل من إنتاج ، وما يجب أن يكون موجوداً . ما نقدمه لأطفالنا ، وما يقدمه غيرنا لأطفالهم لنصل في النهاية إلى رؤية سليمة لموقفنا على خريطة الاهتمام والمهتمين بأمور الطفل في العالم ، ونستدرك سلبياتنا في هذا المجال ، وتطور ايجابياتنا فيه .





★ . . والكتب تفتح أمامهم مجالات من المعرفة والتعرف على العالم من حولهم ★

قصص الحيوان

وتمثل القصص التي تحكى على لسان الحيوانات القاسم المشترك الأعظم في مجموع القصص التي تقدم للأطفال باللغة العربية ، وهي تقدم نماذج من حياة الحيوان وطبيعة العلاقات بين أنواعها المختلفة ، ومحاولات التكيف بين بعضها والبعض الآخر ، وبينها وبين البيئة المشتركة التي تتعايش فيها ، وسلوك ضعاف الحيوانات للنجاة والسلامة من سادة الغابة وكبارها ، ومحاولات الحيوانات الكبيرة للقنص . . الخ .

هي حكايات تستهدف التعليم والتوجيه وإعطاء المثل على حب الجماعة أو التصرف في المواقف الحرجة ، فضلاً عن التثقيف وتوسيع مدارك الطفل بإطلاعه على المخلوقات الأخرى التي تعيش معه على هذا الكوكب .

كليلة ودمنة

ولعل هذا الاتجاه في التوجيه والاهتمام للأطفال لا يمثل اكتشافاً حديثاً ، فهو يضرب بجذوره في الماضي السحيق حتى يصل إلى القرن الهجري الثاني وبدايات القرن الهجري الثالث ، عندما قدم **عبد الله بن المقفع** كتابه الممتع « **كليلة ودمنة** » الذي ترجمه عن **الفارسية** ، ويقال إن أصل الكتاب هندي كتبه أحد حكماء الهند ، لا للأطفال ، ولكن للكبار من الولاة والحكام بالشكل الذي كان يمكن أن يكون مقبولا في عهده ، وهو القصص على لسان الحيوان .

وسواء كان الكتاب للكبار ، أو للكبار والصغار ، فإن كليلة ودمنة ، إنما حكى قصص الحيوان وفقاً للطبيعة التي تميز بها الحيوان ، ولم يفرض على الحيوان طبيعة البشر ، وهي نقطة ها[illegible] في المقارنة بين كليلة ودمنة وعظم ما يقدم الآن من حكايات على لسان الحيوان .

القرد وبائع الطرابيش

ولتوضيح الفرق بين استلهام طبيعة الحيوان ، وفرض سلوك البشر على نماذج حيوانية نسوق مثلين :

● **أولهما** : يبين النمط الأول في الكتابة وهو تلك الحكاية الشهيرة عن **بائع الطرابيش** الذي ذهب ليستريح تحت شجرة الجوز فأغفى إغفاءة قصيرة استيقظ بعدها فلم يجد طرابيشه إذ كان بأعلى الشجرة مجموعة من القردة أعجبها الطربوش الذي يضعه البائع على رأسه فهبطت إلى طرابيشه وأخذ كل قرد طربوشاً وصعد فوق الشجرة . ولم يجد البائع حلاً سوى الاستعانة بخبرته في معرفة طبيعة القردة ، فخلع طربوشه وأوهمهم أنه يرميهم به ، فخلع بالتالي كل قرد طربوشه ورمى به بائع الطرابيش . هكذا استطاع الرجل أن يستعيد طرابيشه ويرحل .

وما يمكن أن نأخذه من هذه القصة كثير فهو يطلعنا على حقيقة سلوك القردة وميلهم إلى التقليد ، بحيث أن ما فعلته بالطرابيش يتمشى مع طبيعتها ، كما أن استرداد الطرابيش قد تم بطريقة مقنعة وطبيعية . هذا بالإضافة إلى ما تحمله القصة من تسلية وتثقيف بشكل غير خطابي أو مباشر .

● أما **المثل الثاني** وهو الذي يمثل محاولات غير موفقة لفرض سلوك البشر على نماذج حيوانية فيمكن أن يدل عليه تلك القصة التي تصور مجتمعاً حيوانياً في مزرعة يتكون من **كلب وبطة ودجاجة وقط**، وقد أراد الأصدقاء الثلاثة أن يحتفلوا بعيد ميلاد صديقهم الرابع « الكلب » ، وبدأ كل حيوان يعرض وجهة نظره في طريقة الاحتفال ، واتفقوا أخيراً على اقتراح الدجاجة الذي يقضي بعمل قالب حلوى يضعون فيه **الشموع** ليطفئها الكلب في ليلة عيد ميلاده .

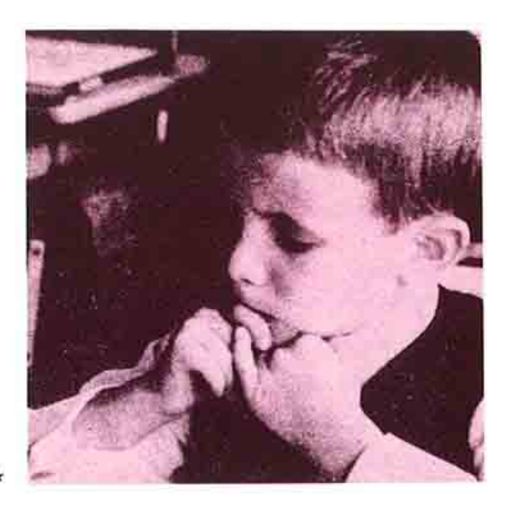
وعلى الرغم مما قد تحمله الحكاية من دلالة رمزية ترمي إلى تنمية روح التعاون ، وحب الجماعة والأصدقاء ، تبقى فكرة فرض سلوك البشر على الحيوان مسيطرة ، ذلك أن الحيوانات لا تحتفل بعيد ميلادها ، كما أن عمل الحلوى ليس من وظائف الحيوان . وهكذا نجد أننا قدنا للطفل معلومات خاطئة في مرحلة ينطبع فيها على ذهنه كل ما يقدم إليه من معلومات يصعب تغييرها أو محوها فيما بعد .

قصص الساحرات

وهناك نموذج آخر من القصص التي تقدم للأطفال باللغة العربية هي**قصص الساحرات** اللاتي يعشن بعيداً عن عالمنا ويمكنهن الحضور في أي وقت وعلى أية هيئة لايذاء الأطفال الذين لا يسمعون كلام آبائهم . فتارة تتقمص الساحرة هيئة **طائر جميل** ، وتارة تتقمص هيئة **عجوز حكيم** ، وتارة تأخذ شكلاً مخيفاً . وهن قادرات على فعل الكثير من الأمور مهما كان صعباً بأدنى جهد ممكن . هذه القصص التي يمكن أن تدخل تحت ما يسمى « **القصص الخرافية** » تؤدي دوراً عكسياً تماماً ، وتضر بعقلية الطفل ضرراً بالغاً . فهي تقدم له معلومات خاطئة وغير ممكنة التحقيق ، كما أنها تجعل الطفل يعيش في عالم وهمي بعيد كل البعد عما يعد له في مستقبله ، وكذلك تبعث في الطفل **الخوف** الذي يؤدي إلى **الجبن** نتيجة ذوبان الأشياء والمخلوقات وضياع ملامحها المتميزة . فإذا رأى طائراً لن يستطيع أن يعرف إن كان حقيقياً أو مسحوراً ، وهذه تولد بالتالي الريبة والشك فما يراه من حوله . وقد ينمو هذا الإحساس الخطير في نفسه ، وقد يصاحبه في مستقبل حياته .

أهمية التخيل ومساوئه

ومن المعروف أن معظم الأنماط التي سبقت الإشارة إليها من حكايات على لسان الحيوان أو قصص السحرة والقصص الخرافية بشكل عام ، إنما ترمي إلى تسلية الطفل وتوسيع مداركه بإعطائه فرصة أرحب للمعرفة . وإذا كان العالم الواقعي مهما اتسع محدود ، فعالم الخيال لا حدود له ، وهذا رأي معقول ومفيد لولا أن وسائله التي يقدم من خلالها إلى أطفالنا غير مفيدة إن لم تكن ضارة .



★ طفل في لحظة شرود ★

ولكي نعرف الفرق بين ما يقدم لأطفالنا وما يقدم لأطفال غيرنا في **اللغات الأوروبية** نسوق بعض النماذج التي تحدد الفرق بين نظرتنا إلى الطفل ونظرتهم إليه ، وبين ما نقدمه لأطفالنا ، وما يقدمونه لأطفالهم . **أول هذه الفروق** أن المسؤولين عن تثقيف الطفل هناك يقدمون له **القصص الواقعية التعليمية** .. كيف تأكل ، كيف تجلس على المائدة ، كيف تمسك الشوكة والسكين ، كيف تتعامل مع الحيوانات المنزلية كالقط والكلب ، كيف تتعامل مع الأثاث في بيتك ... الخ ، هذه القصص التعليمية التي تعطي الطفل الإحساس الحضاري والإنتماء للبيئة التي يعيش فيها .

وثاني هذه الفروق أن ما يقدم له من قصص تخيلية يقوم أساساً على غرس **فكرة المغامرة** في نفس الطفل ابتداء من المغامرات البسيطة ، كرحلة في بحيرة يكتشف فيها الأسماك والحيوانات البحرية ، أو رحلة في نهر أو زيارة حديقة أو أثر هام .. إلى جانب المغامرات الكبيرة التي يكون هدفها غرس الشجاعة في الطفل كالتزلج على الجليد أو الماء ، والرياضة الصعبة كالقفز على الحصان وتسلق الجبال ، أو الرحلات في الأماكن الوعرة كالسفر في الصحراء أو في أعالي البحار واكتشاف بلاد أخرى وشعوب مختلفة .

وهناك اتجاه آخر يرمي إلى توسيع مدارك الطفل بتعريفه بالعالم الذي يعيش فيه بكتابات مصورة ومبسطة . وأصحاب هذا الرأي يفضلون الحقائق العلمية على الخيال ويرون أن الواقع أروع من التخيل . وفي هذا الاتجاه نجد كتب ذات إخراج جميل عن **عالم البحار والمخلوقات التي تعيش فيه** وأنواعها في إطار مشوق جميل . **أو الغابات** في العالم ابتداء من **إفريقيا إلى آسيا وأوروبا والأمريكتين ، وحيوانات القطب الشمالي .** ومما لا شك فيه أن اطلاع الطفل على هذه المعلومات الفياضة يؤدي دوره في تنمية معارفه ويعطيه المقدرة على إدراك وجوده وموقعه من العالم بشكل ما ، بالإضافة إلى أنه يجعله يقف على أرضية صلبة أساسها « **المعرفة** » **لا** « **الوهم** » ، ونحن بحاجة إلى تضافر الجهود في سبيل تحقيق هذا الهدف النبيل وهو **أن الطفولة الصحيحة هي أقصر الطرق لمستقبل سعيد** . وإذا كانت المهمة صعبة وتحتاج إلى جيش من الباحثين والعلماء ، فإن الهيئات الإقليمية المتفرعة من منظمة « **اليونسكو** » أو « **الجامعة العربية** » ، يمكن أن تتبنى الاهتمام والتمويل لمثل هذه المشروعات الهامة الضخمة ، فنضمن بذلك أن عقول العلماء والباحثين العرب ، كل العرب ، تفيد أطفال العرب .. كل العرب .



من البلورة المسحورة إلى الشاشة الساحرة

ربما يكون طفل اليوم يعيش طفولة أزهى من طفل الأمس بفضل المعطيات الترفيهية الكثيرة التي سبقت الإشارة إلى بعضها ، ونضيف إليها الآن الشاشة الساحرة أو **التليفزيون** ، ولا شك أن الصورة المتحركة الملونة ، والإمكانات الفائقة التي تتيحها البرامج التليفزيونية المنوعة تنقل للطفل كل ما يمكن نقله بالكاميرا التسجيلية والإبداعية وتشد انتباه الطفل ساعات طويلة . بينما كان طفل الأمس يعيش في عصر « **القرجوز** » أو (**الأراجوز**) ، **وخيال الظل ، وصندوق الدنيا والبلورة المسحورة** ، وهي وسائل متواضعة إذا قيست بوسائل العصر من **سينما وتليفزيون** . كما أنها تعتمد على مجهودات شخصية لأفراد ذوي ثقافة محدودة . ولا شك أن البطل في عصر صندوق الدنيا والبلورة المسحورة ، وهو بطل الملاحم الشعبية مثل « **أبو زيد الهلالي** » و« **عنترة** » و« **الزناتي خليفة** » ، كان يعطي للطفل نمطاً واحداً للبطولة هو **البطولة العسكرية** التي تقوم على قوة بطل الملحمة وقدراته الخارقة . أما البطولة في العصر الحديث فإنها تتنوع بتنوع الموضوعات والمجالات المختلفة للتصوير . ومع ذلك فإن وسائل الترفيه في العصور الخالية كانت تقدم للطفل في جرعات محدودة ، وعلى فترات متباعدة فتعطي للطفل الفرصة لاستيعاب ما رآه على عكس ما يقدم الآن فالبرامج متتابعة ومشوقة إلى درجة أن الطفل يظل مسلوب الإرادة طوال فترات الارسال تقريباً فيما عدا ما يقدم من برامج قد لا تكون جذابة أو مشوقة إليه .

أثر التليفزيون على الطفل

وتتمثل **خطورة التليفزيون على الطفل** في عدة نقاط ، ولكن الخطر ما يمثله التليفزيون هو أن الآباء كثيراً ما يشعرون بالراحة والرضا من بعد أطفالهم عن مشاكستهم وانشغالهم بمشاهدة برامج التليفزيون . **وعلى الآباء أن يدركوا أن انصراف أطفالهم إلى رؤية البرامج باستمرار يؤدي** إلى استلاب قدراتهم الأخرى وتنشئتهم نشأة سلبية .

وللتلفزيون مساوىء أخرى إذا أسيء اختيار البرامج الموجهة للأطفال ، **ولا جدال في أن واضع خريطة البرامج التليفزيونية يكون دائماً في موقف حرج لأنه يسعى إلى إرضاء المشاهدين على اختلاف أعمارهم ومشاربهم . كما أن عدم الاهتمام بتحديد مواعيد مبكرة للنوم عند الأطفال يجعلهم يشاهدون برامج وأفلام قد لا تكون مناسبة لأعمارهم .**

ولكننا نتحدث عن التليفزيون في إطار ما يقدمه للأطفال ، ومن المعروف أن الطفل يتمثل ما يراه على الشاشة الصغيرة ، وخاصة فيما يتعلق بأفلام الأبطال ، وكثيراً ما تحدق الأخطار بالأطفال لأنهم لم يعرفوا الحدود الدقيقة بين الخيال والواقع ، ولم يعرفوا مقدار الخيال فيما يقدم لهم ومقدار الواقع فيه ، ولنأخذ مثلين مما يقدمه التليفزيون ، أحدهما للأطفال ، والآخر للكبار ، وإن كان أكثر من يشاهد من الأطفال كذلك . الأول هو مسلسلات « **كنج كونج** » والآخر « **رجل الستة ملايين دولار** » . والطفل يسأل كثيراً ويقارن ويطلب إجابات لما يراه . كيف يحمل « كنج كونج » الجسر بيديه ؟ كيف يرفع السفينة ؟ كيف يقفز « ستيف أوستن » هذه المسافات العالية ؟ أيهما أقوى .. « كنج كونج » أم « ستيف أوستن » . أسئلة كثيرة يطرحها الطفل ويبحث عن إجاباتها ، وهذا من حقه . فإن وجد من يحسن الإجابة قنع وإن لم يجده راح يبحث بنفسه عنها ، وقد يقوده البحث إلى تمثيل نمطه المحبب فيقع في المحظور ويتعرض للخطر . وفي هذا الصدد يجب ألا يكتفي المسؤولون عن التليفزيون بتقديم الأفلام والبرامج ، وإنما يتعين عليهم أن يفهموا الأطفال أن ما يروه غير حقيقي ، إما في ندوات توجيهه أو بصياغة خاصة لبرامج الأطفال .

أفلام الرعب

وعلى الرغم من أن بعض الأبحاث التي قامت على الاستقراء قد أظهرت أن الكثير من البرامج لا ينفع ولا يضر إلا أن الثابت عكس ذلك تماماً . فإذا كانت بعض البرامج لا تنفع الطفل وهذا محتمل فبعضها الآخر ضار وهذا أكيد ، ولنأخذ على ذلك عدة شرائح من البرامج والأفلام الدرامية والرياضية وأفلام الإثارة التي تقوم على بعض المسائل المتعلقة بعلم النفس . الكثير من البرامج الرياضية مسل كما أنه يعطي الطفل خبرات جديدة ، ولكن **برامج العنف كالمصارعة والملاكمة تضر الطفل لأنه سيحاول تقليدها ولأنه كذلك سيشعر بالجانب الوحشي في الإنسان وهو في مرحلة النمو الأولى التي يجد فيها الحنان والتدليل** ، وسيفكر وربما سأل عن أيهما الحق .. ما يراه في بيته أو ما يراه على شاشة التليفزيون ، وهي أمور تؤدي تفاعلاتها إلى نشوء متاعب كثيرة ربما تنتهي إلى حالات **انفصام الشخصية** .

وفي حقل الدراما هناك الكثير من الأفلام المفيدة للطفل ، وهي تلك التي تغرس في نفسه قيم الحق والخير ، وبعض هذه الأفلام التي تناقش موضوعات خاصة بالكبار وغالباً ما تكون مليئة بالمشاهد التي تتميز بالصراع العاطفي ، تحدث انطباعات عميقة ، وربما سيئة ، عن حياة الكبار ، وتدفع الطفل إلى حالات من النضج المبكر يؤدي إلى الحيرة وعدم الثقة بالكبار ، **وأما الأفلام التي تقوم على الإثارة النفسية** ، كمعالجة حالات الاضطراب النفسي الذي يؤدي بصاحبه إلى النزوع إلى العنف أو الجريمة ، فإنه يؤثر تأثيراً سيئاً على الطفل ، فضلاً عن أنه يحدث تأثيراً ضاراً على جهازه العصبي .

مسرح الأطفال

إن الاهتمام بالطفل أصبح اهتماماً عاماً تعترف به جميع الأوساط الثقافية ويدعو إليه الكثير من المثقفين ، ومع ذلك فإننا لم نجد أياً من أدبائنا الكبار .. على امتداد وطننا العربي الكبير من يهتم بالكتابة للأطفال ، مع أن كثيراً من كبار الأدباء العالميين قد قدم للأطفال العديد من القصص والحكايات ، وأظن أن **ليو تولستوي** مثال لهؤلاء الأدباء ، وفيما عدا محاولات **توفيق الحكيم** المتأخرة جداً والمكتوبة للأطفال فوق الثامنة من العمر ، لا نجد شيئاً من هذه الألوان الأدبية .

إن الأطفال ليسوا في حاجة إلى أدب يكتبه لهم كبار الأدباء فحسب ، بل إنهم في حاجة إلى مسرح للطفل ، فالمسرح هو الحل الوحيد لإخراج الطفل من الانكماش ساعات طويلة أمام **الفيديو بالتليفزيون** . كما أن الطفل بحاجة إلى من يعطيه الاهتمام فيشركه في أداء بعض الأعمال البسيطة التي يمكن أن تساعده على أن يكون ايجابياً وفعالا . ولا شك أن الاهتمام بالطفل لا يعني دائماً دفع الكثير من المال في سبيل إنشاء **مراكز رعاية** فاخرة ، ولكنه يعني أولا وقبل كل شيء بذل الجهد الذهني الكبير لفهم سلوك الطفل وعقليته وتقديم أفضل الخدمات وأنسبها عقلية وترفيهية وتثقيفية وتربوية ورياضية . فالطفل هو المستقبل الذي نصنعه بأيدينا في اللحظة الراهنة .



شركة الطباعة العربية السعودية ذات مسؤولية محدودة

SAUDI ARABIAN PRINTING COMPANY LTD

صندوق بريد ٦٤٦٣ الرياض المملكة العربية السعودية هاتف ٦١١٤١ تلكس ٢٠٢١١٧

Post Office Box 6463 Riyadh The Kingdom of Saudi Arabia Telephone 61141 Telex 202117 Sprint SJ

Printing is our business and we pride ourselves in being good at it! Be the job large or small, we can produce it with the highest possible degree of quality and speed as we have the range of modern equipment and machinery to do so.

الطباعة هي عملنا ونفتخر بأننا نتقنها . وسواء كانت الكمية التي نطبعها صغيرة أم كبيرة ، فإننا ـ بما لدينا من خبرة في هذا المجال ـ نستطيع أن ننتجها بأعلى درجة ممكنة من الجودة بفضل تجهيزاتنا الحديثة والمؤهلة لمثل هذه الأعمال .



بريطانيا: دولة مختلفة عن غيرها من الدول

تحظى بريطانيا بكثير من المزايا الرائعة من الناحية السياحية كدولة يتقاطر اليها السياح لقضاء اجازاتهم. ولا يستطيع المرء ان يصفها بانها دولة مترامية الاطراف حيث ان التنقل داخلها من منطقة لاخرى لا يستغرق وقتا كبيرا. انها بلاد تزخر بالمناظر الطبيعية الخلابة بحيث انك تستطيع ان تتنقل مئات الاميال ولا ترى نفس النمط المعماري أو نفس المنظر الطبيعي بل ترى العديد من تلك الانماط والمناظر المتباينة والشيقة.

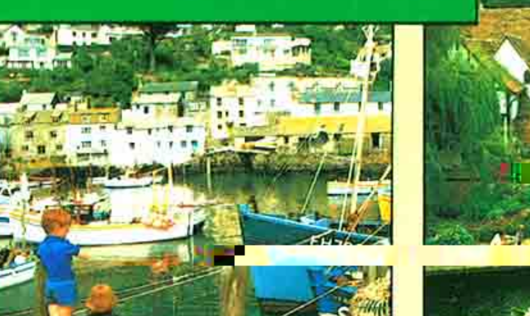
ولا شك ان لندن تعتبر موضع اهتمام الزوار العرب وغيرهم اكثر من غيرها. غير ان اقبال السياح على المناطق الاخرى داخل بريطانيا بدأ يزداد في الآونة الاخيرة حيث يريدون اكتشاف منطقة الهايلاندز (الهضاب) في اسكتلندة او جبال ويلز ووديانها او المدن الانجليزية العريقة والتاريخية او الغابات والمتنزهات الاهلية او القصور والقلاع والمنازل التاريخية او القرى الهادئة والسواحل ذات المناظر المتباينة.

ان لندن ليست سوى جزء من بريطانيا: ويمكن للزائرين ان يجدوا ما يروح عن انفسهم وان يستمتعوا بالمناظر الرائعة والتجارب الشيقة على بعد عدة اميال من العاصمة البريطانية.

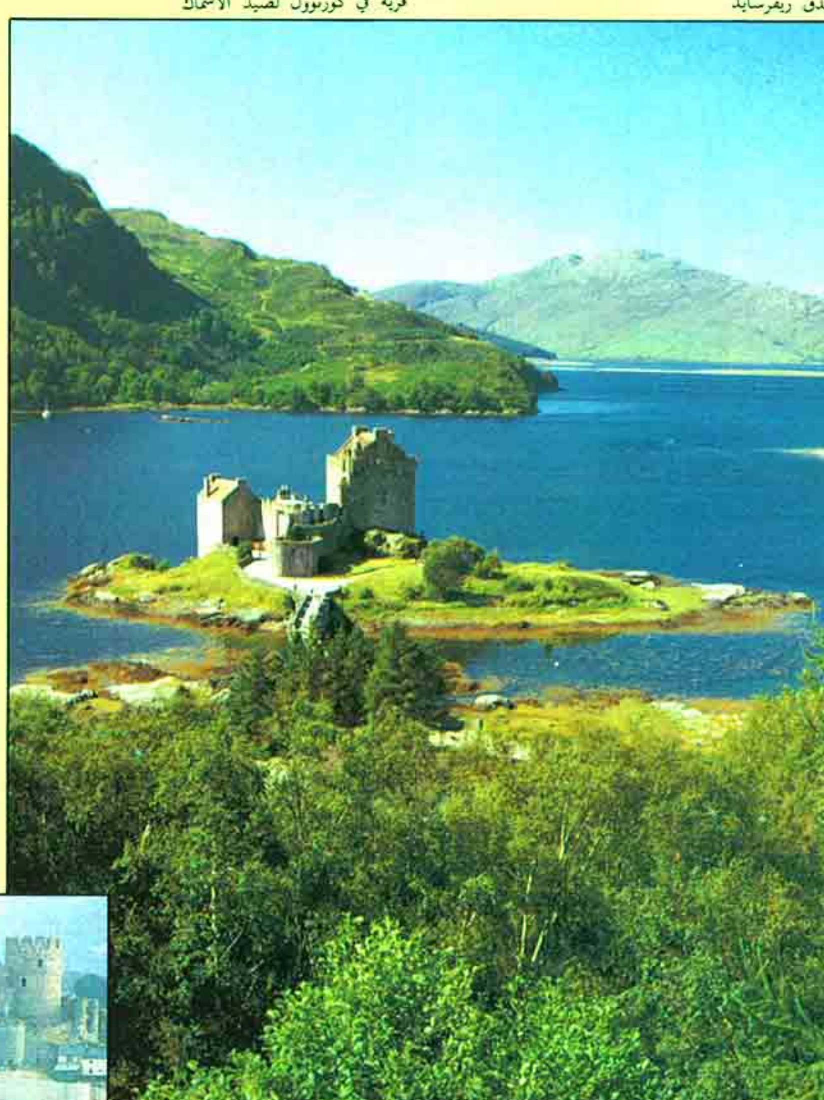
وسرعان ما يجد الزائر ان التنقل داخل بريطانيا غاية في البساطة. صحيح ان حركة المرور في لندن تعاني احيانا من الازدحام الشديد، ولكن شبكة الطرق المخصصة للسيارات تساعدك دون شك على الوصول الى المنطقة التي تريد زيارتها او اكتشافها اذا استأجرت سيارة سواء لقيادتها بنفسك او مع سائقها. وتعتبر مسألة الاستئجار مسألة بسيطة وسهلة. ان السكك الحديدية في بريطانيا تتميز بالكفاءة وتستطيع ان تصل الى الجهة التي تريد زيارتها براحة وسهولة نتيجة الخدمات الممتازة المعروفة باسم انتر - سيتي (خدمات التنقل بين المدن البريطانية).

اضف الى ذلك انك تستطيع ان تتخذ الترتيبات الملائمة بحيث تنتظرك السيارة التي تستأجرها عند المحطة.

وفي القطار تستطيع ان تتناول طعام الفطور او الغداء او العشاء اثناء رحلتك الى ادنبره (٦٣٠ كيلومتراً في خمس ساعات تقريبا) او الى كارديف (٢٣٠ كيلومتراً في ساعتين وخمس دقائق) او الى مدينة يورك التاريخية (٣٠٠ كيلومتراً في ساعتين وعشر دقائق). كما توجد ايضا خدمات جوية منتظمة بين لندن والمدن الكبرى داخل المملكة المتحدة.


قرية في كورنوول لصيد الاسماك


فندق ريفرسايد


ايليان دونان كاسل على الساحل الغربي لاسكتلندة ومناظره الجميلة

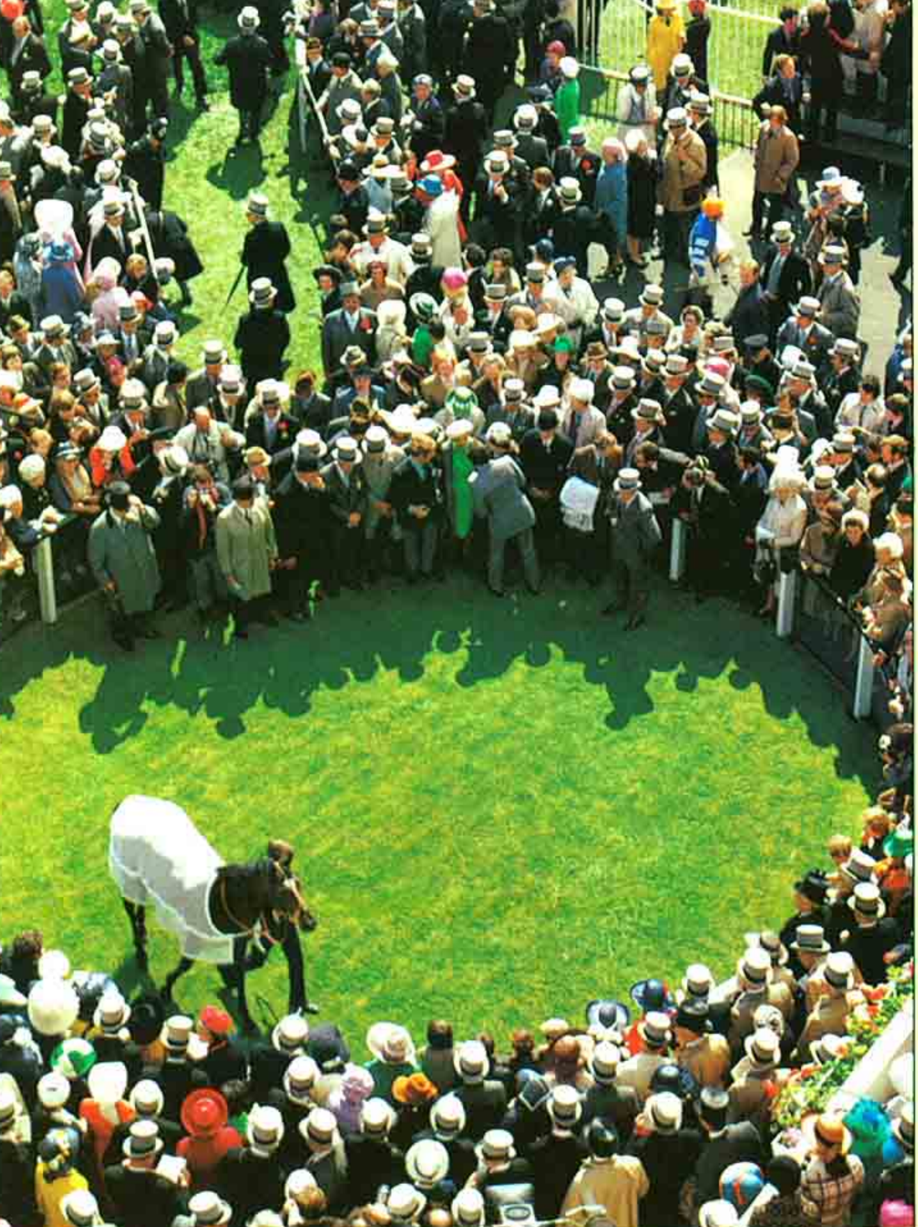

كونوي كاسل في شمالي ويلز

ويجب الا يكون التسوق مقصورا على لندن دون غيرها من المدن . ان كثيرا من كبريات المحلات التجارية اللندنية يوجد لها فروع في المدن الكبيرة الاخرى وذلك الى جانب المحلات التجارية الصغيرة الاخرى التي يتقاطر اليها الزوار لشراء الهدايا التذكارية او الملابس او التحف الاثرية .

ان اسكتلندة تشتهر بحق بمناظرها الطبيعية الخلابة وجبالها وبحيراتها (ويطلق عليها كلمة « لوخ » في تلك الاصقاع) وكذلك الانهار والقصور التاريخية الى جانب ما يشتهر به الاسكتلنديون من العادات والتقاليد والزي الوطني والمزامير والجولف وصيد السمك . كما ان اسكتلندة تلائم بصفة خاصة الزوار او المتسوقين الذين يبحثون عن الملابس الاسكتلندية المطرزة وغيرها من المنتجات مثل قماش الطرطان (وهو قماش من الصوف مقلم بخطوط مختلفة الالوان على زوايا قائمة) والآنية والمجوهرات . وهناك المحلات التجارية المتخصصة والتي تعرض افضل المنتجات مثل ملابس السهرة والكشمير وغير ذلك من المنتجات الشهيرة من نوع « شيتلاند » و « فير آيل » سواء في القرى الصغيرة او في مدينة ادنبره الجميلة . اما الشوارع الهادئة في ادنبره ومراكز التسوق في « بيرث » او انفرنيس او « ابردين » فهي ملتقى المتسوقين الذين يسعون الى شراء التحف الاثرية .

وفي ويلز - الامارة الجميلة والشهيرة - يستطيع السياح شراء المنتجات او السلع التقليدية حيث تزدهر الحرف العريقة مثل النسيج والآنية وغيرها ، وتوجد كثير من المصانع التي ترحب بالزوار . وتشتهر ويلز بمناظرها الطبيعية الجميلة مثل الجبال الشاهقة والوديان الخضراء الساحرة وان كانت تختلف عن اسكتلندة . واذا كانت اسرتك ترافقك فان اطفالك سيستمتعون دون شك بالتجارب المثيرة مثل ركوب القطارات البخارية التي كانت تستخدم في الماضي للاغراض المتعلقة بنقل الاردواز والخشب والمعدن الخام من التلال الى الساحل وتخترق المناطق الريفية في ويلز .

وفي انجلترة ايضا توجد الى جانب لندن كثير من المدن التي تحظى باهتمام الزوار . توجد على سبيل المثال وندسور التي تشتهر بقصرها الهائل والتي تبعد غربا بحوالي ٣٥ كيلومترا ويمكن زيارتها في حدود يوم واحد . ويمكن ادراج هذه الزيارة ضمن رحلة اكبر على طول وادي التيمز الذي يتميز بالخضرة والسحر والجمال ، حيث يمكنك ان تكتشف في نفسه القرى النائية والاصيلة (حيث يوجد مزيد من المحلات التي تشتري منها التحف الاثرية وحيث توجد بعض المطاعم الممتازة) . كما يمكنك التوقف في اكسفورد - وهي لا تعتبر مجرد مدينة جامعية - في طريقك الى مدينة باث والى تلال كوتسوولد هيلز . وحول هذه التلال توجد بعض القرى الرائعة في بريطانيا والفنادق الراقية والمطاعم الممتازة وعدد من المحلات التجارية الصغيرة والباهرة .



مهرجان داربي في ابسوم بالقرب من لندن







توجد في بريطانيا فرص التسوق الممتازة بما في ذلك الفضيات والتحف الفنية

واذا اتجهت شمالا تجد المدن التاريخية مثل تشيستر ويورك ويرجع تاريخ كل منهما الى العصور الوسطى وتوجد بهما مراكز تسوق عظيمة ـ هذا فضلا عن مظاهر الفن المعماري الرائع والمناطق السياحية التي تشتهر بها المدينتان .

وحيثما وجدت في بريطانيا فانك تجد عن كثب كثيرا من المظاهر الحضارية المتنوعة والاحداث الرياضية التي كنت غالبا ما تسمع عنها مثل سباق الخيل . ويوجد في بريطانيا أكثر من ٥٠٠ سباق سنوي ، وهناك موسم يمتد على مدار السنة وهو موسم الصيد السنوي الذي يبدأ من يوليو حتى الربيع التالي ويتواقت جزئيا مع موسم آخر من اواخر مارس حتى نوفمبر .

ويعرف سباق الخيل في بريطانيا بـ « رياضة الملوك » وتواصل الملكة اليزابيث الثانية هذه التقاليد الملكية العريقة بمعنى انها تمتلك الجياد ولديها خبرة ومعرفة واسعة عن مضمار الخيل وشؤونها . وبينما تعقد معظم المهرجانات الرياضية على بعد عدة اميال من لندن ـ على سبيل المثال داربي ورويال أسكوت ـ الا ان معظم السباق يجري على مضامير بين المناظر الطبيعية الجميلة . وبالقرب منها توجد الفنادق الريفية الممتازة . وكثير من هذه الفنادق كانت في السابق منازل ريفية من النوع الراقي ويرجع تاريخها الى عدة قرون من الزمان وتتميز عن غيرها من الفنادق الدولية الكبرى بالخدمة الشخصية الودية كما انها تقدم طعاما فاخرا .

وكما هناك الفنادق المريحة في مختلف بريطانيا هناك ايضا كثير من المنازل والقصور التاريخية المفتوحة للجمهور . وبالقرب من كل مدينة من المدن الكبرى يوجد عدد من هذه القصور وبعضها لا يزال محتفظا به رغم قدمه وكونه مهجورا لا يسكنه احد ، بينما توجد قصور فخمة ما زالت تقطنها نفس الاسرة التي اقامت بها منذ مئات السنين . وتوجد الى جانب ذلك قصور اقطاعية كان يملكها السادة الاقطاعيون في [illegible]

وبعض البيوت التاريخية تمتلكها هيئة ناشنال تراست (الائتمان القومي للمحافظة على التراث) او تمتلكها الدولة ، بينما يوجد عدد آخر من البيوت المملوكة من قبل الافراد . وهي تنطوي جميعها على اهمية خاصة لان وجودها يتيح المجال للزوار والسياح لقضاء يوم جميل لزيارتها من قبل جميع افراد الاسرة . اضف الى ذلك ما تتميز به من المناظر المعمارية الرائعة والحدائق المنسقة والمنتزهات الفسيحة كما انها تشمل الاثاث الفاخر واللوحات الفنية النادرة والخزف الصيني وما الى ذلك .

وينطوي بعضها على عدد من المزايا الجانبية مثل قصر « لونجليت هاوس » بالقرب من « باث » و « ووبرن آبي » على بعد ٧٥ كيلومترا شمال لندن حيث يمكنك التجول بسيارتك داخل حدائق السفاري . وفي « بوليو » على بعد ٨٦ ميلا الى الجنوب الغربي من لندن في نيوفوريست (الغابة الجديدة) يقوم

لافنهام (مدينة تاريخية) يسهل الوصول اليها من لندن

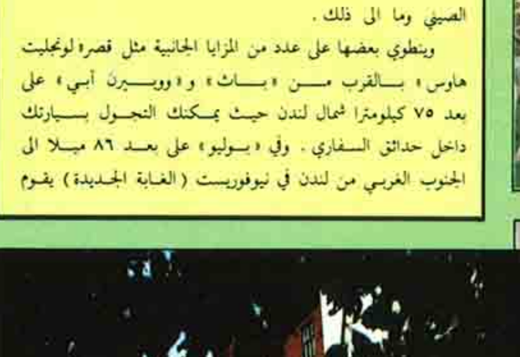
شاهد الحيوانات في منتزه لونجليت وايلدلايف



مملكة ووبرن للحيوانات



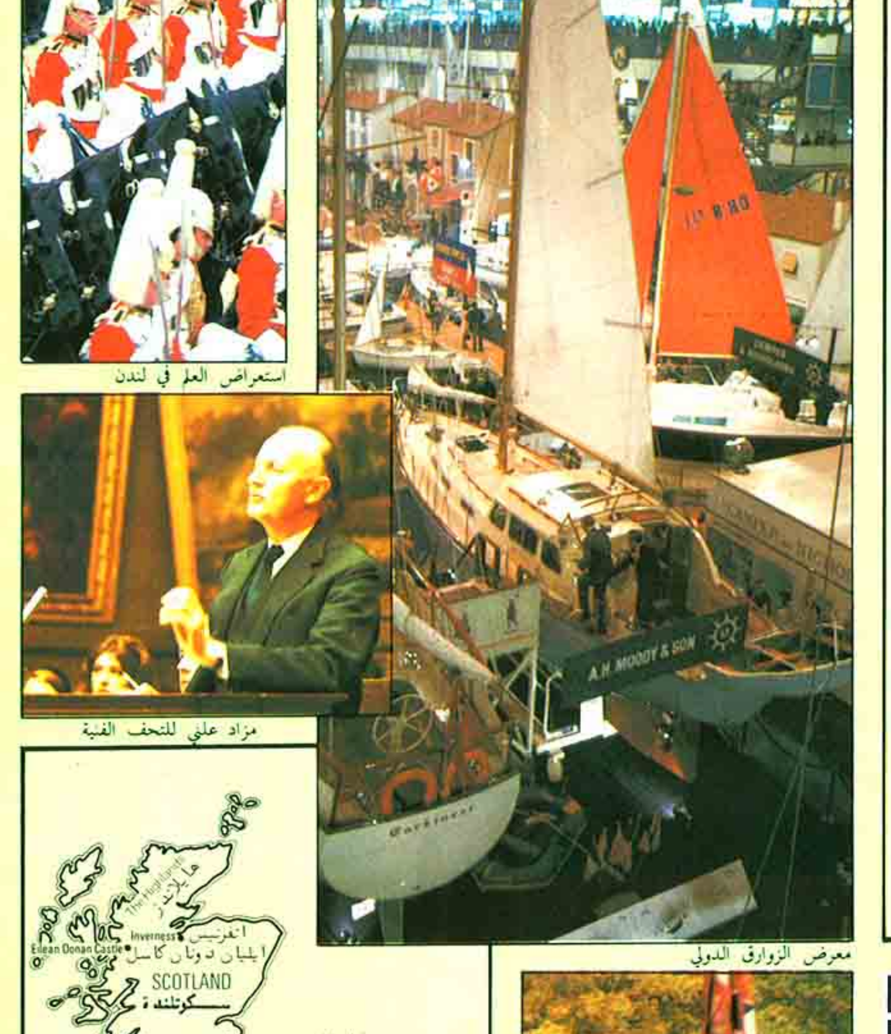
تدريس اللغة الانجليزية



يمكنك التسوق في وندسور خارج لندن



مختبرات اللغة التي تساعد على تعلم اللغة الانجليزية



استعراض العلم في لندن

مزاد علني للتحف الفنية

معرض الزوارق الدولي

المتحف القومي للسيارات حيث يعرض تاريخ السيارات وقيادتها كما يوجد خط حادي (اي خط حديدي مفرد «مونوريل») يمتد عاليا فوق المعروضات الشيقة في المتحف.

ومن الاسباب التي من اجلها يقبل العرب على زيارة انكلترة انهم يريدون ان يتعلموا الانجليزية حيث ان هناك عددا كبيرا من المدارس الخاصة بتعليم اللغة الانجليزية ومن الافضل بطبيعة الحال ان يتعلم المرء اللغة في البلاد التي يتحدث اهلها هذه اللغة. هناك عدد من المدارس الممتازة في اكسفورد وكامبرج وبرايتون وبورثموث. وهي ترحب بالطلبة من كثير من الدول. وتتميز هذه المدن بمظاهرها السياحية ومناظرها الطبيعية الجميلة.

وسواء كنت قادما الى بريطانيا لتتعلم اللغة او لتسوية بعض الاعمال التجارية او للاغراض السياحية الصرفة فانك ستجد كثيرا من الاحداث بصرف النظر عن الفترة او الوقت الذي تجيء فيه الى هذه البلاد: على سبيل المثال الاحداث الرياضية التي يتم الاعلان عنها مقدما (موسم كرة القدم من اواخر اغسطس الى مايو) والمهرجانات الثقافية والعادات والتقاليد الطريفة والمعارض من مختلف الانواع وكذلك احداث الشتاء الكبرى في لندن مثل معرض الزوارق الدولي (يناير) ومعرض البيت المثالي (مارس).

واذا كنت تنوي اكتشاف بريطانيا فيمكنك ان تتوجه الى مركز الاستعلامات في المدينة التي تقوم بزيارتها حيث يبلغك المسؤولون في هذا المركز بالاحداث الجارية والطريقة التي يمكنك بها ان تتوجه الى الاماكن ذات الاهمية الخاصة. ان من يفضلون زيارة هذه البلاد الشيقة والمختلفة عن غيرها من الدول الاخرى لقضاء اجازاتهم فيها لا يمكن ان يشعروا باي ملل على الاطلاق.

وللحصول على المزيد من المعلومات يرجى الكتابة الى:

قسم الشرق الاوسط
هيئة السياحة البريطانية

Middle East Department
British Tourist Authority
239 Old Marylebone Road
London, NW1 5QT
ENGLAND

وبالنسبة للمنشورات التالية
يرجى وضع علامة أمام
اسم المنشور الذي يريده القارىء:

- ☐ بريطانيا دليل سياحي
- ☐ بريطانيا - اعلان الاحداث [illegible]
- ☐ بريطانيا [illegible]
- ☐ كيف تحصل على السكن في بريطانيا
- ☐ العلاج الطبي في بريطانيا

____

____

____

____

____

ADD

تبديل الحرس في قصر بكنجهام كل يوم

من الأدب الفلبيني



بقلم الكاتبة الفلبينية : باز لاتورينا
ترجمها عن الإنجليزية : طه حواس

المفتاح الصغير



كان الجو شديد الحرارة . الشمس في كبد السماء تسبح في محيطها الأزرق . بدت حرارتها كما لو كانت مصممة على أن تحرق كل شيء تحت السماء . اختفت الطيور تبحث عن أماكن ظليلة . حتى ذلك المنزل الوحيد وقف يحتمي تحت أكوام القش والأعشاب في غير خجل . كان يقع بعيداً منعزلا عن منازل المزرعة المجاورة ، والتي كانت تبدو متقاربة متساندة ، يحتمي كل منها بظل الآخر .

كانت أشجار السرو تحيط المنزل الصغير ، تهتز بعض أوراقها عند هبوب نسمة خفيفة . وفي شرفة المنزل كانت تقف امرأة في منتصف العقد الثالث من عمرها . أخذت تتطلع إلى المنظر أمامها بنظرات أليفة . الأرض تمتد أمام بصرها إلى ما لا نهاية . قد شق المحراث مساحة كبيرة منها . الخطوط سوداء متساوية متوازية ، توارت فيها بذور القمح . وتخيلت المرأة الأرض وقد غطتها سيقان شجيرات القمح الذهبية . وتماوجت أمامها السنابل متعانقة كأنها موجات بحر أصفر تضربها الرياح . وتمنت محصولا وفيراً يعوض ما تحمل زوجها مع المزارعين من تعب وجهد . تنهدت المرأة وبدا على وجهها شيء من عدم الرضا . خطت إلى الخلف . دخلت حجرة الطعام . زوجها يجلس إلى مائدة الطعام يتناول غذاءه .

« بدرو بوهاي » إنه فلاح موفق ناجح . رفع عينيه عن الأطباق . ابتسم لزوجته التي كانت تقف بالباب . أشعة الشمس تنعكس على شعر رأسها الأسود الفاحم . كان منساباً على كتفيها خالياً من أي معالم التزيين ، حتى ولا قصة فوق الحاجب . . اقتربت من المائدة وسألته :

— **أين القمصان التي غسلتها بالأمس ؟**

● أعتقد أنها في الصيوان .

— **في بعضها ثقوب تحتاج إلى اصلاح .**

ثم أضافت وقد لاحظت أن طبق الأرز لم يعد به غير القليل .

— **هل تريد مزيداً من الأرز ؟**

وفي سرعة أجاب الزوج :

● كلا . فأنا أريد العودة سريعاً . يجب أن ننتهي من حرث الحقل الجنوبي اليوم . لأن غداً الجمعة .

ووقف (بدرو) ساحباً المقعد إلى الخلف، بدأت الزوجة تجمع الأطباق فوق المائدة. دس الزوج يده في جيب معطفه الكاكي. أخرج منه قطعة من الخيط السميك معقودة على مفتاح كبير وبجواره مفتاح آخر صغير. حل عقدة الخيط بأصابع عجلة متلهفة. أعاد المفتاح الصغير إلى جيب المعطف في حرص.. كانت عينا الزوجة ترقب حركاته وهي تمد إليه يدها في صمت تتناول مفتاح الصيوان.

غادر الاثنان حجرة الطعام معاً إلى الشرفة. لف - بدرو - ذراعه الأيسر حول كتفيها ونظر في وجهها:

— أنت متعبة، ممتقعة اللون.

ثم سألها في حنان..

— ماذا كنت تعملين من الصباح حتى الآن؟

● **لا شيء أكثر من المعتاد، ولكن حرارة الشمس تصيبني بالصداع.**

وبنفس النغمة الحانية قال:

— أرجو أن تأخذي لنفسك قسطاً من الراحة، وحاولي النوم حتى أعود من الحقل.

ثم التقت عيونهما في نظرة عميقة سريعة، وقال - بدرو - وهو يخلع معطفه:

— الحرارة اليوم شديدة.. الأفضل أن أترك معطفي هنا.

وبدون تفكير خلع المعطف وناوله إياها. أنتْ درجات السلم الخشبي تحت وزنه الثقيل وهو يغادر الشرفة. وصل إلى بوابة السور. مد يده وفتحها. التفت إلى الخلف وقال:

— سوف أمر على - بنا ماريا - في منزلها وأدعوها لزيارتنا. ربما لا أعود قبل الغروب.

هزت الزوجة رأسها موافقة، وتتبعته نظراتها على الطريق. حركات رأسه بين كتفيه الحبيبة وخطواته الواسعة الوئيدة. أحست في حلقها ألماً. نظرت إلى المعطف الذي ناولها إياه. انبعثت منه رائحة سيجاره المفضل الذي اعتاد أن يدخنه في طريق عودته من الحقل. وعندما بدأت في طي المعطف، سمعت صوت شيء صغير معدني يسقط على الأرض. نظرت حيث الصوت. المفتاح الصغير. انحنت عليه. التقطته بأصابع متلهفة، حملقت إليه في كفها كأنها تراه لأول مرة. زادت حدة الألم في حلقها. احتبست الكلمات بين شفتيها. وفي لحظات بدت كأنها في الخمسين من عمرها.. خطت ببطء إلى حجرة النوم. ألقت المعطف على ظهر أحد المقاعد. فتحت إحدى النوافذ. امتلأت الحجرة بالضوء وأشعة الشمس. على حصيرة كانت تغطي أرض الحجرة توجد بعض الملابس المغسولة. ألقت بجسمها جالسة بجوار الملابس بدأت في طيها بسرعة وعصبية، كأنها تحاول طرد أفكار جالت بذهنها. عيناها تجوبان أرجاء الغرفة في حركة مستمرة. استقرت نظراتها أخيراً على صندوق صغير في ركن مظلم تحت السرير ملفوفاً في حصيرة كشفت عن بعض أجزائه، لم يلفت نظرها قبل الآن. جذبت عينيها بعيداً عنه، صورته في ذهنها.

رأت بين الملابس قميصاً أبيض. التقطته. القميص به ثقب. تناولت الإبرة والخيط وفي عصبية أخذت تحيك الثقب. صورة الصندوق الصغير في ذهنها.. المفتاح الصغير في جيب ثوبها.. شكت الإبرة إصبعها. اندفعت قطرة من الدم من إصبعها. امتصها القميص الأبيض. نظرت إلى بقعة الدم وإلى القميص. إنها تحيك في مكان سليم من القميص. سألت نفسها وهي تجذب الخيط من القميص في سرعة وعصبية.

— ماذا دهاني؟ لماذا اهتم إلى هذه الدرجة؟ وماذا يهم إذا كان هو قد رأى أن يحتفظ بملابس زوجته السابقة؟ أليست قد ماتت؟ إنها ميتة. نعم إنها ميتة الآن.

وأخذت تردد الجملة الأخيرة مرات ومرات محاولة اقناع نفسها بعدم الاهتمام. أرادت أن تولج الخيط في الإبرة ثانية. لم تقدر، اغرورقت عيناها بالدموع. حجبت الدموع عنها الرؤية. صاحت:

— يا إلهي امنحني القدرة حتى أستطيع نسيان تعبيرات وجهه وهو يعيد المفتاح الصغير إلى جيب المعطف.

هدأت نفسها قليلاً. جففت دموعها بطرف كم ثوبها. وقفت في نشاط ملحوظ. أحست حرارة الجو تكاد تخنقها، وطنين الصمت من حولها لم يعد محتملاً.. سألت نفسها..

— لماذا لم تحضر - بنا ماريا - حتى الآن؟ هل نسي - بدرو - في عجلته أن يمر عليها؟

وتخيلته وسط الحقل محملقاً في طول وعرض الأرض المحروثة.. ليس في ذهنه أي شيء غير العمل. حماسه في العمل يجعله لا يرى ولا يسمع أي شيء غير ما تريده الأرض. أخذت تذرع حجرات المنزل ذهاباً وإياباً بحثاً عن شيء قد ينسيها ما يدور في رأسها من أفكار. تمنت وصول - بنا ماريا - بأسرع ما يمكن، قد يكون في حديثها معها ما ينسيها الأفكار المؤلمة التي تدور في رأسها. ولكن قفزت إلى ذهنها صورة تعبيرات وجه زوجها وهو يعيد المفتاح الصغير إلى جيب المعطف. اعتصرها الألم، سألت نفسها في رهبة وخوف..

— **هل أفتح الصندوق؟ ليس هذا من حقي. إنها أشياء تخصه، ولكن لماذا يحتفظ بها حتى الآن؟ لماذا؟ وماذا بداخله؟ ماذا كانت تلبس؟ وكيف كانت تبدو؟ لا، لا ليس من حقي أن أفتحه.**



وأخيراً فقدت كل ما لديها من مقاومة ، ووجدت نفسها تنحني أمام السرير ، تسحب الصندوق الصغير . تنهدت في عمق . وضعت المفتاح في القفل . أزعجها صوت المفتاح الصدىء داخل القفل .

• • •

عاد الزوج هذا المساء مسرعاً إلى المنزل . سيجاره المعتاد يتراقص بين شفتيه مزهواً بنفسه وبعماله الذين أتموا العمل في الحقل الجنوبي . تقابل مع - بتا ماريا - عند البوابة . . قالت له :

— زوجتك في السرير مصابة بالحمى .

أسرع إليها .

● سأذهب إلى المدينة لأحضر الدكتور .

أحست زوجته برودة يده على جبهتها . فتحت عينيها في فتور . قالت في صوت خافت :

— لا تذهب . سأكون على ما يرام غداً إن شاء الله .

لاحظ في عينيها قلقاً وخوفاً . . الطريق إلى المدينة طويل معتم ومهجور في مثل هذه الساعة من الوقت . إنها خائفة . .

— لا تخافي . . سأعود في أقرب وقت .

حمل إليها السكون صهيل الجواد ووقع حوافره وهو يعدو على الطريق .

اقتربت منها - بتا ماريا -

— هوني عليك . . سيعود حالا ومعه الدكتور . . لا تجزعي يا حبيبتي .

• • •

بعد ساعة عاد - بدرو - قلقاً مهموماً .

— لم أجد الدكتور في منزله ، لكن زوجته وعدت بأن ترسله إلينا بمجرد وصوله .

أرادت - بتا ماريا - أن تقضي الليل بجوار الزوجة المريضة ، ولكن - بدرو - هو الذي سهر بجوارها يلاحظها ويعتني بها . فقد انتابه القلق والخوف عليها .

— حقاً إنها كانت متعبة في الصباح ، لكنه لا يؤدي إلى هذه الحمى المفاجئة . يا إلهي أرجو أن لا تكون حمى خطرة .

• • •

مر الليل طويلاً على الزوجة . . فقد عاشت في ألم وقلق . كانت تتقلب في سريرها من جنب إلى جنب . لكنها في آخر الليل استطاعت أن تحظى بفترة نوم قلقة . حاول الزوج بعدها أن يخطف بعض الغمضات . وعندما استيقظ كانت أشعة الشمس تنساب إلى داخل الحجرة خلال النافذة نصف المفتوحة . انعكس ضوء الشمس على وجه الزوجة النائمة ، كانت أنفاسها تتردد عميقة . وجهها خال من كل التعبيرات لاشيء غير الوداعة والاستسلام . سرت في نفسه موجة حنان غامر . نهض في هدوء محاولا عدم إحداث أي صوت . تلفت يميناً ويساراً . لم تقع عيناه على - بتا ماريا - لم يهتم ، فقد تذكر أن اليوم هو الجمعة ، وأن العمل في الحقل الجنوبي قد انتهى .

افتقد الرائحة الشهية التي كانت تنبعث من المطبخ صباح كل يوم . بدا له المطبخ نظيفاً منظماً ولكنه غير مبهج . لماذا لا يقوم بعمل ما ؟

لا مانع من جمع بعض الأخشاب . حمل فأسه واتجه إلى الفناء الخلفي . كان الصباح صافياً . النسيم يهب رقيقاً عليلاً . فتح - بدرو - صدره وسحب نفساً عميقاً شم فيه رائحة أشجار حقول الأرز في الأرض التي يحبها . عثر على كومة كتل من الخشب عند شجرة المانجو الصغيرة . بدأ في تقطيعها . تحرك الفأس في يده إلى أعلى وأسفل . تناثرت قطع الخشب حوله . توقف لحظة يزيل قطرات عرق على جبهته ، جففها بظهر كفه اليسرى . لمحت عيناه نفايات من المدخنة . صاح في دهشة .

— يا إلهي لقد قامت أمس بتنظيف هذا الفناء . إنه عمل شاق قامت به ، بالإضافة إلى حرارة الجو الذي سبب لها هذا الصداع والحمى المفاجئة .

أثارت الرياح بعض الأتربة وأوراق الشجر الجافة مع قطع من قماش أبيض . لمحها - بدرو - إنها نصف محروقة . يا إلهي ، شخص ما كان يحرق الملابس . ألقى الفأس بجواره على الأرض . اقترب من قطعة القماش المحروقة . فحصها عن قرب . بدت في عينيه تعبيرات شك وحيرة تبعتها تعبيرات من التعجب والأفكار . وأخيراً تصارعت في وجهه تعبيرات الغضب والألم والخوف . جرى عائداً إلى المنزل ، وفي ثلاث خطوات كان في الحجرة . رأى معطفه معلقاً على ظهر المقعد . أنفاس زوجته تتردد في انتظام . إنها ما زالت نائمة . انحنى تحت السرير . جذب الصندوق الصغير في رفق وهو يقول في نفسه :

— لا شك أني على خطأ . . فهي لا ترتكب مثل هذا العمل . هي لا تقبل أن تعمل هذه الفعلة . إنها لا ترضى لنفسها أن تعمل هذا الشيء السخيف . وفتح الصندوق . . كان فارغاً . .

• • •

عند الظهر وصل الدكتور . أحس بما تعانيه . سألها بعض الأسئلة العادية . أجابت إجابات مبهمة . كان يقف - بدرو - قريباً منها يستمع إلى الحوار . كانت على وجهه تعبيرات غامضة ، قال له الدكتور عند البوابة :

— ليس بها شيء خطير . ولكن يبدو أنها قلقة بخصوص شيء ما ، وأعتقد أنها في حاجة إلى الراحة التامة يوماً كاملاً .

• • •

انطلق الدكتور على ظهر جواده . . جلس - بدرو - في الشرفة ساهماً مفكراً يحاول أن لا يتملكه الغضب تجاه زوجته ، يتمنى أن يكون ما حدث شيء يضاف إلى الذكريات ، يمكن أن يتذكره الإنسان بدون أن يثير في النفس شيئاً من المرارة أو الألم . لا شك أنها سوف تندم على ما حدث منها اليوم أو غداً . وربما تحاول أن تقنعني بأنها ما فعلت هذا إلا بدافع حبها لي . وسوف أستمع إليها وأسامحها في النهاية ، لأنها صغيرة وأنا أحبها ، وأرجو أن لا ينال هذا الحادث شيئاً من حبنا . . . ؟



بقلم: أحمد الشيخ

التحول

« أنا إنسان آلي .. ماكينة .. وحروف الآلة عال وواطي .. والشريط ملون أحمر وأسود .. أنا صابر أفندي جاد الرب صاحب المكنة .. الوحيد الذي صرخ في وجه المدير : « لست آلة .. أنا إنسان .. » من يومها والأمر بيننا يختلف .. والكلمات التي قيلت لي في مكتب المدير ما عادت تقال ..

كانت البداية عندما قال مرسي جاد :

— ندخل مدرسة المكن .. نتعلم الضرب على حروف الآلات .. نتحول إلى أفندية محترمين في مكاتب البنوك ..

ولأن أبي كان يثق في مرسي جاد فقد تقدم بأوراقي إلى مدرسة التجارة المتوسطة وكأنه يتخلص من عبء جاثم على صدره .. وتتابعت السنوات .. وحصلت على دبلوم التجارة .. قال مرسي لأبي :

— نتقدم للبنك بطلبات وظائف ..

وتقدمنا ..

لكن يوم الاختبار جاء بما لا تشتهي السفن .. كانت لجنة الامتحان المكونة من أربعة كروش منفوخة تتوارى خلف أربع نظارات شمسية قاتمة تتفحص ثيابي .. أحدهم ركز اهتمامه من خلف العدسات إلى حذائي القديم الكالح .. الآخر صوب شعاع عدساته إلى بنطلوني البني الأجرب القديم .. أما الآخر فقد نظر إلى سترتي .. لم تكن سترتي .. كانت سترة معارة .. كانت واسعة وكنت غارقاً بداخلها .. أما الرجل الأخير فقد سألني في أنفة وكبرياء :

— اسمك ؟ .

● صابر جاد الرب ..

— سنك ؟ .

— ثمانية عشر عاماً ..

— أبوك ؟

● ماذا ؟

— أبوك .. مهنته ؟ ..

● عامل ..

— أي نوع من العمل .. حلاق .. نجار .. بناء ؟ ..

● ساعي .. ساعي ..

كان العرق قد بدأ يعلو جبهتي .. كنت أنتظر منهم سؤالا في الحساب أو المحاسبة .. سؤالاً عن مجموعي .. عن سبب تفوقي .. لكنهم لم يهتموا بأكثر من التقصي عن أبي .. وانتهت لجنة الامتحان من مهمتها وخرجت .

● ● ●

قال مرسي جاد لأبي :

— لا يهم .. المثل يقول إن فاتك الميري ..

خاف أبي أن يفوتني الميري .. وهكذا جئت إلى هنا .. إلى قسم النسخ في تلك الإدارة التي تحتل بدروم قديم رطب .. في أول لقاء مع المدير الذي صعدنا إليه سأل :

— من منكم يحسن الضرب على الآلة ؟

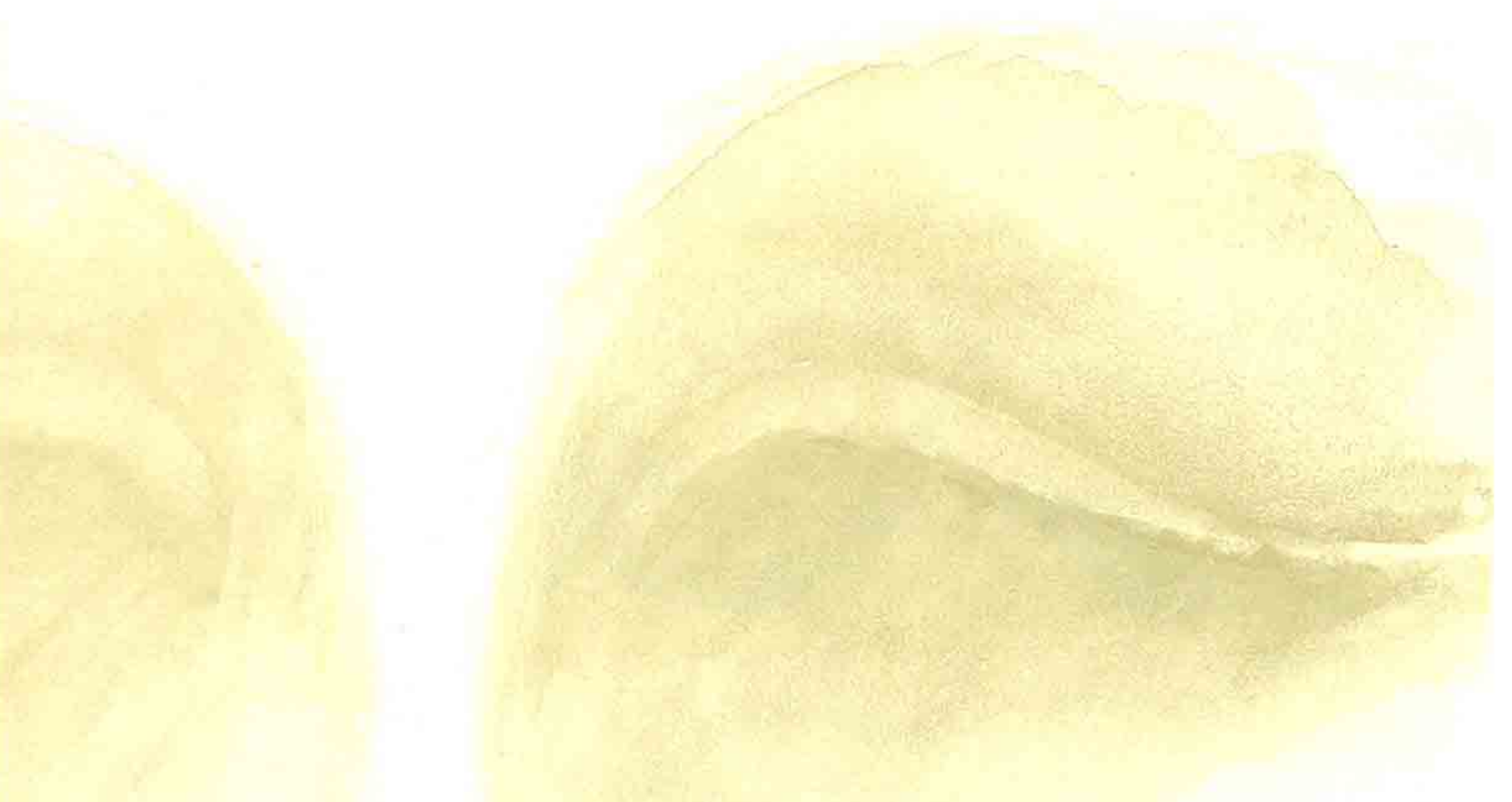
قال مرسي :

● صابر كان الأول في مدرستنا .. أحسن من يضرب على حروف الآلة .

فنظر إلي الرجل في دهاء .. كأنه قط يوشك على افتراس فأر وحيد بلا حماية .. وصدر الأمر فاستلمت الزميلة العتيقة .. كانت قديمة ووحيدة وكان علي أن أواسيها وأشاركها وحدتها .. كانت معفرة وكان علي أن أزيل عنها الغبار .. لكنني تعايشت معها وارتضيت بها رفيقة سنوات الشباب .. حتى جاء اليوم العجيب الذي طلبني فيه المدير .. كان يجلس في وقار وقد وضع السيجار في ركن فمه .. لم يكن السيجار مشتعلاً ـ كان يهتز ـ توشك على السقوط لكنها لا تسقط .. تهتز وأسنانه تلمع ثم تختفي وتنتابني رغبة في إبعاد السيجار لأرى بريق أسنانه .. قال في وقار :

— في .. في يا صابر .. تبقى ايه ؟

● أظن حرف جر ..



— تمام يا صابر .. في حرف جر .. تجر فيل .. تجر ثور مثلك . لكنك رفعت المجرور ..

لم أفكر في الاجابة .. أحسست بالحرج .. أنا رفعت المجرور وهذا خطأ لا يصح من كاتب آلة مجتهد مثلي .

اندفع المدير .. يحكي في صخب .. والسيجار يهتز في ركن فمه ..

— أنت يا أفندي تنقل .. ترسم .. أنت مكنة .. آلة .. انت ترس تدور حسب رغبة العمل ..

أفقت لنفسي .. أنا رفعت المجرور لكنني لم أتصور أنني مجرد ترس أو آلة .. يدوس عليها المدير فتعمل .. انتابتني رغبة في اسقاط السيجار من طرف فمه .. ضرب هو المكتبة براحته .. وصرخ :

— أنت حيوان .. حيوان ..

صرخت أنا الآخر :

● أنا إنسان .. ولست آلة .. لست آلة ..

امتدت يدي إلى السيجار .. لمسته فسقط على الأرض وثار الرجل .. مد يده إلى الجرس .. ودخل السعاة والموظفون وأحاطوني .. كنت ما زلت أهذي مدافعاً عن كياني الجريح معلناً أنني إنسان ولست آلة .. إنهم خدعوني في الاختبار الشخصي في البنك .. إن مرسي جاد منافق .. إنني لست فيلاً ولا ثوراً .

● ● ●

مرت أيام .. وطلبني المدير .. قلت لنفسي .. سوف يوقع علي العقاب .. ربما ينقلني إلى إدارة أخرى .. ربما يخصم بضعة أيام من مرتبي .. دخلت .. قابلني بابتسامة فعجبت للأمر .. طلب مني الجلوس فجلست .. قلت لنفسي « فليعاقبني وأنا جالس بدلا من أن أتلق أخبار النقل واقفاً » ..

أشار إلى أحد أركان المكتب ...

ورأيتها .. آلة جديدة .. تبتسم في براءة وتلمع أسنانها كما تلمع أسنان السيد المدير .. قال :

— أنت غضبان ؟

● أبداً ..

— ما رأيك في هذه الآلة الجديدة .. آخر طراز ..

● نعم ..

— دع آلتك القديمة للموظف الجديد ..

● حسناً ..

— وسوف آمر بنقل هذه الآلة إلى مكتبك ..

كنت مازلت عاجزاً عن مجاراته في الحوار .. كان الموقف القديم مازال ماثلاً أمامي بكل تفاصيله وسخفه .. أضاف المدير ..

— لو سمحت .. هذه المذكرة سرية .. مطلوبة بسرعة ..

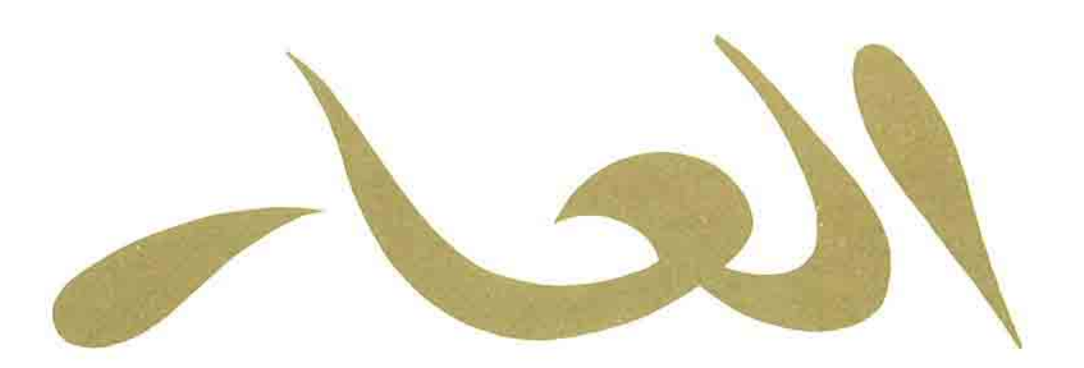
مد يده بملف يحوي مجموعة أوراق .. أخذتها منه .. قمت ، أمرني بأن أستريح .. أقسم أن أطلب شيئاً على حسابه الخاص .. زال الجدار بيني وبينه .. بدأت أحبه ..

● ● ●

كانت حروفها تتحرك في رشاقة وخفة وتنطبع على الورقة كلمات صحيحة .. كانت أوراق الملف كثيرة ولكنها كانت تتولى .. والوقت يمضي دون أن أشعر بالرغبة في الزوغان من الإدارة كما كنت أفعل في الأيام الماضية .. من يومها وإحساس يؤكد لي أنني لم أعد مجرد آلة .. أو ترس .. بل إنني نسيت تلك الأيام التي عايشت فيها إحساساً غبياً .. بأنني إنسان آلي .. مكنة ..



بقلم: السـيد إبراهيـم



لا بد من قتلها .... ! القتل هو الجزاء ؟ لا مفر من مواراتها التراب ، لقد أخطأت بل أجرمت في حقنا وحق نفسها ... لا بد من القتل ماذا سنقول للناس ؟ لو أهملنا هذا الأمر ؟ سوف يشمت الشامتون وسوف يسخر الساخرون ...... سوف يلقي الأطفال بالحجارة في وجوهنا ... سيحتقرنا الشباب ، ويرثي لحالنا الشيوخ ، لسنا جبناء ... لا بد من قتلها ... هذه البنت قد أجرمت .... حملت سفاحاً ... بل هي في شهرها التاسع .... أنظروا إلى بطنها .... الجنين يتحرك ... الجنين المكتمل النمو ... من فعلها ؟ من الذي فعلها ؟ ... إنها لا تجيب لا تنطق .... تخشى أن نعرف أمره وندمره تدميراً .... ولكن سوف تدفع الثمن ... سوف يكون دمها هو الثمن ... هذه أول مرة في أسرتنا تحدث مثل هذه المأساة .

بنت لم تتزوج وحامل ؟! يا إلهي كيف تجرؤ على مواجهة الناس ؟ لم أعد أستطيع أن أسير في الطريق ورأسي مرتفع إلى السماء كما كنت أفعل في الماضي القريب ؟ إنني أسير مطأطيء الرأس مهيض الجناح ... لقد أذلتني هذه البنت ... والغريب والعجيب أنها لا تنطق ، لا تدافع عن نفسها .... مستسلمة في صمت تترك النساء المسنات يربتن على بطنها ويتحسسنها ، بل ويكشفن عليها ، ثم لا تحاول الدفاع عن نفسها إنني أكاد أجن ! القتل هو العلاج الوحيد .

ولكن الصوت المتواضع للعم العجوز ، جاء واهناً ضعيفاً وهو يقول في حياء :

— لا تتسرعوا .... إن بعض الظن إثم .... اذهبوا بها إلى طبيب ؟ ولا تستجيبوا لكلام النساء ... الأمر أخطر من ذلك بكثير ، إنه يتعلق بروح إنسانية ، بل بروحين إذا كان الأمر كما تظنون ؟ ... كيف تواجهون الله تعالى إذا ظلمتم هذه البنيه ... وظلمتم أنفسكم ؟

وصرخ زوج شقيقتها وابن عمها قائلاً في غضب :

— ماذا تقول أيها الشيخ ؟ ... لولا احترامي لمقامك وكبر سنك لحدث ما لا يحمد عقباه ... تجعلني أتفوه بألفاظ جارحة ... تجعلني أفقد أعصابي ، هل بعد هذا شك ، أنظر إليها أيها الشيخ ... هل نسيت ، لقد ضعف بصرك ... وضعفت ذاكرتك ... إنه عارنا ... يا أبي إنه عارنا .. كيف نواجه الناس ؟ ـ أسرتنا المعروفة بالشدة والقسوة ، والتقاليد تحمل واحدة من بناتها سفاحاً .. لا كانت ولا كان هذا اليوم يا أبي ... الغيظ يكاد يأكلني ... أكاد أصرخ رعباً وفزعاً من هول ما ينتظرنا .

ويقول شقيقها أحمد :

— مهلاً يا سادة ليست ذبيحة ! إنها إنسان ... أختي إنسان .. ربما يكون ذلك وهماً ... أو مرضاً إن بيتي لا يدخله إنسان غيري هل أكون أنا السبب ؟

أنا شقيقها أضعها داخل عيوني ليس لي غيرها منذ وفاة والدها ووفاة والدتها وأنا عليها حارس أمين .. لا ليس ما بها جرماً .. إنه مرض .. نعم من يجرؤ وهي داخل أربعة جدران ... حتى الشمس ذاتها لا ترى أبداً داخل جدران منزلنا نحن نحافظ على تقاليدنا .. تقاليد الصعيد العريقة ... من العار أن يقع بصر إنسان ، أي إنسان ، حتى ولو كان معتوهاً على واحدة من النساء ... لايستطيع أي إنسان أن يفعل ذلك .. إنها تقاليدنا .

ويقول العم العجوز في وهن :

— لا بد من الطبيب ، إلى المدينة ...

وتتحرك العربة وبداخلها الرجال السمر الأشداء والفتاة يحملها عارها أسيرة لا تستطيع مواجهة إنسان ... أي إنسان والجميع مطرقون برؤوسهم .. والغيظ يكاد يعصف بعقولهم : من الجاني ؟ من المجرم ؟ .. من يا بنت ؟

ولكن البنت لا تجيب بل إنها حتى لا تبكي ... إنها مذهولة تتحسس بطنها في حيرة ودهشة ، وتتساءل فيما بينها وبين نفسها وكل ذرة من كيانها تشاركها أحزانها .. نعم .. من فعل هذا .. كيف حدث ذلك ؟ صحيح .. لماذا حدث ، من الجاني ؟

ليس لي صلة بأحد .. أي أحد . حتى الرجال لا أتصور صلة بهم تتسبب في مثل ما حدث لي ... ارحمني يا إلهي .... الرحمة .... ماذا يكون هذا الجنين المتربع في أحشائي ... أنا ميتة ، ليتني أستطيع أن أتكلم ، أن أقول أي شيء ؟ ... ولكني لا أستطيع ... الجريمة واضحة ، حملي واضح ... لقد فضحتني .. (أم السعد) داية القرية ، ربتت على كتفي وقالت ساخرة :

— ما شاء الله .. قولي الحقيقة حتى نستر عرضك ... حتى لا تذبحي أنت والمسكين ؟

ولكن أي حقيقة أعرفها .. ليتني أستطيع ... ليتني مت قبل هذا ... يا إلهي إنه لأمر فظيع ... ماذا فعلت . بأهلي ؟ إنهم مطرقون برؤوسهم غارقون في عارهم ، الدموع متحجرة في مآقيهم ، الرؤوس التي كانت ترتفع في كبرياء تتدلى اليوم في مذلة نحو الأرض .. الرجال الشوامخ أصبحوا صغاراً ... بسببي ... أنا السبب ؟!

الوحيد الذي أعطاني الأمل عمي الضرير لأنه لا يرى ! .. لأنه لم ير إثمي وعاري ... وأخي احمد إنه لا يريد أن يفقدني ... إنه اخي وأبي وأمي ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً ، بل فعل ... لقد استجابوا له ... من أجل أن يطمئنوا من أجل أن يتأكدوا ... ليتني مت قبل هذا .

والآن الطبيبة تتفحصها في خشونة ... تنظر إليها النظرة نفسها .. نظرة (أم السعد) القابلة بالضبط ، هؤلاء النساء ما خطبهن ؟ يتساوين .... الطبيبة مثل الجاهلة الأمية ... كلهن لا يرحمن ، تكتفي بالنظر باللمس تتحسس بأصابعها الرخصة الطرية البطن المنتفخة ، وتقول للرجال ساخرة :

— لماذا جئتم بها ؟ إنها حامل في شهرها التاسع ... حامل يا جماعة .

ويصرخ أحمد ... سيدتي الطبيبة تأكدي اكشفي جيداً ... ولكنها تلقمه حجراً وهي تقول في عصبية : ماذا أقول ؟ .. إن حملها ظاهر ... ظاهر واضح كالشمس .. إنها حامل وفي شهرها التاسع .

وترتفع فوهات .. فوهات البنادق في عصبية ويتناقل الرجال الخبر ويقع على رؤوسهم وقع الصاعقة بعضهم يضرب رأسه في الحائط ، وآخر يأكل تراب - الأرض غيظاً وقهراً ... وهو يصرخ ويقول :

— آه ليتني أعرفه ... كنت شربت من دمعه ودم أسرته كلها ... ولكن المجرمة لا تنطق ، أخرسها العار والإثم ، والحرص على حماية الجاني ... ماذا ننتظر يا رجال ؟

ويعودون إلى الطريق ويرتفع صوت أحمد من جديد قائلاً :

— ليس أمامنا إلا الدكتور إبراهيم .. إنه طبيب كبير ... وهو رجل له خبرته وماضيه !

ويستجيبون له في غيظ ويهمهم ابن عمه وزوج شقيقته الأخرى ، وهو يلوك الكلمات بين شدقيه في حقد وعصبية :

— سنذهب يا أحمد ، ولكنها فرصتها الأخيرة ، سنذهب أيها الرقيق القلب سنذهب يا رجال ..





ويستقبلهم الدكتور بوجهه الهاش وابتسامته الخلابة وشعره الأبيض ويربت في حنان على كتف ويحس بأبعاد المأساة ، فالفتاة ميتة لا محالة .. إن كل هؤلاء الرجال الذين يملأون المستشفى ، ويسدون الطريق ، كلهم مستعدون للقتل .. كلهم سيشترك في التنفيذ ... والبنت المسكينة لا تتكلم ، ويسألها فتجاوبه دموعها ... ويتحرك قلبه ... إنه طبيب كبير ولا يمكن أن يحكم بالظواهر ، صادفته في حياته العملية أشياء كثيرة .

— هيا يا ابنتي إلى حجرة الكشف ... إلى حجرة العمليات ... سوف نرى ... أشك في الأمر ... الله معنا .

ثم يغلق الباب ...

ويمر الوقت بطيئاً ثقيلاً ويظن البعض أن الفتاة قد هربت أو أنها قد ماتت ، ولكن عندما يفتح الباب ويشاهد الجميع الطبيب الكبير والابتسامة المطمئنة تفترش وجه الطبيب يصمتون ، ولكن الطبيب يرد على السؤال الذي لم يتطقوا به ويسمعونه وهو يقول ضاحكاً :

— أيها القتلة تعالوا ... أنظروا .. ليس طفلاً ... ولا جنيناً إنه ورم ليفي كبير ... أنظروا ، ها هي فتاتكم العذراء ... أشهد الله أنني لم أر في حياتي فتاة أطهر منها ، إنها فتاة طاهرة ، وحملها الكاذب ليس إلا ورماً ليفياً كاد يقضي عليها ... لو انتظرتم أسابيع .. عدة أيام كنتم قد شاهدتم بطنها وهي تنفجر ... الورم الليفي يكبر بسرعة هائلة وهو ينمو وهو متربع في الرحم ... المسكينة كانت تتعذب ... ولكنها بريئة طاهرة لم تكن لتستطيع الدفاع عن نفسها ... كانت هي تحت البنج تصرخ وتتساءل وتتهم حتى نفسها ... أشهد الله على براءتها وطهارتها ، لقد أنقذكم الله من عذابه ... أريد أن أشد على يد الإنسان الذي أشار عليكم بهذه الخطوة بعد أن سمعتم أمر الإعدام من فم الطبيبة الكسول .

ولكن كلامه لم يكن له وقع كبير في نفوسهم ... كان كل همهم أن يروا الورم الليفي ... وبسرعة أحضره لهم ... كان كتلة ضخمة تفوح منها رائحة الفورمالين ، وموضوعة في قارورة ، زجاجية كبيرة ، وكان شكله بشعاً وأصر زوج - الشقيقة الكبرى على أن يأخذه معه إلى القرية ليعلن براءتها أمام الجميع ... وتحرك الموكب إلى القرية ... عاد إلى القرية ليزف إليها النبأ وليرى الجميع الجنين الكاذب .

وعندما عادت الفتاة إلى القرية ... لم يعرفها كثير من النساء ... كانت قد أصبحت وردة متفتحة بعد أن عادت إليها العافية وهي التي كانت قاب قوسين أو أدنى من القبر .



بقلم: علي درويش



ضربت الطيور بأجنحتها وانطلقت خارج الغابة ... ضربت الخيول بحوافرها وانطلقت خارج الغابة ولحقت بها الغزلان والقردة والحمير.

لقد أصاب الخوف والهلع كل سكان الغابة ... حتى النمل تخلى عن حذره الشديد وترك طعامه الذي شقي من أجله وترك الغابة.

السماء سوداء

"'الغابه سوداء

وقلوب جميع الفارين من الغابة خائفة ... الصمت يلف الجميع ... وعيون الكل تترقب عن بعد حدوث شيء جلل تهتز له أركان الغابة السوداء.

في قلب الغابة السوداء ... وقف أربعة رجال أقوياء في يد كل واحد منهم سيف عريض حاد ... وأمامهم صندوق كبير من الخشب ... عليه نقوش غريبة.

وكان الرجال الأربعة ينقسمون إلى فريقين ... فريق يلبس ملابس سوداء وفريق يلبس ملابس زرقاء قاتمة ... ويقف كل فريق يمنع الفريق الآخر بالسيف من الاقتراب من الصندوق.

ملامح الفريقين صارمة قاسية .. والأيدي مستعدة للقتال. قال زعيم الفريق الأسود: «من الأفضل أن تتراجعا، لقد رأينا الصندوق قبلكما».

فرد زعيم **الفريق الأزرق** ملوحاً بسيفه: «ولكننا وصلنا إليه قبلكما وهذا يعطينا الحق فيه ...».

فقال زعيم **الفريق الأسود**: «إن الرؤية تسبق الفعل ... فالصندوق من حقنا نحن ....».

ضحك زعيم الفريق الأزرق وقال: «الرؤية سلبية ... لا حركة فيها ... أتركا لنا الصندوق».

أراد زعيم الفريق الأزرق التقدم نحو الصندوق فوجد سيف زعيم الفريق الأسود يصرخ في وجهه .. فتراجع ورد عليه بضربة من سيفه مرت على بعد شعرة من رأسه.

سكت الجميع وتبادل الأربعة نظرات نارية ... وهنا خرجت لهم امرأة عجوز تلبس ملابس بيضاء ملامحها هادئة ومريحة ... نظرت إلى الفريق الأسود وإلى الفريق الأزرق دون أن يقول لها أحد شيئاً. فهمت كل شيء .. اقتربت .. فحذرها الفريقان بعدم الاقتراب .. نظرت إليهم. وعرفت أنهم يقصدون ما يقولون .. فقالت: «إنني فهمت أن كل مجموعة منكم تريد أخذ الصندوق لنفسها .. ولهذا أخرجتم سيوفكم ... واستعدت كل مجموعة للقتال ....».

لم يرد عليها أحد .. فاستمرت في حديثها:

- «**لكن أليس من الغباء أن تتقاتلوا على شيء لا تعرفون ماذا في داخله ...؟**».

أصابهم كلامها بدهشة أذهلتهم ... وجعلتهم يبدون كالأطفال أمامها.

فقال زعيم الفريق الأسود: «هذا حق ... فلنفتح الصندوق ...».

صرخ في وجهه زعيم الفريق الآخر: «قف مكانك أنا الذي سأفتح الصندوق ... لو تحركت لقتلتك ..».

تحدثت المرأة العجوز: «لا أنت ولا هو .. أنا التي سأفتح الصندوق، لأنني صاحبة الاقتراح».

همهم الجميع بالموافقة.

اقتربت المرأة من الصندوق الكبير وجذبت الغطاء .. وببطء شديد رفعته ... ثم ألقت بالغطاء .. وانفتح الصندوق، صرخ الفريقان من هول الدهشة، لقد كان الصندوق فارغاً.

ضحكت المرأة بصوت عال: «أمن أجل هذا تتقاتلون؟ ..».

وتبادل الفريقان نظرات ذات معنى .. وسكتا ... واسترخت الأيدي بالسيوف.

وبدا أن الجميع أصابهم الخجل من الموقف الذي اتخذوه من أجل صندوق خال ...

وبعد برهة قال زعيم الفريق الأزرق: «وبما أنه شيء لا قيمة له ... فأنا وزميلي سنأخذه ربما وجدنا له فائدة ..».

فصرخ زعيم الفريق الأسود: «ليس لأنه خال ... فأنا قد تنازلت عنه لك ...».

فقال زعيم الفريق الأزرق: «ربما لا تجد أنت فيه منفعة ... وربما أستطيع أن أوظفه في شيء ...».

فقال رداً عليه: «أنا بالقطع سأجد له شيئاً ... اتركه إنه لنا ...».

وضرب بسيفه قاصداً رأس زعيم الفريق الأزرق الذي تفادى ضربته ... وتقابلت السيوف وبدأ القتال.

وصرخت العجوز .. وخرجت مسرعة من الغابة لتلحق بالحيوانات التي هربت قبلها، وتركتهم في قلب الغابة السوداء.



★ كان لظهور « الكمبيوتر » أثره الكبير في حياة الإنسان المعاصر بما قدم من خدمات في مجالات عديدة .. فقد كان لظهوره أثر كبير في صناعة متغيرات مختلفة .. وقد استطاع الإنسان الاستفادة من هذه الخدمات لتوفير الجهد والطاقة البشرية .. استفاد منه في تسيير سفن الفضاء .. وإدارة المصانع الضخمة .. كما استفاد منه في إحصائياته الدقيقة ، ودخل الكمبيوتر كثيراً من المرافق فرفع من مستوى خدماتها بشكل ضاعف من إنتاجيتها ★

إعداد : محمد سليمان القويفلي

وبظهور **أزمة قلة المعلمين في التدريس** خاصة في الدول النامية .. ولتطور **المناهج التعليمية** ودقة وصعوبة تدريسها نظراً **لزيادة عدد الطلاب** ، كل هذه العوامل ، وغيرها من العوامل الأخرى المتولدة عن تطور التعليم على اختلاف مراحله وجد الإنسان في « الكمبيوتر » وسيلته التي يبحث عنها للتغلب على الأزمات التي تعترض التعليم ومناهجه .. خصوصاً **تعليم اللغات** ، وقد بدأت التجربة كالعادة في استخدام الكمبيوتر لتعليم **اللغات الأوروبية** .. ثم استخدم فيما بعد في تدريس **اللغات الشرقية** ومنها **اللغة العربية** التي ازدادت أهميتها بعد اعتراف المحافل الدولية بها كلغة رسمية انطلاقاً من قدرتها وإمكاناتها في التجارب مع تطور العلوم والفنون والآداب من ناحية ، وأهمية المنطقة العربية اقتصادياً ، واستراتيجياً من ناحية أخرى .

وهذا حوار مع الدكتور قيصر فرح (العربي الأصل .. الأميريكي الولادة والجنسية) أحد المهتمين بتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها وأبنائهم بواسطة الكمبيوتر .

ويأتي اهتمام الدكتور قيصر فرح بهذه القضية إلى جانب اهتمامه بتدريس التاريخ العربي ، والعلاقات التاريخية بين الشرق والغرب في جامعة « مينسوتا » بالولايات المتحدة الأميريكية .

البداية

حدثنا الدكتور قيصر فرح عن بداية الاهتمام بتعليم اللغة العربية بواسطة الكمبيوتر قائلاً :

« إن ذلك كان استجابة لطلب من **لجنة التخطيط لمناهج التعليم بكلية الآداب في جامعة مينسوتا** . . وكانوا قبل ذلك قد حضروا برنامجاً لتدريس **اللغة الألمانية** بواسطة الكمبيوتر مع شروعهم بتحضير برامج كاملة **باللغتين الايطالية واليونانية** إلى جانب برنامج لتدريس **الايرانية** . وقد لفت البرنامج الايراني الأنظار إلى إمكانية عمل برامج عربية واستيداعها في خزانات الكمبيوتر على اعتبار أن اللغة الايرانية تقارب اللغة العربية وتكتب بنفس حروفها .

وفي البداية قمنا بالتجارب التي نجحت وأظهرت لنا إمكانية تحضير واستيداع برامج عربية في خزانات الكمبيوتر . عندها بدأ المشروع منذ ما يقارب العامين » .

الحجم والنوع

وعن حجم ونوعية المواد العربية التي غذي بها الكمبيوتر قال الدكتور :

« في الوقت الحاضر أودعنا ألف كلمة من الكلمات الفصحى الدارجة مع موجز لعدد من قواعد النحو والصرف بالإضافة إلى تمارين مفصلة على الكلمات واستخدامها والقواعد التي تضبط هذا الاستخدام مع وضع المفردات ، إما مفردة أو مركبة في جمل تامة . . ليتسنى للطالب محاولة تركيب الكلمات المفردة في جمل من صنعه هو بعد أن يكون قد حفظ واستوعب عدداً من المفردات والقواعد التي تساعده على تركيب الجمل بنفسه إذا أراد » .

وعن أهمية الكمبيوتر في حقل التدريس مقارنة بالمدرس الإنسان قال :

« الفارق بين الكمبيوتر والإنسان في التعليم هو أن الكمبيوتر يساعدنا على التغلب على العوامل والدوافع النفسانية التي أدرك المربون والمعلمون نتيجة للخبرة الطويلة في التعليم أنها سبب في خشية الطالب من مناقشة أستاذه إما خوفاً أو خجلاً أو خلاف ذلك وعدم استفساره عما لم يفهمه أو عما اختلط في ذهنه من معلومات .

كما أن تجربة التلميذ واختباره لمعلوماته أمام المدرس غالباً ما تكون تجربة قاصرة فهو يخشى من النقاش لئلا يقع في الخطأ فيكون موضع سخرية أو ملاحظة من زملائه وأحياناً من أستاذه . . لذا نجد كثيراً من التلاميذ يتلقون المعلومات فقط دون أن يحاولوا صقلها وتصحيح ما أخطأوا في فهمه منها .

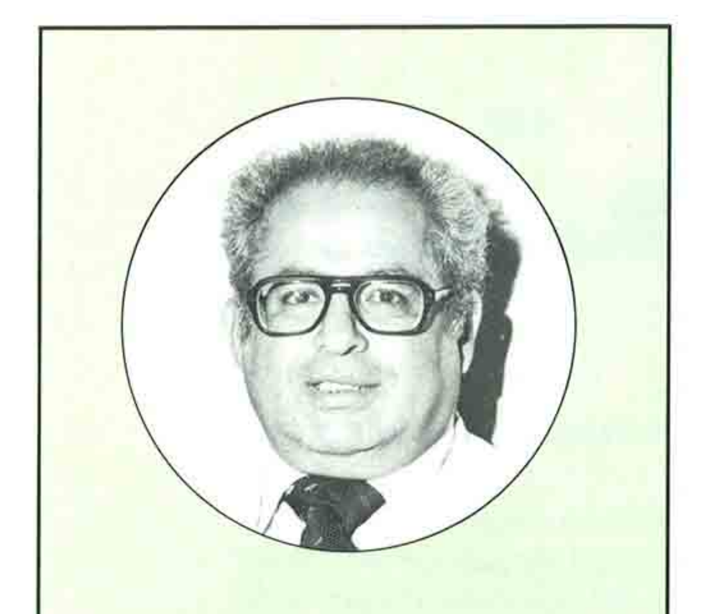
كل العوامل هذه تختفي إذا واجه الطالب الكمبيوتر فهو يكون في أحسن حالاته لشعوره بالأمان النفسي ، لأن الكمبيوتر يصحح خطأ التلميذ دون أن يحس بالحرج ويعطيه مجالا أوسع للتأكد من معلوماته . . بالإضافة إلى أنه يعيد الدروس للطالب في أي وقت يحتاجها . . ويستطيع الطالب أيضاً أن يجري لنفسه اختباراً فيظهر له مستواه بالمقارنة بمستوى غيره من زملائه دون أن يحس حرجاً » .

عملية التعليم . . كيف تتم ؟

يقول الدكتور قيصر فرح :

« إذا أراد الطالب الأميركي مثلاً ، أن يدرس اللغة العربية بواسطة الكمبيوتر فإن في استطاعته تعلمها عن طريق متابعته للتركيب العربي الموجود باللغة العربية وبجانبه ما يقابله باللغة الانجليزية .

وعملية التعليم تتم بالتدرج بطبيعة الحال وهذا يتم عن طريق الجمع بين ما هو موجود في الكمبيوتر بالإضافة إلى تتبع الطالب **للكتاب المقرر** أيضاً لأن المشروع ينطوي على **تسجيلات صوتية** وكتاب أساسي للطالب **ودليل المرشد** . . وفي هذا الدليل تحديد للمعلومات المسجلة في الكمبيوتر . وهكذا



د . قيصر فرح . . في سطور

- ●● من مواليد مدينة « بورتلاند » ـ اريجون ـ الولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٢٩ م ، ويعود أصله العربي إلى جده اللبناني .
- ●● دكتوراه ـ جامعة برنستون في نيوجرسي .
- ●● من أعماله في التأليف والترجمة :
  - ★ الرسالة الخالدة لعبد الرحمن عزام ـ ترجمة إلى الانجليزية (طبعتان) .
  - ★ التذييل في التاريخ الإسلامي ـ طبعته الجمعية الشرقية الأميركية .
  - ★ الإسلام عقيدة وعادات ـ تأليف ـ باللغة الانجليزية (أربع طبعات) ـ مقرر في الجامعات الأميركية .
  - ★ المستفاد من ذيل بغداد لابن النجار ـ تحت الطبع في الهند .
  - ★ أساسيات اللغة العربية ـ تحت الطبع .
  - ★ عدة مقالات نشرت في مجلات متخصصة تناولت قضايا تاريخية ، وأدبية ، وسياسية في العلاقات بين العرب والغرب منذ القرن التاسع عشر .
- ●● يتركز اهتمامه في الوقت الحاضر على استخدام الكمبيوتر في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، وبرمجة المشاريع الخاصة بالتنمية على مختلف القطاعات بواسطة الكمبيوتر باللغة العربية بدلا من اللغة الإنجليزية .

يعرف المرشد الخطوات وترتيبها وما تحتويه خزانات الكمبيوتر من معلومات .. ويعرف الطالب كيف يستفيد مما قرأه نظرياً من واقع الكتاب عن طريق ممارسته لمعلوماته التي حصل عليها . وتتم تلك الممارسة عن طريق الكمبيوتر . كما أنه يستطيع أن يسترجع أي معلومات يريدها مع تمرين نفسه على استخدام القواعد ويستطيع من جهة أخرى معرفة الخطأ وتداركه بسرعة إلى جانب تحديد المستوى الذي وصل إليه .. كل ذلك يقوم به الطالب بنفسه بعد أن يمر بمرحلة تدريب بسيطة على كيفية استخدام الجهاز » .

العربية في أميركا ونوعية الدارسين

وعن مدى الاقبال على اللغة العربية في أميركا ونوعية الدارسين الذين يستفيدون من هذه التجربة ، يقول الدكتور فرح :

« يمر العالم الآن بمرحلة تاريخية يقوم فيها العرب بدور كبير خاصة من النواحي الاقتصادية والسياسية .. وازاء هذا زاد الاهتمام بالعرب وبكل ما يمت إليهم في جميع أنحاء العالم .. وطبيعي أن يكون من ضمن هذا الاهتمام باللغة .. وهذا ما حدث في أميركا ، فقد أخذ الاهتمام بالعربية وتعلمها يتزايد يوماً بعد يوم لأنهم بدأوا يشعرون أن المستقبل للمناطق العربية من ناحية الاقتصاد والتنمية وأنها مركز لذلك .. ولا شك **أن هناك تياراً دعائياً مضاداً للعرب في أميركا بالذات .. ولكن الرؤية الآن بدأت تتضح لدى الأميركيين فزاد اهتمامهم بالعرب ولغتهم وشؤونهم بشكل عام .**

أما نوعية الطلاب فهم في غالبيتهم من الأميركيين المبتدئين في اللغة العربية إذ ليس لهم دراسات سابقة فيها .

ويلاحظ إلى جانب ذلك أنهم طلاب يدرسون في الجامعات في نفس الوقت . **والإقبال عامة نجده بين طلاب الدراسات العلمية** » .

الباحث .. والكمبيوتر

لا مراء في أن لدى الكمبيوتر طاقة هائلة في الاستيعاب ومن ثم الإخراج وهذا ما يحتاج إليه الباحث عموماً .. فما مدى الفائدة التي يمكن أن يقدمها الكمبيوتر للباحث اللغوي على الخصوص ما دمنا بصدد تعليم اللغة بواسطة الكمبيوتر ؟

عن هذا السؤال يجيب الدكتور :

« الكمبيوتر آلة بقدر ما تعطى أو تغذى بقدر ما تفيد فهي تعكس ما تغذى به ليس كما هو ، وإنما **لديها مقدرة على التحليل والمقارنة والتصنيف ...** كما أن لها سرعة هائلة في استرجاع المعلومات التي يحتاج إليها الباحث .

وفي رأيي أنه لهذا السبب **يعتبر الكمبيوتر عاملاً فعالا في مساعدة المدرس والطالب ، والباحث الذي يحتاج إلى أكبر عدد وقدر من المعلومات** ، حيث يستطيع أن يستودع في خزاناته نحو ألفين ونصف مليون حرف أبجدي .. وهذه ولا شك طاقة هائلة .. وإلى ذلك فإنه **يستطيع أن يعكس على شاشته مئة وثمانين كلمة في وقت واحد .**

وخلاصة القول إن الخدمة الكبيرة التي يستطيع الباحث الحصول عليها من الكمبيوتر هي **السرعة والقدرة على التحليل** إلى جانب القدرة الاستيداعية الضخمة ، فهو كالمكتبة .. ولكن المعلومات تأتي بضغط زر صغير .. كما أن احتمال الخطأ ضئيل جداً » .

تجهيز البرامج المختلفة

هل لدى القائمين على المشروع برامج جاهزة لارسالها إلى من يطلبها في الجامعات العربية وغيرها ؟

يقول الدكتور فرح :

« في الوقت الحاضر البرنامج العربي يرتكز على احكام اللغة العربية من ناحية تدريس اللغة كما سبق ذكره . ولكن لدى القائمين على المشروع استعداد لتسجيل أي برنامج يطلب . ولكن يحتاج المستخدم لهذا البرنامج بعد تسجيله إلى جهاز مماثل للجهاز الذي تم التسجيل عليه لأنه جهاز طور وكيف لهذا الغرض .

وعلى سبيل المثال إذا أرادت جهة ما استعمال الكمبيوتر في محاربة الأمية ، ففي استطاعة المشروع أن يحضر سلايدات أو غيرها تعكس الشاشة سينمائياً وخطياً ، وصوتياً . بالإضافة إلى تهجئة الكلمة في نفس الوقت .

والجهاز تم تنظيمه على حسب تراكيب الآلة الطابعة العربية وهو مع ذلك يعرف تراكيب اللغات الأخرى .

والشيء المهم هنا إلى جانب التعليم ومحو الأمية في مقدورنا أن نستخدم اللغة العربية في التخطيط بواسطة الكمبيوتر لمختلف المشروعات التي تتطلبها التنمية » .

وسائل نشر اللغة العربية

عن الوسائل المطلوب اتباعها لنشر اللغة العربية في الخارج يقول الدكتور قيصر فرح :

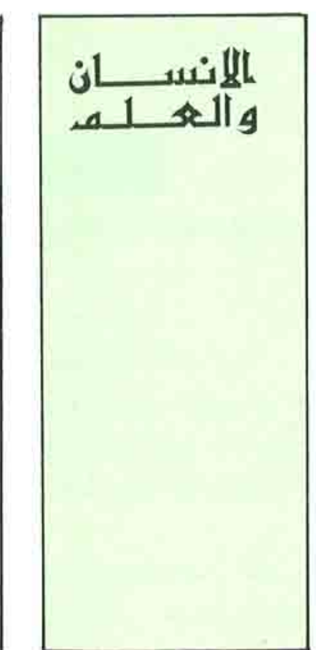
« في رأيي أن **أهم شيء يمكن عمله من أجل نشر اللغة العربية في العالم هو أن تبذل الدول العربية جهودها لتحضير الكتب وأن تبعث للمؤسسات التي تدرس العربية في أميركا وغيرها من بلاد العالم كل المعلومات التي تحتاجها . ويجب أيضاً أن تعمل على تشجيع الإقبال على الدراسات العربية في الخارج بواسطة المنح والمساعدات المادية .**

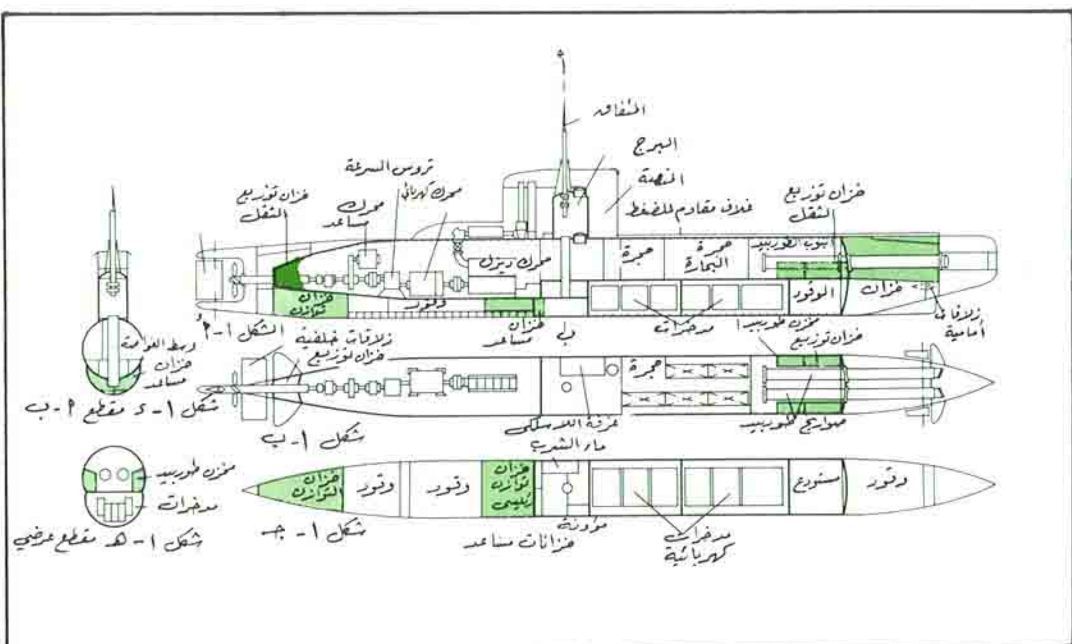
كما أن من المفيد والمهم **تبادل الزيارات بين الأساتذة** للاستفادة من الاحتكاك ، ولا شك أن ذلك يولد آراء وأفكار جديدة .

ومن المفيد أيضاً أن **تؤسس معاهد خاصة** تقع تحت اشراف الدول العربية في بلدان مهمة في نشر الثقافة كأميركا .

وتعليم العربية للأجانب يفيدها ويفيدهم فالدارس يستطيع أن يخدم اللغة العربية بعد أن يلم بها فيدرس الطلاب في أماكن أخرى .. وجزء من الدارسين يدخل في السلك الدبلوماسي .. وآخرون يهتمون بالاقتصاديات والاتجار مع العالم العربي .

وبشكل عام الشيء **الذي أتمناه أن تظهر البلدان العربية نشاطاً ايجابياً في دعم الحركات المساهمة في نمو فكرة صحيحة وغير منحازة عن الثقافة والحضارة العربية وعن السياسية في العالم العربي واقتصاده» .**





الغواصات

الغواصة مركب بحري يستطيع العمل تحت سطح الماء أو فوقه . ولـذلك يجب علينا أن نميز بين إزاحتها للماء Displacement في حالتين :

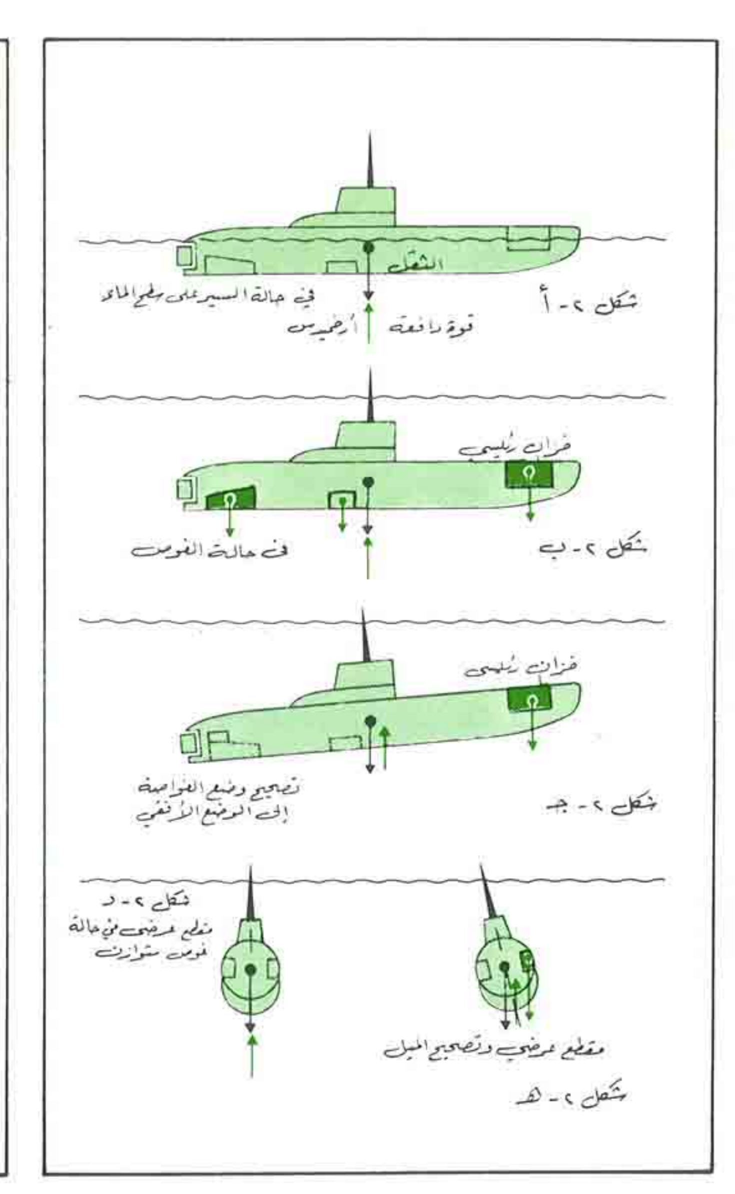
- **حالة الطفو**
- **حالة الغوص**

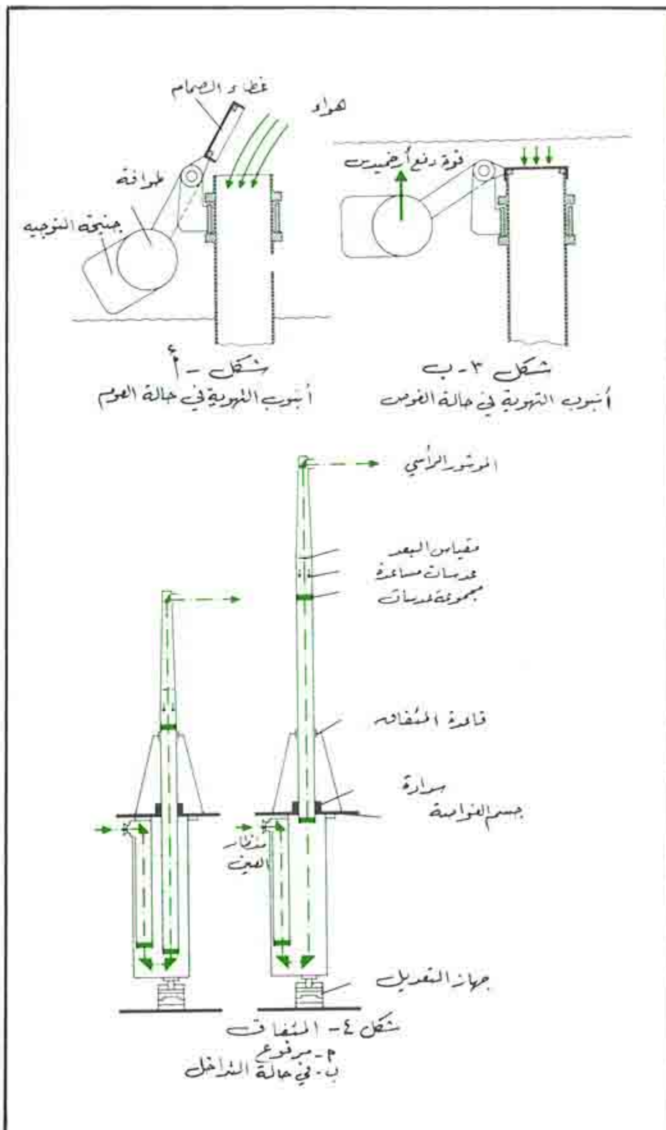
وهي عندما تغوص فإنها تـزيح حجماً أكبر مـن الماء . فمثـلاً **الغـواصة البريطانية من نوع** T ـ وهي غواصة تقليدية تم تـطويرها أثناء الحـرب العـالمية الثانية ـ تبلغ إزاحتها في حالة الطفو ١٣٠٠ طن ، أما في حـالة الغـوص فـترتفع إلى ١٥٧٥ طناً . وطولها ٢٧٣ قدماً (٩١ م تقريباً) .

أما **الغواصات الحديثة** فتختلف أحجامها وإزاحاتها باختلاف الهـدف الـذي صنعت من أجله ، وتتراوح أحجامها بين تلك **الغواصات الصغيرة** التي تستخدم في المياه الساحلية (مثلاً طولها ١٤٠ قـدماً (٤٦,٥ م تقـريباً) ، وإزاحتهـا في حـالة الطفو ٣٥٩ طناً وفي حالة الغوص ٤٣٠ طناً) ، إلى **الغـواصات ذات المسـافات البعيدة وعابرة المحيطات** (طولها ٤٢٠ قدماً أو ما يعـادل ١٤٠ م ، وإزاحتهـا في حالة الطفو ٧٩٠٠ طناً ، وفي حالة الغوص ٩٠٠٠ طن) .

وعندما تطفو الغواصة على سطح الماء ، فإنها تزيح أطناناً من الماء معادلة لثقلها (**حسب قانون أرخميدس**) . أما في حالة الغوص فـإنها تـكون في وضـع عـوم متوازن وحيادي Neutral buoyancy أي أنه بتخفيف جزء يسيط في ماء التوازن ballast يمكنها أن تطفو إلى أي مستوى تحت سطح الماء . ولكن وضع مـاء التـوازن يحتاج إلى تعديل مستمر كي تحافظ على نفس مستوى الغوص تحت سطح الماء ذلك أن الغواصة تستهلك وقوداً عندما تسير تحت الماء ، إلى جانب استهلاك ملاحيها للماء والطعام إضافة إلى إطلاق **الطوربيد** الذي يخفف من وزنها مما يضطر مـلاحيها إلى إعادة تعديل الوضع عن طريق ماء التوازن .

وبما أن مركز ثقل الغواصة لا يتفق تماماً مع مركز طفوها فـإنه ليس ممـكناً مـن الناحية العملية إيقاف الغواصة في حالة سكون تام ، ولذلك يجب على الغـواصة أن تسير إلى الأمام بسرعة تسمح لها بالمحافظة على عمق غـوص ثـابت ويـتم ذلك عـن طريق **الزلاقات المائية** hydroplanes وهذه الزلاقات تستطيع أن تـدير الغـواصة





إلى الزاوية المطلوبة .

والجزء الرئيسي في الغواصة هو جسمها الخارجي ويسمى « **الغلاف المقاوم للضغط** » Pressure hull وهو يبدو على شكل دائري في المقطع العرضي للغواصة (**الأشكال من ١ ـ أ حتى ١ ـ هـ**) . وقد تبين نتيجة التجارب العديدة أن **الشكل الأسطواني ـ المغزلي** هو أكثر الأشكال ملائمة للسير تحت الماء ولمقاومة الضغط الكبير الذي تتعرض له الغواصة في الأعماق الكبيرة . **ويتألف الجسم الخارجي من صفائح من الفولاذ السميك مقسم إلى حجيرات يفصل بينها حواجز قوية مقاومة للضغط** bulk heads .

ويوجد في **الجزء الأوسط العلوي** من الغواصة سطحها الرئيسي يعلوه **برج المراقبة والمنصة** . وفي البرج فتحات للدخول والخروج يمكن إغلاقها بإحكام . وتحت برج المراقبة توجد **غرفة القيادة** . ويغلف جسم الغواصة غلاف خارجي يستطيع الماء الدخول بينه وبين جسم الغواصة ويسمح بذلك للماء بالدخول إلى الخزانات .

وتوجد داخل الغواصة وخارجها **خزانات متعددة** أهمها خزانات الوقود وخزانات **ماء التوازن (الشكل ٢ ـ أ إلى ٢ ـ هـ)** . وخزانات ماء التوازن Water ballast تنقسم إلى خزانات رئيسية ـ وتكون هذه فارغة تماماً في حالة الطفو و لموءة في حالة الغوص ـ وخزانات **توزيع الثقل** Trimming tanks التي تكون في مقدمتها ومؤخرتها ، **والخزانات المساعدة** وتكون في وسط الغواصة . **والهدف من هذه الخزانات المساعدة هو حفظ الغواصة في حالة توازن مستمر بواسطة تعويض تبدلات الثقل الناتجة عن استهلاك الوقود وغيره** . أما خزانات توزيع الثقل فالهدف منها تصحيح مستوى الغواصة أفقياً . كما أن امتلاء أو تفريغ هذه الخزانات يؤثر على وزن الغواصة الإجمالي .

ومن الضروري أن تكون سرعة امتلاء خزانات التوازن الرئيسية كبيرة حتى تمكن الغواصة من الغوص بسرعة . ولهذا النوع من الخزانات فتحات كبيرة وصمامات تعمل آلياً .

وعادة تغوص الغواصة في الماء وهي سائرة على سطحه وتمتلىء الخزانات الأمامية قبل الخلفية بعدة ثوان ولذلك ينغمر الجزء الأمامي من الغواصة بالماء وتغوص مقدمتها أولا يساعدها في ذلك انزلاقها إلى الأمام بفعل زلاقاتها المائية .

ويتم التحكم بحركة الغواصة تحت الماء بالزلاقات المائية **وجنيحات العمق** depth fins الموجودة في مقدمتها ومؤخرتها ، **وهذه الجنيحات تساعد في المحافظة على العمق المطلوب كما أنها تدير الغواصة إلى الزاوية المطلوبة .** وكلما ازدادت سرعة الغواصة ازدادت قوة تحكم الزلاقات المائية فيها .

ويتم تعويم الغواصة بعملية عكسية وذلك عن طريق نفخ الهواء المضغوط في خزانات الغوص والتوازن مما يطرد الماء خارجاً ويخف وزنها فتعوم .

والغواصة التقليدية تستمد قوة دفعها وتسير بواسطة **محركات الديزل** . وبما أن هذه المحركات تحتاج إلى الهواء كي تعمل ، فإنها كانت تستعمل سابقاً في تسيير الغواصة على سطح الماء فقط . أما تسييرها تحت الماء فكان يتم بواسطة **محركات كهربائية** تستمد طاقتها من مدخرات كهربائية (**بطاريات**) . ويوجد في الغواصة الكبيرة أربعة محركات ديزل قوة كل منها ١٦٠٠ حصان .

أما في **الغواصات الحديثة فإن محركات الديزل لا تتصل اتصالا مباشراً ـ بوسائل ميكانيكية ـ بمراوح الدفع** Propellers ، بل إنها تشغل مولدات كهربائية generators وهذه بدورها تمد بالكهرباء المحركات الكهربائية التي تدير مراوح الدفع .

وفي **الحرب العالمية الثانية** أدخل تطور جديد على الغواصات ذلك هو جهاز (**الشنركل**) Schnorkel أو **أنبوب التهوية** ، وهو أداة تتألف من أنبوب طويل يمكن أن يمتد إلى ما فوق سطح الماء ويمكنها من التزود بالهواء النقي طالما أنها تعمل على عمق غير كبير ولا يتجاوز طول الأنبوب أو طول منظار الأفق (**البيروسكوب**) . ويمكن دخول الهواء اللازم للمحركات من خلال هذا الأنبوب . **أما غازات العادم والدخان فإنها تخرج من أنبوب آخر** . وهكذا أصبح من السهل على الغواصة أن تسير تحت الماء بقوة محركات الديزل . أما إذا كانت الغواصة ستغطس إلى أعماق كبيرة فإنها توقف محركات الديزل وتستخدم الكهرباء المخزونة في المدخرات الكهربائية (البطاريات) لإدارة المحركات الكهربائية . وبالطبع تتم تعبئة المدخرات عندما تكون الغواصة طافية على سطح الماء . ويلاحظ أن رأس أنبوب التهوية مزود بصمام أوتوماتيكي سريع الإنغلاق يمنع دخول الماء إلى الغواصة . **(الشكل ٣ـأ و٣ـب) .**

وأول غواصة ذرية أمريكية بنيت عام ١٩٥٥م وسميت (نوتيليوس) Nautilus . وتعتمد الغواصات الذرية على الطاقة الحرارية المتولدة من مفاعلها الذري وتستخدم الحرارة الناتجة في توليد بخار الماء الذي يدور **عنفات الدفع** Propulsion Turbines **وعنفات توليد الكهرباء** Turbogenerators سواء كانت الغواصة داخل الماء أو على سطحه وهذا ما يجنبها الصعود إلى سطح الماء لشحن مدخراتها الكهربائية مما يمكنها من البقاء عدة أسابيع تحت الماء إذا اقتضى الأمر . وحرارة المفاعل الذري تنقل إلى ما يدعى **جهاز الماء الأولي** Primary Water System وفيه يسخن الماء تحت ضغط عال ويستعمل لتوليد البخار في جهاز الماء الثانوي حيث يمر الماء ضمن مرْجَل على شكل مبدل حراري heat exchanger ومن ثم ينطلق بخار الماء الجاف والساخن بقوة على العنفات . والبخار الخارج من العنفات يعود ثانية إلى المبدل الحراري ، فيبرد ويتكاثف ويتحول إلى ماء من جديد .

وتزود الغواصات كلها بما يسمى **منظار الغواصة أو المنفاق** Periscope وهو منظار يسمح برؤية الأفق فوق سطح الماء بينما تكون الغواصة سائرة تحت سطح الماء . **وقد تحول المنفاق من جهاز بسيط إلى جهاز معقد في الغواصات الحديثة** ، إذ أصبح يحتوي على **مواشير** Prisms **وعدسات** تسمح للملاحين برؤية الأفق المحيط بهم فوق سطح الماء من كافة الاتجاهات .

ويبلغ ارتفاع المنفاق العادي أربعون قدماً (١٤ م تقريباً) ويمكن رفعه إلى أعلى أو خفضه بواسطة (**عملية التداخل**) Telescopic action **(الشكل ٤ـأ و ٤ـب)** وقد زود بموشور رأسي قابل للحركة بحيث يمكن مراقبة الجو أو الملاحة ليلاً اعتماداً على النجوم مع استخدام **آلة السدس** Sextant . كما توجد تدريجات خاصة لقياس المسافات والأبعاد وبالتالي تقدير أحجام الأجسام الواقعة في ساحة النظر **وتزود الغواصة عادة بمنفاقين** أحدهما عادي والثاني أقوى وأدق بحيث يستعمل هذا الأخير في مراحل الهجوم أو التحضير له .

أما على سطح الماء فيمكن للغواصة أن تستخدم أجهزة الملاحة العادية والرادار مثل أي سفينة عادية . وفي حالة الغوص إلى عمق أكبر من ارتفاع المنفاق فيستعمل **المسبار الصوتي** Sonar ومبدأ المسبار يشبه الرادار من حيث المبدأ ولكنه يرسل **نبضات صوتية** تمكن الغواصة من قياس المسافة بينها وبين سفينة عدوة مثلاً وذلك عن طريق تسجيل صوتي النبضة الصوتية . أما الغواصات الكبيرة ففيها أجهزة أكثر تعقيداً تغنيها عن استعمال المسبار الصوتي .

والطوربيد هو السلاح التقليدي للغواصات سواءً في الدفاع أو الهجوم ، ومن الممكن إطلاقه يدوياً أو كهربائياً سواءً في حالة الغوص أو العوم . وقد تطورت الطوربيدات حتى أصبحت تتوجه تلقائياً نحو هدف عن طريق الاستشعار الحراري أو المغناطيسي - Remote Controlled .

وأهم تطور حدث في السنوات العشر الأخيرة هو **الصاروخ** الذي يطلق من الغواصات وهو من نوع (**بولاريس**) ويمكن إطلاقه في حالة الغوص أو العوم على حد سواء . **وتحمل الغواصات الأميريكية ستة عشر صاروخاً مدى كل منها ٢٥٠٠ ميل .**





من شواعر صدر الإسلام

أ

أروى بنت عبد المطلب :

أرْوَى بنت عبد المطلب بن هاشم ، من قريش ، **شاعرة أسلمت وهاجرت إلى المدينة** وكانت قبل إسلامها تعضّد **النبي صلى الله عليه وسلم** ، فلما مات أبوها عبد المطلب رثته بقولها :

بكتْ عيني وحقَّ لها البكاءُ — على سمح سجيّتُهُ الحياءُ
على سَهْلِ الخليقةِ أبْطحيٍّ — كريم الخيم نيّتُه العلاءُ
وكان هو الفتى كرماً وجوداً — وبأساً حين تنسكب الدماءُ
طويل الباع أملس شَيْظميّ — أغرّ كأن غرتَهُ ضياءُ

وقالت ترثي النبي صلى الله عليه وسلم :

ألا يا رسول الله كنتَ رجاءَنا — وكنت بنا برًّا ، ولم تكُ جافيًا
كأنّ على قلبي لذكر محمدٍ — وما جمعت بعد النبيّ المجاويًا

ب

بَرّة بنت عبد المطلب :

هي بَرّة بنت عبد المطلب الهاشمية ـ أخت أرْوَى ـ **شاعرة أديبة** ، رثتْ أباها عبد المطلب في حياته ، فقالت :

أعَيْنَيَّ جودا بدمع دِرَرْ — على طيّب الخيم والمُعْتَصَرْ
على شيبة الحمد ذي المكرمات — وذي المجد والعز والمفتخَرْ
على ماجد الجدّ واري الزناد — جميل المحيّا ، عظيم الخطرْ
أتتْه المنايا فلم تشْوِه — بصرف الليالي وريب القدرْ

ج

أم جميل بنت حرب :

شاعرة من شواعر العرب ، **أخت أبي سفيان بن حرب** ، وعمة معاوية **أدركت الإسلام ، ولكنها لم تسلِم** ، بل كانت أشد الناس معارضة للدعوة وأكثرهم إيذاء للنبي ؛ فكانت تحمل الشوك وتطرحه في طريقه ، ومن مأثور شعرها أنها قالت تمدح :

زيْن العشيرة كلها — في البدو منه والحضرْ
ورئيسها في النائبا — ت وفي الرحال وفي السفرْ
ورثَ المكارم كلّها — وعلا على كل البشرْ
ضخم الدسيعة ماجدٍ — يعطي الجزيلَ بلا كدَرْ

حـ

الحارثية بنت زيد بن بدر العراقي :

شاعرة من شواعر العرب في صدر الإسلام ، قالت ترثي **زياد بن عبَيْد القرشي** ، وكان قد توفي في ابتداء الإسلام :

زفّت إليه قريش نعش سيدها — فثَمّ كلُّ التُّقَى والبِر مقبورُ
أبا المغيرة والدنيا مغيّرةٌ — وإن من غرّت الدّنيا لمغرور

خ

خولة بنت الأزور :

شاعرة إسلامية **من بني كندة** من ربات الفروسية والشجاعة ، خرجت مع أخيها **ضرار بن الأزور** إلى الشام ، وأظهرت بسالة فائقة في الحروب التي دارت بين **العرب والروم** ، فلما أسر أخوها في إحدى الوقعات حزنت لأسره حزناً شديداً ، وقالت :

ألا مُخبر بعد الفراق يُخبرنا — لمن ذا الذي يا قوم أشغلكم عنّا
فلو كنتُ أدري أنه آخر اللقا — لكنّا وقفْنا للوَداع ... وَوَدّعْنا
لقد كانت الأيام تزهو لقربهم — وكنا بهم نزهو ، وكانوا كما كُنّا
ألا قاتل الله النّوَى ما أمَرّهُ — وأقبَحَهُ ماذا يريد النوَى منّا
ذكرتُ ليالي الجمع كنا سَوِيّةً — ففرّقنا ريبُ الزمان وشتّتنا
فما هذه الأيام إلا معارَةٌ — وما نحن إلا مثل لفظ بلا معنىً
سلامٌ على الأحباب في كل ساعةٍ — وإنْ بَعُدوا عنا ، وإن مُنِعُوا منّا

د

درة بنت أبي لهب بن عبد المطلب :

شاعرة أدركت الإسلام **وأسلمت** ، وحدّثتْ عن **النبي صلى الله عليه وسلم** ، وعن **عائشة أم المؤمنين** ـ رضي الله عنها ـ ثلاثة أحاديث .

وكانت قد قالت في **يوم الفجار** :

ملومة خرساء يحسبُها — من راءها موجاً من البحْر
والجُرْدُ كالعقبان كاسرةً — تهوي أمام كتائبٍ خُضْر
فيهم ذعاف الموت أبرده — يغلي بهم وأحرُّه يجري

ذكرها **ابن حجر وابن الأثير وابن عبد البر والذهبي** وغيرهم .

ذ

أم ذر الغفاري :

هي زوجة أبي ذر الغفاري ، **شاعرة إسلامية** ، كان عندها قبل إسلامها صنم يقال له نهم ، فوضعت له ذات يوم لبناً ، فإذا كلب يشرب اللبن ، ويبول على الصنم ، فقالت أم ذر :

ألا فَلْتَبْغِنا رباً كريماً ... جواداً في الفضائل يا ابن وَهْب
فما من سامه كلب حقير ... فلم يمنع يداهُ لنا برَبّ
فما عبد الحجارة غير غاوٍ ... ركيكِ العقل ليس بذي لُبّ

فلما بلغ **النبي** ﷺ ذلك قال : « صدقت أم ذر : فما عبد الحجارة غير غاوٍ » . وأسلمت وحسن إسلامها .

ر

الرباب بنت امرىء القيس بن عدي :

هي الرباب **زوجة الحسين بن علي بن أبي طالب** ، كانت شاعرة من خيرة نساء عصرها ، قالت ترثي زوجها الحسين لما استشهد بكربلاء :

إن الذي كان نوراً يُستضاءُ به ... بكربلاءَ قتيلاً غير مَدْفُونِ
سِبْطَ النبيّ جزاك الله صالحةً ... عنّا ، وجُنّبْتَ خُسرانَ الموازين
قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به ... وكنت تصحبنا بالرحم والدين
مَنْ لليتامى ، ومن للسائلين ومَنْ ... يُغْني ، ويأوي إليه كل مسكين
والله لا أبتغي صهراً بصهركمُ ... حتى أغيّبَ بين الرمل والطين

ز

زينب بنت العوام بن خويلد القرشية :

شاعرة صحابية ، **أسلمت** وبقيت وعاشت إلى أن قتل ابنها **عبد الله بن حكيم بن حرام** يوم **معركة الجمل** ، فرثته ، وذكرت أخاها الزبير بالأبيات الآتية :

أعيْنَيَّ جودا بالدموع فأسْرِعا ... على رجل طلق اليديْن كريم
زبيرٌ وعبد الله يدعو لحادثٍ ... وذي خلّةٍ منا ، وحمل يتيم
قتلتمْ حواريّ النبيّ ، وصهرَهُ ... وصاحبه ، فاستبْشروا بجحيم
وقد هدّني قتل ابن عفانَ قبلَهُ ... وجادتْ عليه عَبرتي بسجوم

وقد توفيت زينب نحو سنة أربعين هجرية .

س

سُعدَى بنت كريز :

هي سُعْدَى بنت كُريز بن ربيعة بن عبد شمس العبشمية **شاعرة إسلامية** وهي **خالة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه** ، كانت كاهنة من كاهنات العرب ، قالت في إسلام عثمان بن عفان حين دعاه النبي فاستجاب له :

هدى الله عثمانَ الصفيَّ بقوله ... فأرشدَهُ ، والله يَهْدي إلى الحقّ
فبايَعَ بالرأي السديد محمداً ... وكان ابنُ أرْوَى لا يصدّ عن الحقّ
وأنكحَهُ المبعوث إحدى بناتِهِ ... فكان كبدْر مازجَ الشمسَ في الأفْقِ
فداؤك يا ابنَ الهاشميين مهجتي ... فأنتَ أمينُ الله أُرسِلْتَ في الخَلْقِ

ش

الشيبانية :

هي الشيبانيّة **زوج عبد الله بن عمر بن الخطاب** ، وكانت شاعرة من شواعر الإسلام ، ومما يُروى من شعرها :

وقلتُ لهُ لا تطلبَنّ لقاءَهُمْ ... فإنك إنْ لاقيتَهمْ غيرُ آيلِ
فما الناس إلا مِنْ قتيل وقاتل ... وآخر مأكول دليلٍ لآكلِ

ص

صفية بنت عبد المطلب :

شاعرة إسلامية ، وسيدة فاضلة أسلمت وبايعت النبيَّ ﷺ ، وهاجرت إلى **المدينة** . تزوجت في الجاهلية **الحارث بن حرب بن أمية** ، ثم خلف عليها **العوام بن خويلد بن أسد** ، فولدت له **الزبير بن العوام** وشهدت صفية **غزوة أحد** ، و**غزوة الخندق** ، وفرض **عمر بن الخطاب لصفية ستة آلاف درهم** ، **وروت عن النبي صلى الله عليه وسلم** ،ورُوِيَ عنها وقالت تفتخر :

ألا من مبلغٌ عني قريْشاً ... ففيم الأمر فينا والإمارُ
لنا السلف المقدم قد علمتم ... ولم توقد لنا بالغدر نارُ
وكل مناقب الخيرات فينا ... وبعض الأمر منقصة وعارُ

ومما قالته في **الفخر** أيضاً :

نحن حفرنا للحجيج زمزمْ ... سقيا نبيّ الله في المحرّمْ
ركضة جبريلٍ ولما يُفطمْ

ومن أبيات لها في رثاء النبي ﷺ قولها :

لِفَقْدِ رسول الله إذْ حَانَ يومُه ... فيا عينُ جُودي بالدمُوع السواجم

وأيضاً قولها :

إن يوْماً أتى عليك ليومٌ ... كوّرَتْ شمْسُه وكانَ ضياء

وتوفيت صفية في خلافة عمر بن الخطاب سنة عشرين هجرية ، **ودفنت بالبقيع** .

ض

ضُباعة بنت عامر بن قرْط :

شاعرة إسلامية ، كانت من أجمل نساء العرب وأعظمهنّ خَلْقاً ، أسلمت مع النسوة اللاتي أسْلمْن بمكة ، تزوجت **هوذة بن عليّ الحنفيّ** ثم خلفه عليها **هشام بن المغيرة** ، أسلم ابنها **سلمة بن هشام بن المغيرة** ، وهاجر إلى المدينة فقالت في هجرته :

لاهُمَّ ربّ الكعبة المحرّمَهْ ... انصرْ على كل عدوّ سَلَمَهْ
له يدانِ في الأمور المُبْهمهْ ... كفٌ بها يُعْطي وكف مُنعمهْ
اجْرأ من ضرغامة في أجَمهْ ... يحمي غداة الروع عند الملحَمهْ
بسيفه عورةَ سِرْبِ المسْلِمهْ

ع

عاتكة بنت زيد :

هي **ابنة زيد بن عمرو بن نفيْل القرشية** ، شاعرة من شواعر العرب ذات جمال وكمال وحسن خلق ورجاحة عقل ، **تزوجها عبد الله بن أبي بكر الصديق** فقلبته على رأيه وشغلته عن مغازيه ومعاشه وتجارته ، فطلقها ثم راجعها فلما مات عنها **تزوجها عمر بن الخطاب** ، فلما قتل **تزوجها الزبير بن العوام** ، ولما قتل الزبير **تزوجها الحسين بن علي** - رضي الله عنهم أجمعين .

وقد رثت عاتكة أزواجها جميعاً ، ومن رثائها لزوجها الأول عبد الله بن أبي بكر :

فلله عيناً ممن رأى مثله فتىً ... أكرّ وأحمى في الهياج وأصبرا
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا
فأقسمت لا تنفك عيني سخينةً ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
مدى الدهر ما غنّت حمامة ... وما طرد الليل الصباح المنوّرا

ف

الفريعة بنت همّام :

يقال إنها **أم الحجاج بن يوسف الثقفي** ، كانت شاعرة ، عشقت فتى من بني سُلَيم يقال له **نصر بن حجاج** ، وكان أحسن أهل زمانه صورة ، حتى لهجت به النساء في خدورهن ، ومرّ **عمر بن الخطاب** ذات ليلة بالمدينة فسمع الفريعة بنت همام تقول :

إلى فتىً ماجدِ الأعراقِ مقتبلٍ ... سَهْلِ المحيّا كريمٍ غير مِلْجاج
تنميه أعراق صدق غير كاذبةٍ ... أخي وفاءٍ عن المكروب فرّاج

فلما كان الصباح دعاه عمر إليه ووجّهَهُ إلى البصرة بعيداً عن المدينة .

ق

قتيلة بنت الحارث بن كلدة :

من الشواعر المحسنات ، رُوي أنه لما كان **النبي صلى الله عليه وسلم** بالصفراء ناحية المدينة ، أمر عليًّا عليه السلام أن يضرب عنق أخيها **النضر بن حارث بن كلدة** ، فضربه ، فعرضت قتيلة للنبي ﷺ وهو يطوف بالبيت ، واستوقفته ، وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه وقالت :

يا راكباً إن الأثيل مظنةٌ ... من صبح خامسةٍ ، وأنت موفقُ
أبلغ به ميتاً فإنّ تحيةً ... ما إن تزال بها الركائب تخفقُ
فليسمعنّ النضرُ إنْ ناديتُه ... إنْ كان يسمع ميتٌ أو ينطقُ
أمحمدٌ ولأنت صنو نجيبةٍ ... من قومها والفحلُ فحلٌ مُعرِقُ
ما كان ضرك لو مننْتَ وربّما ... مَنَّ الفتى وهو المغيظ المحنَقُ
والنضر أقرب من أصبْتَ وسيلة ... وأحقّهم إنْ كان عتق يُعتَقُ

فبكى رسول الله ﷺ حتى ابتلّتْ لحيته ، وقال : « لو بلغني شعرها قبل أن أقتله لعفوت عنه » .

ك

أم كلثوم بنت عبدود :

هي شاعرة من شواعر العرب ، **أخت عمرو بن عبدود بن قيس العامري** الذي خرج **يوم الخندق** يبارز **علي بن أبي طالب** ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله علي بن أبي طالب وذلك سنة ٥ هـ ، فنُعِيَ عمرو إلى أخته أم كلثوم ، فسألت من قتله ؟ فقيل لها : علي . فقالت : لم يأت يومه إلا على يد كفء كريم وأنشدت :

أسدان في ضيق المكرّ تجاولا ... وكلاهما كفءٌ كريمٌ باسلُ
فتخالسا سلَبَ النفوس كلاهما ... وَسْط المجال مجالدٌ ومقاتلُ
وكلاهما حَسَرَ القناع حفيظةً ... لم يثْنه عن ذاك شغل شاغلُ
فاذهبْ عليّ فما ظفرت بمثله ... قولٌ سديد ليس فيه تحاملُ

ل

لبابة بنت الحارث بن حزن :

هي لبابة بنت الحارث بن حَزْن الهلالية الصغرى **زوج الوليد بن المغيرة** ، **وأم خالد بن الوليد** ، كانت من فواضل نساء عصرها ، **أسلمت وبايعت النبي ﷺ بعد الهجرة** فلما توفي ابنها خالد رثته بقولها :

أنتَ خيرٌ من ألفِ ألفٍ من النا ... سِ إذا ما كبتْ وجوه الرجال
أشجاعٌ فأنت أشجعُ من ليـ ... ـثِ عرينٍ جَهْمٍ أبي أشبال
أجوادٌ فأنت أجود من سيـ ... ـلٍ أتيّ يسيل بين الجبال

م

ميمونة بنت عبد الله المزيدية :

شاعرة إسلامية ، قالت تجيب **كعب بن الأشرف** بمراثيه التي رثى بها **شهداء بدر** :

تحنّن هذا العبد كل تحنُّنِ ... يبكي على قتلى وليس بناصبِ
بكتْ عين من يبكي لبدر وأهله ... وعلّتْ بمثليها لؤي بن غالبِ
فليت الذين ضرّجوا بدمائهم ... يرى ما بهم من كان بين الأخاشبِ
فيعلم حقاً عن يقين ويبصروا ... مجرَّهُمُ فوق اللحى والحواجبِ

ن

نائلة بنت الفرافضة :

هي **زوجة عثمان بن عفان** ، زوّجها أخوها **ضبّ** لعثمان ، فلما حُملت إليه ، كرهت الغربة وحزنت لفراق أهلها ، فأنشأت تقول :

ألستَ ترى يا ضبُّ بالله أنني ... مصاحبة نحو المدينة أركبا
إذا قطعوا حَزْناً تحثّ ركابهمْ ... كما زعزعت ريح يراعا مثقبا
لقد كان في أبناء حصْن بن ضمْضم ... لك الويلُ ما يُغني الخباء المطنّبا
قضى الله حقاً أن تموتي غريبةً ... بيثربَ لا تلقَيْن أمّاً ولا أبا

وقالت نائلة ترثي عثمان بن عفان :

ألا إن خير الناس بعد ثلاثةٍ ... قتيلُ التجيبيّ الذي جاء مِنْ مِصْر
ومالي لا أبكي وتبكي قرابتي ... وقد غُيّبَتْ عنا فضول أبي عمرو

هـ

هند بنت أثاثة :

هي هند بنت أثاثة بن عَبّاد بن المطلب ، شاعرة من شواعر العرب ، **أسلمت وبايعت النبيّ ﷺ** ، ولما كان **يومَ أحد** ، ووقفت **هند بنت ربيعة** ونادت قائلة :

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سعر

فأجابتها هند بنت أثاثة :

خُزيت في بدر وبعد بدر ... يا بنتَ وقّاع عظيم الكفْر
صبّحَكِ الله غداةَ الفجْر ... بالهاشميّين الطوال الزهْر
بكل قطاع حسام يفْري ... حمزةُ ليثي ، وعليٌّ صقري
إذْ رام شيبٌ وأبوك غدري ... فخضّبا منه ضواحي النحْر
ونذرك السوءَ فشرّ نذر

وقالت ترثي **عبيدة بن الحارث بن المطلب** :

لقد ضمن الصفراء مجداً وسؤدداً ... وحلماً أصيلاً وافر اللبِّ والعقْلِ
عبيدة فابكيه لأضياف غربةٍ ... وأرملة تهوي لأشعث كالجذْل
وبكيه للأيام والريح زفْزفٌ ... وتشنيتِ قِدْر طالما أزْبدتْ تغْلي

مع الأصدقاء

مدينة الاسكندرية

نشرتم في العدد السادس عشر (شوال ١٣٩٨ هـ)، مقالا للسيد جلال العشري من مصر عن (الاسكندرية).

ولكون مجلتكم مجلة ثقافية تصدر عن الرياض، عاصمة المملكة العربية السعودية، حامية الحرمين الشريفين ومنطلق الدعوة الإسلامية ذات الثقافة الإنسانية الصحيحة، يرجو الشباب المثقف (الذي اجتاحه اللغط) - في دمشق وسورية كلها بسبب ما ورد في المقال المذكور - الإجابة على صفحات مجلتكم الزاهرة عن الاسئلة التالية :

١ - ما هي الآراء الخاطئة التي قضى عليها ثيوفيلوس (الاسكندري) في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١ ميلادية (ص ٤٥).

٢ - ما هي بدعة نسطور وغيره من الهراطقة التي كان لـ (كيرلس الأول) أسقف الاسكندرية الفضل الأكبر (؟!) للقضاء عليها في مجمع افسوس عام ٣٤١ ميلادية (ص ٤٥).

٣ - ذكر الكاتب المذكور في ذات الصفحة (٤٥)، أن مصر دخلت تحت راية الإسلام في النصف الأول من القرن السابع الميلادي، فمن كان سكان مصر قبل ذلك التاريخ، وحتى وقت ذلك التاريخ، بل ومن هم سكان مصر وقتذاك حتى دخلوا تحت راية العرب والإسلام. وما هي اللغة التي كان التنطق بها سائداً بينهم ؟!.

إننا بشوق زائد لقراءة الأجوبة المطلوبة في صفحات المجلة بأقرب عدد يصدر منها لأهمية وخطورة الموضوع.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خيرالله صبحي الجعفري
سورية - دمشق

المجلة : بعض اسئلتك نأمل أن يطالعها الكاتب. علماً بأن مساحة النشر للموضوع لا تسمح بنشر التفاصيل، ويكفي تسليط الأضواء على بعض الجوانب في الوقت الذي يستطيع القارىء الذي يرغب في التفاصيل مراجعة كتب التاريخ.. وتستطيع الاطلاع على كتب التاريخ المصري والموجودة في كل المكتبات لتجد الإجابة على أسئلتك التي لا تتسع صفحات المجلة كلها للإجابة عليها بشكل جيد وموسع.

طفل الأنابيب

تردد في الأيام الماضية نبأ ولادة مواليد أنابيب الاختبار، ففي لندن رأينا على شاشة التلفزيون العربي السوري فيلماً عن ولادة مولود أنبوب الاختبار في ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٧٨م، كما أعتقد. وقد قال العلماء الإيطاليون بأنهم سبقوا الانكليز في هذه التجربة ونجحت، إنما خوفهم من رجال الدين حال بينهم وبين إذاعة هذا الخبر على الملأ، كما أن العلماء الهنود أيضاً قد قاموا بمثل هذه التجربة والسؤال الآن :

ما هو رأي الشرع في هذه المواليد أهي شرعية؟ وكيف تم هذه العملية وما هي الظروف التي تم فيها هذه التجارب؟ وما هو تأثيرها على الجنس البشري في المستقبل؟ فكما هو معلوم أن معظم الناس يرغبون بالذكور، أليس هناك خطر، وما هي الدول التي قامت بها حتى الآن، أرجو في الأعداد القادمة أن أقرأ في مجلتكم الغراء موضوعاً بهذا الخصوص.

منذر قباني
حلب - سورية

المجلة : طالع العدد ١٨ من مجلة الفيصل الصادر في شهر ذي الحجة ٩٨ (ندوة الشهر) عن هذا الموضوع ستجد أنه يرد على أسئلتك.

لكل مجلة طابعها الخاص

إن المجلة لا تهم الاهتمام الكافي برسائل القراء إليها. والدليل على ذلك هو تخصيص صفحة واحدة للرد على تساؤلات القراء وهي الصفحة الأخيرة، وأعتقد من جهتي بأن هذا اهمال غير مقصود.. بسبب ضغط المواد المنشورة. ولكن من جهة أخرى، ربما أن «مجلة الفيصل» مجلة حديثة الصدور نسبياً.. وبالتالي يهم إدارة المجلة الاطلاع على أكبر قدر ممكن من رسائل وآراء واقتراحات القراء لتكوين فكرة من قبل الإدارة عن مدى استيعاب القراء للمجلة وردود الفعل من جهة ثانية.. كذلك لو قمنا باجراء مقارنة بسيطة بين الاهتمام الذي توليه مجلات عربية أخرى برسائل وآراء القراء، ثم قارنا بين ما توليه «الفيصل» لرسائل القراء من اهتمام، لرأينا بأن الفارق كبير.. ألسم معي في هذا الأمر؟! إن مقدار الاهتمام لأي مجلة كانت بآراء القراء يتجسد في الاهتمام بهذه الآراء وتنفيذ الجيد منها مع تخصيص العدد الكافي من صفحات المجلة للرد على تساؤلات القراء.

لذلك بناء على ما سبق، أرجو منكم الاهتمام بهذا الموضوع ومنح رسائل القراء الاهتمام الكافي.

مع جزيل الشكر سلفاً

محمد فتحي الداغستاني
سورية - حمص

المجلة : تهتم المجلة اهتماماً كبيراً برسائل القراء بغض النظر عن المقارنة التي أوردتها في رسالتك، والدليل على ذلك تلك الأبواب الثابتة والمتنوعة التي تدور جميعها حول رسائل القراء، وهي **«مع الأصدقاء»**، و**«ردود قصيرة»**، و**«سؤال وجواب»**، و**«كتب وردت إلى المجلة»**، ومجموعها يصل إلى ست صفحات.. ولعل توزيع الرسائل على هذه الأبواب هو الذي جعلك تتصور أن الرسائل محصورة وقاصرة على باب **«مع الأصدقاء»**، فإذا أضفنا إلى هذه الأبواب سيل الرسائل الخاصة بالمسابقة، والتي تقرأ بعناية وتفرز فرزاً دقيقاً لأدركت مدى الجهد الذي تقوم به المجلة من أجل قرائها الأعزاء، ولاقتنعت أننا لا نهمل ولا يمكن أن نهمل أي رسائل تصل إلى المجلة.. ومع هذا فنحن نشكرك على هذا الشعور الطيب نحو المجلة.

علماء العرب المجهولين

★ أرجو أن تزودنا المجلة بمعلومات عن العلماء العرب الذين تناساهم البشرية وأفادت من أعمالهم أوروبا من أمثال **الكاشي والكرجي والخازن**.. على أن نقرأ في كل عدد دراسة عن أحدهم.

فائق الطباع
سورية

●● **المجلة :** الكاشي هو **«غياث الدين الكاشي»** الذي ظهر في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي وتوفي في القرن الخامس عشر الميلادي. واشتهر في علم الفلك برصد الكسوفات التي حصلت في الأعوام ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ميلادية.. من مؤلفاته ما يبحث في كيفية تعيين نسبة محيط الدائرة إلى قطرها، وله كتابان هما **«مفتاح الحساب»** و**«تلخيص المفتاح»** جمع فيهما بين الحساب والهندسة والجبر.. أما **«الكرجي»** فهو «الكرخي» واسمه بالكامل **«أبو بكر محمد بن الحسن الكرخي»** من كبار الرياضيين العرب وله كتاب بعنوان **«الكافي في الحساب»** وكتاب **«الفخري في الجبر»** وتوفي فيما بين عامي ١٠١٩ و ١٠٢٦م.. وأما **الخازن** فهو **«أبو جعفر الخازن»** المتوفي حوالي ٩٦٠م، والمولود **بخراسان** وهو رياضي وفلكي عربي، كتب تعليقات على أعمال **اقليدس** وبخاصة الكتاب العاشر وقد حل معادلة الماهاني باستخدام القطاعات المخروطية.

هذه معلومات أولية نأمل أن تجيء مستكملة في دراسات منفصلة ومتخصصة في الأعداد المقبلة من المجلة بإذن الله.

لوحة الموناليزا

★ قرأت في عدد ١٥ (رمضان) في صفحة ١٣٠، موضوعاً بعنوان لوحة وفنان، أما اللوحة فأعرف أن اسمها **«موناليزا»** ولكن لا أعرف عنها أكثر من ذلك.. أرجو أن تكتبوا عنها في عدد قادم بالتفصيل ولكم جزيل الشكر.

إبراهيم المحمد الهطلاني
عنيزة - المملكة العربية السعودية

●● **المجلة :** «الموناليزا» هو اسم اللوحة التي رسمها الفنان الإيطالي **«ليوناردو دافنشي»** ١٤٥٢ - ١٥١١م، وقد كان إلى جانب موهبته في التصوير، مثالا ومعماريا وموسيقياً ومهندساً وعالماً في الميكانيكا والتشريح والجيولوجيا والنبات.. وأما لوحته فقد نالت شهرتها لتصميمها الذي يتيح للمشاهد من كل جانب أن يرى عيني المرأة المبتسمة وهي تنظر إليه.. وتفسير ذلك أن «دافنشي» لم يكتف بتصويرها تصويراً فنياً جميلاً ولكنه استخدم معرفته الهندسية في هذا التكنيك الذي انفرد به حتى الآن.





● **الأخ سيد صابر السيد ، الاسماعيلية ، مصر**

مرحباً بصداقتك للمجلة ، التي تتمنى أن تستمر ، كما نتمنى لك النجاح في مسابقاتها . . أما مياه بحيرة طبريا فهي عذبة وفق ما جاء في الأجوبة .

وكيفية اختيار الفائزين أجبنا عليها على أكثر من قارىء . . ومع ذلك نؤكد لك أن الرسائل تفتح كلها ، ويتم الاطلاع عليها لمعرفة الإجابات الصحيحة المطلوبة . . والاسهاب في الإجابة عمل جدير بالتقدير ، إلا أن المطلوب عادة أن تكون الإجابة في حدود السؤال فقط . . لك تحياتنا ، وعميق شكرنا .

● **الأخ عبد الرحيم عبد الرحمن ، حلب ، سورية**

لا شيء يساعدك على نجاح محاولاتك الشعرية مثل القراءة المستمرة مع الحفظ للشعر الجيد ، واستشارة من تثق بهم . . والأصل في الشعر الموهبة ، لكنها غير كافية لخلق الشاعر الجيد إذا لم تزود بالثقافة الواسعة ، والاطلاع على الشعر الجيد ، فإذا كان الشعر ينبع من الشعور ، فإن الثقافة هي التي تفجر منابع هذا الشعور ، ولا تتعجل النشر يا صديقنا . . وشكراً لمشاعرك نحو المجلة .

● **الأخ محمد محب الدين ، سورية**

وصلت رسالتك بعد صدور عدد الحج . . وقد اعتدنا في هذه المناسبة أن يتضمن العدد مواضيع خاصة بمناسبة الحج في كل عام . . وفكرتك اصدار ملحق مع العدد عن الحج جيدة ، ونسأل الله تعالى أن تتحقق مستقبلاً . . مع عميق شكرنا وتقديرنا لمشاعرك الكريمة .

● **الأخ (م . ح) ، دمشق ، سورية**

الأخبار الرياضية ليست من اهتمامات مجلة ثقافية شهرية . . قلنا هذا مراراً . . أما عن الهدية فقد استبدلناها بأبواب جديدة ، منها « لوحة وفنان » . . والمجلة لها منهاجها وخطها المستقلين عن المجلات الأخرى . . مرحباً بك قارئاً للفيصل .

● **الأخ محمد سعيد نوري العسة ، دمشق ، سورية**

رئيس التحرير يشكرك على تهنئتك بمناسبة عيد الأضحى ، راجين الله تعالى أن يعيده على الأمة الإسلامية والعربية بالخير والاستقرار والتضامن .

● **الأخ عماد مختار ، حمص ، سورية**

الأمور لا تناقش بغضب . . لقد أعطيت القضية التي أشرت إليها أكبر من حجمها . ومع ذلك فنحن نحترم رأيك ، ونأمل أن تكون المجلة كما تحب لها أن تكون . . ولك أطيب مشاعرنا .

● **الأخ محمد سلطان زمزمي ، مكة المكرمة ، السعودية**

طالع ص ١٦٢ م ، من كل عدد لمعرفة كيفية الاشتراك في المجلة . . مع تحياتنا .

● **الأخت ردينة عبد الهادي الحكيم ، مصياف ، سورية**

طريق الشعر والأدب شاق ، وطويل تتطلب زاداً كبيراً من المعرفة والدراية ، والثقافة ، والنضج ، وهذا يعني أن دراستك في الوقت الحاضر تحتاج إلى جهودك ، وتركيزك ، وهذا لا يمنع من تنمية موهبتك الشعرية . . لكن الوقت بالنسبة لك ما زال مبكراً في الوقت الحاضر . . نرجو لك مستقبلاً حافلاً بالنجاح .

● **الأخ غسان العظم ، حماة ، سورية**

لقد غمرتنا بفيض مشاعرك النبيلة . . نشكر لك شعورك ، ونسأل الله أن يوفقنا لخدمة الثقافة العربية والإسلامية .

● **الأخ فتى الزلفي ، الزلفي ، السعودية**

اطمئن فالمجلة سوف تكتب عن كل المدن السعودية . . وكما تلاحظ فهي رغم عمرها القصير ، إلا أنها كتبت عن المدن التاريخية الكبيرة في المملكة . . وسوف يأتي دور مدينتك .

● **الأخ عدنان البهلول ، جدة ، السعودية**

شكراً لشعورك نحو المجلة . . وموضوعك وصل متأخراً ، وكما تلاحظ عنايتها بالموضوع الذي تعرضت له ، ولكن بتوسع ، ونعتقد أن ذلك فيه الكفاية . . مع عميق تحياتنا .

● **الأخ يحيى محمد موسى ـ صنعاء ـ اليمن**

بإمكانك الاطلاع على الصفحة ١٦٢ من المجلة لمعرفة قيمة الاشتراك السنوي في المجلة ، وكيفية التحويل .

● **الأخ عدنان السايس ـ دمشق ـ سورية**

أسباب عدم نشر نتائج مسابقة المجلة وأجوبتها انشغال لجنة المسابقة بمناسبة الحج . . وسوف تنشر النتائج مع الأجوبة مستقبلاً كالمعتاد . . وشكراً .

● **الأخت عمرة سيد العاصي الجربا ـ القامشلي ـ سورية**

نشكرك على تهنئتك بالعام الهجري الجديد سائلين الله أن يجعله عام خير ويمن ونصر واستقرار ، وطلبك صورة للشهيد الملك فيصل نأمل أن تكون الصورة المنشورة في العدد ٢١ كافية ، داعين للشهيد بالرحمة والغفران .

● **الأخ عصام هبيان ـ حماه ـ سورية**

شكراً على مشاعرك الطيبة نحو المجلة ، وننقل إليك تحيات رئيس التحرير وجميع العاملين في المجلة . . وطلبكم نشر صورة نواعير حماه على الغلاف نأمل تحقيقه عند الكتابة عن هذه المدينة . . أما تأخير المجلة فإذا حصل في السابق فإنه لن يحصل مستقبلاً ، خاصة بعد أن أصبحت ترسل إلى سورية قبل بداية موعد صدورها بيومين تقريباً . . والدليل على ذلك العدد ٢٠ ، وما سيليه من أعداد .

● **الأخ محمد عبد الرحمن عبد الله السبيهين ـ الرياض ـ السعودية**

اقتراحاتك جيدة ، إلا أن المجلة أساساً موجهة للمثقفين وليست للأطفال ، لهذا السبب يتعذر تحقيقها . . مع شكرنا وتحياتنا .

● **الأخ محمد أحمد محمد فضل المولى ـ الخرطوم ـ السودان**

بإمكانك الكتابة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، أو الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مباشرة مع ارفاق صور شهاداتك ، وهذه هي الطريقة الصحيحة لتقديم الطلبات ، وسوف تتلقى ردهما على عنوانك .

● **الأخ إبراهيم أحمد جمعة ـ دمشق ـ سورية .**

لقد غمرتنا بشعورك النبيل . . ويسعدنا أن ننقل إليك شكر رئيس التحرير وكل العاملين في المجلة على هذا الشعور سائلين الله أن يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح .

● **الأخ محيي الدين اليافي ـ دمشق ـ سورية**

بإمكانك الحصول على العدد ١٨ من المجلة من شركة التوزيع في دمشق ، أو بسؤال أية مكتبة . . أما طلبك الإجابة عن الرجل الذي اتضح أنه حامل نتيجة التحاليل التي أجريت له مع الصور فنأسف لعدم توفر طلبك ، وعدم إمكانية الإجابة على شيء لأن جوابك لم يتضمن أي سؤال ، وفيما يختص بهدية المجلة فقد عوضنا القارىء عنها بكثير من الأبواب ، واللوحات ولن نبخل بذلك إذا توفرت هدية مناسبة ذات قيمة تاريخية .

● **الأخ جمال صلاح فقير ـ سورية**

شكراً لاعجابك بالمجلة ، ونأسف لعدم استطاعتنا تحقيق رغبتك في نشر صور لاعبي كرة القدم ، لأن هذا الموضوع له مجلاته التي تعنى به .

● **الأخت حنة حامد أحمد عبد الجبار ـ الطائف**

نشكر لك مشاعرك الكريمة نحو المجلة . . وفيما يتعلق بدائرة المعارف ورغبتك في أن تكون عامة كما كانت في السنة الأولى وجهة نظر ، ومع ذلك فهناك وجهات نظر تطالب بالتخصيص . . وعموماً فسوف نحرص على ارضاء الطرفين بقدر المستطاع . . والمجلة للجميع .

● **الأخ أحمد البوزيدي ـ صفرد ـ المغرب**

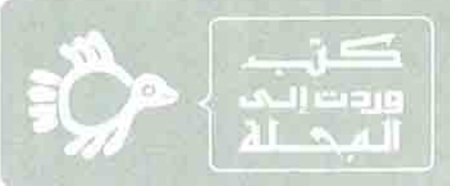
اقتراحك تأخذ به المجلة ، ومع ذلك سوف نحرص على التركيز على القضايا التي أشرت إليها . . مع شكرنا الصادق لمشاعرك الرقيقة .

● **الأخ مروان العرجي ـ السلمية ـ سورية**

نأمل أن ينشر اسمك صحيحاً دون تحريف كما حدث في المرة السابقة . . ومع اعترافنا في شجاعة بالأخطاء المطبعية التي تحدث رغم حرصنا ، وحرص المصححين الشديد على تلافي هذه الأخطاء إلا أن رسائل القراء ، وخطوطهم تساهم أحياناً في هذا الخطأ ، ولو راجعت رسالتك لوجدت أنك كتبت اسمك مرة « مروان » ، وأخرى « محوان » فكيف نوفق بينهما ، ومع ذلك نعود ونكرر القول إن الكمال لله وحده .

ونحن نقدر مشاعرك النبيلة نحو المجلة والعاملين عليها ، ونعتز بمشاعر كل الأخوة القراء . . والمقترحات ، والأفكار كثيرة ، إلا أن المهم توافر القدرة على التنفيذ مع الاستمرار . . وثق أننا لا نألو جهداً في تقديم ما يفيد القارىء ، ويثري عقله ووجدانه . . والله الموفق .

«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح امام القارىء آفاقاً أوسع وارحب وابعد مدى».



شوقي أمير الشعراء.. لماذا

كتيب صدر عن سلسلة «كتابك»، التي تصدرها دار المعارف المصرية.. عبارة عن قراءة، بقلم فتحي سعيد تقع في ٥٦ صفحة، من القطع الصغير، تعرض من خلالها لجوانب من حياة الشاعر أحمد شوقي، وشعره وبعض معاصريه.

المسحوق السحري.. ومسرحيات أخرى

تأليف غبريال وهبة.. ضمت أربع مسرحيات قصيرة هي «العدو»، باللهجة العامية، «محاكمة العدو»، بالفصحى من شخوصها: المعدة، القلب، الصحة الجيدة، البلعوم الخ، ومسرحية «المسحوق السحري»، التي جعلها عنواناً للمسرحيات الأربع، أما المسرحية الرابعة، فهي بعنوان «رفقاً بأنفي»، وقد مزج حوارها بين العامية النثرية، والزجل إلى جانب الفصحى، ويشير المؤلف في اهدائه إلى أنها مجموعة من المسرحيات العلمية، تقع المجموعة في ١٢٦ صفحة من القطع الصغير، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة.

ملح على جرح

رواية طويلة، من تأليف محمد حسين شرف، أهداها إلى والديه، وجعل شعارها «المأساة الإنسانية».. تقع في ٢٤٠ صفحة، مطبعة دار الكتاب بدمشق.. وقد سبق أن أصدر المؤلف بعض الأعمال، مثل «فينوس»، «قمر الغرباء»، «شمس الغروب»، وسوف يصدر له عملان: «دستون الحب» غزل، «القرين» رواية.

القعقاع بن عمرو فارس بني تميم

دراسة فيها شمول تناول فيها المؤلف «محمد أمين الميداني»، حياة الفارس العربي المسلم القعقاع بن عمرو، من قبيلة تميم بن مر، نشأته في الجاهلية، ثم إسلامه والمعارك التي خاضها ببسالة وشجاعة، وقد استطاع المؤلف أن يسلط الأضواء على شخصية القعقاع من خلال عدد من المصادر والمراجع القديمة والمعاصرة.. طباعة أنيقة من القطع المتوسط، ويقع في ٢٠٤ صفحات، اصدار «مؤسسة الرسالة» في لبنان.

حركة الشعر الحديث

«**حركة الشعر الحديث من خلال أعلامه في سورية**»، هو عنوان الكتاب الذي ألفه الدكتور **أحمد بسام ساعي**، مدرس الأدب الحديث بجامعة تشرين في اللاذقية.. وقد قسم الكتاب إلى **أبواب ثلاثة**، **أولها** عن الفنون الشعرية الحديثة من شعر العروض الخليلي إلى الشعر المسرحي والقصيدة الحديثة، **وثانيها** عن التعبير الفني فيما يتعلق بالشكل والمضمون والظواهر اللغوية، وموسيقى الشعر والرموز والصور، **وثالثها** عن المضمون الحضاري من الناحية الفكرية ومظاهر الاغتراب والتمرد وقضايا الالتزام، ثم يختم البحث بدراسة عن مستقبل الشعر السوري.. والكتاب يقع في ٥٦٠ صفحة من القطع المتوسط، ونشرته **دار المأمون للتراث بدمشق**، في العام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

أمي

مجموعة من القصائد الشعرية كتبها الشاعر السوري عمر بهاء الدين الأميري بخط يده، ومن عنوان الديوان يتضح مضمونه فقصائده كلها عن أمه، وقد سبق أن صدر للشاعر ديوان «أب». والديوانان يعكسان مدى تعلق الشاعر بوالديه ومكانتهما في نفسه.

ضم الديوان مجموعة كبيرة من القصائد، وفي نهايته بعض رسائل وقصائد الرثاء التي تلقاها الشاعر بمناسبة وفاة أمه.. والديوان يقع في ٣١٨ صفحة من القطع الصغير.. طباعة دار الفتح، بيروت.

* الإنسان والحرمان *

ديوان الشاعر أحمد عصام الدين الغزالي، ويضم أكثر من مئة قصيدة تناولت أغراضاً مختلفة، في الوطنية، والعقيدة، والغزل، والمناسبات، وغيرها. بعض القصائد لا تتعدى الأربعة أبيات، لهذا احتوى الديوان على مجموعة كبيرة من القصائد.

يقع الديوان في ٥٦ صفحة من القطع المتوسط، اصدار اتحاد طلاب كلية الهندسة ـ جامعة القاهرة.

العسل فيه شفاء للناس

تناول فيه مؤلفه **الدكتور محمد نزار الدقر، اختصاصي الأمراض الجلدية والتناسلية والعلاج التجميلي، العسل**، من جميع الجوانب، تاريخياً من خلال استعراضه لمكانة العسل عند الشعوب القديمة، واستطباباته، ومكوناته، وخواصه، والأمراض التي يعالج بها العسل. وقد برز جهد المؤلف في إخراج هذا الكتاب القيم، من خلال تلك المراجع والمصادر باللغات العربية، والانجليزية، والإيطالية، والروسية، والإسبانية، والبلغارية، والألمانية.. وقد حاز الكتاب على جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية.. اصدار المكتب الإسلامي، دمشق، سورية، وهذه هي الطبعة الثانية.. يقع الكتاب في ٢٤٧ صفحة من القطع المتوسط.. مزود بالصور والرسوم البيانية.

اعتقاد السلف

كتيب من تأليف **الشيخ عبد الله خياط**، الخطيب بالمسجد الحرام، في مكة المكرمة، ومستشار وزارة المعارف، سلط من خلاله الأضواء على معالم العقيدة الإسلامية، وتبيان أظهر أصولها وقواعدها.. كتب مقدمته ابنه «**أسامة عبد الله الخياط**»، **الناشر دار الثقافة للطباعة والزنكوغراف**.. ويوزع مجاناً على نفقة معالي **الشيخ عبد الرحمن بن حسن العمران**.. يقع الكتيب في ٢٤ صفحة من القطع المتوسط.

احصائية الحجاج لعام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

أصدرت **وكالة وزارة الداخلية للجوازات والأحوال المدنية**، هذه الاحصائية لعام ٩٨هـ/٧٨م، وقد اعتادت اصدار مثل هذه الاحصائية كل عام.. وقد بلغ عدد الحجاج القادمين من خارج المملكة، لهذا العام (**٨٣٠٢٣٦ حاجاً**)، في الوقت الذي كان عددهم في العام الماضي ٩٧هـ/٧٧م، (**٧٣٩٣١٩ حاجاً**)، أي بزيادة (**٩٠٩١٧ حاجاً**).. كتب المقدمة **صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية**.. وقد طبعت الاحصائية في كتاب، احتوى على كلمة **صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز نائب جلالة الملك وولي العهد، في وفود حجاج عام ٩٨هـ/٧٨م**.. يقع الكتاب في ٤٧ صفحة باللغة العربية + ٤٧ صفحة باللغة الانجليزية.

نبضات لا تموت

رواية للأديب **أحمد فريد**، يصور فيها حياة الإنسان المقهور نتيجة إخلاصه وأمانته، فإذا ما تخلى عنهما فتحت أمامه الأبواب.. ومع هذا يظل يقاوم حتى يكسب نفسه.. الرواية تقع في ٢٩٠ صفحة من القطع الصغير، مقسمة إلى سبعة فصول، صدرت عن مطبعة المعرفة عام ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، بالقاهرة.

تعليم اللغة العربية

أقام اتحاد المجامع اللغوية العربية، ندوة عن «تيسير تعليم اللغة العربية» بالجزائر عام ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.. وقد أصدر الاتحاد كتاباً سجل فيه وقائع الندوة.. قدم للكتاب الدكتور **إبراهيم مدكور** رئيس الاتحاد، وكان قد قدم الندوة الدكتور **أحمد طالب الإبراهيمي**، وزير الإعلام والثقافة الجزائري.. يقع الكتاب في ١٥٢ صفحة من القطع الكبير، وصدر عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

قاموس عربي ـ إنجليزي في المحاسبة

صدر هذا القاموس للسيد طلال أبو غزالة، ويعد الأول من نوعه، حيث ضم حوالي ٨٠٠٠ مصطلح من المصطلحات المتداولة عادة في علم المحاسبة الذي تدور في اطاره أعمال ومشاريع ومؤسسات طلال أبو غزالة نفسه إلى جانب مفتاح خاص بالألفاظ في أول القاموس.

ويقول مؤلفه إن هدفه من اصدار هذا القاموس، هو توحيد اللفظة المحاسبية ذات المعنى الواحد.. يقع القاموس في ٢١٠ صفحات من القطع الكبير، نشر مؤسسة ماكميلان البريطانية.

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

ا ـ الجائزة الأولى ٣٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ٢٠٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٥٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية أخرى قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي)

٢ـ المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الاسم ثلاثيا أو رباعيا ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ـ ترسل الاجابات على العنوان التالي :
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب . (٣) المسابقة) .
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوما من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن أغلب أسئلة المسابقة سوف يجدها القارىء في ثنايا المواضيع المنشورة فيها .

٦ـ من حق القارىء أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



نتيجة مسابقة العدد السادس عشر

● من السعودية فاز الأخ (خالد محمد علي يماني ـ مكة المكرمة ـ حي العزيزية م ت ٣٧) بالجائزة الأولى وقيمتها (٣٠٠٠) ريال سعودي .

● من سورية فاز الأخ (محمد واصل صوان ـ جامعة حلب ـ كلية العلوم الأساسية) بالجائزة الثانية وقيمتها (٢٠٠٠) ريال سعودي .

● من مصر فاز الأخ (الدكتور محمد عبد الرزاق شرف الدين ـ مستشفى طنطا الجامعي) بالجائزة الثالثة وقيمتها (١٥٠٠) ريال سعودي .

كما فاز كل من الأسماء التالية بجائزة قيمتها (٥٠٠) ريال سعودي، وهم :

١ ـ من لبنان الأخ (فاضل فياض سكرية ـ مدرس تكميلي ـ البقاع ـ بعلبك ـ الفاكهة ـ حي الجامع) .

٢ ـ من الأردن الأخ (عبد ربه خليل الحواجرة ـ جريدة الدستور ـ عمان ـ ص . ب ٥٩١) .

٣ ـ من المغرب الأخت (كريمة سباعي ـ ٣٠ زنقة فرانسفيل الوازيس ـ الدار البيضاء) .

٤ ـ من الإمارات العربية المتحدة الأخ (غالب أبو عابد، مهندس زراعي ـ الشارقة ـ ص . ب ٣٨٥) .

٥ ـ من مصر الأخت (بهية عبد الجليل عياشة ـ المجلس المحلي ـ محافظة بور سعيد) .

٦ ـ من المدينة المنورة الأخ (عبد الرحمن عبد العزيز الشبل ـ ص . ب ١٤٩٨) .

٧ ـ من سورية الأخت (نادرة مصطفى الحلواني ـ حماة ـ شارع الجاحظ رقم ٧ قرب البريد) .

تهانينا للفائزين، وتمنياتنا لبقية الأخوان بالفوز في مسابقات قادمة .. والله الموفق .

السؤال الأول :

للقنص عند العرب ـ ويطلق عليه البيزرة ـ مكانة هامة . . اذكر اسم أول من صاد بالصقر ، وأول من صاد بالفهود في التاريخ العربي والإسلامي (مجلة الفيصل ـ العدد الأول ـ السنة الثانية) .

السؤال الثاني :

ما هي اللغات الرسمية لهذه البلدان (أفغانستان ـ سويسرا ـ إسبانيا ـ الحبشة ـ رومانيا) ؟

السؤال الثالث :

كيف تتم عملية المداعبة والتزاوج بين الذكر والأنثى عند الفراش ؟ (مجلة الفيصل ـ العدد السابع ـ السنة الأولى) .

السؤال الرابع :

أول مؤذن في الإسلام . . كان مولى ثم اشتراه أبو بكر الصديق وأعتقه . . أذن عام الفتح . . اشترك مع أبي عبيدة في فتح الشام . . ما اسمه ، وأين توفي ؟

السؤال الخامس :

رباعيات الخيام ترجمت شعراً ونثراً إلى العربية من اللغتين الفارسية والإنجليزية . . اذكر أسماء الأدباء الذين نقلوها إلى العربية (مجلة الفيصل ـ العدد ٢١ ـ السنة الثانية) .

السؤال السادس :

ما اسم أول جريدة صدرت باللغة العربية . . وفي أي عام صدرت ؟

السؤال السابع :

في أية مناسبة يضرب كل من الأمثال التالية :

(سبق سيله مطره ـ ثار حابلهم على نابلهم ـ تحككت العقرب بالأفعى ـ اتبع الدلو الرشاء ـ كالحادي وليس له بعير) . (راجع مجلة الفيصل) .

السؤال الثامن :

سباق في العدو لمسافة طويلة . . ارتبط اسمه بقرية إغريقية . . ويروى أنه في عام ٤٩٠ ق . م ، عدا شاب من هذه القرية إلى مدينة أثينا لينقل نبأ انتصار الاثينيين على الفرس . . أدخل هذا السباق في الدورة الأولى للألعاب الأولمبية الحديثة عام ١٨٩٦ م ، ويقام هذا السباق في الولايات المتحدة سنوياً برعاية جمعية بوسطن للألعاب الرياضية . . ماذا يطلق على هذا السباق ؟

السؤال التاسع :

ما اسم أول مجلة أسبوعية للأطفال صدرت في المملكة العربية السعودية . . ومتى ؟ (مجلة الفيصل ـ العدد ٢١) .

السؤال العاشر :

من أول من وضع أصول علم النحو . . وأول من وضع النقاط على الحروف في اللغة العربية ؟

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل

● العدد ٢٣ ●

الاسم : ------------------------------

المهنة : ------------------------------

العنوان : ------------------------------

أجوبة مسابقة العدد السادس عشر

ج ١ **القدس** فتحت بقيادة أبي عبيدة بن الجراح - **الإسكندرية** فتحت بقيادة عبادة بن الصامت، **صقلية** فتحت بقيادة أبي عبد الله أسد بن الفرات.

ج ٢ ★ لا في العير، ولا في النفير: يضرب للرجل يحط أمره، ويصغر قدره.
★ تقطع أعناق الرجال المطامع: يضرب في مذلة الطامع.
★ اسمع جعجعة، ولا أرى طحناً: يضرب لمن يعد، ولا يفي.
★ المزاحة تذهب المهابة: يضرب في ذم المزاح.
★ جاء بالهيل والهيلمان: يضرب لمن جاء بالمال الكثير.

ج ٣ مخترع **التليفزيون** (جون بيرد)، مكتشفة **الراديوم** (ماري كوري.. أو مدام كوري)، **أشعة اكس** (رونتجن)، **آلة التصوير السينمائي** (الفرنسي لوي لوميير)، **الطباعة** (جوتمبرج).

ج ٤ واضع **علم العروض** الخليل بن أحمد الفراهيدي.

ج ٥ أول صحيفة يومية صدرت في العالم «لاغازيت لايبتسيغ» عام ١٦٦٠م.

ج ٦ سمي جبل المكبر في فلسطين بهذا الاسم لأن **الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه** وقف عليه أثناء الفتح الإسلامي للقدس بقيادة **أبي عبيدة بن الجراح**، بعض الوقت، ثم رفع صوته مكبراً الله أكبر، فارتفعت من بعده أصوات المسلمين فسمي منذ ذلك الحين **«جبل المكبر»**، وكان يسمى جبل **«سكوبس»**.

ج ٧ هناك من يرى أن **مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية** نشأت في الفترة الواقعة بين نهاية القرن الحادي عشر، وبداية القرن الثاني عشر، وكانت تسمى قديماً **(حجر)**.

ج ٨ ★ الجامع الأموي في دمشق، شيده الوليد بن عبد الملك.
★ الجامع الأزهر في القاهرة، شيده جوهر الصقلي.
★ مسجد خالد بن الوليد في حمص، شيده الظاهر بيبرس.
★ جامع قرطبة، شيده عبد الرحمن الداخل.
★ جامع الكتبية في مراكش، شيده يعقوب المنصور الموحدي.

ج ٩ الأمانة العامة للأمم المتحدة يرأسها الأمين العام، ومهمتها إدارة أعمال وجلسات مجلس الأمن، وحفظ الوثائق والمستندات، وتقديم التقارير السنوية للجمعية العامة عن نشاطات المجلس خلال العام.

ج ١٠ النيتروجين غاز يحتل أربعة أخماس الهواء الجوي، ضروري للحياة، عديم اللون، والطعم والرائحة، لا يحترق، ولا يساعد على الاحتراق، قليل الذوبان في الماء، لا يتحد بسهولة مع العناصر الأخرى.



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف : ٤١٩٦٨

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 41968

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٦ ريالات
الكويت	٣٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٥ دراهم
قطر	٥ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
سلطنة عمان	٣٠٠ بسة
الأردن	٢٥٠ فلساً
ج.ع. اليمنية	٣ ريالات
ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٤٠٠ فلس
مصر	٢٠٠ مليم
السودان	٢٥٠ مليماً
المغرب	٤ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
العراق	٣٠٠ فلس
سوريا	٣٠٠ قرش
لبنان	٣٠٠ قرش
ليبيا	٤٠٠ درهم



بريطانيا وايرلندا	١,٢٥ جنيها استرلينيا
فرنسا	١٠ فرنكات
هولندا	٧,٥ فلورن هولندي
بلجيكا	١٠٠ فرنك بلجيكي
سويسرا	٧ فرنكات سويسرية
المانيا الغربية	٧ ماركات ألمانية
ايطاليا	٢٠٠٠ ليرة ايطالية
اسبانيا	١٠٠ بيزيتا اسباني
البرتغال	٨٠ اسكودو
اليونان	١٠٠ درخما
الدانمرك	١٥ كرونا
النرويج	١٥ كرونا
السويد	١٥ كرونا
فنلندا	١٥ كرونا
الولايات المتحدة الاميريكية	٢,٥٠ دولاران ونصف
الباكستان	١٠ روبيات

الإعلانات:
يتفق عليها
مع الإدارة

أسعار الاشتراكات السنوية

للأفراد ١٠٠ ريال سعودي
لغير الأفراد ٢٠٠ " "
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

مطابع شركة الطباعة العربية السعودية العمارية، الرياض